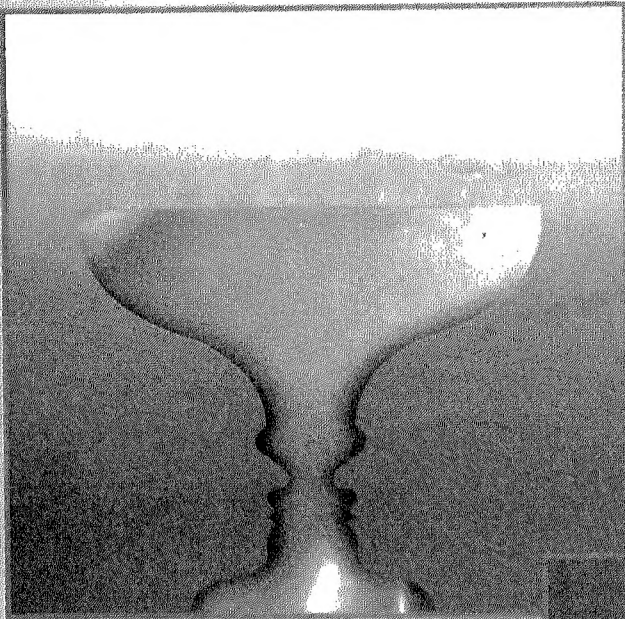


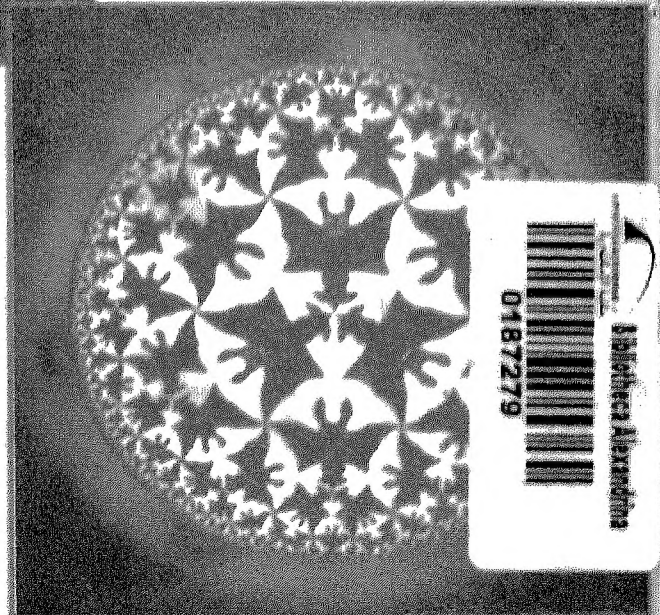
معالم عالم النفس المعاصر



دكتور
عزت عبد العظيم الطويل
استاذ علم النفس
كلية آداب بنها - جامعة الزقازيق

الطبعة الثالثة
منقحة ومزودة

دار المعرفة الجامعية
شارع ستير الأرايطه
الاسكندرية



0187279



Bibliotheca Alexandrina

١٥٥
٢٠٠٤
٢

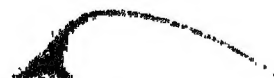
معالم علم النفس المعاصر

ش : ٩٢٤-٥

دكتور
عزت عبد العظيم الطويل
أستاذ علم النفس
كلية آداب بنها - جامعة الزقازيق

١٩٩٩

الطبعة الثالثة
(منقحة ومزودة)


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
المكتبة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتس - إسكندرية
ت ٤٨٣٠١٦٣



إلى التى شاركتنى مسيرة الحياة .
ووقفت بجانبى تقاوم الرياح والأعاصير .
كنت أتمنى أن تصوغ حياة المحبين الأمنين .
وفجأةً إنطفأ السراج وغاب القمر معلنا الرحيل .
فسلام عليها يوم مولدها ويوم رحيلها
ويوم بعثها للحياة .
عزت عبد العظيم الطويل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ ... إقرأ باسم ربك الذي خلق .

خلق الإنسان من علق .

أقرأ وربك الأكرم .

الذي علم بالقلم .

علم الإنسان ما لم يعلم . }

صدق الله العظيم

(سورة العلق)

- أ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الطبعة الثالثة.

للأستاذ الدكتور / كمال دسوقي.

بهذه الطبعة الجديدة من «معالم علم النفس المعاصر» يتابع الأستاذ الدكتور / عزت الطويل ما استجد علي الساحة في آفاق علم النفس من تطورات حثيثة أبرزت له معالم موضوعات ومناهج جديدة وترقي بالدارس من إستيعاب العرض النظري لحقائق ومفاهيم ونظريات ومذاهب علم النفس إلى إستراتيجيات الدراسة الفاعلة والتفكير الناقد التي هي أساسيات تفهم هذا العلم نظريا وتطبيقيا في شتى مجالات الحياة علي خطوات : أولهما الإلمام بالبناء المنطقي للكتاب الذي يدرسه للإلتطباع بتسلسل موضوعاته وترباط فصوله وتكوين صورة بانورامية شاملة يمكن معها عند قراءة المقدمة التعرف علي المحاور الرئيسية للكتاب وتركيز الإنتباه علي مايشير الإهتمام ... أي الطريقة الكلية ذات خمس خطوات المسح الإستطلاعي فالتساؤل ، ثم القراءة والتسميع والمراجعة التي يسميها إختصارا بلفظ عربي دال «مسائر S Q 3 R» أو الطريقة الثانية ذات ست خطوات : المزاج الخلقي الطبعي للدرس ، الفهم والإسترجاع والهضم والإستيعاب ، فالتوسع والبسط وأخيرا المراجعة التي هي « قتل » الموضوع بحثا « MURDER » ويقابلها في اللغة العربية لفظ « مفاهيم » .

وإنه - في ضوء هذا التجديد للمدخل إلي تناول محتويات الكتاب ليستبدل بالثلاثة فصول الإفتتاحية التقليدية للطبعة الأولى عن : علم النفس - علم السلوك - تاريخ ومدارس ومجالات علم النفس فمناهج البحث في علم النفس - فصلا أول شاملا لأغلب موضوعات هذه الفصول تحت اسم أساسيات فهم علم النفس الإسم الذي إختاره « روبرت إستيفن فلدمن » بجامعة ماساشوستس للفصل الأول (ص ١ - ٣٨) من كتابه « مقدمة إلي علم النفس » مكجروهل ١٩٩٤ وموضوعاته : ما يربط علماء النفس من تساؤلات حول موضوعات العلم ومناهجه ، الأسس

- ب -

البيولوجية لعلم النفس ، الأسس الاجتماعية لعلم النفس ، آفاق سيكولوجية جديدة ، تطور علم النفس قديما وحديثا ، جذور علم النفس ، إسهامات المرأة في علم النفس ، نماذج علم النفس المعاصر : البيولوجي ، والسيكودينامي ، المعرفي ، السلوكي ، الإنساني ، علم النفس والإيدز ، الاتجاهات المستقبلية لعلم النفس وفي القسم الأخير من الفصل التمهيدي الشامل بعنوان مناهج البحث في علم النفس : الملاحظة علي الطبيعة ، البحوث المسحية ، دراسة الحالة ، البحوث الارتباطية ، البحوث التجريبية ، البحوث الأرشيفية ، أخلاقيات البحث العلمي ، معوقات التجريب في علم النفس .

وإذ يستمر الكتاب في عرض موضوعات : الأسس البيولوجية للسلوك الإنساني ، الإنتباه والإدراك الحسي ، سيكولوجية التعلم ، الذاكرة والتذكر ، دوافع السلوك الانساني ، بالفصول من الثاني حتي السادس حسب التصنيف الجديد للطبعة الثالثة ناصا بـسيكولوجية الدافعية للعمل والرضا المهني.فيه يعرض

بيئة والإجتماعية ولنظريات الوجود والإنتماء والنمو -
لماكليلاند وذات العاملين لهيرتزبرج فالنظريات المعرفية
إف لسيكولوجية الإنفعالات والفروق الفردية للذكاء »

مود ليفرد فصلا خاصا بدينامية الجماعات :التي

التفاعل معها في تحقيق أهدافها واتجاهاتها من

ربط الإجرائي لإكتساب الإتجاه وكذلك عملية

كوين الإنطباع كما يتناول هذا الفصل أيضا

. ويركز الفصل الحادي عشر علي المؤثرات

والقبول والخضوع للضغوط الإجتماعية في

بيئة البيئشخصية وتنمية العلاقات الإنسانية

وتستمر فصول الكتاب الاربعة الباقية في سياق معالم علم النفس المعاصر بحسب

ترتيبها السابق الذي يجعل موضوع الفصل الثاني عشر عن الإضطرابات السلوكية

المضادة للمجتمع من إجرام وإنحراف أحداث وسيكوباتية وتخلف عقلي ومكفوفية

إبصار والثالث عشر عن الإتجاهات والقيادة ، والرابع عشر عن الصحة النفسية

— ج —

والسيكودراما والإدمان وتطبيقاتها وعلاقتها بالقدرات العقلية ونمط الشخصية ،
حيث الفصل الأخير الخامس عشر بعنوان : تأصيل علم النفس في القرآن الكريم »
مسك الختام»

أرجو الله أن ينفع دارسي علم النفس بإستراتيجيات الدراسة الفاعلة والتفكير
الناقد التي تعينهم علي تفهم موضوعات هذا العلم النظرية والتطبيقية خصوصا ما
يستجد من مشكلات في مختلف مجالات الحياة الإنسانية المعاصرة الثقيلة الوطأة
المتسارعة الخطوات والتي إستهدف بها الأستاذ الدكتور / عزت الطويل إعداد
وتسليح رجل علم النفس المقتدر في مواجهة هذه المستجدات .
وأتمني في طبقات تالية أن يزيد تلاميذه ومريديه لمادة تدريس هذا العلم وممارساته
داعيا الله له بدوام التوفيق .

كمال دسوقي .

الإسكندرية : في أغسطس ١٩٩٧



تقديم الطبعة الثانية .

بعد نفاذ الطبعة الأولى من كتاب « معالم علم النفس المعاصر » كنا علي أعتاب بداية الدراسة في العام الجامعي ٩٦ - ١٩٩٧ وكان علينا أن نقدم الكتاب في طبعته الثانية لطلابنا الأعزاء ، طلاب علم النفس في الكليات والمعاهد العليا ، وذلك في إطار نظام الفصلين الدارسين .

لذلك آثرنا أن تكون الطبعة الثانية موجزة ومعدلة طبقا لحاجة الطالب للكتاب في بداية الدراسة من ناحية ، وحرصا والتزاما من جانب المؤلف في إفادة الطالب الفائدة المرجوة من ناحية أخرى .

وفي هذه الطبعة المعدلة حذفنا الفصل الأخير من الكتاب بالإضافة إلي الجزء الخاص بشيت المصطلحات الإنجليزية ، دون أن يؤدي ذلك إلي خلل في ترتيب الكتاب من ناحية الإخراج ، ويعيدا عن التقليل من شأن الكتاب « كيفا » لا « كما » وهذا مادار في خلدي أثناء عملية الطبع وحسبي ذلك وكفي والله من وراء القصد .

دكتور / عزت عبدالعظيم الطويل

الإسكندرية : في يوليو ١٩٩٦

وهكذا فبموضوعية أستاذ الجامعة الذي يلحق تلاميذه أصول العلم الحديث التي سيطبقها علي نفسه والآخرين في الحياة المعاصرة ، أجل تأصيل علم النفس في التراث الإسلامي كتاريخ ، ودرس مبادئ العلم بأحدث تطوراتهِ مدارس وموضوعات ومناهج بحث ، فكتابه الذي نقدمه للقراء الآن الذي هو حصيلة محاضراته وكتاباته وبحوثه في العشر سنوات الأخيرة لا يختلف عن أي مرجع علمي جامعي في المادة ، تتناول فصوله الثلاثة عشر علم النفس - علم السلوك - تاريخ ومدارس ومجالات علم النفس ، مناهج البحث في علم النفس ، الأسس البيولوجية للسلوك الإنساني ، الانتباه والإدراك الحسي ، سيكولوجية التعلم ، الذاكرة والتذكر ، دوافع السلوك الإنساني ، سيكولوجية الإنفعالات الفروق الفردية والذكاء ، سيكولوجية السلوك المنحرف ، الإتيهاات والقيادة والسيكودراما والإدمان ، الصحة النفسية وتوافق الفرد ، أما الفصل الأخير فهو الذي خصصه لمبادئه هو في تأصيل علم النفس في القرآن الكريم ، حيث عرض مفهوم النفس والروح في القرآن والآراء حولها وأنواع النفوس ، والمريض منها وشفائه قرآنيا وعلميا ، والتنشئة الاجتماعية للطفل المسلم - سواء في سيكولوجية نمو الذات وفي التكيف الاجتماعي بما للبيئة من أثر في تلك التنشئة .

بذا يكون المؤلف قد وفي علم النفس المعاصر حقه من الدراسة والتدريس وأفرد للتراث ملحقا خاصا لعله ثاني أكبر فصول الكتاب بعد الفصل السادس عن « التعلم - سيكولوجيته ومفهومه وأنماطه » وهو دائما بأسلوبه الأدبي البليغ لا يخلو من تفسير الظاهرة النفسية التي يعرضها في كتابه أو في أحد بحوثه عن « ظاهرة الغياب - أسبابه والعوامل المؤدية إليه » « هموم العمل والعمال - دراسة نفسية توافقية » ، « أثر إعمال العرف في مواجهة تفشي ظاهرة العنف » ، « الإكتئاب - دراسة نفسية قرآنية » ، « التنشئة الاجتماعية للطفل المسلم » « إختبار الشخصية الصنوبية للراشدين » ... لا يخلو من تأييد تفسير الظاهرة نفسيا بالآية من القرآن أو الحديث التي توصل بالتراث الإسلامي حتي في كتيب أخير (١٩٨٩) عن « الشباب بين الجنس والدين » حيث تناول الموضوع من جميع جوانبه

- ح -

تاريخيا وقانونيا وعقائديا ... من حيث هو تناسل لعمارة الكون بيولوجيا واحسان
بالزواج شرعيا ومودة ورحمة نفسيا ... لم يفته أن يحذر الشباب من تعاليم فرويد
في الجنس ونظرته إلى الدين علي أنها التي أشاعت الشذوذ الجنسي والانحرافات
في المجتمعات الغربية التي تعترف قوانينها بالجنسية المثلية في الزواج والتجنيد
بإنجلترا وأمريكا ، ليحببهم بطبيعة الحال في آداب ممارسة الجنس المثالية التي
رسمها الإسلام للمسلمين في القرآن والسنة والسلف الصالح .

وقد ألحق بنهاية الكتاب قوائم مصطلحات في ثلاثة وثلاثين صفحة ، إعتد
فيها طريقة معاجم المفردات التي تعطي للفظ الأجنبية الواحدة عدة مرادفات يختار
من بينها ما يلائم سياق ترجمة النص الذي يقرأه - لكن غالبا ما لاتخلو جملة
المفردات المعربة من اللفظ الموحد الذي نعتمده في لجنة التربية وعلم النفس بمجمع
اللغة العربية واتحاد الجامعات العلمية اللغوية بالبلاد العربية ، ومن « دليل الباحثين
إلى المفاهيم النفسية في التراث » الذي أعده في ثلاثة مجلدات « المعهد العالمي
للفكر الإسلامي » أحد عشر أستاذ علم نفس وراجع أ . د / محمد عثمان نجاتي
، تحرير وصياغة الدكتوراة جمعة سيد يوسف ومعتز سيد عبد الله وعبد اللطيف
محمد خليفة وقدم له الأساتذة د / جمال الدين عطية ومحمد عثمان نجاتي وعبد
الخليع محمود مما يستطيع مع القارئ إبتغاء الدقة في إختيار اللفظ الموحد دون
الرجوع إلى هذه المصادر لإستكمال قائمة وحدة المصطلح وتحديد المفهوم .

كمال دسوقي .

الإسكندرية ١٥ / ٧ / ١٩٩٣



مقدمة الطبعة الأولى الأستاذ الدكتور / كمال دسوقي.

أستاذ كرسي الاجتماع / تخصص علم النفس والصحة العقلية .
عميد تربية ونائب رئيس جامعة الزقازيق الأسبق .
عضو المجمع العلمي المصري / عضو مجمع اللغة العربية .

عرفت الدكتور / عزت عبد العظيم الطويل في منتصف السبعينات بالإسكندرية إثر عودته من بعثة « الجهاز المركزي للتدريب » للحصول علي الدكتوراه من يوغسلافيا (١٩٧٠ - ١٩٧٤) حيث كان قد عمل أخصائيا نفسيا إجتماعيا بالتدريب المهني للقوات البحرية بالإسكندرية لتسع سنوات عهد إليه في السنتين الأخيرتين منها تدريس مادة التربية القومية ، كما كان قد إشتغل عقب تخرجه ١٩٥٨ بتدريس اللغة الإنجليزية بالتربية والتعليم ببناها (التي بها بدأ وإليها يعود) ثم إشتغل بعد عودته من الخارج لمدة ستة أشهر باحثا أول بمركز بحوث العمل بالإسكندرية التابع لوزارة القوى العاملة والتدريب إلي أن عين مدرسا لعلم النفس بكلية تربية جامعة طنطا في نهاية ١٩٧٤ .

ومع أن الدكتور الطويل كان قد تتلمذ بمرحلة الليسانس في الدراسات النفسية علي يد زيور وخيري ومليكه وغيرهم من آباء التحليل النفسي والإحصاء والقياسات العقلية وعلم النفس التجريبي والتطبيقي العلاجي في ميادين التربية والصناعة والجريمة ، وتدريب علي الممارسة والتشخيص الفارقي والإرشاد والتوجيه أثناء الدراسة وبعد التخرج لسنوات طويلة كما رأينا فقد كان حين عرفته شديد الحملة علي التحليل النفسي ومذهب فرويد الذي لا تدري هل إكتسب كراهيتهما

من الدراسة في إحدي الكتل الشرقية التي تنظر للإنسان ودراسته وعلاجه نظرة مادية بيولوجية تعلي فيها مذاهب علماء النفس السوفيت علي حساب التراث الغربي المهتم بصحة الفرد ومرضه ومناهج مساعدته وإرشاده كما تعالج بالعقاقير والدوائيات النفسية وغسيل المخ وتقليص الدماغ في معتقلات سجناء الرأي والضمير مما كانت تتسرب عنه الأخبار وقتئذ وإتخذ الأمريكيون من الكشف عنه شرطاً للوفاق بين الغرب والشرق ... فلعله من أجل هذا بادر مبكراً وقبل الأوان باصطناع ما أسماه «علم نفس إسلامي» جعل يبشر به من قبل أن يقيم بناءه كبديل لعلم النفس التحليلي القياسي الأميريقي والعلاجي الذي يضرب فيه بمعوله لهدمه . وإذا لم يكن إشتغال الدكتور الطويل بممارسة وظيفة الأخصائي النفسي طوال النصف الأول من حياته العملية قد أظهر له عدم إمكان الإستغناء عن التحليل النفسي «المعدل والمطور بعد فرويد وحتى الآن» كنظرية في النمو النفسي علي مراحل إذا لم تشبع حاجات الفرد الإنساني في كل منها قبل الإنتقال إلي التي تليها ، فإن شخصيته تتسم بالإحباط والصراع لتنتهي إلي التعقد وكمنهج تشخيص أعراض الأمراض النفسية والإضطرابات العقلية تمهيداً لإزالة الأعراض والبرء من الأمراض ، فإن إشتغاله بتدريس فروع علم النفس النظري والتطبيقي النصف الثاني من عمره الأكاديمي بكليات تربية وآداب وخدمة إجتماعية وتقرىض بالإسكندرية وطنطا ونها ... حسبما يعطي في جدول توزيع المحاضرات علي أعضاء هيئة التدريس - قدهياً له أن يتعمق في عرض مذاهب علم النفس كلها بأمانة وإقناع - ومنه التحليل النفسي حتي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (التي كان وكيل قسم علم النفس بكلية العلوم الإجتماعية بها في الرياض آخر أربع سنوات عمله بها من (١٩٨٠ حتي ١٩٨٤) كان يدرس علم النفس الحديث بكل فروعه ومذاهبه تحت مظلة إسلامية وفي تجرد من نسبة العلم إلي ديانة العالم أو بلده أو جنسه في القديم والحديث وفي نظرة للفرد الإنساني الذي يدرسه علم النفس علي أنه الإنسان في كل زمان ومكان وإن إختلفت الثقافة الإجتماعية أو إتسعت الفروق الفردية .

- ط -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولنا كلمة

عزيزي الطالب ... وأخي القارئ هذه هي الطبعة الثالثة من كتابنا « معالم علم النفس المعاصر » حيث نفذت الطبعة الأولى والثانية خلال عامين تقريبا ، ويرجع ذلك لذكاءك وحرصك علي القراءة والإستفادة والإستذكار فأشكرك علي تقديرك لكل مجهود فكري وحوار عقلي وتعب مضني قام به كاتب هذه السطور من أجلك في مصرنا العزيزة وفي عالمنا العربي الحبيب فأنت عزيزي الطالب أملنا وهذا الكتاب لك وبك .

هذا وتتضمن الطبعة الثالثة فصولا جديدة وتنقيحا جديدا وزيادة مفيدة وإبداعا في الإخراج وجمالا في العرض وقد نوه بالفصول الإضافية الجديدة - في مقدمته لهذه الطبعة - أستاذنا عالم النفس الجليل وأحد رجال مجمع الخالدين ، وواحد من الرواد الإوائل في العلوم النفسية والاجتماعية إنه الأستاذ الدكتور / كمال محمد دسوقي ، متعه الله بالصحة وجزاه عنا خير الجزاء .

وإذا كان هناك من فضل فإن الفضل بيد الله والشكر الجزيل للأخ الفاضل الناشر الحاج / صابر عبد الكريم ، صاحب ومدير دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية . ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخ الفاضل / محمد جمال الدين الذي قام بكتابة الكتاب ولم يقتصر فقط علي الكتابة ولكن كان له الفضل في ترتيب وتنسيق بعض الفصول جزاه الله عنا كل خير .

ولا يسعني في هذا المقام إلا الشكر لزملائي العاملين في التخصص لملاحظاتهم ونقدتهم البناء ، كما أشكر طلابي بمرحلتي الليسانس والدراسات العليا بكلية الآداب والمعهد العالي للخدمة الاجتماعية ، وأرجو للجميع موفور الصحة والتوفيق في الدراسة والعمل وأن ينفعنا الله بما علمنا فهو نعم المولي ونعم النصير .

دكتور / عزت عبدالعظيم الطويل .

الإسكندرية : في فبراير ١٩٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى القارئ.

إستراتيجيات الدراسة الفاعلة والتفكير الناقد .

يعتمد فهم وإستيعاب علم النفس علي بعض السمات التي تساعد الطالب علي تحقيق الحد الأقصى من قدراته التي تمكنه من دراسة وبحث المفاهيم والنظريات والحقائق. بهدف تعلم معلومات جديدة تشكل مجالات علم النفس ، ويتطلب ذلك إتخاذ بعض الخطوات وإتباع مجموعة إرشادات عند دراستك أو قراءة علم النفس ، وعند إتباعك للإرشادات عزيزي الطالب، فسوف يؤدي بك ذلك إلي شحذ وتطوير قدراتك وتنمية مواهبك التي تمكنك من دراسة وإستيعاب علوم أخرى من العلوم الإنسانية مثل : الإجتماع والتربية والخدمة الإجتماعية والأنثروبولوجيا والإقتصاد والطب النفسي ، إن ذلك كله يساعدك علي الشرح والتحليل والتفكير في المادة العلمية بطريقة « نقدية » ومن ثم عليك بإتباع الخطوات والإرشادات التالية :

أولاً : يجب أن تؤقلم نفسك علي التعود لدراسة البناء المنطقي لأي كتاب تدرسه ، بمعنى أن تقرأ أولاً فهرس الكتاب حيث أنه يعطي « فكرة بانورامية » شاملة لموضوعات الكتاب كما يعطيك الفهرس إنطباعاً عن تسلسل وترابط موضوعات الكتاب وفصوله المختلفة. إبدأ بعد ذلك بقراءة المقدمة لأنها تتضمن شرح محاور الكتاب الرئيسية ، ثم حاول تركيز إنتباهك علي بعض فصول الكتاب الهامة وربط الموضوعات السابقة باللاحقة من كل فصل مع قراءة خلاصة الفصل ومراجعة المعلومات الرئيسية ودراسة المفاهيم والمصطلحات الأساسية ، إن الكتاب المفيد علمياً هو الذي يقدم لك مجموعة من المعالم المألوفة والسائدة التي تساعد القارئ علي وضع خطة تحدد له المسار الصحيح لإستيعاب « مادة علمية جديدة » .

ثانياً : يجب أن تستخدم إستراتيجية دراسية محددة. ولما كنا نتعلم من خلال إستخدام مواد علمية مختلفة طوال فترة دراستنا فقد لاحظنا أنه من النادر أن يتم

تعليمنا طبقاً لإستراتيجية منظمة تسمح لنا بالدراسة بطريقة مؤثرة فاعلة.إننا لانتوقع أن يتعلم الطبيب مادة التشريح أثناء دراسته بطريقة المحاولة والخطأ.إن الطالب النابه هو الذي يستخدم إستراتيجية دراسية ناجحة ومؤثرة.هذا وقد توصل علماء النفس إلي إستنباط طرق حديثة وفعالة تهدف إلي تحسين المهارات الدراسية ومن هذه الطرق طريقتان هما :

الطريقة الأولى : وتعرف باسم طريقة « SQ3R » وهي بدايات لخمس كلمات هي علي الترتيب : (S) « Survey » ومعناها « مسح أو إستقصاء » ، (Q) « Question » ومعناه :

« سؤال أو تساؤل » ، (R) « Read » ونعني بها « إقرأ » ، (R) « Recite » ومعناها « تسميع » ، (R) « Review » ومعناها « مراجعة » ويمكننا أن نطلق علي هذه الطريقة بلغتنا الجميلة لفظ « مسائر » .

الطريقة الثانية: وتعرف باسم « MURDER » وكل حرف في هذه الكلمة له معنى مستقل مثل « M = Mood » « مزاج » ، « U = under-standing » ، « فهم » ، « R = Recall » « إسترجاع » « D = Digesting » « الهضم والتمثل (الغذائي) أو الإستيعاب والتشرب » « E = Expanding » « التوسع والبسط » « R = Review » « مراجعة » . وتقابل حروف هذه الكلمة « MURDER » الإنجليزية حروفا عربية تكون كلمة « مساهام » وهكذا . هذا وبطريقة التفكير الناقد يمكننا تحسين قدراتنا اللازمة لجمع المعلومات وإستذكارها وتذكرها في مادة علم النفس والدراسات الأكاديمية الأخرى ، إن طريقة « SQ3R » تتضمن خمس خطوات :

الخطوة الأولى : وتتضمن عملية « المسح والإستقصاء » من خلال قراءة المعلومات المختصرة وتحديد رؤوس الموضوعات ، ومراجعة التعليقات والشرح وإستخدام الصور والأشكال البيانية وإلقاء نظرة عامة علي الفصل أو الموضوع المراد إستذكاره .

الخطوة الثانية : وتتناول وضع أسئلة أو إيجاد صيغة للتساؤل حيث أن الأسئلة تساعدنا علي تكوين أسئلة أخرى ، وإستفسارات تهتم الطالب أو القارئ بوجه عام ، أن التساؤلات أو الأسئلة من جانب الطالب تجعل البناء الذهني للطالب

مستمرا في طلب المزيد من المعرفة بالإستفسار والتساؤل .

الخطوة الثالثة : وتركز علي القراءة المتأنية للمادة العلمية بطريقة نشطة وانتقادية ، وقد تتساءل أثناء القراءة عن بعض المفاهيم الغامضة والكلمات الصعبة وهذا وضع مطلوب وموقف مرغوب حيث أن هذه الطريقة سمة من سمات التفكير النقدي والتأمل الإستطلاعي التي تؤدي بك إلي حب البحث والتحقيق وتطوير المادة العلمية بطريقة إنتقادية .

الخطوة الرابعة : وتهتم هذه الخطوة بسرد وتسميع ما قرأته دون النظر إلي الكتاب ، إن محاولة شرح وتفسير موضوع من موضوعات الكتاب لنفسك أو لأصدقائك بالحفظ أو التسميع شئ هام ويدل علي لذة الإنجاز والتحصيل ، إن عملية سرد وتسميع المعلومات تساعدك علي التأكد من فهمك للمادة العلمية التي قمت بقراءتها ، وقد أثبتت بحوث علم النفس أن المادة العلمية التي يتحدث عنها الطالب أو يستذكرها بنفسه لنفسه أو لأصدقائه تساعد بشكل ملموس علي تفهم المادة بطريقة منظمة وعميقة .

الخطوة الخامسة: وتشير إلي أهمية « المراجعة » وإعادة قراءة خلاصة الموضوع أو الموضوعات والنقاط الموجزة والعناصر المبعثرة كالعهن المنقوش وربط الأفكار السابقة باللاحقة ، كل ذلك يؤدي بك إلي تماسك العناصر والأفكار وتكوين هيكل عام لما تدرسه أو تستذكره من موضوعات ، وهذا هو هدف المراجعة ، إن الدور الحيوي والفعال لعملية المراجعة يكمن في إستخدام وسائل الإيضاح والمساعدات التعليمية والأشكال البيانية والرسوم التوضيحية ، هذا ويهتم «التوجيه والإرشاد النفسي » وهو أحد فروع علم النفس بعملية المراجعة وكيفية إستخدامها وجني الثمرة المرجوة منها .

أما عن الطريقة الأخرى وهي طريقة بديلة يمكن الإعتماد عليها في الدراسة والبحث تعرف باسم « MURDER » وقد إكتشفها « دانسراو Dansereau ، ١٩٧٨ » ، وتعني كلمة « MURDER » القتل وهي طريقة مفيدة للغاية عند الأخذ بها وتطبيقها كإستراتيجية للعملية التعليمية وتسير هذه الطريقة في ستة خطوات كالتالي :

الخطوة الأولى : وتعتمد علي تكوين « مزاج Mood » معين وحالة نفسية متحمسة للدراسة والبحث ، ويبدأ ذلك بتكوين الأهداف المنشودة التحقيق من خلال الفترة الدراسية مع إختيار وتحديد الزمان والمكان المناسبين من ناحية الهدوء والإضاءة والحرارة والرطوبة وكل المؤثرات الخارجية التي تعوق الدراسة

الخطوة الثانية : وتهدف إلي « فهم » ما تقرأه والإهتمام بمعني المادة المراد تعلمها وإستيعابها .

الخطوة الثالثة : وهي أن تعتني بعملية الإسترجاع أي ذكر المعلومات من الذاكرة دون الرجوع إلي الكتاب .

الخطوة الرابعة : وتتناول إستيعاب المعلومات وهضمها من خلال تصحيح الأخطاء التي تكتنف ذاكرة الطالب مع إجراء عملية تنظيمية مع تخزين المعلومات الجديدة في الذاكرة .

الخطوة الخامسة : وتلقي الضوء علي إتساع وإمتداد المعلومات إلي أفاق جديدة وتوسعة المادة العلمية الجديدة مع إجراء عملية تقييم وتحليل وتطبيق هذه المعلومات علي موضوعات علمية أخرى ، ويجب أن يقوم الطالب بإضافة ما تعلمه إلي شبكة أخرى أكبر وأرحب هذه الشبكة هي شبكة المعلومات الموجودة بالذاكرة بحيث يمكن للطالب أن يسترجع المعلومات بطريقة سريعة ويسيره في المستقبل .

الخطوة السادسة: وتهتم هذه الخطوة بعملية « المراجعة »، هذا وتعتبر « المراجعة » عاملا مشتركا بين كل من طريقة « MURDER » و طريقة « SQ3R » من حيث أنهما يعتمدان علي الخطوة النهائية وهي خطوة المراجعة المنظمة للمادة العلمية وهي خطوة هامة وضرورية بهدف تحقيق النجاح الدراسي .

إن هاتين الطريقتين « SQ3R ، MURDER » تعتبران من الطرق المعتمدة المستخدمة التي تؤدي إلي زيادة وتعظيم القدرة التأثيرية في مجال الدراسة والتحصيل والتعلم Learning .

هذا وليس من الضروري الإرتباط بإستراتيجية معينة في الدراسة والتحصيل وإنما يمكن للطالب أن يجمع بين العناصر الخاصة بالطريقتين المذكورتين معا ويستخدمهما في نظام دراسي خاص به

إن هذه الطرق تؤدي بك إلي شحذ قدراتك وتقوية ذاكرتك وهناك نقطة هامة

جدا في هذا المجال وترتبط بنظام الإستذكار ألا وهي تحديد زمان ومكان عملية الإستذكار، ومن الحقائق العلمية المعروفة أننا نتعلم أفضل ما نتعلم ونتمكن من إستيعاب المعلومات بطريقة مثلي إذا كان الإستذكار علي فترات قصيرة منفصلة علي مدار العام الدراسي حيث أن ذلك أفضل بكثير من الإستذكار علي فترات قصيرة مركزة ، إن الإستذكار لساعات طويلة قبل الإمتحان مباشرة لايعتبر مؤثرا بدرجة كافية لأنه يصيب الطالب بالإجهاد الشديد ولذا فمن الأفضل تنظيم الدراسة وتوزيع عملية الإستذكار بطريقة منظمة طوال العام الدراسي بدلا من السهر الكثير أثناء ليالي الإمتحان ،

عليك أن تختار المكان والزمان المناسبين للمذاكرة والدراسة وبالنسبة للمكان يجب أن يكون بعيدا عن الضوضاء وعن أماكن اللهو والنوم لأن تخصيص مكان معين للدراسة يجعلك تتمكن من الدخول في الحالة النفسية اللازمة للدراسة بمجرد البدء في عملية الإستذكار في هذا المكان المعين وعن الزمان، فقد دلت التجارب التي أجريت في علم النفس التعليمي أن أنسب وقت للإستذكار بوجه عام هو ما بين الساعة السادسة صباحا حتي العاشرة أثناء النهار، ومن الساعة التاسعة حتي الساعة الثانية عشر ليلا .

الفصل الأول

أساسيات تفهم علم النفس .

- * مايربط علماء النفس من مسائل علمهم .
- * الأسس البيولوجية والاجتماعية لعلم النفس .
- * آفاق سيكولوجية جديدة .
- * جذور علم النفس وتطوره قديما وحديثا .
- * إسهامات المرأة فى علم النفس .
- * نماذج علم النفس المعاصر : البيولوجى -
السيكودينامى - المعرفى - السلوكى - الإنسانى .
- * علم النفس والإيدز .
- * الاتجاهات المستقبلية لعلم النفس .
- * مناهج البحث فى علم النفس : الملاحظة على
الطبيعة - البحوث المسحية
- دراسة الحالة - البحوث الارتباطية - البحوث
التجريبية - البحوث الأرشيفية .
- * أخلاقيات البحث العلمى .
- * معوقات التجريب فى علم النفس .

أساسيات تفهم علم النفس .

إذا أردنا أن نعرف « علم النفس » تعريفا علميا دقيقا لقلنا « إنه دراسة السلوك الإنسانى والحيوانى والعمليات العقلية » ، وفى تعريف آخر : « علم النفس هو ذلك العلم السلوكى الإنسانى الذى يدرس سلوك الإنسان ما ظهر منه وما بطن دراسة تحليلية وصقية بهدف الوصول إلى ضبط هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به على المدى الطويل » .

الرابطة العامة التى تربط ما بين علماء النفس .

هناك رابطة عامة تربط ما بين علماء النفس رغم تخصص كل منهم فى مجاله الدقيق ، إن هذا المجال الذى يتخصص فيه كل عالم من علماء النفس يقع داخل الدائرة العامة للدراسة المشتركة التى نطلق عليها « علم النفس Psychology » وهذه الدراسة دراسة علمية للسلوك والعمليات العقلية مثل التذكر والتخيل والتفكير والتصور والإدراك وشتى ضروب السلوك الظاهر والمستتر .

إن العمليات العقلية والسلوكية لاتشمل فقط على ما قد يفعله الناس ، وإنما تشمل أيضا على ما يفكرون فيه وما يشعرون وما يدركون ، كما أنها تتضمن أيضا المناشط البيولوجية التى تجعل الجسم البشرى يعمل بالوظائف المختلفة ، وعندما يتحدث علماء النفس عن السلوكيات الدراسية والعمليات العقلية ، فإنهم يهدفون نحو الإهتمامات الواسعة المجال ولا يكتفون فقط بوصف السلوك وإنما بوضع المبادئ التى يقوم عليها علم النفس كعلم سلوكى ، حيث ان علم النفس يهدف أولا وأخيرا إلى شرح وتعديل وتطوير وتحسين حياة الناس مع محاولة التنبؤ بما قد يطرأ على حياة هؤلاء الأفراد فى البيئة التى يعيشون فيها .

ولما كان العلم - أى علم - طريقة قبل أن يكون حقيقة ، فإن علماء النفس يستخدمون طرقا وإجراءات علمية يتمكنون بها من التوصل إلى الإجابات السديدة عن التساؤلات المتعلقة بطبيعة السلوك الإنسانى حيث أن هذه الإجابات بعيدة تماما عن الظن والتخمين

- ومن التساؤلات والإستفسارات التى يطرحها علماء النفس ، بحثا عن حقيقة الأشياء أو الموضوعات هذه الأسئلة التالية :
- كيف يمكننا رؤية الألوان ؟
 - ماهو جوهر الذكاء وحقيقته ؟
 - هل يمكننا علاج السلوك الشاذ والمتحرف ؟
 - هل يتشابه النوم الطبيعى مع عملية التنويم المغناطيسى ؟
 - هل يمكننا تأخير مرحلة الشيخوخة ؟
 - كيف يمكن للضغط أن تؤثر علينا ؟
 - ما هى الطرق المثلى التى يمكن إستخدامها فى عملية الإستذكار ؟

إن إجابات هذه الأسئلة يتصدى لها « علم النفس » شارحا ومفسرا من خلال نظرياته وتجاربه وتطبيقاته العديدة والحديثة فى مجالات الإنسان والحيوان والكائنات الأخرى ، لكى يتمكن علماء النفس من تحديد القواعد العامة التى تحكم سلوكيات جميع الأحياء حيث أن السلوك الحيوانى يقدم لنا إشارات ومفاتيح هامة تساعدنا على فهم حقيقة السلوك الإنسانى لدى جميع الناس فى كل بقاع الأرض . ومن ثم ندرس الأدوار المختلفة التى يلعبها علماء النفس عند قيامهم بأداء مهام وظيفتهم فضلا عن طرائق البحث العلمية التى يستخدمها هؤلاء العلماء عند الوصول إلى إجابات صحيحة لتفسير السلوك الإنسانى .

إن مسئولية الكلمة - فى هذا الكتاب - تجعلني ... عزيزى الطالب أحدثك حديث شخصين إثنين ، كما لو كان هذا الحديث أشبه بديالوج داخلى ، أو مناجاة نفسية بين إثنين ... القارئ والمؤلف .

إن هذا الكتاب الذى بين يديك قد راعينا فيه السهولة والدقة العلمية والأسلوبية وضرب الكثير من الأمثلة تجسيدا للفهم وتيسيرا على الدارس المبتدئ لعلم النفس إن هدف هذا الكتاب هو :

تسهيل عملية التعلم وجودة التحصيل الدراسى وهضم المادة العلمية بسرعة ، ومناقشته المبادئ والقواعد التى يطورها علماء النفس لتواكب عصر « التفجير المعلوماتى » وزمن « التقدم العلمى المذهل » ومسيرة « وقع الحياة » مع « تكنولوجيا العلم والمعرفة » واللحاق بركب « الشبكات الإعلامية الدولية »

و « الإعلانات المحلية » فى القنوات التليفزيونية الفضائية والإقليمية ، وكل ذلك اعتمادا على المبادئ المتخصصة فى مجالات : الذاكرة والإدراك والانتباه والتأمل والمشاهدة والتفاعل مع كل ما يحدث فى عالمنا المعاصر سواء على المستوى المحلى أو العربى أو العالمى من زاوية علم النفس ... علم السلوك ... علم الدوافع الإنسانية ... علم التواصل والاتصال النفسى .

هذا وعندما تقرأ أو تدرس هذا الكتاب دراسة جيدة ، سوف يمكنك أن تجيب على تساؤلات وإستفسارات ضرورية فى علم النفس وإليك بعضها :

أولا : ما مفهوم علم النفس وكيف يمكن وضعه فى الإعتبار كمادة علمية ؟
ثانيا : ماهى فروع ومجالات علم النفس المختلفة ؟

ثالثا : ماهى المجالات والميادين التى يعمل فيها علماء النفس ؟

رابعا : ماهى الجذور التاريخية لمجالات علم النفس ؟

خامسا : ماهى النماذج الرئيسية التى يستخدمها علماء النفس ؟

سادسا : ماهى الطريقة العلمية التى يستخدمها علماء النفس تنظيرا وتطبيقا فى مجالات تجذب إنتباههم ؟

سابعا : ماهى طرق البحث المختلفة التى يستخدمها علماء النفس ؟

ثامنا : كيف يقوم علماء النفس بعمل علاقات بين السبب والنتيجة فى دراساتهم البحثية ؟

تاسعا : ماهى الموضوعات الرئيسية والنتائج الهامة التى تكمن وراء عملية

إجراء البحوث ؟

الأسس البيولوجية لعلم النفس .

ليس هناك أدنى شك فى أن الأفراد فى عالمنا ما هم إلا كائنات بيولوجية فى صورتها الأساسية ومن ثم يؤكد علماء النفس على أهمية الوظائف الفسيولوجية وهى تلك الوظائف التى يقوم بها مختلف أعضاء الجسم ، إن جميع الأعضاء والبناء الفسيولوجى للجسم كله يعمل فى منظومة متكاملة باستمرار ليؤثر بالضرورة على سلوك الإنسان الفرد بوجه عام ، ومن ثم يمكن القول بأن علم النفس البيولوجى هو

١٠ -

أحد فروع علم النفس ، ويهتم المشتغلون بهذا الفرع بالتركيز على الكيفية التى يتم بها عمل العقل وتشغيل الجهاز العصبى المركزى ، ويبحث الطرق والوسائل التى يحدث من خلالها ترابط بين أماكن ومواقع محددة فى العقل البشرى من جهة وعلاقتها ببعض الأمراض النفسية والعصبية والإضطرابات السيكوسوماتية (النفسجسمية) من جهة أخرى .

ومن الجدير بالذكر أن هناك علاقة وطيدة بين علم النفس البيولوجى وعلم النفس التجريبي حيث أن هذا الفرع الأخير يقوم بدراسة عمليات الإحساس والإدراك والانتباه والفهم والتحصيل والتفكير ، وكل هذه العمليات تؤثر وتتأثر بما يحدث فى مجال « علم النفس البيولوجى » وما يتعامل معه من تشغيل المخ البشرى وعمل الجهاز العصبى المركزى وتفاعل هرمونات الغدد الصماء وغير الصماء .

ولما كان « علم النفس » علم بيولوجى إجتماعى ، فإنه كعلم سلوكى أيضا يعتمد على توجيهات العقل البشرى من المنظور البيولوجى من جهة ، ويعتمد أيضا على العيش فى جماعة وهذا من المنظور الإجتماعى من جهة أخرى ، ومن ثم يتعين علينا أن نشير فى عجلة سريعة إلى علماء النفس الإجتماعى والصناعى والتنظيمى ،

الأسس الإجتماعية لعلم النفس .

ذكرنا من قبل أن علم النفس « علم إجتماعى » يتعامل مع الأفراد والجماعات السوية وغير السوية ، وليس أدل على ذلك من أن أحد فروع علم النفس الهامة هو « علم النفس الإجتماعى » و « ديناميات الجماعة » ، ويهتم علم النفس الإجتماعى أساسا بما يحدث من تفاعل وإتصال فى المجالات الإجتماعية والصناعية والتنظيمية والإستهلاكية والإدارية ودراسة الثقافات المختلفة ، حيث أن العالم الآن أشبه بقرية صغيرة يعرف أفرادها بعضهم بعضا ولا يعيش فرد بمعزل عن الآخر ، لأننا جميعا أفرادا وجماعات لابد أن نعيش سويا فى هذا العالم ننفعل ونتفاعل نتواصل ونتصل ، نتصارع ونتصالح ، نحب ونكره ، نتقارب ونتباعد ، نكافح ونهادن ، إن حياتنا الإجتماعية من منظور علم النفس الإجتماعى تتأرجح بين قطبين إثنين هما :

الإستاتيكية والديناميكية ، إننا جميعا نشكل جزءا لا يتجزأ من شبكة معقدة من العلاقات الإجتماعية ، إن شبكة العلاقات الإجتماعية القائمة بين الأشخاص وبين المجتمع ككل ، هي المركز أو البؤرة التى ينبع منها أنواع مختلفة من العلاقات .

والحق نقول إن وظيفة علم النفس الإجتماعى بوجه عام هى دراسة أفكار ومشاعر وأحاسيس وأفعال الآخرين ، ويقوم علماء النفس الإجتماعى بالتركيز على دراسة العدوانية البشرية والعنف والتعصب السلالى بين السلالات البشرية في العالم ، ونتج عن ذلك ظاهرة « التطهير العرقى » أو « تنقية السلالة » كما هو حادث الآن فى البوسنة والهرسك بين المسلمين والصرب من جهة ، وبين الكروات والصرب من جهة أخرى ، ويحدث هذا أيضا بين الفصائل المتناحرة في الصومال ، وفى أفغانستان وبين قبيلتى « الهوتو والتوتسى » فى « رواندا » بأفريقيا. وقل مثل هذا في معظم البلدان التى تضم أقليات عرقية .

وقريب الصلة من علم النفس الإجتماعى مجال آخر هو : علم النفس الصناعى والتنظيمى الذى يهتم بمكان وموقع العمل ودراسة الإنتاج والإنتاجية ودوران العمل ورضا العمال عن العمل وإتخاذ القرارات وحقوق العمال فى الإضراب ودراسة ذوق المستهلك والدعاية والإعلان وسيكولوجية الإتصال وهكذا .

آفاق سيكولوجية جديدة .

ومع تشابك المعرفة وتعقدها وتطورها صارت « المعرفة قوة » والقوة حتمية للإنسان صانع الحضارات وعابر القارات ومكتشف المجهول ، وهنا ظهرت مجالات جديدة فى علم النفس « شneider ١٩٩٠ » ظهر مثلاً « علم النفس البيئى Environmental Psychology » وهو يدرس العلاقة القائمة بين الأفراد والبيئة المادية ، وأثر التلوث البيئى على إنتشار أمراض عصرية كثيرة مثل الربو والحساسية ، والصداع المزمن ، وضغط الدم وضعف السمع والقولون العصبى ، والإندفاعية ، والقلق وإضطرابات النوم وحالات الإسهال وبعض الأمراض الجلدية وبعض حالات الفشل الكلوى الخ .

كما بزغ إلى الآفاق الجديدة « سيكولوجية الطب الشرعي Forensic Psychology » يركز على الموضوعات القانونية ووضع المعايير الشرعية والقانونية للأفراد المصابين بالأمراض العقلية ، وتوضيح الأسس النفسية والشرعية للأفراد العقلاء وغير العقلاء ، ويلجأ القضاة ورجال القانون عند تنفيذ أحكامهم القضائية إلى هذا الفرع الجديد من فروع علم النفس ، والواقع أن « علم النفس الطبى الشرعى » يساعد المحلفين ورجال القانون على إتخاذ القرارات العادلة ، هذا وهناك تنوع أيضا فى العاملين فى مجال علم النفس ، فقد دلت الإحصاءات الديموجرافية « السكانية » أن مايقرب من ٦٥ ٪ من علماء النفس رجال ، وأن حوالي ٣٠ ٪ من المشتغلين فى هذا المجال من النساء وذلك فى البلدان الصناعية المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان ، وكذلك فى بعض الدول التى تقف على أعتاب الدخول إلى ساحة الدول الصناعية المتقدمة مثل : جمهورية مصر العربية ، والهند ، وتركيا ، وإيران ، وروسيا والمكسيك ، هذا وتدل الشواهد على أن العمليات فى مجال علم النفس من النساء يمكن أن يتساوين مع عدد الرجال ، وقد يزيد هذا العدد من النساء العاملات فى مجال علم النفس مستقبلا فى أوائل هذا العقد « أودير Odeer ، ١٩٩١ » ، ومن التنوع والتعدد للعاملين أيضا فى المجال فيما يتعلق « بالجنسية Nationality » والأصل العرقي ؛ نرى الكثير من العلماء المهاجرين من بلادهم الأصلية قد إستقروا فى دول المهجروطبقا لإحصائية « جمعية علم النفس الأمريكية APA » نجد أن نسبة ٣٥ ٪ من المشتغلين بعلم النفس المهاجرين إلى دول أخرى قد رفضوا الإفصاح عن جنسيتهم وأصلهم العرقى ، وأن نسبة ٢ ٪ من علماء النفس هم من أصل إفريقى مقيمين فى أمريكا و ٢ ٪ مهاجرين من أسبانيا ، و ١ ٪ من المهاجرين من قارة آسيا هذا ومن الآفاق الجديدة فى علم النفس المعاصر مجال جديد نطلق عليه « سيكولوجية الفضاء الخارجى Psychology in space » فقد قام أحد المخرجين الأمريكيين بتنفيذ « البرنامج التليفزيونى » « طريق الفضاء والجيل القادم » وكان يتمتع برأى سديد وشخصية جذابة حيث ضم « عالم نفسى - Psychologist » لأعضاء طاقم سفينة الفضاء وهذه بداية تبشر بأهمية علم النفس فى حياتنا العصرية ، ويإنتهاء القرن القادم - بإذن الله - سوف يصبح من الأمور العادية أن

تحمل سفينة الفضاء « ألف شخص » وتطول الفترة الزمنية المخصصة للرحلة الفضائية بالإضافة إلى زيادة الإهتمام بالاعتبارات النفسية لكل أفراد طاقم سفينة الفضاء وترتبط الجوانب المختلفة باستكشاف الفضاء بالموضوعات النفسية التي تعتمد على العناصر البيولوجية من ناحية ، والإجتماعية من ناحية أخرى وكمثال لمثل هذه العوامل الخطيرة نورد العوامل والعناصر التالية « Adler، ١٩٨٩، Afary ، ١٩٩٠ : »

أولاً : إن الفترة الزمنية المخصصة للرحلات الفضائية سوف تصبح طويلة ، فمثلاً رحلة إلى المريخ يتوقع لها أن تستمر لمدة ثلاث سنوات ، وسوف يكون أفراد طاقم الرحلة ذوى فئات عمرية متنوعة ، وصفات جسمية مختلفة ، وسمات شخصية متعددة ، وخلفيات عرقية ولسانية كثيرة ، كما أن هناك احتمالاً بحدوث صراعات فى رحلة الفضاء ، بمعنى أنه قد تكون أماكن الإعاشة فى سفينة الفضاء ضيقة فتظهر بعض الصراعات فى مثل هذه الأماكن مما يتطلب الأمر إجراء كشف نفسي دقيق لجميع رواد الفضاء حتى يمكن نبذ هؤلاء الأفراد الذين يشيرون للخلافات والاضطرابات والصراع والتناقض بسبب عدم تحملهم بعض الاضطرابات والأمراض أثناء الرحلة .

ثانياً : من الممكن أن يصاب بعض أفراد الرحلة الفضائية بمرض معروف هو « دوار الفضاء Space Sickness » ومن أعراضه القيئ والغثيان والميل إلى النعاس والصداع ، ويصيب هذا المرض نصف طاقم سفينة الفضاء تقريباً ، ويمثل هذا المرض مقدمة أو بادرة سيئة عند دخول الفضاء الخارجي ، ويتعارض مع المهام المطلوب تنفيذها فى هذه الرحلة ، وقد قام علماء النفس باستنباط بعض الوسائل التدريبية والوقائية ليستخدمها رجال الفضاء لكي تساعد على التحكم فى إستجاباتهم البيولوجية من ناحية وأسلوب التغذية الرجعية البيولوجية من ناحية أخرى ، ويتعلم رواد الفضاء أسلوب التغذية الرجعية البيولوجية من خلال التحكم فى رد الفعل البدني . وباستخدام هذه الطريقة تمكن حوالى ٦٦ ٪ من رواد الفضاء من تجنب الأعراض الخاصة بمرض (دوار الفضاء) (Afary ، ١٩٨٩) .

ثالثاً : إن البحوث التى أجريت فى مجال « علم النفس البيئى » قد أثبتت أن الطرق التى يلجأ إليها رواد الفضاء للتغلب على الضغوط النفسية تعتمد على

نظر الأفراد فى سفينة الفضاء إلى خارج النافذة نحو الأرض البعيدة عنهم كثيرا ، إن أفراد طاقم سفينة الفضاء سوف تتاح لهم فرصة النظر ببساطة إلى خارج السفينة ، وهناك عالم متخصص فى علم النفس البيئى هو البروفيسير « يوفون كليير واتر Yvonne Clearwater » يعمل مع هذا الفريق على زيادة إمكانية الحياة والمعيشة فى المحطات المدارية التى تقام مستقبلا فيما بعد ، إن الأبحاث التى قام بها هذا العالم تركز على أهمية تصميم سفينة الفضاء يمكن رؤية الأجرام السماوية منها والنظر إلى خارج السفينة من منافذ متعددة ، هذا وقد بحث « كليرووتر » أهمية وجود أنظمة مختلفة من الألوان داخل سفينة الفضاء .

رابعا : ونظرا لتنوع الأدوار التى يلعبها عالم النفس فى دنيا الفضاء الخارجى ، فإن المجموعات المنعزلة عن بعضها قد لا يمكنها إتخاذ القرار السديد عند مجابهتهم بمشكلة مأساوية ثم يمكن اللجوء إلى ظاهرة معروفة فى علم النفس الاجتماعى تعرف باسم « التفكير الجمعى Groupthink » وهى تقلل من التفكير الإبتداعى « جانيس ، مان Janis Mann & ، ١٩٧٧ » . ونتيجة لذلك يجب مراقبة هذه القرارات باستمرار للتأكد من صلاحيتها ودقتها .

خامسا : الموضوعات الجنسية ، إن اختلاط الرجال بالنساء فى مركبة الفضاء قد يعطى إيجابيات جنسية ويتطلب الأمر مواجهة هذا الموقف فى الرحلات الفضائية الطويلة ، بمعنى أنه قد يحدث تورق وقلق بشأن المسائل الجنسية ولذا يجب دراسة الموضوعات التى ترتبط بالذكورة والأنوثة « برود، Broad ، ١٩٩٢ » . وقصارى القول أن علماء النفس يلعبون دورا حيويا فى الرحلات الفضائية والبرامج الإستكشافية ، ولذا نتوقع أن علم النفس مستقبلا سوف يتضمن مجالا آخر جديدا هو « علم نفس الفضاء » لكى يضاف إلى الفروع والمجالات الأخرى .

هذا ومن الأماكن التى يعمل بها علماء النفس ، التعليم العالى والمتوسط ، وكليات الطب ، والكليات النظرية ، وكليات الصيدلة ، والمستشفيات الخاصة والعامة ، للعمل كممارسين لعلاج العملاء ، ودور التربية الفكرية للمعاقين ، ومراكز الصحة العقلية ، والمراكز الإستشارية ، والوحدات العسكرية للجيش والشرطة ، ومنظمات الخدمات الإنسانية ، والكليات الصناعية ، والمدارس المهنية .

وخلاصة القول أن علماء النفس فى المجتمع يلعبون أدوارا ثلاثة هامة

وخطيرة هي : « المعلم » « والعالم » ، « الممارس الإكلينيكي » وكل هذا بهدف تحسين الحياة النفسية والاجتماعية للأفراد والمجتمع .

تطور علم النفس قديما وحديثا .

منذ حوالي نصف مليون سنة كان الإنسان البدائي يعتقد أن المشكلات النفسية والإضطرابات العقلية تعزى إلى الأرواح الشريرة والمس الشيطاني ولا تعالج إلا بعملية جراحية ابتدائية في الجمجمة وقطعها بمنشار لإزالة طبقات رقيقة من الجمجمة وإحداث حفرة فيها لطرد الأرواح الشريرة المتسببة في المرض . هذا وكان يعتقد الطبيب الإغريقى المعروف «هيبوقراط» بأن الشخصية الإنسانية تتكون من أمزجة أربعة هي :

- ١- المزاج الدموى : ويميل صاحبه إلى المرح والبهجة والتفاؤل والسرور والنشاط وحب الحياة .
- ٢- المزاج السوداوى : ويميل صاحبه إلى الحزن واليأس والإنطواء والغضب والعنف والتدمير والعدوانية .
- ٣ - المزاج الصفراوى : ويميل صاحبه إلى السلوك الغضبى دائما وهو متقلب المزاج ، وحاد الطبع .
- المزاج البلغمى : ويميل صاحبه إلى اللامبالاه والبرود والكسل والفتور وإنعدام الهمة .

ويرى « هيبو قراط » أن هذه العناصر الأربعة من الأمزجة تتأثر بالسوائل الموجودة بالجسم البشرى مثال ذلك أن الشخص المرح المتسم بالسعادة يوجد لديه قدر كبير من الدم أكثر من الآخرين وفى هذا الصدد يرى « فرانز جوزيف چل Franz Josef Gall » أحد علماء القرن الثامن عشر أن الملاحظ المتدرب جيدا على دراسة الشخصيات ، يمكن أن يستخلص بمهارة السمات الأخلاقية والقدرات العقلية بمقومات الشخصية من خلال ملاحظة عدد النتوءات الموجودة على جمجمة الشخص بحساب عددها وملاحظة أشكالها ودراسة أوضاعها ، وعن طريق نظرية «فرانز جوزيف جل » أمكن الوصول إلى علم «الفراسة » الذى يهتم بدراسة مظاهر الدماغ

وأشكال الجمجمة بوصفها مظهرًا دالًا على نمط الشخصية وقوة الملكات العقلية .
ومن الجدير بالذكر - فى هذا المجال - أن الفيلسوف الفرنسي « ديكارت »
كان يعتقد أن الأعصاب فى الجسم البشرى عبارة عن « أنابيب مجوفة تمر فيها
الأرواح الحيوانية والأشباح الليلية » على شكل ومضات ضوئية أو نبضات شريانية
داخل الأنابيب العصبية الجوفاء ، كما كان يعتقد « ديكارت » بأن الشخص عندما
يضع أصابعه بالقرب من النار ، فإن الحرارة الناتجة عن النار تنتقل عبر هذه الأرواح
الحيوانية داخل الأنابيب العصبية المجوفة لكى تصل إلى العقل على شكل ومضات
أو نبضات ولاغرو فى ذلك فقد كان هذا نمط التفكير العلمى فى القرن التاسع عشر
فى محيط « علم النفس » الذى لم يكن قد ظهر بعد ، إن معظم التقدم التى تم
إحرازه فى مجال علم النفس قد ظهر منذ وقت قريب وذلك بمقارنته بالعلوم الأخرى ،
وإذا تتبعنا مسيرة أصول وأسس علم النفس نرى أن الإرهاصات الأولى كانت
تضرب بجذورها فى أغوار القدم منذ عهدى الرومان والإغريق غداة أن كانت هناك
محاورات فلسفية ، ومناقشات بيزنطية ومناظرات سياسية ، وشطحات ميتافيزيقية
، وجدال حاد حول الوجود والعدم والروح والجسد والصورة والجوهر والعقل والنفس .
إن المعرفة فى كل زمان ومكان تراكمات من هنا وهناك ، وإضافات مستمرة
لا تنقطع أبدا طالما بقى الإنسان على هذا الكوكب ، وهى أولا وأخيرا
« تواصل معلوماتى وتكنولوجى » منذ عهد « هابيل وقابيل » حين علم « الغراب »
« قابيل » كيف يدفن أخيه « هابيل » « فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض
ليريه كيف يواري سوءة أخيه » مرورًا بالحروب والصراعات التى حدثت بين
بنى البشر ابتداءً من نوح عليه السلام حتى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد
ﷺ ووصولاً إلى غزوات وحروب الصحابة والخلفاء والتابعين إلى حروب العصور
الوسطى ، والحروب الصليبية إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى الحرب
والتشريد والصراع الدامى الذى لم يخمد أواره بعد بين العرب وإسرائيل وماذا بعد
؟ الله أعلم ... وهو غالب على أمره ولاشك أن البداية العلمية الحقيقية لعلم النفس
الحديث كانت عام ١٨٧٩ حين بدأت أول دراسة تجريبية للظواهر السيكلوجية فى
معمل علم النفس الذى أنشأه العالم الألمانى « ثيلهم فونت » فى مدينة « ليبزج »
بألمانيا وفى نفس الوقت أقام العالم الأمريكى « وليام جيمس » معمله فى علم

النفس فى مدينة « كامبردج » بولاية « ماساشوسيتس Massachusetts » الأمريكية . وخلال أحد عشر عقدا من الزمان ، واستمر العمل الدؤوب والنشاط المستمر فى مجال علم النفس رويدا رويدا حتى صار يافعا رشيدا كما هو الآن على مشارف القرن الحادى والعشرين « هيلجارد ، لارى ، وماك جور Hilgard , Leary , Mcguire ، ١٩٩٠ .

ووصلا بما سبق الحديث عن تطور علم النفس ، تطورت أنساق الأفكار والمفاهيم المستخدمة فى تفسير الظواهر السيكولوجية حيث تم التخلص من الأفكار الساذجة والأنساق البدائية والنماذج السطحية والآراء الخاصة « بهيبوقراط » و « ديكارت » ولكن يمكن القول بأن مثل هذه النماذج القديمة ، كانت هى المتاحة والسائدة فى وقتها وزمنها حيث إن كل نموذج كان يشكل منظورا مميزا وقائما بذاته ، ويلعب دورا هاما فى التطور التاريخي لإكتساب المعرفة عبر عصورها المختلفة ، فضلا عن التركيز على أهمية العوامل المؤثرة فى النماذج البحثية الكثيرة .

مثال ذلك قد تلجأ أحيانا إلى إستخدام خريطة أو أكثر لكي نسترشد بها فى إحدى المناطق الجغرافية ، فهناك خريطة توضح الطرق الرئيسية ، وأخرى تبين لنا العلامات الجغرافية المميزة وثالثة تهدينا نحو اللوحات الإرشادية ، ورابعة ترشدنا نحو الجوانب الطوبوجرافية للمنطقة من جبال وتلال وهضاب ووديان .

وبالمثل فلدى علماء النفس خرائط سيكولوجية يستدلون بها على إستخدام أكثر من مدخل واحد من مداخل الفهم المختلفة لإستيعاب الظاهرة النفسية وتفسير السلوك البشري الغامض .

ولما كان السلوك الإنساني من العمليات المعقدة للغاية ، فقد لزم الأمر أن ندرس النموذج الواحد من أكثر من منظور أو إتجاه ، بهدف الوصول إلى التفسير الجيد ، والضبط الدقيق ، والتنبيؤ الصادق ، وهذا ما يعرف بلغة علم النفس الحديث - الإِتِجَاه التكاملي « Integrated Approach » .

جنود علم النفس .

منذ تأسيس معمل علم النفس فى « ليبزج » بالمانيا عام ١٨٧٩ قام

« فونت » بدراسة القوالب المشكّلة لبناء العقل البشرى حيث أن علم النفس ما هو إلا دراسة التجارب والخبرات التى نمر بها ونستشعرها .

كما قام « فونت » بتطوير نموذج اطلق عليه « الإتجاه البنائى -Structuralism » وهو نموذج يتعلق بالتركيب المادى للجسم مع التركيز على العناصر الأساسية لعمليات التفكير والمشاعر والأحاسيس وغيرها من أنواع الحالات العقلية والأنشطة ، وذلك بهدف الجمع بين هذه المشاعر والأحاسيس الأساسية وإدراك العالم الخارجى .

وفى خلال العشرين عاما الأخيرة ، بدأ الناس يهتمون بعملية وصف التجارب الداخلية كالمعاناه من الآلام الجسمية والنفسية من ناحية والتركيز على دراسة التفكير والذاكرة والتذكر والقدرة على حل المشكلات من ناحية أخرى.وقد أدت هذه الصحوحة إلى ظهور « الإتجاه الوظيفى Functionalism » وهو من الإتجاهات المبكرة فى علم النفس الذى يركز على عمل العقل ووظائف النشاط العقلى ودور السلوك فى صنع الحياة وتكيف الناس لمجتمعهم الذى يعيشون فيه .

إسهامات المرأة فى علم النفس .

برغم القيود التى كَبَلَت المرأة فى جميع المجالات العلمية ومنعتها من المشاركة فى الكثير من المهن والوظائف لم يكن يستثنى من ذلك « علم النفس » ومع ذلك وجدنا كثيرا من النساء كانت لهن إسهامات واضحة فى مجال علم النفس ففى أوائل هذا القرن وبالتحديد عام ١٩٢٨ ظهرت ليتا ستتر هولنجورث Leta Stetter Hollingworth وكانت أول من إستخدم مصطلح « الطفل الموهوب » عند قيامها بوصف الأطفال الأذكياء كما ألّفت كتابا عن المراهقين . وكان لها نصيب السبق بالتركيز على الموضوعات الخاصة بالنساء عندما قامت بدراسة مسحية لدحض الآراء الشائعة فى أوائل القرن التاسع عشر والقائلة بأن المرأة ذات قدرات محدودة وأن هذه القدرات لديها فى إنخفاض مستمر أثناء فترة الحيض وأثبتت «هولنجورث» خطأ هذه الإفتراءات والأكاذيب

« بنيامين ، شابلدز Benjamin & Shields ١٩٩٠ » .

وهناك شخصية نسائية أخرى كان لها أثرها في دراسة سمات الشخصية عام ١٩٢٠ وهي « جان إيتا داووني June Etta Downey » كما قامت بتطوير اختبار جديد للشخصية حاز على شهرة واسعة النطاق وأصبحت بعد ذلك أول امرأة تعمل في وظيفة رئيس قسم علم النفس في إحدى جامعات الولاية بالولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وبالرغم من مساهمات الكثير من النساء في علم النفس إلا أن هذا العلم قد ظل خاضعا لسيطرة الرجال وفي نفس الوقت زاد عدد النساء المؤهلات للعمل في مجال علم النفس عن أي مجال آخر « سيموننتون Simonton ، ١٩٩٢ » ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الموقف قد حدث فيه إنقلاب درامي أثناء العقد الأخير من هذا القرن حيث حدثت طفرة كبيرة في عدد النساء المشتغلات بعلم النفس ، ومن ثم فيجب على المؤرخين لعلم النفس وتاريخه في التسعينات من هذا القرن ألا يغفلوا الدور التاريخي للنساء العاملات في مجال علم النفس وفروعه .

نماذج علم النفس المعاصر .

أصبح علم النفس اليوم شديد التنوع والتشعب وتتدرج نماذج علم النفس المعاصرة تحت خمسة مكونات رئيسية تؤكد كلها على أهمية النواحي المختلفة للسلوك والعمليات العقلية ، ونتعرض الآن للحديث عن كل نموذج من النماذج الخمسة فنقول :

أولا: النموذج البيولوجي : يركز هذا النموذج على الأسس البيولوجية للسلوك الإنساني ، ومدى تأثير هذا السلوك على الغدد والدم والعرق والأمراض العضوية والخلايا العصبية ، والوراثة وكيفية تأثير وظائف الجسم البشري على الأمن والخوف لدى الإنسان ويرى أصحاب هذا النموذج أن الإستجابات الشعورية كإستجابة القلق ذات مكونات بيولوجية خطيرة .

ثانيا: النموذج السيكددينامي : وقد طور هذا النموذج « فرويد » واعتبر أن سلوك الناس - على إختلاف أنماطهم الشخصية والإجتماعية - يخضع لما نسميه بالاحتمية السيكدولوجية والعمليات اللاشعورية ، وأن علم النفس - وفقا لهذا

-٢٠-

النموذج - يرتبط قولاً وعملاً بالأعمال العقلية أو العاطفية الناشئة بصفة خاصة منذ فجر الطفولة ، ومن ثم فقد كان هذا النموذج له الأثر القوي على الأدب والفن والتربية والإجتماع ، والخدمة الإجتماعية ، والأنثروبولوجيا ، هذا وقد كان لفرويد الفضل في الكشف عن غياهب الدوافع اللاشعورية ومخبوء النفس البشرية ، ومن ثم أمكن لنا إن نتعامل مع الإضطرابات النفسية والعقلية علي أسس علمية صحيحة ، فضلاً عن تفسير الظواهر النفسية المعاصرة مثل العدوانية والتحيز ، والأنانية والتعصب ، والإغتراب .

وجملة القول أن النموذج السيكوندينامي يقوم على الإعتقاد بأن السلوك الإنساني « مدفوع Motivated » ومتحرك بقوى داخلية لا يستطيع الفرد أن يتحكم فيها إلا قليلاً .

ثالثاً: النموذج المعرفي : ويهتم هذا النموذج بكيفية معرفة الناس وفهمهم وتفكيرهم فيما يدور حولنا من أحداث ووقائع ، وأثر عناصر الإدراك على السلوك ، ودراسة السبب والنتيجة والعللة والمعلول .

رابعاً: النموذج السلوكي : يتعرض هذا النموذج لملاحظة السلوك الخارجي للإنسان ، وكل سلوك يمكن ملاحظته ، وتحديد الأسباب التي تدفع الفرد إلى إتخاذ طريقة معينة للسلوك ، وقد تزعم هذا الإنحيا « جون واطسون » عالم النفس الأمريكي الذي يعتقد بأن التحكم في البيئة الخارجية للإنسان يؤدي بنا إلى نمط السلوك المطلوب أو المرغوب ، إن البيئة هي التي تصنع أقدار الأفراد ، وتبلور سلوكهم بغض النظر عن السلالات العرقية ، أو الميول الإجتماعية ، أو القدرات العقلية ، أو المواهب الخاصة التي وهبهم الله بها والتنشئة الإجتماعية التي شبوا عليها هكذا يرى « واطسون » ، ومن ثم فقد كان من أشد المتحمسين للسلوكية والمنادين بها ، إلى أن جاء بعده من يتابع المسيرة في النموذج السلوكي وهو العالم الأمريكي « سكينر » الذي توفي عام ١٩٩٠ .

هذا وقد لعب النموذج السلوكي دوراً حيوياً كبيراً في حياتنا النفسية والإجتماعية غداة أن بدأ يتعمق في كل فروع علم النفس وترك بصمات واضحة على عملية التعلم وآثارها التطبيقية ، وكيفية الإستيعاب ، وتوضيح طرق العلاج السلوكي المثلى ، والتحكم في العدوانية ، وحل المشكلات الجنسية وطريقة علاج

-٢١-

الإدمان ، وكيفية الوقاية من التلوث البيئي .

خامسا : النموذج الإنساني : يرى هذا النموذج بأن الإنسان فرد فى المملكة البشرية أو النوع الإنسانى ويتميز بخاصية فريدة من دون الكائنات الحية الأخرى وأنه نسيج وحدة وأن الله قد خلقه فى أحسن تقويم ، كما أن الناس كل الناس على اختلاف مشاربهم وعاداتهم وتقاليدهم ، هم الذين يتحكمون فى حياتهم ويشكلونها طبقا لنزعتهم الإنسانية، ويعارض هذا النموذج الفكر القائل بأن تحديد السلوك لا يأتى إلا من خلال القوى البيولوجية أو أن العمليات اللاشعورية هى التى تتحكم فى سلوكنا ، أو أن البيئة هى صانعة حياتنا النفسية والاجتماعية .

علم النفس والإيدز .

من الاتفاق التى إرتادها « علماء النفس » فى عصرنا الحالى ، إشتراكهم فى الحرب الضارية ضد مرض الإيدز ، وأخذوا يعملون فى أكثر من جبهة ضد هذا الوباء اللعين :

الجبهة الأولى : ومهمتها تقديم الإستشارات لعلاج الأفراد المصابين بفيروس الإيدز والتركيز على المشكلات النفسية والصحية لدى هؤلاء الأفراد ، حيث أن حاملى هذا المرض يتعرضون للطرد من بيوتهم وأعمالهم ، وقد يفقدون التأمين الصحى والاجتماعى ويتعين عليهم أن يتأقلموا مع الأوضاع غير الثابتة لهذا المرض ، وإنتظار الموت فى أقرب وقت ، ومن ثم يحتاج الأمر من جانب علماء النفس ، مساعدة هؤلاء الأفراد على مجابهة هذه الظروف العصيبة وإستخدام أساليب علاجية مستحدثة .

الجبهة الثانية: وتسلط نيراتها نحو فهم الأساس البيولوجى لمرض الإيدز ودراسة النواحي الفسيولوجية الخاصة بهذا المرض والتعمق فى العلاقة بين الإيدز وعلم وظائف الأعضاء « الفسيولوجيا » ولاسيما وظيفة المخ البشرى حيث إن المصابين بهذا المرض فى مراحل متقدمة قد يعانون من الإصابة ببعض الإضطرابات العقلية والمهارات الخاصة . ومن ثم فإن دراسة وفحص المريض للتأكد من مدى إصابة المخ ، لها ضرورة وأهمية كبيرة لأن ذلك يساعد على وضع برامج علاجية

-٢٢-

جيدة ويؤدي إلي كبح جماح وكسر حدة المرض وتأخير تغلغله في الجسم وإعاقة نشاط فيروس الإيدز .

الجهة الثالثة : وهي تعمل على منع إنتشار مرض الإيدز عن طريق محاربة العلاقات الجنسية الشاذة وإقتصار هذه العلاقات على العلاقات الزوجية الشرعية النظيفة، ورغم صعوبة تنفيذ هذا الأمر كلية إلا أن علماء النفس قد قاموا بمواجهة وتطوير الوسائل اللازمة التي تساعد الناس على تعديل الممارسات الجنسية بغرض تقليل الإصابة بفيروس المرض والحد من إنتشاره ، وقد إستخدم العلماء بعض العمليات والممارسات الفعالة على النماذج البيولوجية أثناء قيامهم ببحث الوسائل العملية والتطبيقية لمواجهة إنتقال الفيروس ومن ثم أمكنهم الوصول إلى نوع من الأمصال يمكن إستخدامه كوقاية ضد الإصابة بمرض الإيدز .

الجهة الرابعة: ووظيفتها إتخاذ القرارات الفعالة فيما يتعلق بإجراء الفحوص الخاصة بمرض الإيدز وتقديم المساعدة من خلال إستخدام النماذج الإدراكية والمعرفية والإسترشاد بها ، إن مرض الإيدز لا يمثل المشكلة الإجتماعية الوحيدة التي تتطلب اللجوء إلى علماء النفس للمساعدة في رفع المعاناة عن المصابين بهذا المرض .

مستقبل علم النفس .

ونتساءل : ماهي التصورات الممكنة والآفاق الجديدة ، والظواهر المستقبلية التي سيتناولها علم النفس في السنوات القادمة ؟

من الصعب التنبؤ بما سوف يحدث من تطورات علمية حديثة في علم النفس ، ولكن تشير الدلائل إلى إن بعض الإتجاهات ستظهر وتتطور لإضافة الجديد والمفيد في الدراسات النفسية ، ومن هذه الإتجاهات مايلي :

أولا : الإتجاه المستقبلي الأول : سوف يضم علم النفس في المستقبل القريب الكثير من المجالات شديدة التخصص والتعمق ، مثال ذلك سوف يصبح على الممارسين أن يتخصصوا في موضوع متنوع مثل عملية « إنتقال النبضات الكهروكيميائية عبر النهايات العصبية وأنماط إتصال العاملين في المؤسسات

الكبيرة » ... ولذا يصبح من الصعب على علماء النفس الإلمام بكل هذه المجالات التخصصية بسبب إزدياد التخصصات كلما دلف علماء النفس فى أعماق وأغوار المعارف الجديدة .

ثانيا : الاتجاه المستقبلى الثانى : من المتوقع أن تظهر نماذج سيكولوجية جديدة حيث أن علم النفس من العلوم الآخذة فى النمو ، ولذا سيقوم بإستنباط نماذج جديدة مسانيرة لروح وطبيعة العصر ، والجمع بين نموذجين لتكوين نموذج واحد جديد من النماذج القديمة بسبب زيادة المعلومات والمعارف الجديدة ، مما يؤدى بإرتقاء مستوى علماء النفس فى مجال القدرة على فهم السلوكيات والعمليات العقلية .

ثالثا : الاتجاه المستقبلى الثالث : التوصل إلى طرق علاج نفسى جديدة وزيادة عدد علماء النفس المتخصصين تخصصا دقيقا ، والميل نحو العمل فى المجالات الإستشارية التى تقدم خدماتها لمجموعات المتطوعين لتمكنهم من مساعدة أنفسهم بصورة فاعلة ومستوى مرتفع .

رابعا : الاتجاه المستقبلى الرابع : يزداد تأثير علم النفس على الإهتمامات العامة المعاصرة بإجراء الدراسات النفسية على العنصرية والإلتواء للأجناس المختلفة والفقر والكوارث الإجتماعية والطبيعية ، والتقنية والبيئة ، وجملة القول أن علم النفس لن يمكنه وحده حل هذه المشكلات ، إلا أنه بالنظر إلى ماتم إنجازه فى الماضى فى هذا العلم ، يمكن التنبؤ بأن علماء النفس سوف يقومون مستقبلا بتقديم الإسهامات الهامة ذات الأثر الفعال على حل هذه المشكلات .

مناهج البحث فى علم النفس .

يعتمد البحث فى علم النفس على عدة طرق علمية شأنه فى ذلك شأن بقية العلوم الأخرى ، وتتضمن الطريقة العلمية عدة خطوات رئيسية هى :

- ١ - تحديد الأسئلة المثيرة للإهتمام .
 - ٢ - إيجاد صيغة مقبولة للتفسير .
 - ٣ - إجراء البحوث العلمية بهدف دعم التفسير أو رفضه .
- ومن ثم يمكننا طرح الأسئلة الصحيحة ، وفرض الفروض المناسبة ، ووضع

النظريات والمبادئ العلمية فى علم النفس .
هذا ومن خلال إستخدام الطريقة العلمية قام علماء النفس بإجراء عدد من الملاحظات المتعلقة بالسلوك البشرى ككل الذى تعود المرء أن يسأله لنفسه فى حياته الإجتماعية مثل :

- ما الذى يؤدى بأحد المعلمين بالمدرسة أن يصبح سريع الغضب ؟
- ما الذى يدفع أحد الأصدقاء للتأخير دائما فى مواعيده ؟
- كيف يفهم الكلب البوليسى أوامر مديريه ويستجيب لتنفيذها ؟

إن علماء النفس يطرحون الأسئلة الخاصة بمسببات السلوك ، وعادة ما تكون هذه الأسئلة من النوع التجريدى وذلك وصولا إلى تطوير نظريات علم النفس التى تهدف أولا وأخيرا إلى شرح وتفسير الظاهرة النفسية الخاضعة للملاحظة ، أن وضع النظريات أساسا ماهو إلا محاولة لإيجاد تفسير واسع المدى للتنبؤ بالظاهرة النفسية المثيرة للإهتمام .

ومن النظريات ماهو واسع المدى عند التفسير والتنبؤ مثل تفسير مشاعر الناس ودوافعهم وانفعالاتهم بوجه عام ، وهناك من النظريات الأخرى مايتسم بضيق المدى كمحاولة التنبؤ بكيفية قيام الأشخاص بإظهار مشاعر الخوف غير اللفظية بعد تلقىهم تهديدا من أحد الأفراد ، ومن النظريات ماهو أكثر ضيقا وتحديدًا وتحاول تفسير كيفية عمل العضلات الجسدية ، وعضلات الوجه وملامحه وإستجاباتها مع بعضها البعض لإظهار تعبيرات الخوف والتهديد أو القلق والتوتر الشديد عند شعور الناس بالخوف أو الهلع، وعادة ما تكون نظريات علم النفس فى شكل محدد وتتلور حول فكرة واضحة ، وترتكز على بؤرة واحدة بحيث يتم صياغتها على أساس القراءات المتأنية ، والإطلاع العلمى الغزير وربط الأبحاث السابقة بالأبحاث اللاحقة ، وقراءة البحوث الأكاديمية السابقة ، والإعتماد على المعلومات العامة المتوافرة والمتاحة لدى العاملين فى مجال علم النفس .

ويعتمد علماء النفس على النظريات والفروض العلمية لسببين أساسيين هما :
الأول : تسمح النظريات والفروض لعلماء النفس بالقيام بعمل ملاحظات وجمع بيانات ومعلومات من هنا وهناك بهدف إستخدام هذا الكم المعرفى داخل إطار متماسك ذو بناء ثابت .

الثانى: يعتمد علماء النفس على النظريات والفروض للوصول إلى إستنتاجات تتعلق بالظواهر النفسية التى لم يتم تفسيرها بعد ، ومن ثم فإن دور النظريات والفروض ، هو توجيه وإرشاد الدارسين نحو الأبحاث المستقبلية والإستفادة القصوى من إكتشاف آفاق جديدة فى عالم العلم ودنيا المعرفة .

الملاحظة على الطبيعة .

فى الملاحظة الطبيعية يعتمد الباحث ببساطة شديدة على السلوك الحقيقي الحادث ، ولا يحاول التدخل فى الحادثة مثال ذلك إذا أراد باحث أن يبحث أو يدرس « إرتفاع معدل حدوث الجريمة » فى أحد أحياء إحدى المدن المزدهمة بالسكان ، فما عليه إلا ملاحظة نوعية المساعدة التى يتم تقديمها لضحايا الجريمة وقت حدوثها . وعند دراسة عملية الملاحظة الطبيعية على الباحث أن يكون سلبيا وكل دوره ينحصر فى تسجيل ما يحدث من حوله ، ومن مميزات الملاحظة الطبيعية أن يأخذ الباحث عينة من أفراد المجتمع المراد بحثه أو دراسته ويقوم بتسجيل سلوكهم فى بيئتهم الطبيعية ، كما يتعين على الباحث أن ينتظر حتى تأتى الفرصة المناسبة التى تساعده على دراسة الظروف المطلوبة .

البحوث المسحية .

إن أفضل طريقة لمعرفة كيفية تفكير الناس وتفسير مشاعرهم هى القيام بتوجيه الأسئلة المباشرة إليهم ومن ثم فإن البحث بطريقة المسح الشامل يعتبر من الطرق البحثية الهامة حيث يعتمد ذلك على إختيار شريحة من الناس لتمثل الكثافة السكانية.

إن طرح مجموعة أسئلة على بعض آلاف من الناخبين يساعدنا على التنبؤ بدقة كبيرة بذلك الرجل الذى سيفوز فى إنتخابات الرئاسة للبرلمان أو عضوية مجلس نيابى فى إحدى الدول بشرط أن يتم إنتقاء شريحة المسح بعناية كبيرة ، وهنا لاتتعدى درجة الخطأ « واحد » أو « إثنين » فى المائة ، وبشرط آخر ألا يحدث

تزوير فى الإنتخابات وتنقلب الحقائق وتتبدل الصناديق ، ويقع القتلى بكثرة وتتصارع الأحزاب ويودع أصحاب النزاهة والضمير والخبرة غياهب السجون أثناء عملية الإنتخاب وينفض السامر ، وعاش المرشح المغامر !! وتصيح النتيجة ٩٩,٩ % بفضل تخطيط الشللية والبلطجية ، فى مثل هذه المجتمعات الهمايونية !! والله فى خلقه شئون .

هذا ومن مساوئ البحث بطريقة المسح الشامل مايلى :

- ١ - يقدم للناس - أحيانا - معلومات غير دقيقة نظرا لضعف ذاكرتهم وعدم معرفة الباحث شيئا عن أحوالهم العائلية أو الإجتماعية ، كما أنهم لا يريدون أن يعرف الباحث مايعتقدونه فى حقيقة الأمر .
- ٢ - يميل الناس ألا يعرف الباحث الجوانب الشخصية فى حياتهم بهدف المحافظة على أسرارهم .
- ٣ - يقدم بعض الناس إجابات معينة بهدف إرضاء الباحث .
- ٤ - يقدم الناس إجابات يرون فيها أن الباحث يريد أن يسمعها .
- ٥ - يقدم الناس إجابات عن موضوعات لا يريد الباحث أن يتطرق إليها .

دراسة الحالة .

تعتمد دراسة الحالة على الدراسة البحثية المتعمقة وإجراء الإختبارات النفسية على الحالة وذلك بهدف مساعدة الباحث على النفاذ ببصيرته إلى لب الحقيقة وإلى داخل أغوار شخصية كل فرد من أفراد المجموعة المطلوب دراستها . كما أن دراسة الحالة أسلوب بحثى يهدف نحو معرفة المزيد عن الأفراد الخاضعين للدراسة ، والحصول على أكبر قدر ممكن من المعرفة لمساعدتنا على فهم سلوك الناس فى سهولة ويسر .

البحوث الإرتباطية .

تهدف هذه البحوث أساسا نحو تحديد العلاقة القائمة بين نوعين من السلوك الإنسانى ، أو بين نوعين من الإستجابات لسؤالين يتم طرحهما ، مثال ذلك ... قد

يحاول أحد الباحثين إيجاد العلاقة بين درجة « التددين » و « مساعدة الناس » فإذا تم إجراء دراسة على هؤلاء الأفراد المتدينين وبين طريقة تعاملهم مع المواقف الطارئة التي تستدعى مساعدة الآخرين ، وإذا ثبت وجود علاقة ارتباطية فى هذه الدراسة ، دل ذلك على التأكد من مصداقية هذه العلاقة « التددين » و « مساعدة الناس » .

مثال آخر هناك علاقة بين عدد ساعات المذاكرة وتقدير النجاح وهى علاقة إيجابية متبادلة ، إن زيادة عدد ساعات المذاكرة ترتبط بالتقدير العالى « ممتاز » مثلاً ، كما أن إنخفاض عدد الساعات يؤدي بالطالب إلى الحصول على تقدير منخفض « مقبول » وهكذا .

إن هذه العلاقة يتم الإشارة إليها بإستخدام رقم إيجابى ، وكلما زادت درجة الترابط والتلاحم بين عدد ساعات المذاكرة فى الدراسة وبين تقدير النجاح كلما إقترب « الرقم الإيجابى » من « + ١ » وفى حالة العلاقة الإرتباطية السلبية تتراوح العلاقة بين « صفر ، ١٠ » كما أنه لا توجد علاقة بالمرة بين عدد ساعات الإستذكار للطالب الجامعى وبين طوله أو عرضه ، فالعلاقة هنا معدومة ... إنها تمثل « صفر » .

هذا وقد تكون هناك علاقة إرتباطية موجبة بين :
مشاهدة البرامج التليفزيونية العنيفة وبين مستويات السلوك المتسم بالعنف ، وهذا يتطلب دراسة السبب والنتيجة مع الأخذ فى الاعتبار تمثيل بعض العوامل كأسباب أو نتائج ومنها :

- عدوانية المشاهد .
- زيادة درجة مستوى الشخصية العنيفة التى يكتسبها المشاهد .
- الحالة الإجتماعية الإقتصادية للمشاهد .
- إختيار البرامج التليفزيونية المتسمة بالعنف .
- زيادة مستوى العنف للمشاهد .

إن حدوث العنصرين مع بعضهما ، لا يعنى أن أحدهما هو الذى تسبب فى ظهور الآخر ، مثال ذلك أن العلاقة المتبادلة لا تقدم لنا أى معلومات بشأن السبب والنتيجة ، لأن هذه العلاقة عبارة عن قياس لقوة العلاقة القائمة بين عاملين

فالأطفال الذين يشاهدون الكثير من البرامج التليفزيونية ذات مستويات مرتفعة من العنف ، فإننا نجد أن هؤلاء الأطفال يميلون نحو إظهار درجة مرتفعة نسبيا من السلوك العنيف ، أما بالنسبة لهؤلاء الأطفال الذين يشاهدون عددا أقل من البرامج التليفزيونية العنيفة ، فإنهم لا يظهرون إلا درجة بسيطة نسبيا من السلوك العنيف . هذا ولا يمكننا أن نجزم بأن العنف نابع من مشاهدة التليفزيون حيث أن السلوك العنيف قد يعزى إلى عوامل أخرى ، وتشير الأبحاث بأن الأطفال ذوى المستوى الإجتماعى الإقتصادى المنخفض ، نجدهم يميلون إلى مشاهدة البرامج التليفزيونية المتضمنة مواد عنيفة وبالتالي يسلكون سلوكا عنيفا ، إن العوامل المرتبطة بالمستوى الإجتماعى الإقتصادى للأسرة ، هى السبب الحقيقى فى زيادة نسبة حدوث السلوك العنيف وإنتشاره بين أطفال الأسر الفقيرة ، كما أنه من الملاحظ أن الناس ذوى الطبيعة العدوانية ، يختارون مشاهدة البرامج المتسمة بالعدوانية .

البحوث التجريبية .

نقصد هنا بالبحث التجريبي ، تلك الدراسة التى يتم إجراؤها بهدف بحث العلاقة بين عاملين أو أكثر من خلال إحداث تغيير فى إحداها وملاحظة التأثير الناتج على العوامل الأخرى .

المعالجة التجريبية : هى عملية إحداث التغيير عمدا أو قصدا فى إحدى التجارب بهدف الحصول على إستجابة معينة فى العناصر الأخرى لتحديد العلاقة السببية القائمة بالفعل بين المتغيرات .

المتغير : هو كل سلوك يمكن التأثير فيه ليحدث تغيير .

المجموعة التجريبية : هى المجموعة الخاضعة لإدخال تغيير فيها من خلال التجربة .

المجموعة لضابطة : هى المجموعة التى لا يتم إخضاعها لإدخال أى تغيير عليها أثناء التجربة .

خلاصة القول أن البحوث التجريبية تتطلب عقد مقارنة بين إستجابات

مجموعتين على الأقل من الأفراد ، تتلقى المجموعة الأولى معالجة معينة يقوم بها المحرّب ولا تتلقى المجموعة الثانية (الضابطة) أى نوع من المعالجة ، ويمكن أن يتم معالجتها بصورة أخرى مختلفة عن الطريقة التى حدثت فى المجموعة الأولى وفى البحوث ، التجريبية يجب أن نثبت كل المتغيرات الدخيلة أثناء إجراء التجربة مثل درجة الحرارة ، درجة الرطوبة ، الإضاءة ، الوقت المحدد ، الضوضاء ، وملاءمة الزمان والمكان لإجراء التجربة ، وذلك لكى تكون المعالجة التى أدخلناها على المجموعة التجريبية هى التغيير الوحيد الحادث عليها وفيها .

المتغير المستقل : هو العامل الذى تتم معالجته عن طريق الباحثين .

المتغير التابع : هو العامل الذى لا يحدث فيه أى معالجه ويمكن قياسه ونتوقع أن يحدث فيه تغيير أو اختلاف .

أفراد العينة : هو إجراء يتم فيه تعيين الأفراد بطريقة عشوائية للمجموعات التجريبية المختلفة طبقا لظروف المتغير المستقل .

الفروض : فى البحوث التجريبية يربط الفرض بين كل من المتغير المستقل والمتغير التابع سويا .

يجب أن تتوافر هذه العناصر الأربعة السابقة فى كل البحوث التجريبية الحقيقية ليمكّننا تحديد العلاقة السببية بين السبب والنتيجة هذا وعند اختيار أفراد العينة ، يجب ألا نعتد كثيرا على مجموعة من الطلاب الجامعيين المستجدين لأنهم لا يمثلون المجتمع الأصل تمثيلا حقيقيا حيث إن إتجاهاتهم الفكرية غير ثابتة وقابلة أحيانا للتغيير والتعديل بالإضافة إلى أنهم يتعرضون كثيرا لضغوط إجتماعية نابعة من الشخصيات القيادية فى المجتمع مثل رجال الأمن العام أو المحافظ أو رئيس مجلس المدينة أو أقرانهم فى الدراسة ، « سيرز 1986 Sears » .

وإذا كانت عملية اختيار عينة من طلاب الجامعة فى بحوثنا الميدانية فى علم النفس عملية يشوبها الشك والتردد ، فإن علماء النفس قد إتجهوا نحو استخدام بعض الحيوانات مثل الفئران والقطط والكلاب والقرد والحمام كأفراد عينة بدلا من الإنسان ولكن فى حدود ضيقة للغاية حيث يشكل استخدام مثل هذه الحيوانات من ٧ - ٨ ٪ فى بحوث علم النفس الميدانية .

والفرق كبير والبون شاسع بين استخدام الإنسان وإخضاعه لدراسة تجريبية

-٣٠-

علمية وبين إستخدام الحيوان الذى نجرى عليه تجربة فى فترة زمنية قصيرة ودون إكتراث لما يحدث له من أخطار أو أخطاء ، إن التركيبة المعقدة للإنسان والحفاظ عليه والعناية به أثناء إجراء التجارب فى مجال علم النفس ، هى التى جعلت علماء النفس يتجهون لإستخدام الحيوانات فى تجاربهم .

إن المشاركين فى مثل هذه التجارب من البشر يجب أن يتماثلوا جميعا كأفراد من ناحية المستوى الإجتماعى الإقتصادى ، والخلفية البيئية ومستوى التعليم والفئة العمرية الواحدة وتثبيت كل العوامل الدخيلة كلما أمكن ذلك أثناء إجراء التجربة عليهم .

ويمكن القول بأن البحوث التى أجريت على الحيوانات قد أفادت علماء النفس وأمدتهم بمعلومات كثيرة عند دراستهم للبشر ، مثال ذلك : إجراء البحوث على الحيوانات فى مجال علم النفس ، ساعدتنا على كيفية التعرف على مشكلات العين والإبصار لدى الأطفال حديثي الولادة لتجنب حدوث أضرار مستمرة ، كما ساعدتنا أيضا مثل هذه البحوث على مقارنة سلوك الأطفال المتخلفين عقليا بسلوك حيوانات التجارب ، بالإضافة إلى أنها قللت الآلام وكسرت حدة الآلام المزمنة التى يعانى منها الإنسان «جمعية علم النفس الأمريكية ١٩٨٨» .

وفى معرض الحديث عن التصميم التجريبي فى علم النفس ، يرى كل من «لاتان . دارلى ١٩٧٠ ، Latane & Darley» أنه يمكن القول بأن حجم العينة فى البحوث التجريبية يؤدى إلى تغيير فى درجة ومقدار مساعدة الآخرين الذين يتعرضون لظروف عسيرة ، وبلغأعالم النفس إلى إعادة إجراء التجربة بأستخدام إجراءات أخرى ومواقع أخرى وأزمنة أخرى بالإعتماد على أفراد عينة أخرى لأن إعادة إجراء التجربة عن طريق إختبار أفراد آخرين يمنحنا قدرا كبيرا من الثقة فى الصحة وصلاحيه ومصداقية التجربة «لاتان ، نيدا Latane & Nida ، ١٩٨١» ، إن إختبار صحة الفرض - فى هذا المثال - يؤكد لنا أنه : فى الظروف العصيبة التى يعيشها أفراد جماعة من الناس ، فإنهم يتماسكون ويقدمون المساعدة للمنكوبين منهم ؛ كما يحدث فى ظروف حدوث الزلازل والبراكين والفيضانات والأوبئة والحروب ، ورغم ذلك فإن مثل هذا الفرض يحتاج إلى تدعيم علمى وإجراء المزيد من الأبحاث والتجارب .

-٣١-

إن علم النفس كأي علم آخر يساعدنا على الفهم من خلال خطوات بسيطة وصغيرة وكل خطوة تم بناؤها في صرح المعرفة السيكولوجية ، تعتمد أساسا على التراكمات العلمية السابقة حيث أن العلم تراكمات يكمل بعضها البعض الآخر .

البحوث الأرشيفية .

هي نوع من البحوث يعتمد بالضرورة على السجلات التاريخية والصحف اليومية كما أن إستخدام المقالات الصحفية يعتبر من الطرق التي يعتمد عليها البحث الأرشيفي بالإضافة إلي بيانات الميلاد والسلالة والنوع وتعداد السكان وحجم الأسرة والمسكن والمهنة ، كل هذه البيانات الأرشيفية تفيدنا في التأكد من صحة الفرض .

إن البحوث الأرشيفية زهيدة التكاليف حيث أن محرري الصحف هم الذين يجمعون البيانات الأساسية ، ويمكن القول بأن الإعتماد على البيانات والمعلومات الصحفية له بعض المساوئ لأن بعض الصحف تستقى بياناتها من جهات غير رسمية وغير موثوق فيها وتتسم بالمبالغة والتهويل ، ومن ثم لا يؤدي ذلك بالباحث إلى إختيار الفرض المناسب ، هذا وتجمع بعض الصحف بياناتها بشكل عشوائي وطريقة غير منظمة ومن ثم فإن البحوث الأرشيفية لا يمكن الركون إليها والإعتماد عليها لأنها تسبب في نهاية الأمر بعض المواقف المحرجة وإصابة الباحث بالإحباط والتضليل .

أخلاقيات البحث العلمى .

لكل مهنة أصول وقواعد متبعة لا يحيد عنها أصحابها عند التعامل مع بعضهم بعضا ، فإذا خرج عامل أو صاحب مهنة أو عمل عن هذه الأصول المرعية ، نبذه نقيب المهنة وأعضاؤها بعد فصله وحرمانه من ممارسة المهنة أو العمل وهذا ما نطلق عليه « أخلاقيات المهنة » ولما كان البحث العلمى طريقة قبل أن يكون حقيقة ، كان من الواجب أن يكون هناك « ميثاق شرف » أو « أخلاقيات العلم » يسير

على منوالها وهداها الباحثون عن الحق والحقيقة .

وفى علم النفس هناك « أخلاقيات العلم » التى تلزم الباحث بالعمل والبحث الجاد الأصيل بعيدا عن التضليل والخداع والتزييف والقبسركة ، وعلى الباحث المحنك إحترام إنسانية أفراد العينة التى إختارها لإجراء التجربة العلمية عليها بل إننا نذهب إلى أبعد من ذلك حين نلزم الباحث فى علم النفس أن يتعهد بالعناية والرعاية وتوفير الغذاء المناسب لحيوانات التجارب فى معمل علم النفس . هذا ومن أخلاقيات البحث العلمى فى علم النفس نعرض لك العناصر والمحاذير التالية :

١ - إحاطة الأفراد الخاضعين للتجربة البحثية ، علما بأن التجربة هدفها الأساسى خدمة البحث العلمى ولاشئ غير ذلك ومن ثم يتخذ الأفراد موقفا معينا لتحقيق هدف البحث .

٢ - على الباحث ألا يلجأ لإستخدام أسلوب الخداع مع أفراد عينة البحث أثناء إجراء التجربة .

٣ - عدم إنتهاك حقوق الأفراد المشاركين فى التجربة البحثية .

٤ - التزام الباحث بمجموعة الإرشادات الأخلاقية التى تهدف إلى حماية حقوق المشاركين فى التجربة .

٥ - حماية الأفراد من الأضرار العقلية والجسمية .

٦ - المحافظة على الخصوصيات المرتبطة بالسلوك الشخصى .

٧ - الإلتزام بإحاطة المفحوصين (أفراد العينة) علما بطبيعة الإجراءات البحثية قبل البدء فى إجراء التجربة .

٨ - الحصول على تصريح رسمى من الجهة التى يطبق فيها البحث ،

٩ - التوقيع على مستند رسمى من قبل أفراد العينة بقبولهم إجراء التجربة عليهم فى بداية التجربة البحثية .

١٠ - على المشاركين فى التجربة (أفراد عينة البحث) أن يعتبروا أنفسهم متطوعين لهذا العمل العلمى دون مقابل مادى .

١١ - على الباحثين الذين يستخدمون الحيوانات فى إجراء التجارب ، المحافظة على الحيوان بعيدا عن أى معاناه أو ضرر .

- ١٢ - التقليل كلما أمكن من إستخدام حيوانات التجارب فى البحث بهدف منع الآلام والأمراض لدى الحيوان .
- ١٣ - عدم تعرض الحيوان لبعض الظروف الصعبة أثناء إجراء البحث .
- ١٤ - إهتمام الباحث بأسلوب تغذية الحيوانات وتنظيف أماكن معيشتها أثناء إجراء التجارب عليها « جمعية علم النفس الأمريكية APA ، ١٩٨٦ - ١٩٩٠ » .

معوقات التجريب فى علم النفس .

تتعرض معظم التجارب أثناء إجرائها لبعض التحريفات والهناك الطفيفة رغم دقة التصميم التجريبي فى بادئ الأمر ، وتنحصر مثل هذه التحريفات البسيطة فى : المحاباة والمجاملة ، والتعصب والتحاميل والتحيز ، مما يؤدى بالمجرب إلى تشويش الفهم والتشوه الإدراكي عند تفسير أثر المتغيرات المستقلة على المتغيرات التابعة ، ويبدو ذلك بوضوح فى حالة نقل بعض الإشارات والتلميحات بصورة غير مقصودة للأفراد الخاضعين للتجربة ، بمعنى أن المجرب قد ينقل للمفحوصين (الخاضعين للتجربة) بعض الإشارات أو الرموز المتعلقة بالسلوك المتوقع أثناء إجراء التجربة وهذا ما نطلق عليه « توقعات المجرب » .

وتكمن خطورة هذه التوقعات فيما يقابلها من إستجابات أو سلوكيات جديدة من جانب المفحوصين ، مما يؤثر ذلك سلبا على نتائج التجربة ، كما تواجهنا مشكلة أخرى تعوق عملية التجريب ألا وهى مشكلة المفحوصين حيث إنهم نتيجة توقعاتهم المستقلة تتكون لديهم بعض الأفكار والفروض الخاصة بهم مما يؤدى إلى تعارض توقعاتهم مع توقعات المجرب ، ومن ثم يشوب التجربة بعض السلبيات المؤثرة على متغيراتها حيث يصبح التأثير الأكبر ناجما عن توقعات المفحوصين .

لكى نقضى على هذه المشكلة تماما فإنه يجب على المجرب إخفاء هدف التجربة الحقيقي لمنع ظهور مثل هذه التوقعات المؤدية إلى التحيز والمحاباة والتحاميل . مثال ذلك أجري بعض المجربين تجربة هدفها الحقيقي دراسة عن « أثر الإيمان على التحصيل الدراسى لدى طلاب الجامعة » ولكن المجرب أخفى

الهدف الحقيقي ، وأخبر المفحوصين بأنه يجرى دراسة عليهم هدفها الأساسي « المشكلات الشخصية التي تقابل طلاب الجامعة » وبناء على ذلك بدأ الطلاب يستجيبون بطريق طبيعية أثناء إجراء التجربة عليهم ولاشك أن الفرق كبير واليون شاسع بين هدف الدراسة الأولى « الإيمان والتحصيل » وبين هدف الدراسة الثانية « مشكلات الطلاب الشخصية »

هذا وقد يكون هناك علاقة إرتباطية بين الإيمان والتحصيل الدراسي لدى الطالب حيث أن التوافق الديني وهو سلوك موجب مرغوب يؤدي - أحيانا - إلى التوافق الدراسي المطلوب ، وتحضرني هنا نصيحة الشاعر القديم حين يقول :

شكوت إلى « وكيع » سوء حفظي .: فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور .: ونور الله لا يهدى لعاصي

وفى بعض التجارب يصبح من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - إخفاء الهدف الحقيقي من إجراء التجربة ، فقد أجرى أحد الباحثين تجربة هدفها الأساسي والحقيقي هو اختبار درجة تأثير أحد العقاقير الطبية التي تؤدي إلى التخفيف من أعراض الإكتئاب وقام الباحث بإعطاء الدواء المتفق عليه لنصف المفحوصين ، ولم يعطه للنصف الآخر ، وأفترض بأن المجموعة التي أخذت جرعة الدواء سوف يصبح لديهم إنطباع بأنهم أقل إكتئابا عن ذي قبل ويرجع ذلك لشعورهم وإدراكهم بأنهم تلقوا العلاج والدواء المضاد للإكتئاب ، وكان شعور الفريق الآخر (المجموعة الثانية) بأنهم لم يشعروا بأي تحسن أو تقدم بالنسبة لحالة الإكتئاب لأنهم لم يحصلوا على الدواء .

ولتنفيذ هذه التجربة في حيز الواقع وعلى الطبيعة ، إتخذ علماء النفس بعض الإجراءات المعينة وذلك بوضع بعض الأفراد في المجموعة الضابطة التي تتلقى العلاج وهو عبارة عن « نصف حبة قول » ليس لها أي تأثير على أفراد المجموعة الضابطة ، وهي بمثابة دواء خادع ليس لها أي خصائص كيميائية ولا تحتوى على أي عناصر فعالة لعلاج أي مرض أو إضطراب ، وكان كل من المجموعتين الضابطة والتجريبية خاضعين لظروف متشابهة ، ولا يعلم أي فرد من المجموعتين

عما إذا كان قد أخذ دواء حقيقيا أو دواء خادعا لأن الدواء « نصف حبة الفول » ليس لها أى أثر بيولوجى حين يتم إستخدامها على أنها دواء لعلاج الإكتئاب لدى الأفراد. وذلك لخداعهم وعدم معرفتهم بنوعية الدواء وأثره على سلوك الإنسان. وعلى الباحث أن يضع فى الإعتبار عند إجراء مثل هذه التجربة أنه يؤثر تأثيرا كبيرا على المفحوصين عن طريق توقعاته ، ومن ثم يجب إخفاء حقيقة الدواء من جانب المجرب عن المفحوصين ، ويطلق على هذه الطريقة إسم « الإجراء الشنائى الإخفاء Double Blind Procedure » وهى طريقة تساعد الباحث على تقييم تأثير الدواء بصورة دقيقة وفاعلة .

الفصل الثانى

الأسس البيولوجية للسلوك الإنسانى .

- * الأصول التعميمية فى العلوم البيولوجية .
- * المخ البشري عالم عجيب غريب .
- * مركز السيطرة فى المخ ... الأيمن والأيسر .
- * وظائف المخ .
- * أنماط الموجات الكهربائية المخية .
- * جهاز اتصالات شبكية .
- * وظيفة الأجهزة العصبية .
- * طرائق ضبط السلوك بيولوجيا وكيميائيا .

الأسس البيولوجية للسلوك للإنسان .

يعتبر الإنسان من المنظور التاريخي والبيولوجي أحدث الكائنات الحية التي ظهرت على كوكب الأرض وذلك على فرض أن الأرض هي الكوكب الوحيد المناسب لوجود الحياة ، هذا وقد ظهر أول الكائنات الحية على الأرض منذ ملايين السنين . وكان من نتيجة التغييرات العظيمة الكثيرة التي حدثت خلال هذه الفترة أن ظهر ما يقرب من مليون نوع من الأنواع الحيوانية وما يقرب أيضا من ٤٠٠ ألف نوع من الأنواع النباتية وذلك بخلاف الأنواع الكثيرة الأخرى التي ظهرت لفترة من الزمن وزالت بعد ذلك تحت ظروف بيئية وبيولوجية مختلفة .

إن علما كعلم الأحياء (البيولوجيا) وثيق الصلة بالعلوم الأخرى وكما يحدث في العلوم الأخرى يحدث لهذا العلم حيث يحدث نوع من التأثير المتبادل بين ما يلاحظه العالم أو الباحث وما يصل إليه من حقائق من جهة وبين التغييرات المختلفة في صورة نظريات وفروض من جهة أخرى .

وتشهد أصول المنهج العلمي السليم تقدما مذهلا في أيامنا هذه في « علم البيولوجيا » مع التأكيد النهائي بأنه ليس من المستطاع الحصول على مادة حية إلا من أصل حي تدب فيه الروح .

والبيولوجيا كعلم لدراسة الأحياء في شتى صورها الدينامية تدخل في مجال تجمع هائل لمجموعات من الحقائق والنظريات التي تهتم بدراسة طبيعة الكائنات الحية مما يؤدي بالدارس لعلم النفس أن يعرف ويدرك تماما الأصول والظروف والمبادئ المسهمة في معرفة أسرار تحول الإنسان من كائن حي بيولوجي إلى كائن حي إجتماعي له شخصيته الفريدة التي تميزه عن غيره من الأفراد .

وبإكتشاف الميكروسكوب إنتقلت دراسة الكائن إلى مستوى آخر هو مستوى الخلية حيث ظهر علم الخلية ، ومن ثم صارت الوحدة الأساسية لتفسير دراسة السلوك هي الخلية علي أنها الوحدة البنائية للكائن الحي .

الأصول التعميمية فى العلوم البيولوجية .

تقوم العلوم البيولوجية على مجموعة مسلمات علمية وبعض « التعميمات Generalizations » التى تشكل الأساس المنهجى والفكرى لمعرفة الإنسان كوحدة بيولوجية حية ونوجز بعض هذه التعميمات فى النقاط الآتية :

أولا : تخضع الكائنات الحية لقوانين الفيزياء والكيمياء ، حيث يمكننا تفسير الكثير من سلوكيات المادة الحية فضلا عن تطبيق القوانين الطبيعية والكيميائية على النظم البيولوجية مما أدى بنا إلى الوصول إلى علم « السيبرناطيقا Cyber-netics » أى « علم الضبط الذاتى » ونعنى به فى « علم النفس » أثر الآلات والمعدات الميكانيكية على حياة الإنسان والكائنات الأخرى .

ثانيا : نظرية الخلية الحية وينادى هذا التعميم بأن كل الكائنات الحية تتكون من الخلايا ومنتجاتها من خلال النشاط الحيوى التى قمارسه ، كما أن الخلايا الجديدة تتكون بطريق الإنقسام الذى يحدث للخلايا الموجودة من قبل وهكذا

ثالثا : كل ماهو حى يأتى ويبزغ عن الطبيعة الحية ، وفى هذا يقول « رودولف فيركوف » إن جميع الكائنات الحية تظهر وتبزغ من الخلايا الحية السابقة على ظهورها بمعنى أن التكوين الذاتى للخلايا من مادة غير حية هو ضرب من المستحيل .

رابعا : جميع الخلايا الحية أصلها وأساسها محولات للطاقة بمعنى أنها تعمل على تحويل الطاقة الكيميائية الناتجة عن التمثيل الغذائى إلى طاقة كهربائية يمكن إستغلالها وبالتالي فإن النشاط النفسى ماهو إلا صورة من صور الطاقة حيث أن مانتأوله من غذاء وما نقوم به من مجهود عضلى أو ذهنى هو برهان ساطع على تحويل الغذاء إلى طاقة فكرية .

خامسا : نظرية التطور والتعميم فى العلوم البيولوجية بمعنى أن العالم أو الباحث عليه أن يقدم تفسيراً واضحاً عن علة وجود الكائنات الحية وهذه نظرية فلسفية بحتة ، ولما كانت المعرفة تراكمات على مر الزمان وتغيير المكان قام العلماء بتحليل أوجه التماثل والتقارب بين الأنواع الحيوانية وتقسيمها وتصنيفها من الناحية الوظيفية طبقا للإنتقال من البسيط إلى المعقد ومن القديم إلى الحديث بداية

من الكائنات الجرثومية ووصولاً إلى الإنسان قمة التطور وأحسن تقويم .

سادسا : التوازن الوراثى والنظرية الوراثية ، ونقصد بهذا التعميم أن كل كائن حى جديد يأتى إلى الوجود نتيجة إتحاد بويضة أنثوية مخصبة مع حيوان منوى لتكوين خلية زيجوتية تؤدي إلى وجود جنين ثم كائن حى كامل بعد ذلك ليترث صفات الوالدين بالوراثة ، وقد تكون الصفات « سائدة » أو « متنحية » طبقا لقوانين الوراثة التى إكتشفها العالم المعروف « جريجور مندل » عام ١٨٦٥ .

سابعا : الحامض الأمينى « دايوكسى نيوكليك أسيد » هو الحامل الرئيسى للمعلومات الوراثية ونقصد بهذا التعميم أن هذه الأحماض الأمينية تلعب دورا أساسيا فى نقل المعلومات الوراثية حيث يظهر كل شئ وكل صفة لدى الكائن الحى قبل الميلاد إلى أن يصبح هذا الكائن شيئا مذكورا وإنسانا كبيرا يتسم بالحركة والنشاط والتفكير والإتزان الإنفعالى .

ثامنا : تحدث التفاعلات البيوكيميائية للكائن الحى طبقا لتعليمات الجينات المتحكم فيها ونتيجة لذلك فإن أى تفاعل حيوى كيميائى يكون محكوما بنشاط خميرة خاصة يحكم نشاطها « جين » معين .

تاسعا : أولوية الفيتامينات وأسبقيتها لنشاط الإنزيمات ، أى أن العمليات الحيوية الهامة المرتبطة بالتغذية لا يمكن أن تتم بمعزل عن الفيتامينات ، ومن ثم فإن أحد التعميمات المتمثل فى الفيتامينات يعتبر بمثابة الأساس البيولوجى للسلوك لأنه يدعم نشاط هذه الفيتامينات اللازمة لجسم الكائن الحى ونموه .

وننتقل الآن إلى « مايسترو » الجسم البشرى ... ننتقل إلى مخ الإنسان لتتعرف على ما يدور فيه وكيف يعمل ؟ ومتى يتوقف عن العمل ؟

المخ البشرى عالم عجيب غريب .

فى الثلاثينيات من هذا القرن استطاع جراح المخ والأعصاب الطبيب « بنفيلد Penfield » أن يقوم بجراحة فى مخ أحد المرضى بالصرع واستخدم لأول مرة فى ذلك الوقت تيارا كهربيا بسيطا يمر فى المخ بهدف تنشيط بعض المراكز فيه ، وهنا لاحظ أن تنبيه المخ فى بعض مناطقه الحية يستثير إستجابة فى الأعضاء الجسمية

المقابلة ، كما بدأ يستخدم بعض التنبيهات لمنطقة أخرى من المخ فرأى عجباً ... رأى أن المريض يتذكر أحداثاً بعيدة كانت نسياً منسياً وهكذا أمكن للمرضي الذين يعالجون لدى « بنفيلد » أن يشعروا بوخز الإبر هنا وهناك فى أجسامهم من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى ومن أصبع إلى أصبع إلى طرف اللسان حتى أصابع القدمين، لقد كان المرضي يشعرون بأن أقدامهم ترتفع وكذلك أيديهم وأصابعهم تتحرك حركات إنسيابية ، وهنا أمكن للطبيب « بنفيلد » أن يرسم خريطة المخ البشرى ، يحدد فيه المراكز العصبية المختلفة والوظائف التى تتولاها من ناحية التوجيه الحركى والحسى والإنفعالي لمختلف أعضاء الجسم وأعصابه وفى جراحة أخرى لنفس الطبيب « بنفيلد » تطلب الأمر إزالة بعض الحبوب الدقيقة والنمش المنتشرة فى مناطق عصبية فى مخ أحد المرضي المصابين بنوبات الصرع المتزايدة والذي يؤدى إلى هياج المريض يوماً بعد يوم ، فلما أزال الحبيبات من المناطق العصبية فى المخ توقفت نوبات الصرع عند المريض .

هذه الأمثلة تكشف لنا بوضوح الآثار القوية للمخ البشرى على السلوك الإنسانى من ناحية مجال البحث الطبى ، والتحكم العلمى للمشكلات السلوكية فى عالم البشر .

وهنا نتساءل كيف يعمل المخ البشرى ؟

بداية يتكون المخ من أجزاء ثلاثة هى على الترتيب :

١ - المنطقة الخلفية: وهى التى تعرف باسم «المخيخ Cerebellum» وهو

مركز تنسيق الحركات وإنسيابها ويعتبر المنظم لهذه الحركات الإرادية ويتصل هذا الجزء «المخيخ» من أسفل بالتخاع المستطيل عبر حاجز به عدد كبير من المسارات العصبية يعرف باسم « القنطرة Bridge » .

٢ - جذع المخ : وهو الجزء الأسفل من القنطرة ويتصل بالحبل الشوكى وفيه

توجد مراكز الوظائف اللاإرادية لإستمرار حياة الكائن الحى كتنظيم ضربات القلب والتحكم فى الدورة الدموية وتنسيق ضغط الدم وضبط عملية التنفس كما يتصل بالجزء الأعلى من الحاجز أو القنطرة الجهاز الطرفى «Limbic System» ومكانه خلف الأنف. وقد يتصور البعض أنه يقوم بوظيفة الشم ولكن هناك بعض الدراسات الحديثة التى أوضحت أن بعض أجزاء من الجهاز الطرفى تقوم بالإنفعال وإثارة

الإنتباه وتنشيط الذاكرة والإستشارة الجنسية .

٣ - أما الجزء الثالث من المخ فهو مانطلق عليه المخ الجديد : ويتكون من نصفين إثنين يعرفان باسم النصفين الكرويين ويتكون نصفا كرة المخ من مادة رمادية قريبة من السطح تسمى قشرة المخ وفيها تستقر الخلايا العصبية التى تضبط الملكات العقلية العليا كالذكاء والحكم على الأشياء ، وتعتبر مناطق قشرة المخ من أهم أجزاء المخ الجديد برغم أنها لاتمثل إلا مساحة بسيطة من مادة هذا الجزء ، بينما أغلب مادة المخ الجديد هى عبارة عن مادة بيضاء تتمثل فى المسارات العصبية الداخلة إلى القشرة أو الخارجة منها .

من المسيطر فى المخ - يمينه أو شماله ؟

هناك بين نصفى المخ شق عميق يفصل كل نصف عن الآخر نطلق عليهما نصف المخ الأيمن ونصف المخ الأيسر ، ويقوم كل منهما بوظائف جسمية واحدة ولكن فى إتجاه معاكس بمعنى أن النصف الأيمن يقوم بإدارة أعضاء الجسم اليسرى والذى يتضمن الوظائف والمهام المتعلقة بالتخمين الحدسى ، كذلك مهمة الإبداع وجانب الإنفعال وإستخدام الخيال ، ونطلق عليه أحيانا إسم « النصف الحدسى » أما نصف المخ الأيسر فمهمته تنحصر فى تحريك الأعضاء اليمنى من الجسم ونطلق عليه « النصف التحليلى والعقلى » ومن ثم فإذا أصيب النصف الأيسر ببعض العطب فى المخ فإن ذلك يؤدى إلى شلل فى وظائف أعضاء الجسم اليمنى وإذا حدث هذا الشلل فى وظائف أعضاء الجسم اليسرى فإن هذا معناه أن العمل قد توقف فى بعض مناطق النصف الأيمن من المخ ، كما أن هناك وظائف يقوم بها أحد النصفين بصورة أفضل من النصف الآخر والدليل على ذلك أن اليد اليمنى تتعامل مع الأشياء بطريقة أقوى وأفضل من اليد اليسرى ومع ذلك فقد تصبح السيطرة والهيمنة أحيانا لأحد النصفين دون الآخر ولكن الشائع والسائد أن النصف الأيسر له اليد الطولى والغلبة لدى معظم البشر وهكذا ، كما أن للنصف الأيسر السيطرة من حيث ضبط مراكز الكلام والتحكم فى التفكير النقدى والتحليلى والمراكز العصبية التى تحكم نشاط الأحبال الصوتية وضبط الكلام واللسان والشفيتين ولذا فإذا

أصيب النصف الأيسر من الجسم بالشلل فإنه يؤدي إلى صعوبات كبيرة فى النطق والكلام والتحليل ، هذا ويمكن أن نعتبر النصف الأيمن من المخ البشرى لدى أغلب الناس هو النصف الساكن معظم الوقت برغم أنه يكشف عن نشاطه عند بعض الأفراد فيزيد نشاطهم وقدراتهم فى مجالات الفن والإبداع والطابع الحدسى، ومالنا نذهب بعيدا فى الفرد الواحد قد يتسم أحد النصفين بالنشاط ويبدأ النصف الآخر من المخ البشرى ، ونخرج من هذه المقولة العلمية بأن المخ البشرى يقوم بوظيفته على أكمل وجه عندما يصبح أحد النصفين نشطا والآخر ساكنا ولكن بصورة مؤقتة ، إن السيطرة لأحد النصفين لاتصبح مطلقة من دون النصف الآخر بل قد تصبح أحيانا مشتركة بين النصفين ومن ثم يوجد لدى بعض الناس من يستخدم يديه الإثنين اليمنى واليسرى بنفس المهارة .

كما أن للحضارة والثقافة التى يعيشها الفرد أثر كبير فى تحديد إتجاه السيطرة لأحد النصفين من دون الآخر فإذا قلنا مثلا بأن الحضارة الغربية من سماتها التفكير بعيدا عن الإنفعال فيمكن القول أيضا بأن الحضارة الشرقية يسودها الحدس والإنفعال والأقوال بعيدا عن الفكر والأعمال ، وفى الحضارة الغربية يتولى نصف المخ الأيسر زمام القيادة بين الأفراد بينما يتولى النصف الأيمن من المخ هذه المهمة فى الحضارة الشرقية .

وظائف المخ .

يرى علماء النفسولوجيا أن حدوث أى تهتك أو إصابة فى بعض مواقع المخ تؤثر على السلوك البشرى فقد أمكن إستثمار حالات الحوادث الطبيعية التى تحدث لبعض الأفراد فتؤثر فى وظائفهم السلوكية كالعجز عن إستخدام اللغة أمكن إستثمار ذلك فى تحديد المناطق المخية المسؤولة عن تلف هذه الوظائف وذلك عن طريق بعض الجراحات المخية ويرجع الفضل فى ذلك للطبيب الفرنسى بروكا « Broca » عام ١٨٨١ هذا وقد أجري ذات مرة الطبيب الفرنسى بروكا عمليتين جراحيتين أجراهما على شخصين أصيبا بشلل فى النصف الأيمن مع فقدان القدرة على التعبير ومن ثم لاحظ أن هناك تهتك فى بعض مناطق الجزء الأيسر من الفص

الجبهى من المخ فاستدرك المواقع المخية المستولة عن إستخدام اللغة وأصبحت تعرف هذه المنطقة باسم « منطقة بروكا » « Broca's Area » .

وبعد ذلك سار على نفس المنوال الجراحى بعض العلماء وهو ويرنك « Wernick » الذى حدد منطقة أخرى من المخ هى المستولة عن فهم اللغة المنطوقة والمكتوبة هى منطقة تتصل بمنطقة بروكا بخلية طويلة منحنية تمر بالمراكز الحسية البصرية السمعية. وقد تحدد سبب هذه الطريقة الجراحية دور كثير من مراكز المخ فى توجيه السلوك الإنسانى. ومن هنا إستطعنا أن نحدد مراكز الإنفعالات ونوبات الغضب والعدوان وأماكن الهلاوس البصرية والسمعية لدى مرضى النفوس والعقول ، ومن اليسير علينا أنه عند تحديد الأصل الفسيولوجى لجانب معين من السلوك . وهنا يمكن إستخدام هذه المعرفة الجديدة فى علاج جوانب إضطراب السلوك البشرى وإنحرافه ، ومن الجراحات التى تثير العجب فى وقتنا الحالى جراحات القصد الجبهى وهو المستول عن الجوانب العدوانية وإستخدام العنف والغضب فإن إزالته يخفض من نوبات العدوان الشديد ، وهناك طبيب ثالث هو طبيب نفسى برتغالى هو مونيز « Moniz » الذى إكتشف سنة ١٩٣٧ أن تغييرات سريعة تحدث على سلوك المرضى العقلين العدوانيين بعد إستئصال القصد الجبهى بعملية بسيطة فيتحولون إلى الوداعة والسلبية ، وليس إستخدام إزالة القصد الجبهى يؤدى دائما إلى نواح إيجابية بل هناك أيضا نتائج سلبية لإزالته من ذلك مثلا أن بعض الوظائف الأخرى المستول عنها هذا الجزء من المخ قد تتدهور وتفسد بعد إزالته ولذا نرى أن المرضى الذين عاشوا بدون قصد جبهى سرعان ما كانت تظهر عليهم علامات السلبية الشديدة والعجز عن التنظيم والتخطيط للمستقبل. ومن هنا إنجذب العلماء وجهة جديدة بديلة عن إزالة القصد الجبهى وذلك بتسجيل النشاط الكهربائى للمخ وهو أسلوب أدى نتائج مثيرة فى بحوث المخ وتحديد وظائفه النوعية .

ويسجل النشاط الكهربائى للمخ بجهاز يعرف باسم « الرسام الكهربائى للمخ » والذى يرمز له بالحروف الثلاثة الأولى « E.E.G » « Electroencephalograph » ووظيفة الرسام الكهربائى إنه يسجل الموجات الكهربائية المنبعثة من المخ بعد إثارة خلاياه وهى موجات دقيقة تعكس نشاط المخ ويساعد الرسام الكهربائى على إلقاطها على رسوم بيانية يمكن للخبير الفسيولوجى أن يقرأها وأن

يحدد طبيعة نشاط المخ وبالتالي شخصية الفرد ونشاطه .

أنماط الموجات الكهربائية المخية .

تمكن العلماء من تحديد أربعة إيقاعات أو أنماط من الموجات الكهربائية الصادرة من المخ نوجزها فى النقاط التالية :

أولاً : إيقاع ألفا « Alpha Rythm » وهذا النمط هو أول الإيقاعات الكهربائية وأسهلها فى التمييز من بين الموجات الكهربائية الأخرى وإيقاعاتها الترددية تتراوح ما بين ٧ - ١٤ دورة تردد فى الثانية ويبدو ذلك بشكل واضح وجلي عندما يكون الشخص فى حالة اليقظة أو فى حالة إسترخاء تام .

ثانياً : موجات بيتا « Beta Waves » وتتراوح ترددها الإيقاعى ما بين ١٤ - ٣٢ دورة ترددية فى الثانية الواحدة وتظهر فى الحالات العادية من نشاطنا وأثناء اليقظة .

ثالثاً : نشاط ثيتا « Theta Activity » وهذا النمط أبطأ كثيراً من النمطين السابقين ويرتبط بحالات الإدراكات الحية الخارقة إلا أن ظهوره يزداد لدى الأطفال الصغار والكبار .

رابعاً : موجات دلتا « Delta Waves » وهى أبطأ الموجات جميعها وأكثرها سعة وتظهر فى حالات النوم العميق ، ومن أهم الأمراض التى يكشف عنها جهاز الرسام الكهربائى تشخيصه حالات الصرع « Epilepsy » وهو إضطراب دورى فى الإيقاع الأساسى للمخ وله أسباب عضوية وبيولوجية وهو على ثلاث أنواع هي على الترتيب :

١ - نوبة صرعية كبرى يصرخ فيها الشخص فجأة ويدخل فى حالات تشنج وفقدان وعى وتحدث إختلاجات عضلية مع رعشة فى الجسم شديدة وزرقة فى الوجه ويتوقف التنفس بعض الوقت ويستمر الشخص فى غيبوبة مؤقتة يستيقظ بعدها فى حالة تعب شديدة وفقدان ذاكرة .

٢ - نوبة صرعية صغرى يفقد فيها الشخص وعيه لعدة ثوان معدودات مع شحوب فى الوجه وإختلاج فجائى ويعود المريض بعد ذلك إلى حالته الطبيعية .

٣ - نوبات صرعية تصيب الوظائف الحركية والنفسية وفيها يظهر على المريض وكأنه فى حلم مستمر مع إنعدام معرفة بالأبعاد الزمنية أو المكانية فضلا عن فقدان الذاكرة والدخول فى حالات شرو وصراخ وكاء وإكتئاب .
ويكشف الرسام الكهربائى عن صدور موجات كهربائية تتميز بالإضطراب والإنتشار ومدى حدوث كل نوع من أنواع الصرع كما يكشف أيضا عن الإضطرابات الشخصية والعقلية مثل الإضطراب السيكيوباتى المصحوب بموجات دلتا وثيتا فى المنطقة الصدغية ، ومن المعروف أن الموجات الكهربائية تتعرض للتغيير السريع وبعضها غير ثابت وبعضها يصعب قراءته مما يجعلنا نؤكد على ضرورة معالجة هذه الجوانب بحذر شديد .

دورات النوم والأحلام واليقظة والنشاط الكهربائى للمخ .

وعن طريق الرسام الكهربائى للمخ أمكننا إزاحة الستار والكشف عن كثير من الإبهام والغموض الذى يكتنف ظاهرة النوم كما أمكن لبعض الباحثين أن يحددوا المراحل التى يمر بها النائم فى نومه عن طريق المتغيرات التى تحدث فى موجات المخ وأن يحددها بمراحل خمس هى على الترتيب :

١ - مرحلة الإسترخاء : ويتميز بظهور ألفا .

٢ - مرحلة بداية النوم : وفيها تختفى ألفا والنوم الخفيف وتتميز هذه المرحلة بوجود موجات تتناوب الظهور فيها بينما كلما دخل الإنسان فى مراحل عميقة من النوم تظهر ذبذبات ثيتا « Theta » .

٣ - مرحلة النوم الخفيف : وتتميز بوجود موجات تتناوب الظهور فيما بينها كلما إتجه النوم إلى العمق .

٤ - مرحلة النوم العميق : وتتميز بذبذبات ثيتا ودلتا .

٥ - مرحلة النوم العميق جدا : وهنا يرسم الرسام الكهربائى ذبذبات دلتا لبطيئة غير المنتظمة وهى شبيهة الحال حينما يكون الشخص فى غيبوبة أو حالة تخدير ، والمعروف أن الشخص يدخل فى النوم العميق قبل منتصف الليل أى أنه يصل إلى المرحلتين الرابعة والخامسة ثم يشرع بعد ذلك فى الدخول فى مرحلة جديدة يزداد عدد هذه الدورات فى الأشخاص الذين يعانون من مرض نفسي أو

إضطراب عقلى بالرغم من أن نمط المراحل وما يستغرق كل منها ويعتبر ثابت إلى حد ما عند الفرد الواحد

ومن ثم يري سيجال « Segal » أن إرغام بعض الأطفال على النوم مبكرا لا ينجح دائما إذا أردنا تكوين عادة النوم المبكر لديهم ، ومن ثم لا يحدث أن نذهب للنوم جميعا فى وقت واحد . أما عن علاقة الرسام الكهربائى للمخ بنشاطاته أثناء الأحلام فقد أوضحت بعض الدراسات عن حقائق لاتقل أهمية من حيث تفسير الأحلام .

هذا وتحدث الحركات السريعة فى العين فى المرحلة الأولى من النوم والتي نسميها باسم مرحلة النوم المتناقض أو السريع « Rapid Eye Movement » لأن الجسم يكون فيها نائما ولكن النشاط الكهربائى للمخ مازال مستمرا فى الكشف عن الإيقاعات الكهربائية كالتي تحدث أثناء اليقظة .

ومن الأساليب الحديثة التى ساعدت على إكتشاف بعض الجوانب المجهولة فى المخ أسلوب الإثارة الكهربائية له وذلك بتوجيه تيار كهربى خفيف للمناطق المختلفة من المخ وعن طريق هذا الأسلوب أمكنه إكتشاف مناطق الإحساس بالألم واللذة .

وذلك يذكرونا بالتجربة التى أجراها جيمس أولدز « G . Olds » على مجموعة من الفئران علمها كيف تضغط على مفتاح مثبت فى الصندوق الذى يعيش فيه الفأر وعند الضغط ينبعث تيار كهربائى خفيف يؤدى إلى إثارة مراكز اللذة فى مخ الفأر خلال أقطاب كهربائية مثبتة بفرقة الرأس ، وعندما أدركت الفئران العلاقة بين الضغط على المفتاح والشعور بالسعادة أخذت تسرع لهذا المفتاح وتحاول الضغط عليه لما يقرب من سبعة آلاف مرة فى الساعة الواحدة رغبة فى النشوة والسعادة التى يجلبها هذا المفتاح وكأنه مفتاح السعادة . وفى أيامنا هذه وبعد ثورة علمية ومعلومات مكثفة فى هذا المجال يمكننا إثارة المخ كهربائيا بطريقة « الریموت كونترول » أى التحكم الآلي عن بعد وبهذه الطريق أمكننا التحكم فى مرضى العقول ومضطربى النفوس حين يتعرضون لتويات من الجنون والغضب فإذا ضغطنا على المفتاح يتم فورا الانتقال من حالة الغضب إلى الإسترخاء واللذة وإن كان هذا يتنافى مع بعض الإعتبارات الأخلاقية فى العلوم الإنسانية .

جهاز اتصالات شبكية يعمل بداخلنا .

ذكرنا في الصفحات السابقة أن المخ البشرى يعتبر كعضو أو أعضاء مستقلة يضمها الكائن الحى وهنا يجب أن نذكر أن المخ أحد جزئين رئيسين من الجهاز العصبى « Central Nervous System » أما الجزء الآخر فهو النخاع الشوكي وهناك جزء رئيسي ثاني من الجهاز العصبى يطلق عليه علماء وظائف الأعضاء الجهاز العصبى الطرفى :

« Peripheral Nervous System » ويتولى هذين الجهازين - المركزى والطرفى - توجيه أعضاء الجسم المختلفة بحيث تصبح فى حالة تفاعل وتناغم مع البيئة الداخلية والخارجية ولا يحدث ذلك إلا من خلال جهاز شبكى هائل من الخلايا العصبية، والواقع أن الخلية العصبية هى الخلية الأساسية فى الجهاز العصبى ويحتوى الجسم البشرى على مايقرب من ١٠ - ١٥ بليون خلية وتأخذ كل خلية شكل محور عصبى يتراوح طوله من قدمين إلى ثلاثة وينتهى لكل طرف من طرفيه بزوائد قصيرة تطلق عليها شجيرات ، إن مهمة أو وظيفة الخلية توصيل السيالات الكهربائية الحسية إلى المخ ويصدر المخ بناء على هذا إستجابته التابعة منه وصولا إلى الخلايا الأخرى الحركية ثم تنتقل عبر المسارات الحركية إلى الأعصاب الحركية .

كما أن وظيفة الجهازين العصبيين- المركزى والطرفى- القيادة الرئيسية لتوجيه الرسائل القادمة من العالم الخارجى إلى كل الأعضاء الجسمية لكى يقوم كل منها بدوره ، والواقع أن الخلايا العصبية لا تتحول إلى خلايا جديدة وماينتج عنها لايزداد عدده إلا أن بعض الخلايا تنتهى وتهلك كلما تقدم العمر ، كما يتولى الجهازان العصبيان القيام بالعمليات اللاإرادية مثل الهضم والتنفس ودقات القلب كما أن للجهاز العصبى الطرفى وظيفة إضافية حيث يعتبر بمثابة جهاز الطوارئ الذى يتولى إلتقاط إنذارات الخطر مبكرا وكل هذه الوظائف الأخيرة تتم بشكل آلى ويقوم بها الجهاز العصبى المستقل أو الذاتى أو اللاإرادى .

الجهاز العصبى المستقل .

يعتبر هذا الجهاز العصبى المستقل أشبه شئ « بالترموستات » الموجود فى

ثلاجة المنزل والذي يعمل على تشغيلها آليا عندما ترتفع درجة الحرارة أو البرودة عن المعدل المطلوب، ويطلق عليه اسم جهاز الطوارئ لأنه يقوم بعدة وظائف مثل الهضم والتنفس ودقات القلب وإفرازات الغدد ويستمر عمله في الإنسان سواء في حالات اليقظة أو النوم ويتصل الجهاز العصبى المستقل بالمنع ويخضع لشروطه وتنظيماته ولكنه من حيث وظيفته ينقسم إلى قسمين ليسير في وظيفتين هما: الوظيفة الاستشارية « السمبتاوية » وهى التى تقوم بإثارة الجسم وأعضائه المختلفة فى الخطر أو الإثارة ، أى أنها تستجيب فى مواقف الخطر كما أنها تستشير الوظيفة السمبتاوية للرئتين فتجعل التنفس سريعا ومتلاحقا .

أما الوظيفة الثانية بالجهاز العصبى المستقل فنطلق عليها الوظيفة الباراسمبتاوية التى تعمل بتناسق كامل مع الوظيفة الإستشارية ، مثال ذلك إذا كانت الوظيفة الإستشارية تحفز للفعل فإن الوظيفة الباراسمبتاوية تحاول أن تقلل من الفعل الزائد .

وتوجد نظرية ينادى بها عالم النفس الإنجليزى المعروف « إيزنك » تثبت أن بعض الأفراد لديهم نشاط فى إحدى الوظيفتين أكثر من الأخرى، ومن رأيه أن الأشخاص الذين يولدون ولديهم زيادة فى الوظيفة السمبتاوية هم طائفة من الأشخاص يسهل إستشارتهم إنفعاليا وتسيطر عليهم المخاوف المرضية ، أما فى الحالات الخفيفة فيوجد منهم الإنطوائيين الذين يتجنبون اللقاءات الإجتماعية وتزداد حساسيتهم للنقد والحجل ويجب أن نقرر أنه حدث فى السنوات الأخيرة تطورات جعلتنا نتحكم إراديا فى الوظائف الإستشارية من هذا الجهاز العصبى ، وهناك العديد من البحوث العلمية التى أجريت على الحيوانات والإنسان توضح أننا فى إمكاننا أن نسرع أو نبطئ من ضربات القلب ويمكننا أن نرفع إراديا من ضغط الدم أو نخفض منه ، كما أن هناك تقارير أثبتت أن تدريب الفرد على ممارسة الإسترخاء العضلى مثلا يساعد على تخفيض الدم وبالتالي إزالة التوتر والإرهاقات العصبية .

وظيفة الأجهزة العصبية .

لو أننا قمنا بتناول دبوس إبرة ووخدنا به طرف أحد الأصابع فإننا نقوم بحركة سريعة لسحب اليد وتجنب هذه الوخزة ، وما حدث هو أن الجهاز العصبى قام

-٤٩-

بوظيفتيه الرئيسيتين وهما الإحساس أو الشعور بالمنبهات الخارجية والاستجابة الملائمة لها وذلك فى فترة بسيطة لاتتجاوز أجزاء صغيرة من الثانية وفى الحقيقة أن المنبه الخارجي قد إستثار مجموعة من الأعصاب المنتشرة فى كل الأعضاء الحسية ونعنى بها الأعصاب الحسية المستقبلة إلى الجهاز العصبى المركزى أى إما إلى المخ أو الحبل الشوكى وفقا لطبيعة الإستجابة المتوقعة ، ويطلق على هذه العملية القوس الإنعكاسي « Reflex Arc » وقوامها عناصر ثلاثة تتكون من المنبه الحسى والجهاز العصبى والإستجابة السلوكية ، وهنا يمكن القول بأن الجهاز العصبى يعمل من خلال الأعصاب التى تتولى عمليات الإستقبال وتحس بالمنبهات الخارجية وتحولها إلى رموز أو إشارات عصبية وتنتقل المعلومات المقدمة من الأعصاب المستقبلية إلى المراكز الملائمة فى المخ الذى يتولى فرزها وفحصها من خلال مجموعة الأعصاب المعروفة باسم الأعصاب الداخلية .

طرائق ضبط السلوك بيولوجيا وكيميايا .

أولا : العقاقير الطبية .

ونقصد بها مجموعة مركبات كيميائية أو أعشاب يستخدمها الإنسان لإزالة ألم من الآلام كآلم الأسنان أو آلام المعدة وهذه العقاقير بشكلها الخام كانت معروفة لدى القدماء من الفراعنة والرومان واليونان والأشوريين والبابليين، فلقد كان بعض أفراد هذه الأمم يتعاطون مثل هذه النباتات فتنتقلهم من حال إلى حال وصولا إلى المرح والسرور وفى الأزمنة السحيقة والعصور الوسطى والحديثة أيضا كان بعض الكتاب والأدباء والفنانين يتعاطون ما يشبه الأفيون والحشيش ظنا منهم بأن هذه العقاقير هي بمثابة الإلهام الذى يوحى إليهم بقرض الشعر أو كتابة قطعة بلاغية بليغة أو رسم لوحة ذات جمال خلاب ، أو لحن موسيقى يشنف الأذان أو أغنية حماسية يطرب لها الوجدان ، وفى هذا العقد الأخير من قرننا الحالى نرى الكثير من الأشخاص الذين يلهشون جريا ويتكالبون سعيا على تعاطى الكوكايين أو شمه والهروين وغيره من المشتقات البيولوجية والكيمائية فى دنيا العقاقير الطبية

والتي تؤثر بدورها فى السلوك البشرى. إن التقدم الطبى فى مجال تخليق أو صناعة العقاقير الطبية قد أدى إلى صناعة عقاقير تعمل على ضبط النشاطات الحركية والحسية والوصول إلى عقاقير أخرى تؤثر فى الذكاء والتذكر والإبداع سلبيًا أو إيجابيًا. فهناك الطبيب الأمريكى اليكسندر شولجن «Shulgin» يرى أن تطوير عقار ما من العقاقير السابقة يؤدى بدوره إلى مساعدتنا على التفكير الإبداعي عن طريق تأثيره فى بعض أجزاء مراكز المخ ، ونذهب الآن إلى توضيح أنواع العقاقير البيولوجية والكيميائية ومدى التأثير التي تتركه فى نفوسنا وأبداننا وهى كالآتى :

١ - : العقاقير المسكنة « Inhipiting » .

وهى تلك العقاقير التي يسمح بها الأطباء النفسيون ويصفونها لمرضاها فى الحالات التي تستدعى ذلك مثل حالات القلق والأرق والتوتر العصبي. ومن هذه العقاقير «الفاليوم» وكل العقاقير المنومة وكذلك الخمور والكحوليات. إلا أن هذه الفئة الأخيرة تؤثر تأثيرا ضارا على المخ والكبد والجهاز العصبي لأنها تعمل على كف مراكز الإستشارة فى الجهاز العصبي بل إن بعض أنواع الخمور والكحوليات إذا كانت تؤخذ على سبيل الإدمان فإنها تؤدى إلى الهلاك والموت .

٢ - : العقاقير المخدرة « Narcotics » .

وهى مثل الحشيش والأفيون والهرويين والكوكايين ولها تأثيرها الضار فى الجهاز العصبي المركزى الباراسمبتاوى. ويتعاطاها الناس بهدف تسكين الألم إلا أن كثرة تعاطيها تؤدى إلى الإدمان وهو مشكلة نفسية واجتماعية وقومية فى حد ذاتها .

٣ - : العقاقير المهدئة « Tranquilizers » .

وهى العقاقير التي من شأنها تقليل مستويات التوتر والقلق ولا تؤثر فى

الوعى أو الإنتباه ولا تؤدي إلى غيبوبة أيضا. ولكن أثرها ينصب على « منطقة الهيپوثلاموس » والأجهزة التى تتحكم فى الإنفعالات القوية كالخوف والقلق. ومن أمثلة هذه العقاقير « الفاليوم والليبريوم » .

٤ - : العقاقير المنبهة « Stimulants » .

ومن أمثلتها مادة الإمفيتامين والكافيين والبنزدرين ومن آثار هذه العقاقير إثارة الجهاز العصبى وأن يظل الشخص فى حالة وعى تام من اليقظة والنشاط .

٥ - : عقاقير الهلوسة « Hallucinogenes » .

ويلعب هذا النوع من العقاقير دورا كبيرا فى تغير مشاعرنا وأحاسيسنا بالأشياء وإدراكنا للعالم ومن أهمها الكوكايين والسكرالين ويبلغ تأثيرها على الوعى لدرجات خطيرة حتى يعتقد الشخص أنه فقد إترانه وكأن جسمه قشة فى مهب الريح راحت فى جوف الفناء والعدم ، إن الإسراف فى تعاطى الكحوليات والخمور قد يؤدي إلى تدهور خطير فى الوظائف العقلية العليا ويصل صاحبه إلى درجة الجنون. فعلى سبيل المثال وجد أن أثر : الماريجوانا من الناحية الإدراكية ، التشوه الإدراكي البصرى وخلل فى الإحساس بالبعد الزمانى والمكانى والهلوس السمعية والبصرية .

وحماذى القول أن هذه العقاقير جميعها بكل أنواعها وخصائصها تؤدي بنا فى نهاية المطاف إلى حالة من المرح والسرور نفسيا وإجتماعيا أو تقليل الألم بسبب مرض من الأمراض المؤلمة أو بلوغ قدر من اليقظة والوعى. لكن يبقى أن نقول إن ممارسة تعاطى هذه العقاقير قد لا تؤدي إلى شفاء الكثير من المرضى والمضطربين نفسيا وتعساء الحظ والعاطلين والمنبوذين والمنحرفين ، إنهم يتعاطونها ولكن أمراضهم واضطراباتهم تظل كما هى غير قابلة للعلاج ... لماذا ؟

لأن العقاقير لا تعالج المشكلات النفسية والإجتماعية ولكنها تحقق حيلة هروبية تبعدهم عن حل المشكلات ، كما أن عقارا كعقار الحشيش مثلا قد يؤدي بالواحد منهم أن يشعر بالبهجة والسرور بينما يصبح أثره لدى شخص آخر الإحساس

بالإغتراب والإكتئاب والحزن الشديد، وبالمثل فإن عامل الإدمان وتعاطى المهدئات كالقاليوم والمخدرات يؤدي إلى ظهور مشاكل جديدة بشكل أقوى وأشد ، وعموماً فإن الإسراف في تعاطى كميات أكبر من العقار يؤدي بالفرد إلى نفس النتيجة التي كانت تشبعه كمية بسيطة في بداية التعاطى ، إن الآثار الجسمية والنفسية لكثير من العقاقير تؤدي على المدى الطويل إلى حالات الجنون والشروء والسرطان واللاوعي وعدم التحكم في البول فضلاً عن تليف الكبد .

ثانياً : الغدة الصماء وغير الصماء .

هناك مجموعة عضوية أخرى تعمل في تناغم مع الجهاز العصبي ونقصد بها الغدة الصماء وغير الصماء حيث أن الغدة غير الصماء هي التي تفرز هرمونات خارج الجسم ومن أمثلتها الغدة العرقية والغدة الدرقية والغدة الكظرية ، أما الغدة الصماء فهي التي تتصل بالأوعية الدموية وتصب هرموناتها في الدم مباشرة وتؤثر في سلوكنا وسلوكنا البشري ،

ومن أهم وظائف الغدة الصماء وغير الصماء الرئيسية إفراز الهرمونات التي تقوم بدور فعال في تحقيق توازن وظائف الجسم ونموه خلال مراحل النمو المختلفة ، ومن وظائف هذه الهرمونات نمو الجسم وعمليات الهدم والبناء وضبط السلوك الإنفعالي ونمو الخصائص الجنسية الثانوية لدى الشخص والتوازن بين مختلف العمليات الجسمية ،

ومن الغدد ست يقوم كل منها بدور خاص ليكمل وظائف الغدد الأخرى بهدف التكامل والتناغم والإتزان الوظيفي البيولوجي وهذه الغدد نجملها كالآتي :

١ - الغدة النخامية : « Pituitary Gland » .

ويطلقون عليها سيدة الغدد وتقع بين ثنانيا الأجزاء المركزية للمخ ويؤدي هرمونها إلى دور خاص وهو مسئول عن نمو الجسم في السنوات الأولى من العمر وقللة هرمون هذه الغدة يؤدي إلى القزامة أما زيادته فتؤدي إلى العملاقة .

وفي مرحلة البلوغ تقوم الغدة النخامية بوظيفة هامة حيث تفرز أيضاً هرمونا

آخر يعمل على تنشيط الغدة الجنسية وإفراز اللين عند الأم بعد الولادة . ويعتقد بعض العلماء أن إفرازات الغدة النخامية لا تحدث إلا عن طريق الهيبوثلاموس وهو أحد أجزاء المخ المتوسط. هذا وقد إزداد الإهتمام العلمى فى العقد الأخير من هذا القرن بمنطقة الهيبوثلاموس الموجودة بالمخ لأن هذه المنطقة هى التى تعمل على إثارة الأعصاب السمبتاوية واللا سمبتاوية واليقظة والنوم وضغط الدم وفتح الشهية للأكل أو عدمها ، كما أنه من المعروف أن الهيبوثلاموس هو الذى يتحكم فى النشاط الجنسي وتدل التجارب العملية على أن إثارة هذه المنطقة فى الحيوان أو الإنسان تشير مراكز اللذة الجنسية فتدفع الكائن الحى إلى الرغبة فيها .

٢ - الغدة الدرقية « Thyroid Gland » .

تتكون من فصين على جانبي القصبة الهوائية وهى المسئولة عن عملية الأيض « Metabolism » وهى تلك العملية التى تقوم خلايا الجسم من خلالها بتمثيل المواد الغذائية وتحويلها إلى طاقة أو خلايا جديدة .
إن زيادة إفرازات الغدة الدرقية لهرموناتها يؤثر فى تفكيرنا وإدراكنا وإنفعالاتنا وبالتالى فى سرعة عمليات الهدم والبناء فى الخلايا وزيادة ضغط الدم وعدم الإرتزان الإنفعالى ، وأما عن قلة إفراز هرمونها الدرقي فيصيب الشخص بتساقط الشعر والشعور بالبرودة واللامبالاه والكسل ويطء معدل النمو وجفاف الجلد وقصر القامة وتسمى هذه الأخيرة بالقصاع .

٣ - الغدة جارات الدرقية « Parathyroid Gland » .

تقوم بإفراز هرمونات تعمل على ضبط عمليات تمثيل الكالسيوم والفسفور وتكوين العظام .

٤ - الغدة البنكرياسيةقوم مكانها وراء المعدة ومن أجزائها جزء هام يعرف باسم « جزر لانجرهانز » الذى يفرز هرمون الأنسولين المنظم لإستهلاك السكر فى الدم

والتحكم فيه ، إن نقص هذا الهرمون يؤدي إلى مرض السكر الذى يعالج بمادة الأنسولين .

٥ - الغدتان الأدريناليتان .

ومكانهما فوق الكلية ويعملان على تنبيه الجهاز العصبى السمبتارى وهاتان الغدتان تفرزان هرمونين هما « الأدرينالين والنورأدرينالين » وهما اللذان يضبطان إستجابات الجسم ويتحكمان فى المواقف الإنفعالية الطارئة بصورة إيجابية مثل تنظيم ضغط الدم ومقاومة التعب وتنظيم ضربات القلب وزيادة إفرازات السكر فى الجسم فى المواقف الحرجة .

الغدتان الجنسيتان

ويتكونان من الخصيتين عند الذكر. ووظيفتهما إفراز الحيوانات المنوية والمبيضين عند الأنثى. ووظيفتهما إفراز البويضات الأنثوية وليس هذا فقط بل لكل غدة منهما ساعات مميزة لدى كل نوع منهما كخشونة الصوت ونمو شعر الشارب. واللحية عند الذكور. وكذلك نمو الأعضاء التناسلية ، ومن خصائص هذه الغدد لدى الإناث تكوين الثديين وتنظيم الدورة الشهرية .

الفصل الثالث

الانتباه والإدراك الحسي .

- * مؤثرات الانتباه .
- * الإدراك الحسي كعملية عقلية تخيلية .
- * عوامل تنظيم عملية الإدراك الحسي .
- * العوامل الذاتية المؤثرة في الإدراك الحسي .

الإنتباه والإدراك الحسى

بداية علينا أن نفرق بين «الإنتباه» و «الإحساس» و «الإدراك» فنقول نعى بالإنتباه توجيه شعورنا نحو شئ ما فى البيئة الطبيعية أو الإجتماعية التى نعيش فيها ووظيفة الإنتباه تكمن فى الإرتياد والتحسس والتمهيد للإدراك كعملية عقلية هذا عن الإنتباه «Attention» أما عن الإحساس «Sensation» فهو عملية التأثير النفسى الناتجة من تنبيه حاسة من الحواس الخمس ، ووصول هذا الأثر إلى مركز الحس فى المخ كإحساسنا بألوان زاهية أو أصوات عالية أو روائح زكية أو مذاقات شهية أو ملمس ناعم .

أما عن الإدراك «Perception» فنقصد به عملية تفسير وتأويل مانحس به فى عالمنا الخارجى أو الداخلى من أشياء أو أشخاص مثل إدراكى لشئى لامع مستدير وقع منى على الأرض فأدركه على أنه إحدى العملات المعدنية أو إدراكى لشخص يتحدث بصوت عالى على أنه رجل يتشاجر ، هذا ولإنتباه أنماط ثلاثة هى : الإنتباه الإعتيادى ، والإرادى ، والإلإرادى ونتحدث عن كل نعط بشئ من التفصيل فنقول :

أولا : الإنتباه الإعتيادى Habitual Attention

هو نوع من الإنتباه تعودنا عليه وألفناه حتى صار عادة مكتسبة من خبرة سابقة لدينا أدت بنا إلى تحديد موقف معين إستجبنا له بمثل هذا النوع من الإنتباه ، فهذا طالب جامعى يجهد فكره ، ويشحذ همته بهدف تركيز إنتباهه فى فهم وإستيعاب موضوع هام من موضوعات علم النفس الفسيولوجى ، وقد يترك هذا الموضوع ويمسك بقصة أدبية أو صحيفة سياسية ويركز إنتباهه فى سهولة ويسر ليقرا هذه القصة أو الصحيفة دون بذل مجهود ذهنى ، فلو أن فلاحا ونجارا وطيبيا ساروا فى غابة كثيفة من الأشجار الباسقات والأعشاب المتنوعة لرأينا أن الفلاح يركز إنتباهه فى نوعية التربة الزراعية لهذه الغابة وكيف تروى بالمطار وأنها صالحة لزراعة بعض المحاصيل بين الأشجار ، كما يركز النجار إنتباهه نحو كيفية الإستفادة من هذه الأخشاب بعد قطع هذه الأشجار وإستخدامها فى صناعة الأثاث

والأبواب والشبابيك ، بينما يركز الطبيب إنتباهه نحو ما يوجد بكثرة من الأعشاب الطبية المفيدة فى شفاء بعض الأمراض وهكذا « كل يغنى على ليلاه » كما يقولون وأن كلا من الفلاح والنجار والطبيب ينتبه ويهتم بالشئ من زاوية تخصصه .

ثانيا : الإنتباه الإرادى « Voluntary Attention » .

فى هذا النوع من الإنتباه نحن أحرار فى توجيه أو تركيز إنتباهنا كما نريد ونبغى حيث يحتاج هذا النمط من الإنتباه إلى مجهود شعوري فقط فالجالس أمام التليفزيون يركز إنتباهه نحو مباراة كرة القدم يشغف ومتعه ليرى الفريق الرياضى القوى وكيف ينتصر على خصمه ، ويتطلب دوام هذا النوع من الإنتباه وقتا طويلا وجود دافع قوى لدى الفرد لكى يستمر فى إنتباهه هذا .

ثالثا : الإنتباه اللاإرادى « Involuntary Attention » .

هذا النوع من الإنتباه لا يحدث إلا فى المجالات الإضطرابية ، كأن نسمع فجأة صوت صدام سيارتين فى الشارع ، أو صوت جسم ثقيل إرتطم بأرض ، هنا يصبح إنتباهنا قسرا أو غصبا أى بطريقة لاإرادية، وهذا النمط من الإنتباه لا يحتاج منا إلى أى مجهود حسى أو شعورى ، إنه يحتاج فقط إلى مجهود كبير لنسيانه أو إهماله لكى ننصرف نحو ما يفيدنا من عمل نافع والتركيز فيه .

مؤثرات الإنتباه .

هناك عدة عوامل تؤثر فى حدوث الإنتباه منها عوامل خارجية وأخرى داخلية :

١ - العوامل الخارجية .

هناك علاقة قوية بين العوامل والأحوال المرتبطة بالمنبه وقوته ، ومن هذه

الأحوال مايلى :

أ - نوع المنبه : ونعنى به هل المنبه سمعى أو بصرى ؟ وإذا كان المنبه

سمعيا فى شكل سماع موسيقى أو غناء أو قصيدة شعرية ، يصبح المنبه قويا إذا

كان الكلام به قافية أو مسجوعا أو يتخلله بعض المصطلحات الإنجليزية مع تنوع الصوت ، أما إذا كان المنبه بصريا فإن إثارته تكمن فى الصورة أكثر وأكبر من الكلمات كما أن الصورة الملونة تصبح أكثر إثارة من الصورة العادية وهكذا .

ب - مكان المنبه : أثبت التجارب أن المنبه كلما كان قريبا من العين أو الإذن كان أكثر إثارة وقوة للمشاهد أو المستمع ، فالإعلاطات المضئية بالنيون التى تقع على مقربة من المشاهد أو على يمينه عادة ما تكون أكثر إثارة وقوة من تلك التى تقع بعيدا عن المشاهد أو على يساره وبالمثل كل منه يقع فى مواجهة الأذنين مباشرة يصبح أكثر إثارة وأثرا للمستمع ومن المنبه البعيد أو الخافت .

ج - قوة المنبه : من المعروف أن المنبه القوى الشديد أكثر إثارة من المنبه الضعيف الرقيق ، إن صفارة بعض قطارات الديزل التى تتميز بقوة صوتها وشدة هديرها أفضل بكثير لتنبيه العابرين والمسافرين من الصفارات الضعيفة أو المتقطعة. وبالمثل فإن لافتات المحلات العامة المضاءة بأضواء أو أنوار مبهرة أكثر إثارة من الأضواء الخافتة. كما أن رنين جرس المدرسة فى الصباح أكثر قوة وإثارة من رنين جرس باب المنزل بالنسبة للطلاب .

د - إختلاف المنبه : من الثابت علميا أن إختلاف أو تغيير طبيعة المنبه من زيادة قوته أو نقص فى شدته يؤدي بنا نحو إثارة الإنتباه سواء فى مجال الصوت أو الضوء ، فالمحاضر الذى يغير من نغمات صوته ويتباين الصوت إرتفاعا وإنخفاضا لديه يشد إنتباه المستمعين من طلابه ومن الأفراد الآخرين ، كما أن الأضواء المرتعشة التى تضيئ حيناً وتنطفئ حيناً آخر تصبح هى الأخرى أكثر إثارة للإنتباه .

هـ - حركة المنبه : ومن الخصائص الهامة للمنبه حركته فقد وجد أن الحركة الحاطفة الفجائية كالطلقة السريعة ، فى فصل دراسى أو أثناء درس دينى تشير إنتباه الطلاب أو الجالسين فى المسجد أو دور العبادة الأخرى ، وبالمثل فإن الأضواء المتحركة فى دائرة تشير إنتباه المارة فى الشوارع أو الطرقات .

-٥٩-

و - **حجم المنبه** : لاشك أن الشيء الأكبر حجما يشير الإنتباه بشدة عن الأصغر حجما ، خذ على سبيل المثال ، فى منطقة الأهرامات بالجيزة يرى الزائر أولا الهرم الأكبر « هرم خوفو » لأنه أكثر إثارة للإنتباه عن الأهرامات الأخرى كما أن الإعلانات التجارية والصناعية الكبيرة الحجم والمجسدة الشكل ، تشد الإنتباه أكثر وأسرع من تلك الإعلانات الصغيرة فى حجمها .

ز - **الأعادة والتريد** : إن إعادة وتريد الصوت أو الصورة للمنبه يشير إنتباه الناس ، ومن ثم فإن إعلاننا عن قيام أو وصول إحدى الطائرات بصورة معادة أكثر من مرة وبطريقة ترديدية أجدى وأنفع للمسافرين عن الإعلان الذى لايعاد أو يتكرر .

ح - **معاصرة المنبه وغرابته** : لو أن فردا من الأفراد زار مدينة لندن لأول مرة فإن بعض معالم هذه المدينة سوف يشد إنتباهه بشكل غريب لما يراه من غرابة وحداثة وعصرية فى هذه المدينة مثل حديقة هايدبارك وميدان الطرف الأغر ومطار هيثرو ومحلات إخوان فايد « المصرية » محلات « هارودز سابقا » . وكما يقولون « لكل جديد رهبة » والرهبة هنا هى نوع من شدة الإنتباه الضاربة فى أغوار الدهشة والإستغراب .

٢ - العوامل الداخلية .

ومن عوامل الإنتباه الداخلية ، العوامل التالية :

أ - **العوامل العضوية** : وهى تتمثل فى الحاجات الفيسيولوجية ، فالشخص الظمآن السائر فى الصحراء يحسب كل سراب ماء ، ويرى فى الأفق البعيد أن التلال والكتبان الرملية أشياء أشبه بالمجارى المائية والجائع لاينتبه إلا إلى الطعام .

ب - **العوامل الذهنية** : فالشخص الجائع لايفكر إلا فى الطعام والتاجر

-٦٠-

لا يشغل باله إلا المكسب السريع والمحامى لا يؤرقه أو يقلقه إلا الحصول على البراءة لموكله والأم الحنون النائمة بجوار طفلها شديدة الحساسية لكل صوت يصدر من الطفل بينما الأصوات الأخرى لا وزن ولا أهمية لها عندها .

ج- الميول المكتسبة: تلعب ميولنا المكتسبة دورا كبيرا فى إثارة إنتباهنا نحو مآثره من أشياء أو أشكال أو أشخاص .

د - الدوافع الهامة : فمثلا يؤدي دافع التملك بالشخص نحو جمع المال وإدخاره بصورة مستمرة للإنتباه إلى دنيا التجارة والعقار والأطيان وكل الفرص الإستثمارية لحيازة أكبر قدر من الملكية والتملك .

الإدراك الحسى .

لعل أفضل تعريف للإدراك الحسى هو تعريف الدكتور/ محمد عثمان نجاتى . فى كتابه «علم النفس فى حياتنا اليومية» نقصد بالإدراك الحسى عملية يتم بها شعورنا بالبيئة المختلفة المحيطة بنا وبأنفسنا عن طريق تنظيم وتفسير الإحساسات المختلفة التى تمدنا بها حواسنا المختلفة ، إن الإدراك الحسى عملية نشيطة لا توجد فيها مطابقة تامة بين المنبهات الخارجية التى تؤثر فى حواسنا وبين ما ندركه وإنما يحدث فيها تغيير وتنظيم للإحساسات التى تمدنا بها الحواس بحيث تدرك شيئا منظما له معنى ، إننا لاندرك موجات ضوئية أو موجات صوتية أو روائح أو طعوم ، وإنما ندرك أشياء لها حجم ولون ورائحة وملمس خاص كما ندرك العلاقات بين هذه الأشياء وكثيرا ما يحدث أننا لاندرك بعض الأجزاء فى الموقف التنبيهى أو نغيرها بطريقة ما بحيث يصبح له معنى. إن ما يحدث فى حالات الخداعات « Illusions » المختلفة ماهى إلا أمثلة للتنظيم الذى يحدث فى عملية الإدراك الحسى فى الإدراك الحسى الإنتقاء للتنبيهات الحسية تم تنظيمها فى سياق « Context » ذى معنى وهاتان العمليتان الإنتقاء « الإختيار Selection » و « التنظيم Or-ganization » هما العمليتان الرئيسيتان فى عملية الإدراك الحسى .

ويدون هاتين العمليتين لايحدث إدراك حسي ومن ثم فالإدراك عملية عقلية أولا وقبل كل شيء. عملية تقوم على التفسير والتأويل ... وتأويل المشاعر والأحاسيس وتأويلا يزودنا بمعلومات وبيانات جديدة يذخر بها عالمنا الخارجى وما به من أشياء وأشخاص ونبات وحيوان ، والآن وأنت تقرأ هذه الصفحة تسمع أصوات سيارات وزغاريد سيدات وطلقات نارية وصيحات مرحة مدوية ... وهنا يحدث تنظيم للإحساسات وإختيار للتنبيهات وتأويل كل هذه المعلومات والآمارات إلى « موكب فرح لعروسين ، وحفل رباط مقدس بين إثنين » .

إن عملية التفسير أو التأويل تعتمد إلى حد كبير على خبرتنا الماضية، فالطفل الذى يشاهد الزهور لأول مرة فى الحديقة فبالرغم من إحساسه بجمالها وشكلها ولونها ، إلا أنه لايعرف لها معنى ، فإذا أخبرته مدرسته أو والده بأن هذه زهرة فإنه سيمر لإحساسه معنى ومغزى عندما يشاهد هذه الزهرة مرة أخرى ، لذا فإن الخبرة والتعلم هما الركيزتان اللتان تجعل الشخص يترجم ما أحس به من العالم الخارجى إلى معنى ينسجم مع الأشياء المدركة والحق نقول أنه كلما زادت خبراتنا وتراكمت معلوماتنا من التعلم كلما زاد إدراكنا ثماء وثراء .

الإدراك الحسى كعملية عقلية تحليلية .

لما كان الإدراك الحسى عملية عقلية متشابكة الجنبات يكتنفها الغموض والتعقيدات بما تحويه من عمليات حسية ورمزية وإنفعالية لما كان ذلك كذلك ، وجب علينا أن نقوم بتحليل هذه العملية العقلية فنقول :

أولاً : العمليات الحسية : يشمل الإدراك الحسى تنبيه الخلايا المستقبلية بالمنبهات الحسية الواقعة عليها من عالمنا الخارجى وهنا لايركز الإدراك الحسى على أحدى الحواس منفردة ، بل إنه ينبه مجموعة حواس فى وقت واحد مثال ذلك نحن لاترى الشئ فقط فى حد ذاته ، بل نراه ونسمعه ونشمه ونتذوقه وقد نلمسه أيضا ، إن رؤيتنا للشجرة المورقة المثمرة نسمع أيضا حركة تلامس أوراقها نتيجة لتمايل الأغصان ، كما نشم رائحة عبققة من لماء خشبها وقد نتذوق بعضا من عصير أو

-٦٢-

غلى أوراقها مثل شراب الكركديه ، وهكذا ندرك تماما أن هذه الإحساسات البصرية والسمعية والشمية والتذوقية لا تكون الواحدة بمعزل عن الأخرى بل إنها كلها على إختلاف وظائفها تصبح متداخلة متشابكة بحيث تكون لنا خبرة إدراكية متكاملة .

ثانياً العمليات الرمزية: ونعنى بها تلك الملامح والصور الذهنية والمعاني الحسية التى يثيرها فينا الإحساس حيث أن التنبيهات الحسية تترك بصماتها أو ندوبها على جهازنا العصبي بحيث يصبح أثر هذه الندوب تلميحا للإحساس وليس تصريحاً للموضوع الأصلي ، أى أن صورة الشئ أو رمزه تكفى لإدراكنا لأصل هذا الشئ ، فعندما أسمع النظر فى صورة صديقى الفوتوغرافية ، أستحضر فى ذهنى صورة هذا الصديق ولكنها صورة خافتة غير متماسكة كالعهن المنفوش. ولئن حاولت إستحضار الصورة المعنوية لصديقى فمعنى ذلك تذكر مواقفه معى وتعاونيه مع الآخرين وخصائص شخصيته وطريقة حديثه وهكذا ، ومجمل القول أن الصورة الذهنية هي التى تمثل الأشياء الأصلية .

ثالثاً: العمليات الإنفعالية: ونقصد بها أثر الخبرات السارة أو المؤلمة فى عملية إدراكنا الحسية للأشياء أو الأشخاص فقد يتذكر أحد الأشخاص حادثة له فى يوم مطير من أيام الشتاء وترتبط هذه الحادثة بمرض أصابه ويشعر نحو هذه الحادثة بحالة إنفعالية معينة ويحاول أن ينساها وهنا تتضمن عملية الإدراك الحسى الجانب الإنفعالى .

عوامل تنظيم عملية الإدراك الحسى .

هناك تنظيمات إدراكية حسية تحدث عند جميع الناس على إختلاف ثقافتهم وحضارتهم وميولهم واتجاهاتهم وأعمارهم حيث يستجيبون للتنبيهات الصادرة من البيئة الخارجية بطريقة تؤكد لنا بأن خصائص التنبيه واحدة بالنسبة للناس جميعاً على وجه التقريب ، ويمكن إن نتصور بأن ثمة تنظيمات إدراكية لا بد من إتباعها

فى حياتنا النفسية ولهذا السبب نطلق عليها « التنظيمات الإدراكية الفطرية »
ومنها على شبل المثال لا الحصر التنظيمات التالية :

١- الشكل والأرضية : « Figure and Ground » .

نعيش فى بيئة طبيعية مملوءة بالناس والأشياء والموضوعات والجمادات والنبات وكل هذا يتعامل مع تنظيم مدركاتنا البصرية التى نشاهدها على هيئة شكل وأرضية وفى حياتنا النفسية الإجتماعية والفيزيقية ، العديد من أنماط الشكل والأرضية. فالمحاضر أمام طلابه يعتبر شكلا والطلاب أرضية. والمطرب فى جمع من الناس يعتبر شكلا والكورس « البطانة » أرضية. والقمر والنجوم فى السماء نعتبرها شكلا والسماء أرضية. والكتاب على المكتب يعتبر شكلا والمكتب أرضية. وفريق الكرة فى الملعب نعتبره شكلا وجمهور المشاهدين أرضية. وهكذا فى كل مناحى الحياة .

٢- التقارب : « Nearness » .

لو أدركنا لوحة ورقية بها مجموعة من الرسوم الهندسية عبارة عن دوائر صغيرة بين كل دائرتين نصف سنتيمتر فقط ودوائر كبيرة بين كل دائرتين منهما خمس سنتيمترات ، هنا ندرك - طبقا لتنظيم مدركاتنا البصرية - الدوائر الصغيرة بسهولة ويسر لعامل تقاربها بينما الدوائر الكبرى ذات المسافات البعيدة بينها لاتدخل ضمن تنظيم مدركاتنا البصرية، كما أن رنين التليفون دقتين كل ثانية يختلف عن دقة طويلة أو رنين مستمر لمدة ثانية يختلف الموقف الإدراكى فى هذه الحالة حيث ندرك الرنين الأول مخابرة تليفونية محلية داخل المدينة أو القرية ، بينما الرنين الطويل فى الحالة الثانية يعتبر مخابرة خارجية « ترك » وهنا يبدو عامل التقارب فى المدركات السمعية بالنسبة للرنين المتتالى كل ثانية والرنين المتقطع وهكذا .

٣- التشابه : « Similarity » .

فالوحدات المتشابهة تشكل صيغة متميزة لتشابه وحداتها فى حجرة

الدراسة التى تحتوى على عشرة صفوف ومقاعد التلاميذ لو أن خمسة صفوف من التلاميذ كانوا في حالة وقوف والخمسة الباقية فى حالة جلوس لرأينا التلاميذ الواقفين يشكلون صيغة أعمدة يمكن رؤيتها وإدراكها بسهولة عن باقى التلاميذ الجالسين الذين يشكلون صيغة صفوف يصعب رؤيتها لعدم تشابه وحداتها .

٤ - الإستمرارية : « Continuity » .

فى عالمنا الخارجى من السهل علينا - طبقا للمدركات السمعية - سماع محاضرة علمية شيقة متصلة الجوانب العلمية واللغوية عن محاضرة بتراء ناقصة منفصلة الجوانب كالتى ذكرناها آنفا ، كما يسهل علينا - طبقا للمدركات البصرية - مشاهدة طابور طويل من التلاميذ فى فناء المدرسة ، عن جماعات من التلاميذ مكونة من ثلاث أو أربع تلاميذ ، حيث الطابور يتسم بخاصية الإستمرار والإتصال بينما تشكل جماعة تلاميذ من ثلاثة أو أربعة تلاميذ صيغة غير مستمرة أو متصلة .

٥ - التكميل : « Closure » .

فى حياتنا العملية سلم خشبى ذو عشر درجات منها ثلاث درجات مكسورة وغير موجودة وهنا يميل المشاهد - طبقا لمدركاتنا البصرية - أن يكمل الدرجات الثلاثة المكسورة. أى أنه يملأ الفراغات الموجودة بالسلم أى يغلقها لسد الثغرات أو الفراغات ، ويهتم مهندسوا الديكور يعامل الإغلاق فى عمل ديكور المنزل وما به من ثغرات أو الفراغات فى الجدران أو الكراسى أو الستائر أو النوافذ ، كما يلعب الإغلاق دورا كبيرا فى عالم المدركات السمعية عندما يقف بنا المخرج الإذاعى عند حدث فى المسلسل يشد إنتباه وإدراك المستمعين ثم يقطع هذا الحدث لحلقة قادمة أى أنه تعمد أن يترك المستمع فى فراغ المدرك السمعى كعنصر تشويق .

٦ - الشمول : « Inclusiveness » .

عند مشاهدتنا لأحد « ماكيتات » رسم مجسد لمنزل جديد فإننا لانرى كل حجرة على حدة ولكننا ندرك المنزل إدراكا شاملا كاملا طبقا لمدركاتنا البصرية الفطرية . .

٧ - الخداعات البصرية : « Illusion » .

مثل إعتقادنا بأن كيلو جرام صوف خفيف فى الوزن عن كيلو جرام حديد ، وهذا الإعتقاد الخاطئ عند بعض الناس وليس كل الناس ، وهناك خداع سراب الصحراء حين نتخيل بمدركاتنا البصرية أن ماء يلوح لنا فى الأفق حتى إذا وصلنا إلى هناك لم نجد ماء .

ومن الأمثلة العلمية للخداعات البصرية خداع « مولر ولاير » فى الخطوط المستقيمة المتساوية والقصيرة والطويلة هذا وهناك خداع سمعى يبدو فى الإدراك الخاطئ لسماعنا بعض الروايات أو الأحاديث فيحدث بها تحريف ويعرف ذلك باسم « التشوه الإدراكى » .

العوامل الذاتية المؤثرة فى الإدراك الحسى .

هناك عوامل شخصية وذاتية تؤثر فى إدراكنا للأشياء والأشخاص من حولنا مما أدى بالباحثين والمشتغلين بعلم النفس والسيكوفيزيقا ، إلى إجراء الكثير من التجارب على مجموعات من المفحوصين وهم فى حالة جوع شديد أو ألم جسدى عنيف ، وأثر ذلك على إدراكهم الحسى ، وهناك عوامل ومتغيرات ذاتية وشخصية كثيرة فى هذا المجال نعرضها فى النقاط الآتية :

١ - نوع محيط الفرد .

ويعنى به الظروف والأحوال التى تحيط بالفرد من ناحية البيئة الفيزيقية « الطبيعية » إضاءة - رطوبة - حرارة - تهوية - تدفئة وما يؤثر فى مجاله الإدراكى ، ففى عام ١٩٥٧ قام كل من « ماسلو Maslow » و « منتز Mintz » بدراسة على أثر المكان على سلوك العمال وتحسين إنتاجيتهم ، وقارن الباحثان سلوك العمال فى حجرة مجهزة بإضاءة جيدة وأثاث جديد وتهوية صحية وألوان جدران زاهية ، وحجرة أخرى رديئة التهوية والإضاءة وألوان جدرانها كالمحطة وكان هناك مجموعة من المختبرين يقدمون صوراً فوتوغرافية مطبوعة وسلبية للعمال لتقدير نسبة الإشراق والجمال الموجودة فى كل صورة فوتوغرافية دون معرفة الهدف

من التجربة. وكانت النتيجة تؤكد أثر نوع الحجرة على إدراك العمال لوجوه الصور السلبية المطبوعة كما كانت تقديرات المختبرين متطابقة مع تقديرات العمال على الصور الفوتوغرافية. ففي الحجرة الرديئة كان الجميع يشعرون بالضيق والضجر والملل والسأم والصداع والنوم بعكس الحجرة الجميلة التي كانوا يشعرون فيها بالراحة والمرح والبهجة والسرور والرغبة في الإستمرار في العمل .

٢ - الفروق الفردية .

نعيش جميعا في بيئات سيكولوجية متباينة أشد التباين ، برغم أننا نحيا في بيئة واقعية « المحيط » واحدة لنا جميعا ، فالمنزل الواحد لا يشكل بيئة سيكولوجية واحدة لكل أفراد الأسرة وكذلك المعسكر الكشفي بالنسبة للرياضيين أو أبطال الكشافة وذلك لإختلاف الأفراد في إتجاهاتهم ومستوى تعليمهم وميولهم وأعمارهم وخبراتهم ، فالتناس يختلفون في مدركاتهم البصرية والسمعية نحو الشيء الواحد .

٣ - التوقع .

كلنا يتوقع أو يأمل فيما يريد أن يراه أو يسمعه فالطالب المتجه نحو دخول لجنة الإمتحان يرى كل فرد غريب عن العاملين بمدرسته أو كليته ماهو إلا أحد المراقبين في لجنة الإمتحان ، واللص يظن أن كل من ينظر إليه يتمعن في الطريق هو أحد رجال الشرطة لماذا ؟ ... لأنه يتوقع الشر المستطير دائما ، والشخص المناق يحسب كل صوت عال أو جلبة أو ضجيج بمثابة العدو المبين « ... يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ... » أى أن الأفراد طبعوا أو جبلوا على رؤية أو سماع المؤلف المتوقع لا الواقع .

٤ - الحاجات الفسيولوجية .

يهتم كل منا بما يعيشه ويفكر فيه ويتحرق شوقا لتحقيقه فالشخص الجائع لا يرى في الرسوم الملونة الغامضة إلا الفواكه والحلوى وقطع اللحم المشوى ، والمراهق لا يرى في قطع السحاب المتحركة بعد مغيب شمس الأصيل سوى شاب وفتاة يتهامسان همس الحيارى ! ! ومن هنا فإن أثر الحالة الجسمية أو الفسيولوجية أو

المزاجية تفسد مدركاتنا البصرية والسمعية .

٥ - الأحكام العاطفية .

للعواطف والميول والذاتية أثر كبير على تلوين إدراكنا سواء كان هذا الإدراك مدركات بصرية أو سمعية ، ومن ثم كانت عواطفنا الجياشة بمثابة العدو المضل المبين لكل ما ندركه ، ولذا قيل فى الفولكلور الشعبى الأصيل « القرد فى عين أمه غزال » و « حبيبك يبلع لك الظلوط وعدوك يتمنى لك الغلط » ! !

٦ - الحالة الوجدانية .

يلعب الإنفعال أو الحالة الوجدانية دورا كبيرا فى طريقة إدراكنا الحسى فتصاب مدركاتنا البصرية والسمعية بالتشوه والقلق والإغتراب.خذ مثلا ثلاثة أفراد ، زوج غيور.وطالب جامعى أثناء موسم الإمتحانات.ورجل من رجال الدين ، وطريقة إدراكهم لمجموعة من الشباب تقف فى ميدان عام يطل عليه مسجد ومدرسة ثانوية للبنات وبالنسبة للحالة الوجدانية المؤثرة فى إدراك الزوج الغيور كانت تتمثل فى كلماته «إنهم شباب يتسكعون ويعانون من فراغ ولا هم لهم إلا معاكسة طالبات المدرسة والنساء العاهلات إنهم يستحقون الضرب والتوبيخ» .أما بشأن الطالب الجامعى فكان إدراكه يتمثل فى قوله « إنهم مجموعة من الشباب ينتظرون خروج أخواتهم البنات من لجان الإمتحان بالمدرسة » بينما كان إنطباع وإدراك رجل الدين لمجموعة الشباب رأيه القائل بأنهم « فتية آمنوا بربهم يقفون فى الميدان قرب المسجد إستعدادا للصلاة » .

٧ - المعتقدات الإجتماعية .

فى زيارة ميدانية لإحدى قبائل أولاد على بالصحراء الغربية لإجراء بعض البحوث العلمية أشار المؤلف إلى بعض المعتقدات الشخصية والإجتماعية لدى أفراد هذه القبائل وهى « التمسك فى الوقت الحاضر بحق ابن العم فى مسك بنت عمه » أى الزواج بها ، وإستطرد يناقش بعض الأفراد المشفقين عن ضرر الزواج من بنت

العم وما يجلبه من أضرار وتشوهات وتخلف عقلى وأن هناك حديثاً صحيحاً لا يحض على مثل هذا الزواج ... قال النبى ﷺ « إغتربوا لاتضوا » أى تزوجوا من الغرباء لكى لا يصبح الأطفال ضعفاء مشوهين ... فكان إدراك هؤلاء القوم من المثقفين لهذه القضية معاكس للحقائق العلمية ولم يوافقوا على هذا الرأى طبقاً لمعتقداتهم الإجتماعية ، وهنا أدرك المؤلف أن هؤلاء القوم يفكرون ويدركون بعقلهم الجمعى « فكر القبيلة » أفضل من عقلهم الفردى ويعتقدون أفكار ومعتقدات القبيلة لا أفكارهم .

٨ - النسق القيمى .

فى عام ١٩٤٨ قام كل من « بوستمان Postman » و « برنر Pruner » و « مكجينز McGinies » بدراسة علمية على ٢٥ فرداً بهدف الوصول إلى أن النسق القيمى Values System لدى الشخص هو الذى يبلور إدراكه ويحدد إستجاباته السلوكية. وبدأ الباحثون بقياس قيم هؤلاء الأفراد « ٢٥ » بقياس معروف هو « مقياس القيم لألبورت وفيرنون » . ويضم هذا المقياس ستة أقطاب من القيم هى : الإجتماعية والنظرية والدينية والسياسية والإقتصادية والجمالية ... وقدم لهم من خلال جهاز عرض « فانوس سحرى » ٣٦ مفردة تمثل جميع القيم الست وبعد ذلك خرج الباحثون بنتيجة مؤداها أن الأشخاص كانوا يدركون المفردات أو الكلمات التى ترتبط بالقيم التى يتمسكون بها أكثر من القيم الهامشية بالنسبة لهم .

الفصل الرابع

سيكولوجية التعلم .

- * مفهوم التعلم وأنماطه .
- * أسس عملية التعلم .
- * معوقات عملية التعلم .
- * الإستظهار والتحول فى عملية التعلم .
- * حول التعلم والتدريب .
- * وسائل عملية التدريس .
- * أثر النضج فى عملية التعلم .
- * مدخل فى نظريات التعلم .
- * النظريات الترابطية .
- * التشريط الكلاسيكى .
- * السلوكية الوصفية .
- * النظريات المعرفية .
- * سيكولوجية الجشطالت .
- * سيكولوجية المجال .
- * سيكولوجية نمو الذات وتطبيقاتها التربوية .

سيكولوجية التعلم

مفهوم التعلم وأنماطه .

لعل أهم الموضوعات جميعها فى علم النفس هو موضوع « التعلم-Learn ing » إذا أننا لاتقصد به إلا كل مايسعى إليه الفرد من تحصيل معلومات وما يكتسبه الإنسان من إتجاهات وعادات مختلفة ومهارات يختلف أنواعها ، عقلية أو حركية أو وجدانية أو خلقية سواء كان هذا الإكتساب شعوريا أو لاشعوريا مثال ذلك :

١ - العواطف النبيلة المحبوبة شعور مكتسب وهى فى الوقت نفسه عملية تعلم .

٢ - العقد النفسية البغيضة ميل مكبوت وصدمة إنفعالية مكتسبة وهى تدخل فى نطاق عملية التعلم المكتسب لاشعوريا .

٣ - إكتساب المعارف والأفكار والرموز والألفاظ والفنون عملية تعلم .

٤ - حفظ الكلمات أو الأشعار والأهازيج والأغاني عملية تعلم مكتسبة .

٥ - عندما تستخدم طريقة علمية فى تفكيرك فإن ذلك لا يتم ولا يحدث إلا بعملية تعلم .

٦ - عند حلنا لمشكلاتنا اليومية ما كان منها صعبا أو سهلا فإن ذلك يسير طبقا لعملية التعلم وذلك إذا كان الحل صحيحا سليما يتسم برضا الفرد الذاتى لدوافعه السيكولوجية .

٧ - تعلم الموسيقى وممارسة الرياضة البدنية بأنواعها والكتابة على الآلة الكاتبة وقيادة السيارات كل هذا « تعلم حركى » كما أن التعود على تشرب الصفات الحميدة مثل الكرم والوفاء بالوعد والصدق والشهامة فهذا هو تعلم « خلقى » ونود أن نقول فى هذا المجال أن « الدوافع Motives » لازمة وضرورية لعملية التعلم فليس هناك تعلم بدون دوافع وطبقا لنوع هذا الدافع من حيث قوته وهيمته وسيطرته على الإنسان الفرد أو ضعفه تتوقف عملية التعلم كعملية سيكولوجية إلى حد كبير جدا ، ولم تكن عملية التعلم يوما ما وقفا أو حركيا فقط

-٧١-

على علم النفس وإنما قد إهتمت بها للغاية معظم العلوم الإنسانية كالإجتماع والإقتصاد والأنثروبولوجيا « علم دراسة الإنسان » وعلم النفس الصناعى والإجتماعى ، وينبغي أن نذكر جيدا أن العلوم الإجتماعية لا تهتم فى عملية التعلم إلا بنتائجها بينما تهتم العلوم النفسية بوصف التغيرات التى تحدث أثناء عملية التعلم وعوامل وشروط هذه التغيرات جميعها .

ولحة عابرة فى مضمون مراحل عملية التعلم يمكننا أن ندرك بسهولة ويسر أن هذه المراحل تختلف وتباين كأشد ما يكون التباين والإختلاف من فرد إلى آخر ومرد ذلك كله إلى « الفروق الفردية Individual differences » ونعنى بها تلك الخلافات والتباينات الفيزيائية والسيكولوجية والشخصية مثل الهيكل العام لجسم الفرد والبنية والذكاء ومدى التحمل والقدرات والمهارات البشرية والمواهب العقلية والدوافع النفسية ... ومن ثم نستنتج أن كل فرد يختلف فى قدرته على الإستيعاب والفهم فى مجال التعلم عن أى فرد آخر فهناك شخص يتعلم سريعا. وآخر يعمل فكره بطيئا. وثالث صعب الإستيعاب عقيم. وفى ذلك يذكر العلامة البرت اينشتاين قوله المشهور: لم أعلم تلاميذى ولكنى فقط أحاول أن أهيب لهم الظروف والأحوال التى يمكنهم أن يتعلموا فيها .

I never teach my pupils , I only attempt to provide
condition in which they can learn .

ونتسائل الآن ما هو التعلم ؟ للإجابة على هذا السؤال لابد أن نذكر أن السلوك نوعان :

أحدهما هو السلوك الفطرى وثانيهما هو السلوك المكتسب ... وهذا الأخير ما هو إلا مجموعة من العمليات السلوكية - كما ذكرنا آنفا - الموجهة أصلا وأساسا نحو الإستجابات المختلفة لموقف معين من خلال بيئة الإنسان الجغرافية طبقا لإستجاباته السابقة وعلى سبيل لمثال يرى « جلمار » أن عملية التعلم هى « نوع من السلوك المعدل والمحور بطريقة خاصة بهدف فهم وإستيعاب وتحقيق مآرب معينة » بينما يرى « رالف لينتون » أن التعلم إجراء أو حدث من الأحداث كإى نوع من الإجراءات أو الأفعال ، ويشير « هيلجارد » وزميله « أتكسون » أن مفهوم عملية التعلم قد يتحدد بشكل تحويرى وتغير متصل فى السلوك البشرى إلى حد ما

بالتدريب والممارسة .

كما يرى « شراير » أن عملية التعلم عملية إدراكية مرتبطة أشد الارتباط بالدوافع النفسية وتعتمد أساسا على التكرار والتعميم حيث أن هذه العملية « ككل » تقوم فى المحل الأول على « ميكانيزمات المنبه والاستجابة والتي تعتمد بدورها على الحواس الخمس » .

أسس عملية التعلم .

من الثابت علميا أن هناك إختلافات أساسية وجوهرية فى مدى السرعة التى يكتسب بها الفرد أى مهارة أو خبرة فى أى موقف معين كما تعتمد عملية التعلم على ما يعرف باسم « مبادئ التعلم » والتي منها مبدأ المنبهات الشرطية والمنعكسات الشرطية والتعلم الشرطى والتعزيز والإستزاده والشواب والعقاب والمنبه المميز ، وفى نظرنا أن التعلم الشرطى السليم يشمل دور التعزيز والإستزادة وكذلك التعلم بالطريقتين الكلية والجزئية وكذلك تبسيط التعلم بتوزيع المادة وتعلمها وتقسيمها إلى وحدات يمكن إستيعابها بسهولة ويسر وأيضا الربط بين التعلم والأداء « performance » .

كما ينبغى أن نذكر أن هناك ثلاثة جوانب تمثل الإطار العام لعملية التعلم وهى التلميذ والمدرس والمادة المطلوب تعلمها وهذه الأبعاد الثلاثة هى التى تؤدى بنا إلى العملية التربوية السليمة ولقد وجد أن عملية التعلم قد تزداد وضوحا وسهولة وفهما فى حالة المواقف السارة مما يتطلب بالضرورة أن تكون العلاقة بين المدرس والتلميذ علاقة أساسها الود والسرور ، وليس هذا فقط إن المواقف الصعبة قد تحدد هى الأخرى نوعا من الوضوح والسهولة لعملية التعلم حيث توجد بعض الروابط بين العمليات الذهنية المؤدية إلى عملية التعلم ومن أهم ركائز عملية التعلم تلك العوامل الثلاثة التالية :

١ - الممارسة « Practicing » .

والمقصود بها أنه كلما كان مقدار ممارسة المادة المراد تعلمها هائلا وكافيا كان

-٧٣-

هناك احتمال كبير لسهولة التعلم ووضوحه ونقله بطريقة إيجابية ناجحة ولا سيما في حالة التطبيق المحدود فيما بعد على المادة الأصلية والمراد تعلمها .

٢ - التعميم « Generalization » .

لكي نرتقى ونسمو بعملية نقل التعلم يجب على التلميذ أن يشكل ويكون مبادئ مناسبة وتعميما واضحا ولائقا أثناء تعلمه إن مثل هذه التعميمات يجب أن تكون واضحة تماما ومحدودة وليست فضفاضة أو أن تكون مجرد كلمات غامضة أو تفعيلات جوفاء « Verbalization » .

٣ - التطبيق « Application » .

لا بد للتلميذ أن يطبق ما تعلمه على عالمه الواقعي « Real Life » أو محاولته - على الأقل - القيام بذلك في المواقف الجديدة والمناسبة وذلك لكي يتكافأ هذا التطبيق مع مزايا النقل والتحول في عملية التعلم ويدخل في ذلك مقترحات وأساليب تنمية وتصوير الاتجاهات السيكلوجية المناسبة نحو نقل وتحول عملية التعلم .

معوقات عملية التعلم .

من المسائل التي تعوق العملية التعليمية وتؤخرها عوامل سبع هي :

أولا : مستوى المقدرة .

فالشخص المتفتح ذهنيا « Open Mindedness » وذو الذكاء المعقول يكون أقدر على الفهم والإستيعاب لأي نوع من أنواع التعلم بسهولة عن ذلك الشخص المكدر ذهنيا والضعيف عقليا والذي يعاني من سوء التكيف والتوافق النفسي ، وعليه فإن مستوى المقدرة المرتفع يلعب دورا فعالا في الحفظ والإستيعاب والسعى والتحصيل العلمي .

ثانيا : الدوافع .

فمن المعروف أن الدوافع من أهم العوامل التي تسهم بنصيب كبير في تحديد

-٧٤-

السلوك بالإضافة إلى عوامل داخلية وخارجية أخرى تلعب دورها ، ومن ثم فالسلوك لا يفهم إلا فى مجاله الكلى وهنا يمكننا أن نفهم تماما لماذا يتخلف التلميذ فى دراسته ويخفق فى تحقيق هدفه فى المدرسة أو المعهد وكذلك التلميذ المتأجج حماسا لدراسته والمدفوع « Motivated » نشاطا نحو دروسه ومحاضراته أنه الدافع القوى الذى يجعله هكذا .

ثالثا : تاريخ التربية الماضية .

إن الخبرات القديمة وطريقة التربية العتيقة البالية لتؤثر هى الأخرى فى سير عملية التعلم حيث أنها هى البذور الأولى التى يتوقف عليها ما إذا كان هذا الزرع هشا هشيمًا تعصف به الرياح أو زرعًا يتحمل كل العواصف والأثواء لأن ذلك يتوقف كلية على نوع التربية الصالحة سواء كانت تربة خصبة أم تربة يهددها العقم والبوار .

رابعاً : أساس تاريخ حياة الأسرة .

لاشك أن نوعية الأسرة وأسلوب حياتها وطريقة معيشتها ونوع سلالتها تؤثر حتماً فى أفرادها فتلاميذ الأسر الريفية يختلفون بالطبع فى طريقة تحصيلهم العلمى عن تلاميذ الأسر الحضرية سواء كان ذلك فى الفهم أو الإستيعاب وبالمثل يمكن القول بأن تلاميذ الأسر والعائلات المهاجرة « المهجرة » أو أسر اللاجئين تختلف قطعاً عن مثيلاتها تلك التى تعيش فى أمان واستقرار بعيدة عن الخوف والتوتر والدعر والهلع والتهديد ، ولذا فخلفية الأسرة لها دور كبير فى أسلوب التنشئة السليمة الصحيحة .

خامساً : مستوى الأسرة الإجتماعى والإقتصادى .

يلعب هذا العامل دوراً كبيراً فى طريقة تربية وتعليم الأطفال فليس هناك أدنى شك فى أن تلاميذ الأسر الثرية التى تعيش فى بحبوحة من الرخاء أفضل حالا وأكثر تقدماً فى الدراسة عن الأسر الفقيرة المعتمدة حيث أن العامل الإقتصادى له الأثر الكبير فى نشأة الأفراد ، وهذا بدون شك قد ثبتت صحته علمياً وصحيح أن

بعض النوايا والنابهيين من عظماء الرجال فى العالم أجمع قد عاشوا حياة أسرية قاسية ونشئوا فى شظف من العيش ومع هذا حققوا مآربهم وأهدافهم من العلم والتعليم ولكن مثل هذه الأنماط يمكن أن تندرج تحت ما يعرف بإسم الحالات الشاذة .

سادسا : مضمون طرق التدريس .

يهما هنا أن نؤكد على محتوى طريقة التعلم نفسها مثال ذلك طريقة المناقشة الجماعية « Group Discussion » وهى طريقة ديمقراطية دلت الأبحاث على نجاحها لأنها تعمل على إدماج الفرد فى الجماعة ، هذا وقد قام العلماء السلوكيون فى السنوات الأخيرة بدراسات فى الدوافع والصحة النفسية وديناميات الجماعة وذلك للمساهمة فى إلقاء الضوء على العوامل المؤدية إلى مقاومة التغيير لدى الأفراد وهنا تلعب المناقشات الجماعية دورها فى الناس للمناقشة والتركيز على قائد المناقشة « المدرس » ومدى مرونته وتعرفه على المهارات المطلوبة لكى يتمكن من إدارة المناقشة بنجاح ونود أن نذكر بأن مضمون هذه المناقشة الجماعية يتركز أساسا على تشجيع كل أفراد الفصل الدراسى فى المناقشة وإشراكهم فيها ، وما وظيفة المدرس هنا إلا إستشارة الشوق والإهتمام بالمناقشة وإدارتها ومن ثم يمارس التلميذ الإستدلال الجمعى « النقد البناء والتقدير والتعاون والأفكار المنظمة والتعبير عنها بصورة واضحة .

سابعا : العلاقة بين المدرس والتلميذ .

ثبت علميا أن العلاقة بين المدرس والتلميذ تلعب دورا هاما فإذا كانت هذه العلاقة تتسم بالجودة وتبادل الأفكار والمشورة والتعاون بين الطرفين فليس هناك أدنى شك أن تتم عملية التعلم فى سهولة ويسر ووضوح والعكس صحيح إذا كانت هذه العلاقة يتخللها الوهن والتصدع والإهمال من الجانبين فإن ثمة صعوبات وعقبات تصادف الفرد أثناء عملية التعلم ، وذلك لأن الإستجابات الإيجابية السارة هى التى تجدد طريقها بسهولة ويسر إلى العمليات الذهنية كالتذكر والتعلم للإرتباط بها ومن ثم يسهل الفهم والإستيعاب أثناء عملية التعلم بسهولة ووضوح كاملين .

العناصر السلوكية السبع لعملية التعلم .

يرى العلامة لى . ج . كرونباخ أن عملية التعلم تتكون من عناصر سلوكية سبعة وكانت هذه الفكرة الجديدة متطورة إلى حد ما ولكنها لم تجد أذنا صاغية على اعتبار أنها نظرية فى السلوك الإنسانى ، ويمرور الوقت برزت لنا هذه العناصر السبعة لتقدم لنا رأيا قاطعا وبرهانا ساطعا وأساسا للعمل بهدف فهم وإستيعاب عملية التعلم. والواقع أن هذه العناصر السبع يمكن تطبيقها بسهولة وبطريقة مباشرة فى حجرة الدراسة ونعرضها كالتالى :

١ - الهدف .

يشعر الفرد أن لديه هدف ما ... شئ أو حادث أو حالة وهو يراها ضرورية له لأن هذه الحالة تؤرقه أن شيئا ما ينقصه وقد أضحى هذا الشئ حاجة ملحة لا بد من إشباعها. وهنا يتجه الفرد نحو ما ينقصه ويركز عليه إنتباهه كلية وقد يتحقق الهدف فى هذه الحالة على المدى القصير بالإشباع المباشر ، أو على المدى الطويل بإشباع هذه الحاجة الملحة ، ولكن بشئ من التأجيل والإرجاء وهنا يكون الفرد مدفوعا « Motivated » نحو تحقيق الهدف .

٢ - الإستعداد .

يستطيع الفرد نتيجة لتكوينه الفيزيقي وخبراته الماضية أن يستجيب فقط لأنواع معينة من الإستجابات كمحاولة جادة لتحقيق هدفه وإشباع حاجته .

٣ - الموقف .

إن الظروف التى يحيها الفرد وكذلك العوامل الموقفية التى يتأثر بها تهيب له فرصا كثيرة لإشباع حاجته والواقع أن الإستعداد والهدف والموقف يتكون منها ما يعرف بإسم إطار مرحلة السلوك « Stage Setting for Behavior » .

٤ - التفسير .

لما كان الفرد يأخذ فى إعتباره أهدافه التى يود تحقيقها وتقدير وتقييم

قدراته التى لديه فإنه - والحال كذلك - يختار من خلال خطة العمل المتعاقبة والمتتالية المرحلة التى يراها أكثر تأثيرا وأكثر فاعلية ... إنه يختار وينتقى خطة عمل يراها أكثر ملائمة ومناسبة له فى تحقيق هدفه .

٥ - الإستجابة .

إن الفرد بعد إن ينتقى ويختار خطة عمله وأسلوبه فإنه يبدأ فى العمل Action .

٦ - النتيجة .

إن الإستجابة التى يقوم بها الفرد غالبا ما تكون متبوعة بأحداث من شأنها أن تشد من أزر تفسيره للموقف ، وفى الأحداث التى تتبع الإستجابة فإن أناسا آخرين قد يشتركون فى تحديد النتائج ولكن ليس هذا ضروريا وهنا نرى أن الفرد وحده هو الذى يحكم على آرائه بوجه خاص .

٧ - رد الفعل .

عند رد فعل الفرد لنتائج إستجابته فإن نمطين من السلوك يمكن أن يحدثا طبقا للظروف والأحوال الآتية :

أ - إذا كان السلوك مثبتا ومعززا ، أى كنتيجة لعمل الفرد وتحقيق هدفه. فمن الممكن أيضا أن يحقق الفرد هدفه على المدى البعيد فى حالة تعذر تحقيق هدفه بسهولة فى بادئ الأمر ، ومن المحتمل أن يستجيب الفرد نفس الإستجابة مرة أخرى تحت ظروف وأحوال متشابهة .

ب - إذا كان التفسير يتعارض كلية ويسير فى طريق معاكس فإن الإستجابة لاتؤدى بنا نحو إتجاه الهدف ، وحينئذ فإن الفرد يكون لديه بديلان : أولهما : أن الفرد قد يعيد تفسيره للموقف من جديد ، ويحاول أن يستجيب إستجابة أخرى ، ونحن نعمل جاهدين على تنمية هذا السلوك لدى طلبة المدارس والجامعات بالإضافة إلى ذلك فإن رد الفعل المرغوب يكون رهنا بالظروف والأحوال المواتية .

ثانيهما : قد يعانى الفرد أحيانا من سلوك محبط « Frustrated »
« غير توافقى » Non Adaptive Behavior « بمعنى أنه يدرك تماما أن

سلوكه لا يؤدي إلى هدفه وهنا يفقد الفرد إترانه الإنفعالى « Emotional Stability » وتثور ثائرته ويكف كلية عن العمل .

الإستظهار والتحول فى عملية التعلم .

إن عملية التعلم بالمدرسة ليست هدفاً أو نهاية فى حد ذاتها لأن أهداف التربية قد تقوم بأي وسيلة إذ أنها تدل على أن التلميذ سوف يكون قادراً على إستخدام ما تعلمه فى الفصل الدراسى فى وقت لاحق ، وكذلك خارج المدرسة ، هذا وقد أمدتنا الدراسات التجريبية فى مثل هذه المجالات بمعلومات وبيانات قد تساعد المدرس على فهم أدوار الحفظ وهى غاية فى البساطة ومهمتها صياغة التصميم التجريبى الذى نورهده فى النقاط التالية :

١ - يقاس الإستظهار عند نهاية فترة التعلم .

٢ - فى فترات الراحة لا يتخللها أى دراسة رسمية أو عرضاً للمادة المراد تعلمها قد تكون محاولة ناجحة وتجربة مفيدة للحفظ أو الإسترجاع .

٣ - يحدد المقياس الثانى مقدار التعلم الذى إستظهر وحفظ بعد فترة الراحة وغالبا ما تكون فترة الراحة بين المقياس عبارة عن مجموعة من الأنشطة الحرة التى تشمل على تعلم مواد إضافية بقصد إختبارات إستظهار لاحقة فيما بعد، ومن أهم الدراسات التى أجريت فى هذا الميدان دراسة « هيرمان أيبينجهاوس » فقد أشار هذا الباحث بعرض بعض قوائم كلمات لأمعنى لها مثل : « يوف و جوكس وزيب وساغم » وبعد فترة من الوقت حاول أن يستظهر « بعد سماع » هذه المقاطع المبهمة فوجد أن هذه المحاولة كانت مستحيلة وأنه لا يمكن تذكرها على الإطلاق . وقد ذكر إيبينجهاوس « Ebbinghaus » أن المجهود المبدول فى تعلم القائمة الأصلية لهذه المقاطع لا يمكن أن يضع هبء ، وفى هذه الحالة شرع إيبينجهاوس فى إبتكار وسيلة قياس سليمة ، ومن خلال مقرر تعليمى وإعادة تعلم قوائم عديدة المعنى لاحظ أنه يستغرق وقتاً أقل كثيراً عن ذى قبل أى بطريقة التعلم الإستهلالى « Initial Learning » ، وهنا ظهرت فكرة تقدير العائد « Saving Score » أو طريقة الإدخار وهى عبارة عن منهج تجريبى يستخدم فى ميدان دراسة الذاكرة والتذكر

٧٩

والكمية التي يمكن أن يتذكرها المرء أو المقدار الذي يمكن أن ينساه بعد فترة راحة محددة ولاحقة على التعلم لأحد الموضوعات عند تكراره عدة مرات ويمثل عدد مرات التكرار اللازمة كمية التعلم الإستهلاكي كما أن الفرق بين هذا العدد وعدد مرات التكرار المطلوبة لتعلم موضوع ما مرة ثانية بعد فترة زمنية يسمى باسم « تقدير العائد النسبي » .

مثال : أراد طالب أن يحفظ مجموعة مقاطع لغوية وكان الأمر يتطلب ٢٠ محاولة لكي يصل إلى المعيار المطلوب والذي حدده له أستاذه بعد فترة راحة محددة طلب المعلم من تلميذه أن يسترجع ما تعلمه فلم يستطع التلميذ ، وهنا سمح له المعلم بعدة محاولات لكي يصل إلى مستوى « معيار » الحفظ وكانت هذه المحاولات « ثمانية » لكي يصل الطالب إلى « محك التعلم » وبذلك وفر على نفسه ١٢ محاولة إن الحفظ لأول مرة قد ترك رصيذا لدى الطالب يساوي الفرق بين عدد مرات التدريب في الحالتين والذي نعني به « تقدير العائد » ويمكن أن نعبر عنه بالمعادلة الآتية :

عدد مرات التدريب أولا - عدد مرات التدريب ثانيا $\times ١٠٠$

$$\frac{\text{عدد مرات التدريب أولا} - \text{عدد مرات التدريب ثانيا} \times 100}{\text{عدد مرات التدريب أولا}} = \text{تقدير العائد}$$

$$\frac{100 \times (8 - 20)}{20} =$$

$$\% 60 = \frac{1200}{20} = \frac{100 \times 12}{20} =$$

-٨٠-

أى أن التدريب على معيار الحفظ فى المرة الأولى قد عاد على الطالب بعائد يقدر بنسبة ٦٠ ٪ من الجهد عند إعادة الحفظ فى المرة الثانية حيث قام بمجهود يعادل ٤٠ ٪ فيما لو كان يتعلم للمرة الأولى .

نقل التعلم .

من أهم أهداف عملية التربية أنها تتضمن تنمية قدرة الفرد على تطبيق عملية التعلم السابقة فى المواقف الجديدة ، وهذا ما نعينه أساسا بعملية النقل أو تحول التعلم ، هذا وقد إتفق معظم الباحثين على أنه ليس هناك موضوع أكثر أهمية فى سيكولوجية التعلم من نقل وتحول عملية التعلم أو التدريب ، وفى عالمنا المعاصر والمعتد نرى أنه من المستحيل أن نجعل من التلميذ شخصا ملما بكل المعارف الإنسانية ، إن بعض أنواع التعلم يجب أن تترك للفرد لينقل ويحول مهاراته المكتسبة فى المدرسة إلى مهام عملية التعلم الشخصية الخاصة بالفرد وحده .

أنماط التحول .

قد يكون تحول التعلم من موقف قديم إلى موقف جديد إيجابيا أو سلبيا وقد يعوق التعلم أو ييسره .

١ - التحول الإيجابى .

يحدث التحول الإيجابى فى حالة تعلم بعض المبادئ والحقائق أو المهارات ويساعد كل هذا على أداء وإكتساب عامل « لاحق » مثال ذلك دراسة قانون « جيوب التمام » فى حساب المثلثات قد يساعد الطالب فى حل مسائل القوى فى مادة الطبيعة .

٢ - التحول السلبى .

يحدث هذا عندما تتداخل بعض العوامل كالحقائق والمبادئ والمهارات أو

تعوق إكتساب عامل لاحق ، وكثيرا مايحدث هذا الموقف عندما يعلم المتعلم « Learner » شيئا من مجموعة مسائل قليلة جدا .
 مثال ذلك قد يلاحظ المتعلم أنه عند صياغة مصدر الفعل المضارع وإضافة « ING » أو تصريف الفعل فى صورته الثالثة « التصريف الثالث » من بعض الكلمات ولتكن كلمة « Delate » إن الحرف النهائى E قد سقط سهوا قبل إضافة ال « ING » بينما تطبق هذه القاعدة على إسم Canoe ومعناها زورق صغير فقد يكون هذا الإسم مضللا ويكتب هكذا Canoeing على أنه فعل مضافا إليه ing وكذلك الحال بالمثل فى حالة الطلبة الذين يبغضون الرياضيات فقد يتحول هذا البغض أو الكره لدراسة مادة القياس النفسى فى علم النفس التربوى وذلك لأن هذه المادة تتطلب الإلمام ببعض المفاهيم الإحصائية المطلوبة فى إستخدام العمليات الرياضية البسيطة .

صفات المتعلم الأساسية .

من السمات الأساسية لدى المتعلم عند تعلم شيئا ما تلك السمات التالية :
أولا : الإستعداد أو المقدرة .
 لقد وجد أن الأطفال الذين يحرزون درجات عالية فى إختبارات المقدرة العلمية يميلون إلى نقل تعلمهم بكفاءة أكثر عن أولئك الذين يسجلون تقديرات أقل من الجماعة التى أحرزت تقديرات منخفضة ومن الممكن أن نستفيد من عملية التدريس التى تشجع إلى حد كبير على عملية التحول والنقل ويرجع التباين هنا إلى مستوى ونوع الدوافع النفسية المؤدية إلى قوة الإستقرار والتحصيل ويذكر الباحثون قولهم : « إذا كان الطالب مدفوعا بقوة حماسية للإستيعاب والتحصيل فإنه ولاشك يختلف كثيرا عن زميله المدفوع بدافع ضعيف عقيم والذي يجعله يتعلم ببطء بدرجة تحصيل أقل ، وهذا بالتالى يقلل من فرصة التحول والنقل لديه إلى مواقف جديدة » .

ثانيا : الاتجاه السيكلوجى .
 إذا إعتقد الطالب فى قرارة نفسه أن ما يتعلمه يجب أن ينقل ويتحول لموقف

-٨٢-

جديد فإنه يسهل بدون شك تطبيق ما يتعلمه هذا الطالب وتسخيره فى حل مشاكله الخاصة .

طرق التعلم .

يحتاج الطالب إلى إكتساب مهارة عالية لكى يؤهل نفسه لمهنة من المهن وفي هذه الحالة يشعر بأنه ينمو كفرد أولاً وقبل كل شئ أثناء إكتساب المهارة ويؤدى ذلك إلى التركيز على الدوافع كمسألة هامة فى هذا المجال، إن الدوافع النفسية ولاشك تعتبر حجر الزاوية لإكتساب المهارة لدى أى فرد من الأفراد وسوف نناقش هنا طرق التعلم لأن العلاقة وطيدة بين هذه الطرق والدوافع السيكولوجية مما يلقي الضوء على طبيعة عملية التعلم ، والتي من أهم طرائقها تلك الطرق التالية :

أولاً : طريقة الإيضاح .

وهي ذات أوجه ثلاث : الإيضاح الفردى والإيضاح الجمعى وإيضاح الفصل الدراسى الواحد .

ثانياً : طريقة المحاضرة .

وهي ذلك النظام الشائع والدائع فى عرض الأفكار وتقديم المعلومات .

ثالثاً : طريقة المناقشة الجماعية .

وهي عرض المعلومات والأفكار بطريقة ديمقراطية بحثية ونعرض الآن لكل طريقة بشئ من التفصيل فنقول :

١ - من المعلوم أن طريقة الإيضاح بصورها الثلاث لا بد وأن تكون مسبقة ببعض التعليمات ، والتعليمات بدورها لا بد وأن تكون مسبقة بالمحاضرة . إن طريقة الإيضاح الناجحة والثمرة إنما تعتمد أصلاً على نوعية إستخدامها بمهارة من جانب المدرس ، وبذا تصبح طريقة الإيضاح للفصل الدراسى ذات شأن كبير وذلك بسبب مسألة « الفروق الفردية » وإختلاف المستويات العقلية بين التلاميذ فى

الفهم والإستيعاب .

والواقع أننا نستخدم وسيلة الإيضاح الجماعية من وقت لآخر لكي نحقق المستوى التربوي المطلوب والمهارة المنشودة .

٢ - أما طريقة المحاضرة فهي طريقة كلاسيكية لعرض أى نوع من أنواع المعرفة أو المعلومات-وهنا يذكر هنرى سميث فى كتابه سيكولوجية السلوك الصناعى بأن المحاضرة عرض معد ومفصل لمجموعة من المعارف أو التعليمات أو الإتجاهات لجعل مجموعة من الأفراد يفهمون أو يوافقون على فكرة المتحدث أو المحاضر ، وبرغم الحقيقة القائلة بأن المحاضرة تجعل الفرد يصاب بالإجهاد والملل والسأم ، إلا أن المحاضر الناجح يمكنه أن يشد إنتباه سامعيه وأن يجعلهم متشوقين لحديثه بإستمرار .

٣ - طريقة المناقشة الجماعية .

إذا كانت طرق التعلم تهدف أصلا إلى إستمالة وإغراء التلاميذ لتحصيل وتحقيق أهداف مرغوبة فإننا نرى أن إستخدام طريقة المناقشة الجماعية بدقة ونجاح ، تؤدى إلى دفع هؤلاء التلاميذ نحو المعرفة والإستزادة دفعا قويا بالإضافة إلى ذلك قد تساعدنا المناقشة الجماعية إلى بلورة آراء الجماعة وتحقيق النتائج المرغوبة وليست المناقشة الجماعية قاصرة على أداء دورها فى هذا المجال فقط ألا وهو المجال التربوي ولكنها فى الوقت نفسه تعمل على دفع الروح المعنوية وعلاج بعض الأمراض السيكولوجية ولعلنا نرى بعد ذلك فى هذا الشأن أن إشتراك التلميذ فى المناقشة الجماعية وصنع القرار كل ذلك يلعب دورا فعالا فى تنمية دافع التحصيل ورفع الروح المعنوية للفرد ، وجدير بنا هنا أن نشير وتؤكد أن مسألة هامة كمسألة الدوافع لتعتبر حجر الزاوية فى كل السلوك الإنسانى .

ولتوضيح ذلك هناك كثير من مفاهيم الدوافع ، ونحن نميل إلى الأخذ بنموذج « ثيرون » فى الدوافع والقائل بأن الدوافع هى محصلة القيم المتوقعة أو السابقة على أى فعل أو إجراء ... والإحتمال المدرك الذى من شأنه يجعل هذه القيم تتحقق عن طريق هذا الفعل .

ويقصد « ثيرون » بالقيم المتوقعة مدى تعاظم وتزايد أداء الفرد فى عمله .

-٨٤-

من أجل تحصيل وإنتاج معين مرتبط بالآخرين. أما عن التوقع فيعني به «ثيرون» شعور الفرد بأن «حدثا معيننا سوف يؤدي إلى إنتاج معين» ويؤكد «ثيرون» بعد ذلك أن الدوافع النفسية هي نتيجة حاصل ضرب القيم المتوقعة في التوقع ذاته ، وتؤدي فاعلية الدوافع إلى حدث معين وهذا يحقق للفرد هدفه. وتحقيق الهدف هو الإحساس بالرضا أي إحساس وشعور الفرد الذاتي ، والرضا الذاتي ما هو إلا إتجاه من الإتجاهات السيكلوجية التي هي محصلة ونتاج مجموعة إتجاهات نوعية في ثلاث مجالات هي علي الترتيب : إتجاه عوامل الوظيفة النوعية، وإتجاه التوافق الفردي، وإتجاه علاقات الجماعة خارج العمل ، مثال ذلك عند منح التلميذ جائزة قيمة كنوع من الحوافز فإن الدافع هنا في هذه الحالة يجب أن يكون الرضا الذاتي وهذا من وجهة النظر السيكلوجية ، ونتيجة لذلك فإن أداء التلميذ سوف يكون بالتالي «الحصول على تقديرات عالية ومعدلات مرضية» .

حول التعلم والتدريب .

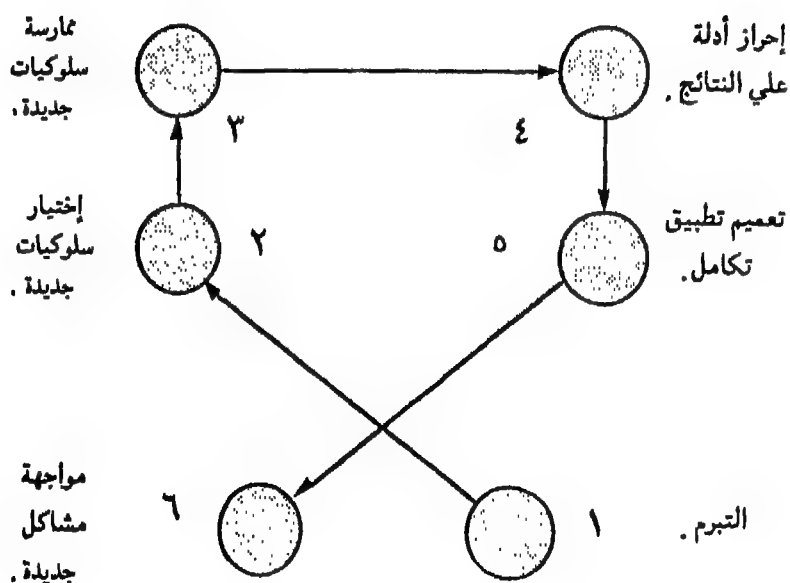
في بداية هذا الموضوع نتساءل : كيف يتعلم الأفراد من خلال التدريب وما هو مفهوم التدريب لدى المشتغلين بعلوم الإدارة والعلوم الاجتماعية ؟
التدريب بوجه عام هو فرع من فروع التعليم وكلاهما يدرجان تحت مفهوم المعرفة بأوسع معانيها وعند تحديد مفهوم التدريب نقول : « هو ذلك النظام الذي يتبع في دراسة فن من الفنون أو مهنة من المهن أو دراسة أعمال أي وظيفة أو بمعنى آخر هو عملية النشاط المستمر بقصد إمداد الشخص بمهارات وخبرات وإتجاهات تجعله صالحا وملائما لممارسة عمل أو مهنة ما » .

والتدريب عند رجال الإدارة هو : التطور المنطقي المستمر للمعلومات والخبرات والمهارات والسلوكيات التي تحدث خلال طبقات العاملين ويساعد على تقدمهم في العمل الذي يعملون فيه وعلى ذلك فإن عملية التدريب تهدف إلى الإنتاج وترشيد العمل ووضع المواصفات اللازمة لتأديته على أكمل وجه .

ونعود للإجابة على سؤالنا الأول والخاص بكيفية تعلم الناس من خلال التدريب وهنا نقول :

إن عملية التعلم ذاتها كعملية سيكولوجية أولا وقبل كل شئ تسير طبقا لدورة ذات مراحل ست وهى على الترتيب كالتالى :

- ١ - مرحلة عدم الرضا والتبرم . Dissatisfaction.
- ٢ - مرحلة إختيار سلوكيات جديدة . Selection of new Behaviors.
- ٣ - مرحلة ممارسة السلوكيات الجديدة . Practicing new Behaviors.
- ٤ - مرحلة إحراز أدلة على النتائج . Getting Evedences on Results.
- ٥ - مرحلة التعميم والتطبيق والتكامل . Gen., Integ. and Application.
- ٦ - مرحلة مواجهة المشاكل الجديدة . Facing new Probleems.



شكل يوضح دورة عملية التعلم وكيف تسير في مراحلها الست .

وهذه المراحل الست سالفة الذكر هى التى تشكل الأسس الهامة لعملية التعلم ولاسيما عند تعلم عمل ما بطريقة فعالة فى جماعة التدريب وهنا نتعرض لكل مرحلة بشئ من الشرح والإيضاح فنقول :

أولاً : مرحلة عدم الرضا والتبرم .

يعتقد التلاميذ في هذه المرحلة أن جماعة العمل ضرورية لهم لأنها ذات تأثير بالغ الأهمية للفرد في الجماعة ويحدو بنا هذا الاعتقاد في نهاية المطاف إلى شعور الفرد وأحاساسه بعدم الرضا إلى حد ما « To Some Ex. » نحو اتجاهاته النفسية ومفاهيمه وسلوكه في هذه الجماعة ، بالإضافة إلى ذلك قد يعانى الفرد المتعلم التلميذ الكثير من القصور والعجز ، قصور معين يتعلق بدوره في الجماعة كما أنه لا يمكنه إن يتقدم - أحيانا - إلى الأمام في عملية التعلم. وهنا تبرز المشكلات الإنفعالية ويسود - المتعلم - شعور عدم الرضا ويدرك تماما أن قصورا أو عجزا يعتره ، وقد يزداد هذا الإحساس قبل وأثناء عملية التعلم وبعد أن يصبح هذا الشعور الحاد بعدم الرضا والتبرم يشير لتغيرات مرغوبة في سلوك الإنسان ، ونتيجة لذلك كلما زاد دافع التحصيل الناتج من رغبة المتعلم القوية للعمل مع أعضاء جماعته التدريبية فإن تغيرا ملموسا في سلوكه قد يزداد دائما وبانتظام وتكامل نحو عمله في جماعة التدريب .

والواقع أنه من الحكمة أن نقلل من مشاعر الخوف والفشل والتوتر لكل فرد في جماعة التدريب وذلك بأن نجعل الأفراد في هذه الجماعة يناقشون ويتحدثون عن مشاكلهم بأنفسهم لأن مثل هذا الإجراء هو الأساس المتين للتدريب .

ثانيا : مرحلة إختيار سلوكيات جديدة .

وتهدف هذه المرحلة إلى تقليل الشعور بعدم الرضا لدى الفرد المتدرب حيال سلوكه الحالي وما عليه إلا أن ينتقى أنواعا من السلوكيات الجديدة لتحقيق النتائج المرغوبة في جماعة التدريب ولذا فإن جماعة التدريب يمكنها أن تساعد وتشد من أزره على طول المدي فيما يتعلق بهذه السلوكيات الجديدة الممكنة التي إختارها من قبل لحظة أن يستعد لتعلم عمل ما .

ثالثا : مرحلة ممارسة السلوكيات الجديدة .

قد نرى في عملية التدريب الناجحة تخطيطا للأساليب التي تسمح بالتجريب السلوكي Behavioral Experimentaion بأقل قسدر ممكن من

المخاطرة وبالمثل قد نري في التدريب الجيد أن أفراد الجماعة يستمعون في ممارسة نوع من التجريب السليم للوظيفة وفي هذه الحالة فإن الخبرة الذكية بالإضافة إلى السلوكيات الجديدة ينبغي أن تلعب دورها الفعال في موقع العمل وذلك لأن مناقشة مشاكل الوظيفة الفعلية والحقيقية من خلال جماعة التدريب ، يؤدي إلى الأداء الأمثل لهذه الوظيفة ، وقصارى القول فإن المتدرب Trainee يجب أن يكون لديه فرص كثيرة لممارسة وظيفة المستقبل .

رابعاً : مرحلة إحرار الأدلة على النتائج .

لاشك أن المتدرب الذى يعيش التجريب كسلوك عام فى موقف التدريب يمكنه أن يحرز قدراً من الأدلة على صحة النتائج التى وصل إليها بنفسه من تأثير وفاعلية ما قام به من عمل ، فلقد ثبت علمياً أن التعلم بالعمل ليس كافياً ، إذ أنه من الضروري أن يدرك المتعلم أثر سلوكه الجديد على الآخرين وهذه العملية عملية التأثير على الآخرين تعرف باسم التقوية والإستزادة - Feedback and Rain-forcement وقد إستعمرنا هذا التعبير الفنى فى مجال الأوتوماتية Automation فنحن نعلم أن الترموستات يمد المدفأة بالقوة والإستزادة - Feed back and Rainforcement لكى يتم تشغيلها بطريقة مثلى لتدفئة المنزل . ومن ثم أضحى واضحاً إمكانية إستخدام هذا اللفظ فى ميدان التدريب ، وعلى ذلك فلا بد أن تتميز القوة والإستزادة بثلاث مميزات رئيسية هى :

١ - الوضوح .

٢ - الثقة والثبات .

٣ - تناغمها واتساقها مع سلوك الفرد .

وعموماً فقد ثبت أنه بالدقة الماهرة يمكن للمتعلم أن يبدأ فى تصحيح وتأكيد سلوكه بفاعلية ، وكل هذه الطرق مجتمعة تعتبر فى الواقع كمرآة عاكسة للسلوك نعى سلوك التدريب بالإضافة إلى أنها تمنح المتدرب الكثير من المعلومات الصحيحة بشأن « ماهو الفعل الذى يؤدي إلى سلوك ما ؟ » .

خامساً : مرحلة التعميم والتطبيق والتكامل .

يحتاج المتعلم فى هذه المرحلة إلى إستزادة إيجابية من زملائه فى الجماعة

حيث أن التعلم قد أصبح شيئا واقعيا وليس مجرد حدث عابر أو بمعنى آخر فإن المتعلم أو المتدرب يحتاج إلى علاقة وطيدة بين خبرة التدريب ومهام الوظيفة مستقبلا .

سادسا : مرحلة مجابهة المشاكل الجديدة .

فى هذه المرحلة يمكننا أن ندرك أنماط جديدة من السلوك قد تؤدى بدورها إلى إستحداث مشاكل جديدة لم تكن فى الحسبان فى ظل أنماط السلوك القديمة ونتيجة لذلك فإن المتدرب قد يعيد الكرة فى عملية التعلم لإحراز أفكار خلاقة بشأن تغيير أعمق وأبعد ، ويمكن القول أنه إذا تعلم المتعلم كيف ينمو ويتعلم وبأخذ إتجاهها تجريبيا لمشكلات حياة الجماعة التي تقابله وتصادفه ، فإنه والحال هكذا سوف ينمو ويتعلم الكثير فى مجال الوظيفة التى ستحوك إلى به بعد ذلك . ولتوضيح ذلك نضرب المثل التالى : عند تعلم شخص ما قيادة السيارة فإنه يصادف فى بداية الأمر الكثير من الصعوبات بالنسبة لميكانيكا السيارة ، وكيفية قيادتها بمهارة ، وهنا قد نطلق على مثل هذه الحالة « مرحلة للأرض والتبرم » لأن هذا الموقف يعتبر موقفا صعبا وجديدا بالنسبة للفرد .

يشعر المتعلم بعد ذلك فى محاولة عمل شئ ليعدل ويحور سلوكه وهذا معناه أنه قد بدأ يختار سلوكيات جديدة من جملة أفعال ومناشط سلوكية لديه بهدف مجابهة مشكلته وتقليل إستيائه وعدم رضاه «Dissatisfaction» . حسنا ولكن المتعلم هنا فى هذا المجال مازال يجابه تعثرا وإمتعاضا فى خبراته وتجربيه السلوكي ولذا فعليه أن يمارس سلوكيات جديدة لتساعد على تحقيق نتائج المرغوبه لهذا الموقف الواقعي .

والآن لقد أصبح المتعلم سائقا ماهرا -ولكن من وجهة نظره هو- يرى أحيانا أنه بحاجة لمعرفة النتائج معرفة عما إذا كان يسير فى الخط المستقيم الصحيح أم لا . إنه بحاجة لإحراز أدلة كافية على نتائجه وعموما يجب أن يعرف بأن هذا هو عمله وسلوكه لأن التعلم بالعلم ليس كافيا كما ذكرنا من قبل وبعد ذلك فإن المتعلم قد أصبح فى هذا الصدد كفاء أو جدير فى قيادة السيارات ولذا فهو يستطيع أن يقود أنواعا كثيرة من السيارات وقد يؤدى التعلم لديه فى هذه الحالة إلى قيادة سيارات وعربات كثيرة متنوعة وهذا ما يعرف باسم التعميم والتطبيق والتكامل فى القيادة .

وبمرور الزمن فإن المتعلم قد يصادف مواقف صعبة وذلك لأن أنماط جديدة من السلوك غالبا ما تحدوا به إلى مشاكل جديدة ونتيجة لذلك فإن المتعلم ما عليه إلا أن يتعلم قيادة قطار أو باخرة أو طائرة مثلا وهنا ينبغي أن يحل السلوك الجديد محل أنماط عملية التعلم القديمة ، وعلى ذلك فإن دورة التعلم وفقا للطرق المبتكرة الجديدة تستمر وتدوم فى مسارها وهكذا .

والشكل السابق يوضح أن دورة التعلم ينبغي أن تكرر باستمرار لكي يكون التدريب بعد ذلك عملية مجدية ومؤثرة لأنها تتجه دائما نحو الأفضل والإتجاه الصحيح وهذا ما يجعلنا نقرر بأن عملية التعلم ترشيدية بحتة تقوم على أساس إستبعاد الحركات الطائشة والسلوك العشوائى والسير نحو السلوك الجيد والحركات الصحيحة .

جماعة التدريب كوعاء لعملية التعلم .

هناك سمات رئيسية لجماعة التدريب تجعل منها أرضا خصبة وبيئة صالحة لعملية التعلم ونلاحظ ذلك فى العوامل الآتية :

١ - روح الإسهام التعاونية .

إن جماعة التدريب ما هى إلا تجمع من الأفراد وكل فرد يعانى إلى حد ما من عدم الرضا عن سلوكه خلال سلوك الجماعة ولذا يحاول الكل أن يحرز ويحقق مساعدة أو يضيف جديدا فى تقدم هذا السلوك وهذا يؤدي إلى المجهود المشترك خلال جماعة التدريب .

٢ - أفكار إضافية جديدة .

يسير التدريب فى مساره السليم وفقا لنظام الجماعة حيث أن الأفراد ذوى الميول المتباينة والمتضاربة وكذلك القيم والاتجاهات يمكنهم أن يشاركوا بفاعلية كل حسب وجهة نظره وحسب طاقاته بغية تغيير السلوك نحو الأكمل والأفضل عن طريق أى فرد منهم ، وهنا نرى الكثير من الأفكار المختلفة والمتصلة بالوظيفة يمكن أن تظهر لحيز الواقع .

٣ - الموقف التجريبي .

إن فاعلية موقف الجماعة قد يرى بوضوح عندما يمد المتعلم ويزوده بما يسمى «بمعمل التعلم» القائم على النظرة التجريبية والعملية والذي يساعد الأفراد على ملاحظة أنفسهم بأنفسهم وعلاقة بعضهم ببعض الآخر ، بالإضافة إلى ذلك فإن المتعلم خلال تفاعله بأعضاء الجماعة يمكنه أن يدرك أثر سلوكه على الآخرين كما يحرز - في الوقت نفسه - حكم الجماعة الموضوعى على سلوكه وبهذا التفاعل بين المتعلم والجماعة يمكن القول أن دراسة المتعلم كفرد وسط الجماعة تعتبر ذات أهمية بالغة لأنه بدون الجماعة وعدم معايشة الفرد لها فإن ذلك كمن يريد أن يتعلم السباحة دون أن يمس جسمه الماء .

٤ - السرعة والقورية .

إن فاعلية موقف الجماعة يمكن أن نراه بوضوح في سرعتها وفوريته عند البت في الأمور ، مثال ذلك فإن السلوكيات الجديدة قد تمارس بسهولة في الزمان والمكان المناسبين لأفراد الجماعة ووفق حاجتها أى أنها تتحدد تماما متى وأين تحتاج لممارسة سلوكيات جديدة. أى أن أشكال وأنواع عملية التعليم لا تؤجل لوقت آخر ولكن كل ذلك يمارس في اللحظة والتو طبقا لرغبة وإرادة الجماعة ومتى وأين تريد .

٥ - النجاح الواقعي والأكيد .

لاشك أن موقف الجماعة ليساعد ويؤكد أن عملية التعلم تستمر خلال حدود حقيقية ، وهذا يعنى أن أعضاء الجماعة يتخذون قراراتهم بأنفسهم وليس بمساعدة المدرب أو المدرس مثلا ، وعلى ذلك فليس من المحتمل أن يحاول أفراد الجماعة ممارسة سلوكيات صعبة ، وبالجمله فنحن نعتقد أن النجاح في أداء الوظيفة مستقبلا أو أى عمل ما ، قد يعتمد كثيرا على الخبرات الصحيحة والسلوك الجديد خلال جماعات التدريب .

حقائق عن عملية التعلم والمعلم .

هناك خمسة حقائق في هذا المجال جديرة بالمناقشة نجهلها في الآتي :

-٩١-

- ١ - طرق التعلم القديمة البالية .
- ٢ - أهمية المعلم المحنك .
- ٣ - مهارات وخبرات المعلم .
- ٤ - مهام وأعمال المعلم .
- ٥ - حوافز مهنة التدريس .

أولا : طرق التعلم القديمة .

من الطرق القديمة لعملية التعلم والتي مازالت تتواتر وتكرر حتى أيامنا هذه هي عدم تصنيف تلاميذ الفصل الواحد فنرى التلميذ النايغ الصغير يجلس بجوار التلميذ الخامل الكبير جنبا إلى جنب ليتلقى الجميع طريقة تلقين واحدة وتعليمات ومعلومات متجانسة دون إعتبار للفروق الفردية الأساسية بين ذلك القادم الجديد والرايض القديم . إن ذلك النظام له مساوئ كثيرة عندما نقوم بتقييمه من وجهة النظر البيولوجية ورغم ذلك مازال هذا النظام سائدا .

ثانيا : أهمية المعلم المحنك .

يتوقف نجاح عملية التعليم على حاجات التدريس ومساعدات التدريب الواضحة والواقع أن قيام الأنساق التربوية بشكلها الراهن والسائد لدليل على ضرورة إعداد وتهيئة المتعلم للإرشاد والتوجيه التربوي أثناء عملية التعلم وذلك لمواكبة ومعايشة ظروف العصر المتغيرة باستمرار ، ولن يتأتى هذا إلا بالتركيز على أهمية ومزايا الإنسان الخبير في مثل هذا المجال وهو بالطبع ذلك المعلم الممارس المحنك والملائم لمهنة التدريس .

ثالثا : مهام وأعمال المعلم .

إن المعلم الكفء في نظرنا هو ذاك الإنسان الذي يعرف تماما أى الأخطاء يمكن تلاقيها وأن الأخطاء يمكن تصحيحها أثناء عملية التعلم كما يمكنه أن يقلل إلى أقصى حد ممكن من تلك الإستجابات الخاطئة والحركات الطائشة والعادات التي تعوق عملية التعلم ، لاشك أن التلميذ في حاجة دائما إلى أن يعرف « كيف »

يلقن العلم وأيضا لماذا هو يتلقاه ... إن المسألة مسألة الكيفية وليست السببية فقط .
أى بمعنى إن أسباب رد الفعل لابد أن تسير فى خط واحد مستقيم لا بدليل له ولماذا
كانت إحدى الإجراءات متفوقة ومتقدمة عن الأخرى ؟ إن المدرس أو المعلم الخبير هو
من يعرف تماما كيفية وأسباب أداء العمل أو الوظيفة ومن ثم فهو بحاجة لمعلومات
وتعليمات توضيحية أساسية تساعد علي الفهم والاستيعاب والبصيرة ، وبذا
يصبح تقدم ونجاح المتعلمين أسرع وأفضل حينما نركز إنتباههم علي المفاهيم
والمظاهر الهامة لعملية التعلم والتقليل من الجهود الضائعة والروتين البغيض بهدف
تيسير عملية التعلم وإنسيابها ، إن إحدى القدرات والإستعدادات الهامة للمعلم
والتي يجب أن يتحلى بها هى عملية المفاضلة بين معلم ناجح ومعلم روتيني بحث
أى بمعنى أن أهم القدرات لدى المعلم هي طاقته الفائقة علي جذب وإغراء وإستمالة
التلاميذ للعمل والتحصيل بمستوى عال من لآداء .

خلاصة القول يجب أن يكون المعلم معلما ملهما خلال عمله بالتدريس وعليه
أن يجعل المتعلم يشعر بحاجة شخصية إلى التعلم والتدريب يجب عليه أن يحافظ
على ميوله وإهتماماته خشية الوهن أو الفتور ، يجب عليه أن يثير التلميذ الكسول
وأن يؤججه حماسه لعملية التعلم ، إن هذه الأشياء والأمور ليست بالسهولة بمكان
لتحقيقها أو السعى لتنفيذها ولكنها ضرورية وهامة جدا لإحراز أقصى دافع لدى
التلاميذ وهذا أسرع معدل لعملية التعلم .

والواقع أن مثل هذه المنجزات ليست بالضرورة أن نتوقعها من كل معلم أعد
نفسه لعملية التدريس ولكن ينبغي عليه أن يتحلى بقدر كاف من الصفات
والسمات المرغوبة لكي يدخل فى عداد من يمتنون مهنة التدريس وأن يكون لديه
الصفات والمؤهلات والمواصفات التى تجعل منه معلما قديرا .

رابعاً : مهارات وخبرات المعلم .

فى هذا المجال قليل من مؤهلات المعلم الكفاء يلزم ذكرها فهناك من
السمات الرئيسية اللازمة والضرورية للمعلم سمتين أساسيتين هما :
١ - المقدرة على التعلم والرغبة الصادقة فى التعلم .
وتشمل المقدرة على التعلم العناصر التالية :

-٩٣-

- أ - القدرة على الفهم والآداء للمهام المطلوب تعلمها .
- ب - القدرة على فهم واكتشاف مشاكل التلاميذ والعمل على حلها .
- ج - القدرة على شرح وإيضاح طرائق التدريس بوضوح تام .
- د - القدرة على تصحيح أخطاء التلاميذ بإرتياح وكرم وإخلاص .
- ٢ - أما عن صفة الرغبة الصادقة في التعلم فتشمل الآتى :
- أ - الإهتمام والمساهمة في المساعدة على تقدم الآخرين .
- ب - الميل نحو تلقين الآخرين .
- ج - الصبر في حذف وإزالة أخطاء التلاميذ .
- د - الشعور بالرضا من رؤية تلاميذه يتقدمون بنجاح في عملهم .
- هـ - الإهتمام بالناس ومساعدتهم .

وهاتان السمتان بعناصرهما تؤدي إلى أفراد منتجين أكفاء كفاءة عالية ويتميزون بقدرة على الآداء في العمل والدافع القوى للتفوق، والواقع أن السمة الأولى ضرورية جدا للتدريس ، أما الثانية فهناك احتمال أن تتعارض مع مهنة التدريس والحل في نظرنا هو إنتقاء المدرسين من العاملين الأكفاء والمهتمين بالتدريس كمهنة .

خامسا : حوافز مهنة التدريس .

ونتساءل الآن ماهي الخطوات الضرورية التي يمكن إتخاذها لجعل مهنة التدريس جذابة لدفع المدرسين على أفضل أداء في أعلى مستوى من الفاعلية والتأثير ؟

للإجابة على هذا السؤال نورد الإجابات والإحتياجات الآتية :

- ١ - يجب تعويض المدرس ومكافأته بأجور مجزية .
- ٢ - يجب أن يكون متحررا من أعباء الوظائف الإدارية التي تعتبر عبئا على التدريس .
- ٣ - يجب ألا يؤخذ في الإعتبار أن الأجور الإضافية أو تحديد أوقات العمل حوافز فردية تقدم للمدرس الكفاء ولكنها أمور ضرورية .
- ٤ - ينبغي أن نعرف أن أهمية العمل تزيد من مكانة المعلم .

٥ - المشاركة فى تخطيط برامج التعلم ومعايشتها .

وسائل عملية التدريس .

هناك بعض الإتجاهات والمداخل التى تساعد فى طريق التدريس وهى :

١ - المحاضرة .

وهي تلك الطريقة التقليدية التى تسهم فى إمدادنا ، بالمعلومات ويرى بعض الأفراد أن المحاضرة هى أصلح وأنسب وسائل التدريس لأنها جزء من برامج التدريب التى يمكن لأحد الأعضاء المخضرمين فى المؤسسات التربوية أن يقوم بها إنها تلك الكلمات المسموعة التى لا بد أن تتسم بالوضوح والسهولة فى توصيل المعلومات المطلوبة، وهنا يجب على المحاضر أن يتحلى ويتصف بالمقدرة الإدارية فضلاً عن مقدرته اللغوية لأن فى ذلك فوائد كثيرة بالنسبة للأداء الجيد ، وعلى المحاضر حينذاك أن يدرس متطلبات المحاضرة جيداً لكي يوضح الغموض والإسهام ليصل إلى عرض جيد لمحاضرتة وفى هذا الصدد قال أرسطو عن الدراما « إنها تلك الوحدة التى لها بداية ووسط ونهاية » وهذا حقيقي تماماً وينطبق على المحاضرة لأن البداية والنهاية تحتاج إلى إهتمام خاص إذا كان الأثر الجيد ينتج من هذه الحبكة المتناسقة بالإضافة إلى ذلك على المحاضر أن يتأكد من حدود وطاقت مستمعيه لكي يحدد حديثه فى المستوى الإدراكي والفكرى السليم لأن هناك حدوداً لطاقة المستمع العادى ولا بد أن يتخلل ذلك توجيه بعض الأسئلة واستخدام بعض الوسائل السمعية والبصرية ويتوقف ذلك على فترة المحاضرة وما تستغرقه من وقت مطلوب ،

٢ - الدرس .

تعتبر هذه الوسيلة ترجمة صادقة فهناك محاضر ومدرس يمدنا بالمعلومات على فترات ومراحل مع إستعماله بعض الوسائل السمعية البصرية الموجودة بالفصل الدراسي إستخداماً حراً أو إيجابياً وحين يتذكر المرء فى الأيام السالفة أيام الدراسة فلسوف تطفو إلى ذهنه ضرورات ومتطلبات الدروس الجيدة فقد كان يقوم المدرس بإعداد درسه وتقسيمه إلى أجزاء ومراحل وفى كل مرحلة يتحدث عن معلومات

جديدة ويكتشف بالأسئلة بعض البيانات الهامة سواء كانت جماعة الفصل كبيرة أو صغيرة بالإضافة إلى ذلك فإن الأسئلة يجب أن تقوم على النقاط الأساسية للدرس مما يثبت الأفكار الرئيسية في أذهان التلاميذ كما أن ملخصا واقيا للدرس قد يقيد في مثل هذه الحالة وعلى المدرس أن يستخدم السبورة ليعرض درسه ويقدم بعض الوسائل السمعية ووسائل الإيضاح المناسبة كما أن على المدرس التقدير ألا :

أ - يغفل عن تحضير درسه ظنا منه أن هذا الأمر سوف يتحقق بنفسه .

ب - ألا ينفق كل الوقت في إملاء المذكرات أو أن يجعل كل أفراد الفصل يكتبون مذكرات مطولة من السبورة .

ج - يقرأ المدرس من الكتاب على طريقة الصحيفة وهذا لا يفيد التلاميذ إطلاقا .

٣ - جماعة المناقشة .

هي وسيلة تسهم في إلقاء المعلومات عندما تكون الجماعة في حالة مناقشة موضوع من الموضوعات وذلك وفقا لحدود وآفاق معلومات الجماعة وفي هذه الحالة لا بد للجماعة أن تستقى معلوماتها من قائد المناقشة ، أن جماعة المناقشة ليست كما يظن البعض مفيدة فقط في وقت الحرب أو بعده ، ولكنها مفيدة للغاية في أوقات التصدي لحل مشكلة ما وليس الإستخدام الأمثل لها في المحاورات السقراطية ، إن المناقشة المثمرة يجب أن تجرى بوضوح عندما يدرك قائد المناقشة في أي اتجاه يسير ليحرك فكر الجماعة ويشحذ هممها ويستميل آراءها ويبلور قرارها لأنه يترك لفكرها العنان حرا طليقا ليشجع كل فرد على المساهمة في المناقشة والتفكير بحرية أكثر، وخلاصة القول أن نجاح طريقة المناقشة يتوقف على القائد وعلى ما يقوم به من إعداد لإدارة الجماعة ، من ثم تصبح المناقشة ممكنة ومرغوبة هذا ويجدر بنا أن نخصص جزءا يسيرا للمناقشات الجماعية لإلقاء المزيد من الضوء عليها في هذا المجال .

٤ - دراسة الحالة .

ومهمة هذه الوسيلة أن تعالج مشاكل المجموعة من خلال موقف عملي ينبغي وصفه وتحليله عن طريق وثائق مكتوبة أو كلمات مسموعة كما هو الحال في دراسة

حالة مجتمع الرفاهية الصناعية ، وذلك بمساعدة المصنقات الفنية والأجهزة التسجيلية ، ويتناول هذا الموقف وصفا لمشكلة سواء كانت مشكلة إدارية أو فنية أو إنسانية ، وتنتهى عند نقطة يتخذ عندها قرار ، وقد يكون هناك قرار سابق .

إن مزايا دراسة الحالة تكمن فى أهميتها وطريقة تعبيرها عن مشاكل الجماعة حيث أن تلك الجماعة تستخلص منه تفاصيل الموقف « العنصر الكلى » الذى يساعد بدوره على تحديد الموقف بموضوعية أكثر وأفضل وكذلك المبادئ الضرورية التى يجب أن تتبعها الجماعة .

٥ - الجماعة النقابية .

هى أكثر عددا من جماعة المناقشة وهى جماعة ذات مهمة أو موضوع للدراسة تجتمع بهدف حل مشكلة عامة تهم كل أعضاء النقابة وقد أصبح من مهامها أن تعمل على بحث المشكلة ووضع تقرير عنها. وعندما تستمر هذه الجماعة النقابية فى البقاء فإنها تمارس الكثير من حل المشكلات التى تصادفها والتى قد تصبح جذيرة بالمناقشة والدراسة .

٦ - المناظرة .

هذه الوسيلة تعمل على سد الشغرات الموجودة فى موضوع من الموضوعات وقد تحدث المناظرة بين أربعة أشخاص أو خمسة يمثلون مختلف الجوانب أو الجهات فى مؤسسة ما ، كأن يحضر الرئيس وبعض الأعضاء الآخرين على أن تكون مهمة الأعضاء التعليق فى أى موضوع تريده المجموعة وتستخدم هذه الوسيلة مع الكبار والصغار والبنين والبنات فى المصنع أو المدرسة وهنا يمكن للجماعة أن تقوم بمجهود متواضع لحل مشاكل أفرادها وفقا لبعض المشاكل المعينة فى الشركة أو المصنع .

٧ - التعبير الذاتى .

وفحوى هذه الوسيلة أن تمنح أفراد الجماعة ثقة كبيرة فى عقد إجتماع تقوم به جماعة العمل وهذا يعنى الممارسة والتدريب طبقا لمتطلبات المناقشة المثمرة والتى تتضمن أحاديث أفراد الجماعة وتعليقها وكذلك بعض النصائح والمشورات البناءة

من قائد المناظرة .

٨ - تمثيل الدور .

هى وسيلة خلق موقف دون وصف ما يجرى فيه على شرط تحسين مجريات الأمور فى هذا الدور بالتمثيل ويحتاج ذلك إلى إعداد فى هذا المجال لإضافة الكثير من الفوائد الهامة المثمرة .

المناقشات الجماعية .

١ - مقدمة قهيدية .

إن المناقشات الجماعية سواء كانت رسمية أو غير رسمية لتلعب دورا فعالا فى سلوك المجتمعات الديمقراطية حيث أن هذه المناقشات والمقابلات والمعلومات والأخبار تساعد كثيرا فى تحريك وحل المشكلات الكبيرة. ويذكر الأنجليز دائما أن نمو الخدمات الصناعية وزوال بعض المنتجات الصناعية البدائية كالقطن والكتن كل ذلك أوجد مشاكل شائعة تستلزم منا تطبيق طرقا جديدة للعمل إذا كانت الدولة متخلفة بين الأمم الصناعية .

إن قيم المجتمعات الصناعية تتغير بمرور الوقت وأن مستوي البطالة المرتفع لم يشعر به بعد ولسوف تكون هذه المشكلة من المشكلات المتفاقمة فى العالم أجمع حيث أن مشكلات الدول النامية تزداد وتتعدد يوما بعد يوم ، ومن سمات الدول المتقدمة التى تتمتع بالرفاهية هى زيادة المنافع التى أصبحت حقا من حقوق الأفراد فى عصرنا الحديث لأن هذه المنافع هى بمثابة الوسادة التى يتكى عليها الناس أملا فى الراحة بعيدا عن حياة العمل العنيفة وكل هذه جعل وظيفة الإدارة مختلفة فى أسلوبها وأهدافها ومضمونها عما كانت عليه من قبل فى الماضى .

وفى أيامنا هذه نرى أن إتجاها جديدا فى الصناعة قد أخذ مكانه وهو يكمن فى تبسيط الوظيفة والتخصص الدقيق والآلية فى العمل ، وهذا المظهر الأخير يتطلب قدرا ضئيلا من مهارات العمل وإهتماماته وقصوره فى المشاركة فى إتخاذ القرارات .

وقد قام العلماء السلوكيون فى السنوات الحديثة بدراسات فى الدوافع والصحة التنظيمية وديناميات الجماعة والفرد والمساهمة فى إلقاء الضوء على العوامل المؤدية إلى مقاومة التغيير عند العمال وهنا تلعب المناقشات الجماعية دورها فى تقبل العمال للتغيير والتركيز على قائد المناقشة ، ومدى مرونته وتدريبه على المهارات المطلوبة لكى يتمكن من إدارة المناقشة بنجاح وتغيير بعض اتجاهات الأفراد عن طريق الملصقات والأفلام والمجلات والدوريات والندوات النقاشية وكل ذلك يجب أن يتم على أسس من الثقة .

٢ - المرحلة السابقة على بداية المناقشات الجماعية .

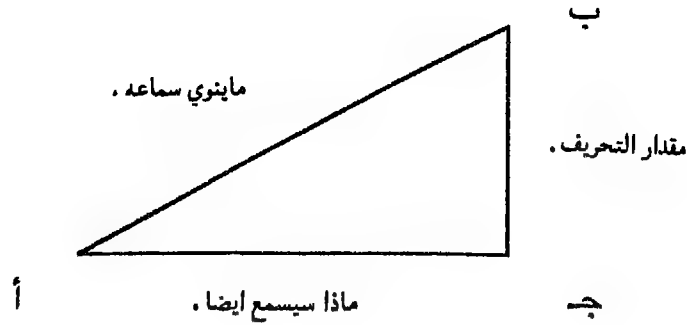
إذا أردت أن تستخدم المناقشات الجماعية فى مؤسسة ما فهناك عدة اعتبارات يجب أن نضعها فى الحسبان وهى :

- أ - يجب أن تبحث الإدارة عن المصلحة العامة للأفراد دون اللجوء إلى صراع بين المصالح الفردية والجماعية وبعيدا عن التشتى والتزاع .
- ب - يخشى الناس الدافع وراء تشكيل المناقشات الجماعية بسبب أهدافها البعيدة وما قد يحدث من مهاجمة بعض الأفراد للبعض الآخر .
- ج - المخاوف والقلق لدى بعض الأفراد مما يعانونه أحيانا فى مثل هذه المواقف الجديدة

د - بعض الناس لا يثقون كثيرا فى جدوى المناقشات الجماعية بحجة عدم كفاءتها فى الوقت الذى أثبتت فيه مثل هذه المناقشات نجاحها وأهميتها فى حل المشاكل الوظيفية .

- هـ - من هم الذين يستجيبون للمشاركة فى المناقشة ؟ وكم عددهم ؟ إن كثيرا من الناس على مستوى الإدارة والإشراف ليس لديهم الإستعداد الكافى لتقبل النصح والإرشاد وذلك لعدم إنصياعهم وتأثرهم بإرادة أى فرد .
- و - كيف يشعر الناس بقيادة الشخص للمناقشة ؟

٩٩



وهنا يمكن أن يحدث فهم خاطئ بسبب عدم الإنتباه بأن بعض الناس سوف يستمعون إلى ما يريدون سماعه وليس إلى كل ما يقال كما هو موضح بالشكل ، وقد يمكن للتحريف أن يزيد طبقا لتعليم الفرد وتربيته والحالة الإجتماعية والعمر وطلاقة اللسان والعادات الإجتماعية ونبرة الصوت والمظهر العام والتصورات السابقة والخبرات الخاصة .

٣ - إختبار بعض القروض .

عند إستخدامنا لأسلوب المناقشة الجماعية بهدف الحصول على تغيير مقبول لابد من مراعاة الآتى :

- أ - يجب أن يكون الناس قادرين على التعرف على الحاجة إلى التغيير .
- ب - من سمات التغيير أنه غير مستقر ويميل الناس دائما إلى مقاومة هذا التغيير لكي يشعروا بأن لهم دورا فى تشكيله وبلورته .
- ج - هناك عادة الإلتزام بقصد التغيير وتأتى هذه العادة ممن لديهم فرصة التأثير وإستمالة طبيعة هذا التغيير .

د - إن أهمية البدء فى وضع الفرد المراد تغييره إتجاهه السيكولوجى ، لا يكون بالضرورة على شكل أين نحن الآن ؟ وما جدوى مانعمله ؟ هذا على إعتبار أن التغيير نادرا مايسير فى طريق واحد إذ قد تكون أنت نفسك فى حاجة إلى هذا التغيير .

- ١٠٠ -

- هـ - هل تعتقد أن كل فرد منا يهتم تماما بالمؤسسة التربوية وأن لديه ما يقدمه لها بقصد التقدم والنجاح ؟
- و - لقد وجد أن معظم المناقشات التي يجريها الناس قد تتأثر بالمصلحة الشخصية ويمكن أن نكسر من حدة هذه المصلحة بالنسبة لأهداف الجماعة وإحتياجاتها طالما أن الفرد جزء من الجماعة .
- ز - إن الثقة هي العنصر الفريد والهام الذي يؤدي بنا إلى المضمون الشامل للمناقشة ، وقد تتزايد وتتراكم مشكلة عدم الثقة على مر السنين وتذهب بعد ذلك أدراج الرياح .

٤ - أسلوب إدارة المناقشة الجماعية .

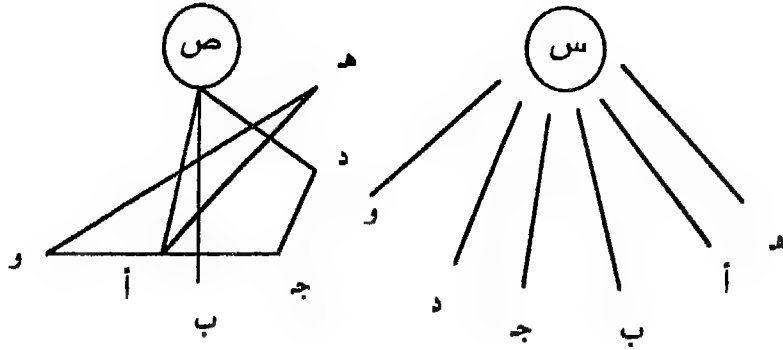
ماذا ينبغي أن تكون عليه سعة الإجتماعات ؟ وما هو المكان المرغوب الذي يبدأ منه أو فيه التغيير ؟ وهل من سمات هذه الإجتماعات إنخفاض درجة تركيبها ؟ أن ذلك يتوقف على طريقة الفهم والإستيعاب في إطار القواعد والإجراءات المتبعة في الإجتماعات .

إن الضبط الذي يمارسه مدير المناقشة الجماعية ينبغي ألا يقوم على السلطة المتطرفة ، ولكن على المهارة في إدارة هذه المناقشة .

أن المهارات هي الإستماع والإستدلال وكذلك المهارة في إستخدام الأمثلة وتآزر جهود الحاضرين ويجب أن يكون قائد المناقشة الجماعية قليل الكلام ، وأن يحد من فرض إرادته بالقوة لكي يصل لهدف المناقشة الجماعية الرئيسي وهو الإستنتاج الإستدلالي .

وبوضوح الرسم الآتى تدفق الإتصالات أثناء الإجتماعات كما يحدد أين يكون رئيس الجلسة .

-١٠١-



وتمثل «س» هنا مجموعة المناقشات المضبوطة ويتوسطها رئيس الجلسة المستعد لإجتماع سريع على مستوى عال . أما «ص» فتدل على المناقشة المفككة كما أنه من الممكن ألا تكون المناقشة بطيئة ويمكننا القول أن ذلك يعتمد على مدى نضج الجماعة .

أن نوعى الإجتماع س ، ص يمكن أن يتفق على موعد ومكان إجراء الإجتماع وتحديد مكان كل منهما ويعرف هذا بإسم « المواجهة » ويشعر الناس بحرية واسترخاء فى الإجتماع ولكننا نميل إلى الإجتماع س لأنه هو الشكل المرغوب والمتعارف عليه والمقبول لأفراد الجماعة لكى يروا بوضوح رئيس الجلسة ولكن أهمية الإجتماع س ترجع إلى إمكان إتخاذ رئيس الجلسة نقاشه مع فرد معين من الجماعة وربما يؤدي ذلك إلى إتجاه عدائى نحوه ، إن المناقشة الجماعية كما وصفناها تنقد النموذج ص أكثر من النموذج س .

٥ - تنظيم الإجتماع .

أ - يجب أن نوجه إهتمامنا بالإجتماع أينما كان وكذلك بقائد المناقشة الذى يتحتم عليه أن يكون محايدا في نظريته وآرائه .

ب - إذا أردنا أن نعطي فرصة المشاركة لأكبر عدد ممكن من الناس فلا بد أن يكون حجم الإجتماع من ١٢ : ١٥ فردا وذلك هو السبيل الأمثل لحل مشكلة الجماعة ومعنى ذلك ألا يزيد حجم الجماعة عن ١١ فردا أو يتعداها قليلا .

- ١٠٢ -

ج - يجب أن يكون زمن الاجتماع ساعتين علي الأكثر وذلك لكي يستطيع الأفراد الاستفادة من المناقشة والالتزام بها .

د - إن الفقرتين ب ، ج السابقتين تعتبران من قائمة إختبار الفروض المقترحة والضرورية في الإعداد والتخطيط من الفرد الذي يجب أن يكون موجودا (إذا كان هناك بعض الأفراد المعوقين للمناقشة ولم يبدأوا الشكوى بسبب قصورهم أو عجزهم في هذه المشاركة) كم عدد الفقرات التي نوقشت في الوقت المتاح ؟ ماهو هدف الاجتماع ؟ هل هناك عقبات تؤثر على مجموعة المناقشة ؟ هل كانت هذه العقبات معروفة من قبل وإستبعدت ؟ .

٦ - أهداف الاجتماع .

يجب أن نوضح للناس كيف نقضي وقت المناقشة كما يلزمنا التدريب على استخدام المساعدات التدريبية والوسائل السمعية والبصرية ويتحقق ذلك عن طريق ابتكار الإطار المرجعي الطبيعي والخاص بكل فرد في الجماعة وهذا يساعدنا على خلق جو من التعاون أثناء المناقشة ، كما يقلل من إيجاد أى مقاومة تعوق سير المناقشة كما يمكن أن يشكل ذلك إقتراحا يصلح للمناقشة ، وإذا كانت هناك نتائج أخرى فلا بد أن نكشفها وإلا سوف نجد صعوبة في طريقة التعامل خلال الاجتماع ويمكن للفرد أن يعرف هذه الأهداف ويجب أن ندرك أن السرعة في المناقشة تؤدي إلى نتائج عقيمة ، وفي المرحلة الأولى لا بد من تحقيق الإتجاه المرغوب لأن ذلك يعطى الجماعة فرصة أكبر في المشاركة أثناء إنعقاد الاجتماع كما يجب أن يكون الفرد عاديا في تصورات وأفكاره أثناء المناقشة الجماعية حيث أن ذلك يؤدي إلى حلول ناجحة في نهاية الاجتماع ، وعند بداية المناقشة ينبغي تحديد الهدف المرغوب ودفع الجماعة نحو الأمام كأن نسأل أنفسنا ... هل هذه العملية ضرورية ؟ وهل نحن نتقدم من ناحية الوقت ؟ ماهو أستعداد الأفراد المطلوب ؟

بهذه الأمثلة نكون قد تعرضنا لموضوع خمسة عناوين فرعية كما يمكن أن نقترح تخصيص ٢٠ دقيقة لكل موضوع تناقشه الجماعة أو الوقت الذي نراه مناسباً ، وينبغي أن نخطط الوقت اللازم خارج القاعة قاعدة المناقشة مع قائد الجماعة وأن نسجل القرار على السبورة أو وسيلة الإيضاح ، كما أن كلمة « نحن » لا قيمة لها

- ١٠٣ -

إذا كانت بين إثنين فقط من المتحدثين مثل أنا وأنت على سبيل المثال .

٧ - المشاركة .

فى المشاركة تواجهنا صعوبات كثيرة حيث أن الناس لايميلون إلى الحديث بسهولة لأسباب نجملها فيما يلى :

- أ - عدم وجود التآلف بين الناس ومع هذا النوع من الإدارة .
- ب - الخوف من اللوم أو الخطأ والنقد والإنتقام .
- ج - إختلاف درجة الحرية عند الناس عن تلك الدرجة التى يملكونها فعلا .
- د - الخوف من الجهل بما يقال وعدم وجود موضوعات هامة للحديث فيها .

هـ - عدم القدرة على التفكير السريع أو الكلام بطلاقة .

- و - العيوب الطبيعية فى الفرد أثناء الكلام مثل الثأثة أو الخجل والصمم .
- ز - عدم الرضا والإستياء من الجلوس كثيرا وحضور أفراد الجماعة .

وخلاصة القول أننا نتعامل مع جماعة مختلفة فى طباعها وأتجاهاتها ودوافعها كما أن أهم الأسئلة فى المناقشة هى التى تكمن فى كيف ولماذا ومتى وأين وماذا وليست ذات الإجابة « بلا » أو « نعم » وهناك مناقشة تعرف بأسلوب الفكرة الجديدة التى تبرز فى إحدى لحظات التجلى ونعنى بها أن أفكارنا تخرج عن طريق مناشط وأفعال ينفصل بعضها عن البعض الآخر وذاك بتقييم ونقد هذه الأفكار التى ترى النور وهنا يصبح التفكير كالاتى :

أذا لم يكن هناك ضبط فماذا نفعل ؟ إننا سنفكر فى أحسن الطرق لإجراء هذه الممارسة وهذا التدريب ، هل يمكننا التغلب على أى من هذه العقبات ؟ وأيهما وكيف ومتى تصبح عقبات فى طريق هذه الأفكار ؟ كما أن بعض المناشط قد تحققت كما يجب وذلك بإستخدام وسائل الإيضاح من وسائل سمعية وبصرية والتى بواسطتها تصبح الجماعة قادرة على إظهار وضبط وظيفتها وتقديمها نحو إنجازها لأن الوسائل السمعية والبصرية هى المرشد الوحيد الذى يساعدنا على تفهم وحل المشكلة ومن هنا يجب أن تحدد جماعة المناقشة نفسها ونوع الوسائل الإيضاحية المطلوبة فى حل مشكلتها بالإضافة إلى ذلك فلا بد أن يأخذ كل فرد من أفراد

- ١٠٤ -

الجماعة دوره فى المشاركة مدفوعا بأهمية الهدف الذى تسعى إليه الجماعة ككل . كما يجب على كل فرد فى الجماعة أن يكتب أفكاره خشية أن ينساها ويطلب منه أن يقرأها على الجميع حتى يمكن كتابة جميع الأفكار .

٨ - التوضيح .

لقد وجدنا أنه من أحد الأسباب الهامة فى إحجام الناس على المشاركة فى المناقشة هى أنهم لا يمكنهم التعبير عما يجيش فى نفوسهم كما يجب أن يكون ، وقد يحدث ذلك بسبب القلق أو بسبب صعوبة التصور أو التفكير السليم .

٩ - الرقابة .

والمقصود بها هى التأكد من حفظ كل النقاط وأهداف الجدل والنقاش وتقييم كل الإجابات الممكنة وشحن كل الهمم والجهود بقصد التوصل إلى الهدف الأساسى من المناقشة الجماعية ، على أنه من المناسب أن يستخدم قائد المناقشة أسلوب الإهتمام بأفراد الجماعة وجعلهم يشعرون بالأمان والضمان والتقدير الذاتى بأن الناس يفقدون الإهتمام طالما أنه لا يسمح لهم به فى مجال ما .

ويجب أن نذكر أن أى مظهر من مظاهر اللقاءات الجماعية يتضمن مشاعر الناس وإذا كانت هذه المشاعر غير متسمة بروح الإسماع فلسوف تكون مناقشتنا الجماعية مناقشة متبعثرة هنا وهناك ومن ثم نبعد عن تحقيق الهدف المرغوب لأن نجاح المناقشة والعبرة منها أن تكون نابعة من نفسية الجماعة وأن يسودها النظام والتعبير الحر لكل فرد فى الجماعة وليس مجرد نقاش حاد بين فردين أو أكثر . والواقع أن مهمة قائد الجماعة ألا يدلى بنفسه فى المشاكل البسيطة وأن يعمل على مساعدة الجماعة فى أن تصبح فريق عمل له فاعليته وأهميته وهنا تحصل الجماعة على قرارها الحقيقى والسليم فى نهاية المناقشة .

١٠ - التلخيص .

أن هذا النشاط الفكرى النابع من المناقشة الجماعية لا بد وأن يحدث على فترات متقطعة لأن الناس - كبشر - يودون أن يعرفوا أين هم ؟ وما هو المتفق عليه

وغير المتفق عليه ؟ وأين تكمن نقاط التباين ؟ وإلى أين تتجه ظلال الشك والريب ؟

ونعنى بهذه النقطة الأخيرة أن الجماعة قد تكون مفككة وغير قادرة على التحكم في تفكيرها أو أنها لا تستطيع الوصول إلى قرار نهائي حاسم ولا يمكننا الاتفاق على رأى واحد لأن الشعور بإنجاز الهدف من الإجتماع هو شعور الرضا الذاتى وإشباع حاجات الأفراد النفسية والإجتماعية إلى حد كبير ، ويمكن تلخيص مجموعة الآراء والأفكار والقرارات فى نهاية الإجتماع على شكل رسوم بيانية أوخرائط توضيحية أو على سبورة مدرسية كل هذا يعمل على تحديد وتحسين وتوضيح الأفكار والقرارات بسهولة وإنسياب .

١١ - خطوات التنفيذ .

بعد ذلك نتخذ خطوات التنفيذ فهى هامة للغاية حيث أنها تؤثر على النهوض بالتوقعات والآمال بدون الوفاء بها وذلك لتهينة الأذهان نحو العنصر الأول المبهم من عناصر وينود مفكرة الإجتماعات المقبلة .

١٢ - الإستنتاج .

نستنتج من ذلك أن جماعات المناقشة بهذا الشكل لا يمكنها المداومة والإستمرار مالم تكن هناك موضوعات للمناقشة وإلا فإنهم يعملون على توليد قوتهم الدافعة لكيانهم ويشرعون فى تبرير وجودهم .

١٣ - نبذه عن طبيعة مهارات قيادة المناقشة .

أ - لقد إقترحنا أن حل مشكلة قيادة المناقشة الجماعية تعتبر من المهارات الضرورية للإدارة فى مجتمعنا الصناعي الحديث .

ب - كما إعتبرنا أن هناك عقبات يمكن أن تصادفنا فى قيادة المناقشة المؤثرة وأن بعض الإدعاءات الخاصة بطبيعة أفراد الجماعة ، سيكون لها تأثيرها هى الأخرى على طريقة وأسلوب وشخصية قائد جماعة المناقشة الفعال .
كما قدمنا وإستعرضنا بعض الإقتراحات العلمية لمساعدة قائد المناقشة .

- ١٠٦ -

إن الطريقة المثلى لكى تصبح قائدا مناسبا لقيادة المناقشة الجماعية ، هى أن تكون للجماعة بمثابة المرشد الهادي لهم وذا مهارات إجتماعية متمرس بها. كما يحتاج قائد المناقشة الجماعية إلى ذاكرة حادة قوية ليتمكنه سماع ومناقشة أفكار الأفراد بسهولة ويسر ووضوح وأن يكون ذا مزاج معتدل قادرا على تشجيع الأفراد على الكلام ، والتحدث بصراحة وأمانة ، إن قيادة المناقشة الجماعية الفعالة والمؤثرة هى مهارة يمكن تنميتها بدرجة معقولة من الكفاءة .

مفاهيم حول الأداء والتعلم .

من الثابت علميا - كما ذكرنا سلفا - إن التعلم عملية تغيير وتحوير فى السلوك الإنسانى بغية تحقيق هدف وإشباع حاجة من الحاجات للفرد فى وسطه الذى يعيش فيه وفى هذه الحالة لابد أن ندرك أن عملية التعلم فى حد ذاتها ترتبط وتتشابك كلية بما يعرف بالأداء وهذا المفهوم الأخير ماهو إلا معيار محدد نستخدمه فى تحديد أبعاد النتائج النهائية التى تمخضت عنها عملية التعلم والتدريب « Training » أو بمعنى آخر إذا كان التعلم عملية تحوير فى السلوك فإن الأداء هو مقياس لنتائج هذه العملية الجديدة فى موقف من المواقف ، وهنا نلمح الفرق الشاسع بين الأداء والتعلم وشتان ما بين الإثنين « عملية ومقياس » على أنه يمكننا أن نقول فى هذا المجال أن عملية التعلم كعملية سلوكية ، من شأنها أن تعمل على حدوث تغييرات واضحة فى الأداء ويحدو بنا هذا الأداء المتغير مباشرة ، نحو تطوير إستجابة جديدة وتنميتها طبقا لمنبه من المنبهات الجديدة وقد يكون هذا التغيير فى الأداء على شكل إشارة أو مدلول معنوى وذلك فى حالة تعلمنا مثلا لغة من اللغات ، كما أن هناك عوامل أخرى تتضافر مع بعضها البعض لتحدث وتؤثر فى الأداء منها علي سبيل المثال لا الحصر التعب والملل والسأم والنسيان كل هذا يعمل علي خفض الأداء بإنخفاض ملموس بارزا وعوامل أخرى مثل الدوافع والمواقف السارة والعلاقات الإنسانية الطيبة بين المعلم والمتعلم وكذلك النمو النفسى السليم كل هذا يؤثر فى الأداء .

وخلاصة القول أن عملية التعلم صعبة فى ضبطها والتحكم فيها ، بمعنى أنه

-١٠٧-

يستوي في ذلك إذا إستعملنا الأداء كمؤثر فعال فى عملية التغيير في التعلم أو أن نجعله كمقياس لهذا التغيير الحادث .

ولهذا فإن عملية التعلم تستمر مع الإنسان مدى الحياة ومن المهد إلى اللحد .
ولما كان المجتمع متغيرا باستمرار ومعقدا كأشد ما يكون التعقيد ، كان لزاما على الفرد والحال هكذا أن يتصرف ويشبع حاجاته بطريقة تلائمه، فإذا كان لديه الميل لعملية تعلم شيئا ما فإنه يشرع في كيفية تعلم هذا الشيء ، وسوف يتعلم كيف يخوض سلوكه ويعد له حينما يجابه موقفًا جديدًا إذا ما فشلت أنماطه السلوكية القديمة التى أصبح غير ذات بال بعد أن عفا عليها الدهر ، وهنا ندرك أن التعلم فى هذه الحالة يهدف إلى هدفين رئيسين :

أولهما : إكتساب أنماط سلوكية جديدة يبيحها المجتمع الذى يعيش فيه المتعلم .

ثانيهما : إكتساب أسلوب لتغيير السلوك :

ويحقق لنا الهدف الأول عملية توحيد السلوك وتوضيحه ، أما الهدف الثانى فهو يزودنا - عن طريق عملية التعلم - بالقدرة على تغيير السلوك وكذلك التكيف « Adaptation » مع المواقف الجديدة .

التعلم المدرسى .

يمكننا القول بأنه لا يمكن أن يوجد تعلم بدون متعلمين أو طلاب علم أو واجبات مدرسية Tasks ولكن هناك تعلم بدون معلمين والدليل على ذلك أننا نتعلم كيف نحب ونكره ، وكيف نخاف ونتجنب مصدر الألم ، وكل هذا تعلم شخصى وإنفعالى. أنه تعلم غير رسمى إكتسبناه من الأخ والصديق والأسرة وزمرة الزملاء ورفاق الصبا ، وهنا يجب أن نؤكد أنه مهما كانت دوافع المتعلم عقلية - وهذا أمر هام جدا - إلا أننا سنغدو فى حاجة ماسة إلى التمرين والتدريب والممارسة ومعرفة النتائج وكذلك إلى فهم وإستيعاب التعليمات التى يمكننا أن نطبقها على العلاقات ، والآن سوف نعرض لأهم المبادئ الخاصة بالتعلم المدرسى فى أكثر النظريات شيوعا وذيوعا فى عملية التعلم فنقول :

أولا : مبادئ نظرية البيئة والاستجابة .

١ - يجب أن يكون المتعلم (التلميذ) والمتدرب إيجابيين إلى أقصى حد أثناء الإستماع أو الإنصات والإهتمام بالدروس لأن هذه النظرية تنادى بشعار التعلم بالعمل .

٢ - ينبغي أن ندرك أن التكرار المستمر هام جدا فى تحصيل المهارة وإكتسابها وكذلك فى عملية تثبيت التعلم ويبدو هذا المبدأ بوضوح وجلاء فى تعلم الموسيقى والسباحة وتعلم اللغة الأجنبية والكتابة على الآلة الكاتبة وكل هذه المهارات لا تتم إلا بالمران والممارسة والتكرار .

٣ - أن عامل المران والتكرار له دلالتة وأهميته حيث أن المران والتكرار يكون وفقا لعامل الثواب والعقاب للإستجابات الصحيحة والخطئة ، ومن ثم وجد أن إستخدام التقوية والتشجيع الإيجابى بالثواب « جائزة مثلا » أحسن وأكفأ كثيرا من ذلك التشجيع السلبى بالعقاب (اللوم أو الضرب مثلا) .

٤ - لابد من إستخدام التمييز والتعميم والتكامل وأخذ ذلك كله فى الإعتبار أثناء الممارسة والمران العملى والتطبيقى .

٥ - لابد من معرفة أن موضوع الدوافع هام جدا فى عملية التعلم وذلك برغم أن كل الدوافع الشخصية الإجتماعية لاتسير طبقا لما يفسره بعض الباحثين فى مجال عملية التعلم ، فقد يبدو لنا القلق - أحيانا - أنه يقوم بدور الحافز .

ثانيا : مبادئ النظرية الإدراكية .

١ - لابد من عرض المشكلة أمام التلميذ بكل وضوح وجلاء ، وذلك لأن مظاهر المشكلة التى تراها وندركها بوضوح تام من ناحية إدراك معالمها وأبعادها وإتجاهاتها تمثل أهم الملامح والجوانب .

٢ - علينا بالإتجاه من البسيط إلى المعقد ومن الجزئيات الغامضة إلى الكليات الواضحة ، وكذلك من الكليات البسيطة إلى الكليات المعقدة .

٣ - يجب معرفة أن عملية التعلم بالفهم أكثر ثباتا كما أن قابليته للنقل أكبر من الحفظ وكل هذا أكثر ثباتا ورسوخا من التعلم بالأشكال .

٤ - نحن نعتبر أن تحديد هدف المتعلم هو دافع هام لعملية التعلم حيث أن

مدى نجاحه وفشله هو الذي يحدد أهدافه المستقبلية .

ثالثا : مبادئ نظرية الشخصية .

تقوم مبادئ هذه النظرية أساسا على الفروق الفردية وتتعامل مع المبادئ

التالية :

١ - كل متعلم لديه قدرة مختلفة تماما عن زميله ومن ثم يجب أن نفرق بين التلميذ البطيء والسريع .

٢ - تتوقف قدرات التلاميذ وتعتمد اعتمادا كبيرا على عملية النمو السيكلوجي والإجتماعي ومن هنا لابد أن نلم إلاما تاما بمطالب النمو .

٣ - لما كانت الشخصية محصلة إجتماعية لذا لابد أن نأخذ في الإعتبار أثر الثقافة حيث أنها ذات علاقة وطيدة « بكيف How » و « ماذا What » يتعلم التلميذ .

٤ - مستوى القلق يمكن أن يلعب دوره الفعال في الشكر والتوبيخ ، مثال ذلك إنه عند أداء بعض الواجبات الدراسية يقوم التلاميذ القلقون للغاية بعملهم بمهارة وإتقان مالم نذكرهم بمدى جودة أو رداءة عملهم بينما التلاميذ ذوى القلق البسيط يتحسن أدائهم إذا أثبتنا عليهم وعلى تقدمهم .

٥ - دور الدوافع عند المتعلم ومالها من علاقة قوية في هذا الصدد بمعنى أن الأهداف البعيدة لها أثرها الواضح على النشاط القصيرة المدى. فمثلا الطلبة الجامعيون ذوى القدرات المتكافئة قد يقومون بمهامهم بنجاح ملحوظ وتقدم ملموس إذا كان منهمج عملهم ذا علاقة كبيرة بتخصصاتهم بعكس ما هو بعيد عن ذلك التخصص .

٦ - الجو الجماعى للتعلم Collective Atmosphere وما يكتنفه من منافسة وديكتاتورية أو ديموقراطية ، كل هذا يؤثر على سد حاجات عملية التعلم ومحصلاته .

أثر النضج في عملية التعلم .

إننا نعنى بكلمة « النضج Maturation » تلك العملية التى تنصب أصلا

على التطور والنمو الجسمي عند الشخص والتي تحدث إبانها تغيرات ضرورية فسيولوجية وعضلية تجعل بدورها عملية التعلم مستطاعة وممكنة وقد تسمى الطفل المندفع Impulsive العديد ، والذي تهزه نوبات الزعر والهلع باسم الطفل العقيم إنفعالياً، بينما نطلق على الطفل الأناني والذي يعاني من عقدة الترجسية ويميل إلى الشراسة وعدم التعاون «الطفل العقيم إجتماعيا» ويشمل النضج مستويات معينة فى الأداء فى المجالات الدينية والجنسية والإنفعالية والإجتماعية ويجدر بنا هنا أن نلقى ضوءاً على خصائص النضج لدى الفرد الكبير الراشد فنسوق المقارنة الآتية :

فى سن الثانية يقل معدل التطور السريع الذى كان سائداً أثناء مرحلة ما قبل الميلاد وما بعدها إلى معدل ثابت نسبياً يمكننا قياسه بنسبة ٥ ٪ سنوياً للطول ، ١٠ سنوياً للوزن وبين سن ٦ : ١٠ نرى أن المهارات الجسمية تزداد بشكل ملحوظ وفى الفترة من ١٠ : ١٣ يحدث تطور فجائى يسبق تطور البلوغ السريع فى جانب النضج الجنسي وفى هذه المرحلة تسبق الفتيات بحوالى عامين تقريباً لى يصلن إلى النضج البدنى فالزيادة لديهن فى الطول أكبر من تلك الزيادة عند الأولاد .

خلاصة القول أن كل أجهزة الجسم تأخذ فى النمو المطرد فحجم الرأس وشكله وتركيبه وكذلك الهيكل العظمى وحجم القلب وإفرازات الغدد تأخذ كلها فى تغييرات محسوسة ملحوظة ، ولا يقتصر ذلك على التغييرات الجسمية فحسب ، بل تتعدى إلى التغييرات العقلية ومن مظاهرها :

- ١ - القدرة على حل المشكلات إلى حد ما .
- ٢ - القدرة على التعميم والتجريد .
- ٣ - القدرة على الإنتاج .
- ٤ - زيادة عدد المفردات اللفظية زيادة كبيرة .

مقارنة بين الفرد الناضج وغير الناضج .

الفرد الناضج .	الفرد غير الناضج .
١ - يتحمل المسؤولية .	١ - قلق دائما ولا يتحمل المسؤولية .
٢ - يعرف هدفه جيدا ، طموح .	٢ - لا يعرف هدفه مشتت الفكر « خامل » .
٣ - ذو تفاعل متبادل بينه وبين الآخرين .	٣ - عدواني يهاب الجنس الآخر .
٤ - تتميز علاقاته الشخصية بالإحترام .	٤ - تتميز علاقاته الشخصية بالتوتر والخضوع .
٥ - يشبع حاجاته البدنية بطريقة معتدلة .	٥ - الإنكار الذاتى وإنغماس فى الحاجات البدنية .
٦ - لديه القدرة على الإهتمام بالآخرين .	٦ - التركيز على الذات يجعله يعاني من المازوخية والسادية .
٧ - يواجه الإحباط بحل وسط .	٧ - يواجه الإحباط بالهروب والتعويض والإستبدال .
٨ - يوازن فى حياته بين اللهو والعمل .	٨ - يركز نشاطه دائما إما فى اللهو أو العمل .
٩ - خال من مشاعر الذنب والعداء .	٩ - يشعر بالذنب دائما .
١٠ - يبذل جهودا مضيئة وبناءة فى سبيل الصالح العام .	١٠ - لا يبذل جهدا فى هذا المجال ويميل للتطرف .

أساليب عملية التعلم .

تشير الدراسات الحديثة فى ميدان التربية أن ثلث الأطفال لا يكملون دراستهم بالمدارس الثانوية بسبب عدم تقديم الخبرات التعليمية المناسبة لهم ولذا فمن الضرر السيكولوجي والإجتماعي أن نجبر الأطفال الصغار على الذهاب إلى المدرسة دون إختيارهم وميولهم ، هذا بالطبع من الحماقة ، ولذا فهم يخفقون إخفاقا شديدا ، ويجب أن نؤكد أن سبب هذا الإخفاق ليس نتيجة للمناهج العقيمة فحسب بل إن اتجاهات الطبقة الإجتماعية والظروف والأحوال الإقتصادية تساهمان إلى حد كبير فى سبب ترك الأولاد مدارسهم وعدم الإلتزام فيها .

توزيع التدريب .

إذا حددنا مفهوم التعلم فى الماضى قديما بأنه العملية التى يبدأ بها السلوك ويتغير بالتدريب ، فإن التدريب هنا هو : عدد المحاولات المستخدمة سواء فى إكتساب بعض المعلومات أو حفظها ، مثال ذلك إنك تقوم بالتدريب على مهارة ما بهدف إجادتها وبعد الإجادة التامة لها عليك بالإستمرار فى التدريب بقصد الإحتفاظ بها .

الواقع أن علم النفس يفرق بين مرحلتى الإكتساب والحفظ فيستخدم التدريب فى كل ما يرتبط بالزمن أو عدد المحاولات التى إستغرقت فى عملية الإكتساب ويستخدم « تثبيت التعلم » فيما يرتبط بعملية الحفظ .

صحيح أن الفرد إذا وصل إلى درجة معينة من المهارة فإن كل محاولة ثانية قد لا تؤدي إلى رفع مستوى المهارة فحسب بل أنها تحدو به نحو الإحتفاظ بما حققه وأنجزه هذا الفرد بالفعل ، ولذا فإن مرحلة التدريب هي المرحلة الحاكمة لأى مستوى معين من البراعة ، كما أن التدريب المجزء كعملية تربية يمكن توزيعه أو تجميده أعنى بذلك يمكن توزيعه على الوقت كله أو التركيز فى مدة زمنية مستمرة ومحدودة ، ولقد أثبتت الدراسات المعاصرة فى التدريب أن مدة التدريب التى تقدر بثلاثين دقيقة تكون ذات فاعلية أكثر عن مدة مقدارها ١٥ أو ٤٥ أو ٦٠ دقيقة

- ١١٣ -

من التدريب على عمل آخر بديل .

وخلاصة القول فى هذا إن فترة التدريب يجب أن تكون قصيرة عندما تقدم أعمال أو مهام حركية جديدة للمرة الأولى ولا سيما فى المدرسة الابتدائية حيث تكون الفروق فى المحل الأول ، وكذلك تكون مدة الإنتباه ملحوظة وكلما إزدادت صعوبة المهارة ، وجب أن تزيد عن توزيع التدريب .

ويجب أن ندرك أن الكثير من المهارات الحركية تحتوي علي مهارات عقلية أو إجتماعية معقدة مثال ذلك عند الكتابة على الآلة الكاتبة ، فإن هذا المجال يتطلب هجاء الحروف مهارة لغوية للغة المراد كتابتها وسرعة الأصابع وكذلك المهارة اليدوية .

وفى بعض الحالات قد يصبح التدريب المركز مطلوباً بمعنى أننا يجب أن ننقل من التدريب المبسط إلى التدريب المركز وذلك إذا أردنا الوصول إلى أداء مهارة ممتازة ، ولدينا المثال الواقعى لذلك وهو مزاولة الطلبة على الحفظ قرب الإمتحانات والمفروض أن يتم ذلك بعد مزاولة نوع من التدريب المناسب والملائم على نوع المهارة المطلوبة ولكن فى الواقع ومع الأسف لا تحدث مثل هذه الشروط ومن ثم يظهر لنا التعلم العقيم والحفظ المشوش الضعيف فى طريقة الإجابة الهامشية فى الإمتحانات-ولذا فالتدريب المركز يهتأ فى هذه المرحلة ، أما عن عملية التدريب فهي مطلوبة ومرغوبة عندما يكون :

- ١ - مقدار العمل المطلوب كبيراً .
 - ٢ - مهام العمل عديمة المعنى .
 - ٣ - العمل معقد .
 - ٤ - احتمال الإستجابة الخاطئة كبير .
 - ٥ - الدوافع ضعيفة لكن المجهود الإنسانى المطلوب كبير .
- ويمكن القول فى هذا المجال بأن تركيز التدريب هو الآخر يصبح مرغوباً في مثل الحالات الآتية :

- ١ - عندما تكون المهام والأعمال كثيرة .
- ٢ - عندما يكون التعلم بالإستبصار .
- ٣ - عندما يتطلب الأمر النقل أو التحول من عملية تعلم سابقة .

-١١٤-

- ٤ - عندما يكون لدينا مهارة قديمة تتسم بالدقة والكفاءة .
- ٥ - عندما يطلب منا أداء ممتاز لعلم أو مهارة معروفين جيدا .
- ٦ - عندما نحتاج منا إنتاجية العمل فترة طويلة من المرات والممارسة «التسخين» .

إدارة وتوجيه عملية التعلم .

متى يتدخل المعلم ليصحح أخطاء التلاميذ؟ الإجابة على السؤال نقول من الصعب تجنب الأخطاء أثناء عملية التعلم لذا فإن التدريب على التعليمات وشعور التلميذ بأن الأخطاء في حد ذاتها عمل غير مقبول وغير مسموح به كل هذا له أثره السيئ مما يجعل التلميذ غير متحمس بالمرة لمحاولة التعلم خشية الوقوع في الخطأ ومن ثم يجب تدخل المعلم .

الخطوات الضرورية لتوجيه نشاط عملية التعلم .

هناك بعض الخطوات الهامة في هذا الصدد وهي :

١ - تحليل المهارة .

٢ - تفسير المهارة جزئيا أو كليا .

٣ - توجيه الإستجابات الأولية .

٤ - تقديم وعرض التمرينات الملائمة .

٥ - معرفة النتائج .

٦ - تقييم التلميذ لأدائه .

تحليل المهارة .

والهدف من هذه الخطوة هو تفسير وفهم المعلم للعمل الذي يمكنه أن يعمل أو يقوم به بأبسط طريقة ممكنة ، مثال ذلك عند تعلم السباحة وهي سلسلة من المركبات فيبدأ المدرب أولا بتقسيم عملية السباحة إلى وحدات أو مراحل ويضع لكل مرحلة تمرنا ليبدأ بشرح تنفيذ كل تمرين وهكذا .

توجيه الإستجابة الأولية .

إن معظم المهارات فى الأعم الأغلب ، تتكون من جزئين حركى وإدراكى فالسباحة والجرى والإنزلاق على الجليد ، هذه مهارات معظم مركباتها حركية وأقلها إدراكية ، وهنا ينهج التعلم طريق الإقترب التدريجى نحو الإستجابة السليمة . وهناك حقيقة لاشك فيها وهى أن تعلم المهارة الحركية بالذات يحتاج من الشخص ضبطاً إرادياً فى الحركات وهذا الضبط تقوم به مباشرة منطقة الجهاز العصبى المركزى ، أما القراءة والكلام والخطابة فمعظم مركباتها إدراكية وأقلها حركية .

معرفة النتائج .

لقد وجد أن معرفة النتائج لأى أستجابه لها أثرها الطيب والفعال فى تحسين الأداء ، كما أن الإرتداد الآلى للنتائج جزء متأصل فى معظم حالات التعلم الإدراكى والحركى ، والواقع أن سرعة التحسن فى أى مهارة تزداد بمعرفة النتائج ، وكما ثبت فى بعض الدراسات التجريبية عند مقارنة بعض التلاميذ الذين علموا « أخبروا » بالإستجابات الصحيحة بطريقة منتظمة ، وجد أن معدل تعلم المجموعة الثانية أكبر من معدل المجموعة :
الأولى لأن معرفة ماذا يجب أن نعمل أفضل بكثير من معرفة ماذا يجب ألا نفعل أو نعمل ؟ .

تقييم التلميذ لأدائه .

إن طريقة تحديد الدرس وإعطاء التلميذ الفرصة لدرسته وإستظهاره ثم إمتحانه فيه آخر العام لاتزال واسعة الإنتشار وقد تكون هناك عقبات فى إثبات فاعلية هذا الأسلوب كوسيلة تعليمية للأسباب الآتية :

- ١ - عدم وجود إستعداد قبل ذلك من جانب الباحثين والدارسين .
- ٢ - عدم وجود إستعداد لمواجهة الفروق الفردية .

- ٣ - انفصال العمل بعضه عن بعض .
 - ٣ - عدم وجود الدوافع .
 - ٤ - عدم وجود التوجيهات المناسبة والسديدة لكيفية التقدم .
- على أن تقييم التلميذ لأدائه بطريقة التسميع مثلاً تشجع وتعزز عملية التعلم إذا توافرت فيها :
- ١ - تزايد المعرفة بالنتائج .
 - ٢ - السماح بزيادة إسهام التدريب في المواقف الخاصة بالتدريب .
 - ٣ - التذكر بالطريقة التي تستخدم بها المادة بطريقة متميزة .
 - ٤ - اعتبار التسميع كحافز بتقديم البرهان والدليل علي تقدم النمو .
- ويمكن القول بأن تقييم التلميذ نفسه بنفسه يمكن أن يقوم علي تجميع التلاميذ في مجموعات مناسبة ومحدودة وإعطائهم فحوصاً دورية تسمح لهم بالعمل جنباً إلى جنب والتعلم والتسميع والمراجعة ، ويمكن لكل تلميذ أن يفحص وأن يطلع على تقدم زميله ثم نقارن نتائج الإختبارات والفحوص لدى التلاميذ للإتفاق على الطريقة الصائبة أو غيرها
- مجمل القول أن هذا الأسلوب في التقييم يخلق لدى التلاميذ حوافز للعمل المثمر ، والحوافز بدورها توجه طاقات الأفراد نحو أهداف معينة ، ويجب أن نفرق بين الحافز والدافع فالحافز ماهو إلا موضوع أو جزء من أجزاء البيئة الخارجية أو موقف من المواقف التي لها القدرة على إشباع واقع ما ، أما الدافع فهو موجود داخل الفرد وهو جزء من البيئة الداخلية للفرد وجه نشاطه وطاقته نحو هدف محدد معين .
- الوصايا العشر لأساليب التدريس .**

- ١ - يجب تقوية الإستعداد الطبيعي لعملية التعلم .
- وذلك بأن يدرك التلميذ تماماً بأن لديه هدفا يريد تحقيقه من عملية التعلم ومن ثم يزداد إهتمامه به .
- ٢ - يجب تحديد العمل والمشكلة .
- ومعنى ذلك لا بد من توضيح الموقف التعليمي لتجنب الأخطاء التي تسهم

فى معرفة النتائج والتى تعوق عملية التعلم ذاتها .

٣ - يجب توزيع التدريب وإعطاء فترات راحة .

إن التدريب الموزع مع فترات الراحة يسهل التعلم كما أن عرض وتقسيم الشرح العملى والتوجيهات اللفظية هى الأخرى تساعد فى هذه العملية التربوية الهامة والبدء بفترات تدريبية قصيرة تطول تدريجيا مع نمو المهارة شئ مرغوب فيه ولاشك أن المراحل الأولى لفترات التدريب هى أهم المراحل نظرا لأن الكفاية تتناقص بتزايد التعب والسأم .

٤ - يجب التدريب على العمل ككل إذا كان بسيطا وجزئيا إذا كان معقدا .
وجد بالبحث والتجارب أن الأطفال يميلون للتعلم الجزئى. أما الراشدون فيفضلون الطريقة الكلية إذا كانت لديهم خبرة سابقة بالعمل الموكل إليهم لأن طريقة الجزء لا تحتاج إلى براعة كبيرة .

٥ - يجب التأكد من دقة الإستجابات .

لا بد من تجنب الأخطاء بقدر الإمكان وفحصها عند ظهورها لأول مرة وكذلك العمل على تداعى الخواطر والمعانى لأن ذلك ييسر التنظيم الجزئى لعملية التعلم ويشتمل على نقل الخبرات السابقة .

٦ - يجب معرفة النتائج فوريا .

وهذا يتساوى تماما مع نظام الثواب فى تعزيز عملية التعلم « المكافأة » . فالواقع أن للمعلومات الدقيقة المرتبطة بالتقدم أهمية كبرى لتسهيل عملية التعلم والعكس صحيح عند تأخر معرفة النتائج .

٧ - يجب تثبيت التعلم عند الوصول إلى الكفاءة .

إن تثبيت التعلم فى أى درجة يؤدى إلى زيادة الحفظ وإلى تعزيز واستزادة التحول الإيجابى .

٨- يجب استخدام نظم الثواب والعقاب .

لابد من مكافأة كل من يجيد التعلم فورا ، وتكون المكافأة أكثر أثرا وأفضل عملا عندما تكون جزءا جوهريا من النشاط كما أن الحوافز الصناعية « الحوافز » لها فائدها في استمرار المجهود حتى ينشأ الإحساس بالتحصيل والبراعة .

٩ - يجب تطبيق المهارة أو التعلم .

يجب أن ندفع الأطفال إلى استخدام ما يتعلمونه كي تنمي لديهم الحفظ ويحدث تحولا إيجابيا للتدريب .

١٠ - يجب مساعدة التلميذ على تقييم أدائه .

ونعنى بذلك أن التقييم الواقعي والتحليل النقدي ، يرتبطان ارتباطا كبيرا بنتائج التعلم هذا ولا بأس - في هذا الصدد - أن نتناول بالشرح والإيضاح بعضا من « نظريات التعلم » ،

مدخل في نظريات التعلم .

لعل هذه النظريات نتيجة لرغبة الإنسان الجادة لتنظيم عالمه بطريقة ميسرة مفيدة. إن نظريات التعلم ماهي إلا تفسير منسق لعملية التعلم أو بمعنى آخر إنها محاولة لشرح « كيف » و « لماذا نتعلم ؟ » وما هدف واضعي هذه النظريات إلا وصف عام للفترة التي تتم فيها عملية التعلم وتنظيم القوانين والمبادئ المتعلقة بالمتغيرات الخاصة لمواقف التعلم .

هذا ومن النظريات التي كانت سائدة - وما زالت - نظريات « ترابط المثير بالاستجابة » ، وشرح أصحاب هذا الإتجاه يختبرون إستجابيات الفرد المتعلم نحو تغيرات البيئة الخارجية ، إنهم يرون عملية التعلم على أنها عملية تغيير في العلاقة بين إستجابة المتعلم والمثير الذي ينشطه أو يدعمه ، وبعد ذلك كانت السلوكية والتشريط « قد شقت طريقها نحو تطبيق الإتجاهات الترابطية . على أن هناك من النظريات ما يعرف بإسم « النظريات العقلية المعرفية »

التي تركز على الأحداث الداخلية للمتعلم والوسط الذي يعيش فيه .
وترى هذه النظريات أن لكل متعلم تنظيماً معرفياً في مختلف المعلومات يقوم على الخبرة الماضية ، وهنا تتضمن عملية التعلم إعادة تنظيم داخلي للمعلومات التي تقسم المادة الجديدة أو الخبرات مع المادة التي سبق تعلمها من قبل ، وتعرف هذه العملية بأنها تغيير في معلومات المتعلم أو بمعنى آخر « التركيب العقلي المعرفي » للمتعلم .
إن فائدة كل من المثير والاستجابة في النظريات المعرفية تكمن في تفسير الظروف التي تؤدي إلى التنبؤ والضبط في عملية التعلم ، ويعنى هذا بالنسبة للمعلم إنجاز الأهداف التربوية .

والواقع أنه ليس هناك نظرية حقيقية أو صادقة تماماً ، بيد أن مضمون النظرية التي تلخص وتفسر وتنبئ وتسمح بالضبط في عملية التعلم ، تعتبر نظرية صادقة والدليل على ذلك أن نظريات التعلم تنبثق من العمل « مختبر علم النفس » .
إن كثيراً من المتغيرات الهامة في عملية التعلم المدرسي لم تؤخذ في الاعتبار حتى الآن ، ومن ثم يمكن القول أن تطبيق هذه النظريات في حجرة الدراسة يعتبر من المجازفات التي تؤدي للوقوع في الخطأ ، هذا ويجب على المعلم أن يعرف شيئاً من النظريات بهدف إدراك - المصدر المهني « الذي يستمد منه ممارسة عمله .

النظريات الترابطية للمثير والاستجابة.

يعتبر الترابط من أقدم المفاهيم في علم النفس ، وترجع جذوره إلى الفيلسوف الإغريقي « أرسطو » الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد كان الترابط شائعاً عند فلاسفة علم النفس البريطانيين في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، وعلى كل حال فإن هذه الترابطات المبكرة لم تركز على المثيرات والاستجابات بل كانت تبحث في كيفية ترابط الأفكار في العقل ويرجع ذلك إلى أن وجهات نظرهم « علماء النفس البريطانيين » كانت غير علمية بالنسبة للترابطيين المحدثين لقد كانوا يتساءلون لماذا يؤدي تفكير ما إلى تفكير آخر؟ ولماذا نميل إلى ربط السكين بالقطع والماء بالسحاب أو المطر والبيض بعيد الفصح مثلاً ؟ .

١٢٠-

ومع أن واضعى نظرية المثير والاستجابة لم يضيفوا جديدا إلى نظرياتهم فإن الترابطين الأوائل قد إقترحوا كثيرا من المبادئ التى أدخلت فيما بعد فى نظرية المثير والاستجابة .

وقد إستحسنوا فكرة « التجاور والإقتران » حيث يروا أن الأفكار أو الأحداث التى تحدث عن طريق الخبرات تصبح مترابطة لذلك فإن الفكرة الواحدة توحى بفكرة ثانية ، كما أن الحدوث الفردى أو المفاجئ لا يمكن أن يقيم ترابطا دائما أو مستمرا ففى مجال التعلم مثلا ... يخطط الفرد للحصول على أفكار مترابطة لكي تحدث مقامرة أخرى حيث أن الإعادة أو التكرار تعرف على أنها عامل هام فى التعلم .

ولقد كان للعالم الألماني « هيرمان بينجهاوس » ١٩١٣ قصب السبق فى إضافته الأساس التجريبى للنظرية الترابطية عندما جمع كما هائلا من الدلائل فى ذلك الوقت مما جعله يتعلم كيف يعيد تعلم سلسلة من المقاطع عديمة المعنى مثل : زوب - فيم جنكس وغير ذلك ، كما قدم لنا منحنيات الحفظ ليوضح كيف أن كمية التعلم المثبت تتناقض مع مرور الوقت .

هذا وقد قام « أيبينجهاوس » ببحث العوامل المؤثرة فى التعلم والحفظ ذات الترابطات اللفظية ، وعندما يدرس علماء النفس الترابطين المثيرات البيئية المؤثرة فى السلوك الملاحظ يمكن إعتبارهم سلوكيين .

وينادى علماء النفس الترابطين من أمثال « واطسون » بأن عالم النفس يجب أن يعتبر نفسه فقط مع السلوك الذى يمكن ملاحظته مباشرة كمدخل لدراسة التفكير ، مثال ذلك حالة الحركات الصوتية لأعضاء الكلام أثناء التحدث .

لقد تجنب علماء النفس الترابطين المحدثين هذه السلوكية المتطرفة واعترفوا بوجود تدخل فى المتغيرات داخل الفرد المتعلم يؤثر فى العلاقة بين المثيرات والاستجابات الملاحظة ... مجمل القول أنهم يعتقدون بأن الباحثين عليهم أن يعكفوا على دراسة السلوك الذى يمكن مشاهدته وقياسه بأى طريقة .

التشريط الكلاسيكى .

إذا هب الهواء غمز جفن العين وإذا كانت هناك نغمة موسيقية فى كل مرة

يهب فيها الهواء مداعبا جفن العين فإن النغمة وحدها تسبب الغمز ، وهذا هو أبسط نوع من أنواع الترابطية بين المثير والاستجابة لقد تركزت عملية « التشريط » فى ربط الإستجابة « الغمز » وتحويلها من مثير « هبوب الهواء » إلى آخر النغمة الموسيقية وبذا حدث ترابط جديد بين الغمز والنغمة دون إلغاء الترابط السابق الا هو الغمز وهبوب الهواء .

بافلوف وواطسون .

كان كل من عالم النفس الروسى « إيفان ب . بافلوف ١٩٣٦ - ١٩٤٩ وعالم النفس الأمريكى واطسون ١٨٧٨ - ١٩٥٨ رائدا من الرواد الأوائل فى دراسته الترابطية « المثير والاستجابة » وفى إحدى دراساته إستخدم بافلوف إشارة بسيطة مثل همس أو دوى أو نقطة ضوء قبل إعطاء الطعام لكلب جائع ويعد حدوث هذه الإشارات كان يحدث صوتا قبل تقديم الطعام فيسيل لعاب الكلب عند سماع الصوت فقط كما كانت الإستجابة التى أدت إلى « إسالة اللعاب » قد إستثيرت بالإشارة المحايدة السابقة .

كما أن هناك دليلا لدى « واطسون » يتمثل فى الطفل « ألبرت » عام واحد الذى كان يخاف من الفأر الأبيض الذى جذبه فى أول الأمر وبعد أن جعل « واطسون » الطفل يخاف عندما يرن قضيبا من المعدن مقرونا بمشاهدة الفأر عدة مرات أصبح منظر الفأر وحده يثير إستجابة الخوف لدى الطفل « ألبرت » .

إن ذلك يفسر كيف تتكون إستجاباتنا العاطفية وتصبح عادة لدينا ومن هنا ينظر إلى التشريط الكلاسيكى على أنه وسيلة لتنظيم عملية التجاور -Contig uity أو الحدوث المفاجئ لشيء ما .

التشريط العاطفى عند « مورير » .

أعاد « مورير » دراسة داتل « التشريط الكلاسيكى » وتوصل إلى أن الإستجابات العاطفية هى المشروطة ، كما أضاف بأن العواطف دائما واحدة وهى نوعان :

١ - الخوف أو الشعور بالضيق .

٢ - الأمل أو الشعور بالتحسن .

فعندما سال لعاب كلب بافلوف ، فعل ذلك لأنه يتوقع ويأمل فى تقديم الطعام حيث كان اللعاب مصاحبا للشعور ، كما أن « ألبرت » طفل واطسون كان لديه « تشريط » الشعور بالخوف عند رؤية الفأر ، وإستجاباته العرضية كانت نتيجة لهذا الخوف ويميز « مورير » بين العواطف التشريطية والإستجابات المصاحبة لها حين يرى أن الأمل والخوف قد يحكمان الإستجابات التى أشار إليها « باجيلسكى Bugelski » عام ١٩٦٤ مثال ذلك عند ممارسة غلام لعب كرة السلة فأنه يكتسب شيئا جديدا حيث يحرك أرجله ويمد أذرعته ويراقب الكرة ... وهكذا ، ونطلق على المثير الناتج عن هذه الحركات « الإحساس الحركى » الذى يتدفق عبر الجهاز العصبى ، وتوجد هذه الحركات لتوظف كمثير شرطى فى الوقت الذى ترى الكرة تخترق السلة أو تحيد عنها « مثير غير شرطى » ، وكل هذا يجعل الغلام يشعر بأنه « جيد أو سيئ » فإذا أصاب هدفه دلت مثيرات من مجموعة الحركات العضلية السابقة والمرتبطة بشعوره بأنه « جيد » وفى المرة الثانية يقذف الغلام الكرة فى نفس الطريق الذى بعثت فيه الحركة مثيرات داخلية فقد بدأت فى الظهور وهنا يشعر الغلام مرة ثانية بأنه جيد ويستمر فى توافق عضلاته لتصبح أكثر تماثلا وتطابقا مع سيرتها الأولى وصولا إلى حالات ناجحة وكلما كان التماثل كبيرا شعر الغلام بأنه أحسن وأفضل ، ومن ناحية أخرى إذا كانت المثيرات الجديدة لعضلاته ليست متماثلة لتلك الحركات الناجحة من قبل ، فلسوف يشعر بأنه « سيئ » وهذا هو « الكف » Inhibition وهنا يعمل الغلام على تعديل أو تغيير حركاته لكي يشعر بحالات الجودة والتحسن مرة أخرى حتي تصبح الحركات متماثلة لتلك التى نجحت من قبل .

وفى إحدى تفسيرات « مورير الشيقة عن « التشريط الإنفعالى » يرى أن الشعور بالمحاسن والشعور بالمساوى قد يصبحان مترابطين بالأشخاص أو الموضوعات أو المهام المدرسية « مثيرات شرطية » وذلك كنتيجة لعملية الإقتران بالمدرسين المحبوبين أو المكروهين « مثيرات غير شرطية » وبعد ذلك يسترجع الطالب مثلا فى مثل هذه الحالة ويبدأ فى البحث عن الموضوع أو الأعمال التى تجعله يشعر بأنه « جيد » كما ينسى أو يتجنب تلك التى تجعله يشعر بأنه سيئ أو خائف .

-١٢٣-

إن وظيفة المعلم فى هذا الشأن هى أن يجعل تلاميذه يشعرون بطلاوة مادته وجودة طريقته فى الشرح والإيضاح. هذا وقد يحكم على نجاح المعلم بما يرغب تلاميذه فى عمله أو القيام به فيما بعد .

التشريط الأداةى « مبدأ التعزيز » .

فى الوقت الذى كان يفحص فيه بافلوف « التشريط الكلاسيكي » قام ثورنديك بعمل سلسلة من التجارب (١٨٩٨) التى تركت بصمات باهتة على المثير المحدد ، كما ركزت أكثر وأكثر على إنتقاء الإستجابات وتعزيزها بنتائج مرضية وقد كان ذلك بمثابة الإرهاصات الأولى لتقليد نظرى آخر فى مجال سيكولوجية المثير والإستجابة والذى أصبح معروف بإسم التشريط الأداةى الإجرائى أو « Instrumental or Operant Conditioning » وهكذا .

ترابطة ثورنديك .

كانت أبحاث « ثورنديك » على الحيوانات والبشر (١٨٩٨ - ١٩٣٢) مرتبطة بالأهمية الأساسية لعملية التعزيز فى التعلم ففى إحدى تجاربه وضع قطعة صغيرة جائعة فى صندوق مغلق بخارجه طعام ، وأخذت القطعة تحاول بشدة الخروج من الصندوق حتى تمكنت من فتح الترياس صدفة مما أعطاها فرصة للخلاص . وإذا وضعنا القطعة فى الصندوق مرة أخرى فإن إستجابة شد الترياس المؤدية إلى الطعام سوف تحدث أسرع ، إن إستجابات أخرى مثل شد الترياس وعض وخريشة الصندوق ستصبح أقل إستمرارا أو ثباتا وفى محاولات متكررة فى هذا الموقف فإن الإستجابات الناجحة تحدث بسرعة أكبر بينما غير الناجحة تصبح نادرة وقد أطلق ثورنديك على عملية إتصالات المثير بالإستجابة التى قويت بنتائج مرضية إسم « قانون الأثر » وقد عرف هذا المبدأ الأساسى فيما بعد بإسم « التعزيز » .

هذا ويشير قانون الأثر لثورنديك إلى أن « المضايقات » تضعف الإتصالات. كما أن « المرضيات » تزيد من قوتها ويعد مدة إستحدث ثورنديك مبدأين جديدين بهتمان ويؤكدان على المرضيات ويقللان من شأن ودور « المضايقات » ، إن إدراك ثورنديك لدور التعزيز فى إختيار الإستجابة كان من أهم وأعظم إسهاماته فقد ركز

على خطوتين هامتين هما :

- ١ - تحديد الإستجابة الخاصة التى ستعزز فيما بعد .
- ٢ - الحفاظ على المتعلم نشيطا ومنتبها حتى تحدث هذه الإستجابة .

السلوكية الوصفية عند سكينر .

يعتبر سكينر من أهم المؤثرين بين واضعى نظرية التعزيز النشط والحالى ومع أنه يتحدث باستمرار ضد النظريات الحديثة المتضمنة إتجاهات المثير والإستجابة التى تستثمر المتغيرات الداخلية إلا أنه سلوكى صريح وهو يعترف بكونه واضعاً نظرية هدفها تفسير الدلائل الملحوظة أو الحقائق المتشابهة فى ضوء التحليل العلمى (١٩٦٩) .

ويشير سكينر إلى الإستجابات المستثارة على أنها سلوك « إستجابى » حيث ميز بين نوعين من السلوك أحدهما : السلوك الإستجابى لمثير ما والثانى : السلوك المؤثر الذى يأتيه الفرد فى غياب مؤثر واضح .

ولقد كان « سكينر » مثله كمثلى « ثورنديك » يهتم بالتحكم فى الإستجابات التى يطلقها المتعلم ولما كانت وظيفة السلوك المطلق تبدوا إجرائية فى البيئة فقد أطلق « سكينر » على تلك الإستجابات « الإستجابات الإجرائية » كما أثار بأن السلوك المؤثر بالمثيرات السابقة عليه هو السلوك الذى يتأثر بالمثيرات التابعة له كما أثار بأن عملية زيادة قوة التعلم عن طريق التعزيز على أنها « تشريط إجرائى » وهناك برهان تجريبى للتشريط الإجرائى نوردته فى المثال الآتى :

وضعت قطعة فى صندوق صغير يحتوى على رافعة تسمح بمرور وعاء به طعام . وكان الصندوق من تصميم « سكينر » بهدف تبسيط صندوق « ثورنديك » ودرست القطة فى البداية على الذهاب إلى الوعاء طلباً للطعام وتم بحدوث فرقعة يليها تقديم الطعام فوراً وفى الحال تذهب القطة للوعاء فى كل مرة تسمع فيها الفرقعة . وفى المرحلة الثانية للتدريب كانت « الفرقعة » و « الطعام » يقدمان عندما تدفع القطة الرافعة وقبل مضى وقت طويل فإن القطة كانت تدفع « الرافعة » بانتظام حين تجد نفسها فى الصندوق .

تمييز المشير .

والآن لنفترض وجود نوعين مميزين من المشيرات ضوء ساطع وضوء خافت يتحولان بالتبادل فى الصندوق وتدعم القطة لعمود يضغط فقط عندما يكون النور الساطع موجودا وهنا يصبح الضوء الساطع علامة للعمود الضاغطة أو بمعنى آخر إنه يميز فرصة التعزيز « التدعيم » وفى الجانب الآخر فإن الضوء الخافت يعتبر بمثابة علامة لا تؤدى إلى إستجابة بينما يختفى العمود الضاغطة تدريجيا فى وجوده ويشار إلى هذه الحالة على أنها « كف » أو « إطفاء » هذا ما يعرف بإسم « تمييز المشير » .

إن شرطية « سكر » تحاول أن تحدثنا عن كل أنواع السلوك وبالإصطلاح البسيط للمشير والإستجابة فإن الإستجابات تختار المشيرات على أنها وظيفة « توافقات التعزيز وفى مثالنا هذا فإن الضوء الساطع هو المشير الذى يشير إلى الطعام المناسب لإستجابة ضغط العمود لأن مشير الطعام يتوقف على وجوده ولا يحدث مشير حينما ينتهى الضوء الساطع هذا وتشير « التوافقات » إلى الظروف التى يعتمد عليها التعزيز مثل :

- ١ - نوعية الإستجابة .
- ٢ - توقيت حدوثها .
- ٣ - نمط التعزيز المتاح .

تمييز الإستجابة .

يركز المثال السابق للقطة الضاغطة على العمود على تمييز المشير وكان نجاح «سكر» فى إختيار المشير أروع نجاح ولقد أطلق على ذلك « تمييز الإستجابة » ورغم أنها - إلى حد ما - مماثلة لتمييز المشيرات إن الضغوط القوية من القطة على العمود هى التى أثبتت وكوفئت ولذا كان التعزيز المناسب هو المقابل لضغط القطة القوى على العمود .

نظم التعزيز .

عندما يشكل نموذجنا للإستجابة تعزيزا مستمرا لكل إستجابة صحيحة فإن

ذلك يعتبر مرغوبا فيه ومن ثم فإن بعض أنواع التعزيز المنفصل « المتقطع » قد تعطى نتائج أفضل. إن النظام المنفصل يجعل التعزيز متفقا فى عدد من الإستجابات المرغوب فيها وهذا ما نسميه « بالنظام النسبى » مثال ذلك يقدم مجرب طعاما « لقطه » بعد كل ثالث ضغط على العمود أو يعلق أحد المدرسين بطريقة لطيفة فى كل مرة يعطى فيه طفلا متأخرا دراسيا عددا من الإجابات الصحيحة فى الفصل. كما أن هناك نظام آخر ينادى بالتعزيز بعد مضى فترة من الوقت وذلك بصرف النظر عن عدد الإستجابات المرغوب فيها التى تحدث فى هذه الفترة وهذا هو التعزيز المؤقت وقد تمحدد الفترة كل ١٠ دقائق فى كل يوم أو قد تتغير ومن وجهة نظر « المتعلم » فهو فى نموذج وقتى محدد للتعزيز إذا كان بإمكانه التنبؤ بوقت حدوث التعزيز. وإذا حدث التعزيز عدة مرات فى كل يوم أو أسبوع فى نظام لا يمكن التنبؤ به فإن ذلك يعد تعريزا متغيرا وليس محددًا. هذا وقد تتباين النظم المحددة أو المتغيرة فى تنبؤها بالتعزيز وبذا تختلف النظم النسبية فى المعيار الذى يقوم عليه التعزيز. لقد وجد أن التعزيز المتغير لفترة ما أفضل من التعزيز النسبى للإستجابة ومقاومة الإنطفاء. ويميل كل من التعزيز النسبى للإستجابة ومقاومة الإنطفاء ويميل كل من الحيوان والتلميذ فى فترة التعزيز المشبث نحو الإنتظار حتى تنقضى فترة إنعدام التعزيز قبل الإستجابة. فالتلاميذ الذين يتوقعون لغزا أسبوعيا للتفكير فيه وحله على سبيل المثال وهذا نظام وقتى مشبث ... يعكفون على دراسة الألغاز السابقة فإن التلاميذ يشجعون على أن يستجيبوا باستمرار ليحصلوا على التعزيز عند حضوره ولذا فإن المعلمين الذين يستخدمون الألغاز والأحاجى يضعون تلاميذهم فى نظام تعزيزى وقتى متغير ، وإذا توقف المعلمون الذين يستخدمون الألغاز المنظمة وغير المنظمة عن إعطاء أو تقديم الغاز بالمرة فقد يستمر التلاميذ الذين منحوا الألغاز الدائمة فى تهيئة أنفسهم لتقبل ألغاز أخرى حيث لا يمكنهم التأكد من أن ألغازهم السابقة كانت مستديمة .

أنواع المعززات.

مثال آخر لدى علماء النفس المهتمين بسلوكولوجية المثير والإستجابة ، حيث يميز «سكتر» هنا بين « المعززات الإيجابية » التى تجلب لنا السرور و « المعززات

-١٢٧-

« السلبية » التى تجنبنا الألم فالتعزيز الإيجابى هو الذى يزيد السلوك عند إتباع المرح والطعام والنقود والألقاب والثناء والإنتباه وبعض الإمتيازات الخاصة وعلى وجه العموم فإن العقاب أو الظروف الصعبة أو غير السارة تعتبر « تعزيزات سلبية » لأن تجنبها يزيد من السلوك السابق على إزالتها فمثلا لو أن معلما وبخ تلميذا واعتذر التلميذ بعد ذلك وتوقف التوبيخ وحيث أن نهاية التوبيخ تميل إلى زيادة السلوك الإعتذارى فإن ذلك يعتبر تعزيزا سلبيا ، وعلى أية حال فإن التوبيخ وغيره من أنواع العقاب ليست بذات فاعلية كما هو الحال فى مجال التعزيز الإيجابى وفى نسق العقاب من أجل العمل فإن الإستجابة التى تنتهى ذلك يجب أن تصبح مرغوبة إذا كان العقاب أو التهديد بالعقاب يؤدي إلى الدراسة وعموما فقد يؤدي العقاب إلى الهروب من المدرسة أو أحلام اليقظة أو أشكال أخرى من الأحجام . ومن الجدير بالذكر أن التعزيزات السلبية القوية يمكن أن تعزز السلوك الإحجامى للفرد الذى لا ينطفى أبدا حيث أن كل إحجام ناجح يقوى الإستجابة فى وجود أو عدم وجود التعزيز السلبى .

تطبيقات سكون فى الحياة الواقعية .

لقد أولى « سكون » وحواريه « تلاميذه » إهتماما كبيرا بتطبيق معلوماته عن التعليم فى المجال التطبيقى ، وكان له دور فعال فى تطوير التعلم الذى نراه فى كتابه القيم « تشكيل السلوك الإنسانى » سكون ١٩٥٤ فضلا عن تطبيق مبادئه على مشكلة « مرضى النفوس » بهدف إستجاباتهم للمثيرات الإجتماعية « سكون ١٩٥٧ » .

ولقد كتب بصورة خيالية عن المجتمع المثالى كما أقترح إستخدام مناهجه لعملية التعلم فى صياغة وتشكيل المجتمع فى كتاب جدلى بعنوان « مابعد الحرية والكرامة » « سكون ١٩٧١ » .

هذا ويعتبر « سكون مدافعا قويا عن « تكنولوجيا التعليم » ١٩٦٨ والذى يؤكد فيه على أن التعليم المبرمج والعرض المنهجى ماهما إلا محصلة العمل . وسواء إستخدمنا الكتب المبرمجة أو التدريس التقليدى أو نظام حجرة الدراسة السائدة فإن خطتنا ينبغى أن تؤدى بالتلاميذ نحو السلوكيات النهائية المرغوبة وذلك عن طريق

النتائج الدقيقة للخطوات الوسيطة فالمدرس شأنه فى هذا شأن أى مجرب يجب أن تكون لديه السلوكيات النهائية المرغوبة والخطوات الوسيطة واضحة ، إن الإستجابة الواقعية من جانب المتعلم عند كل خطوة ضرورية ولازمة لأن الإستجابات يجب أن تحدث قبل أن يتم تشكيلها بالتدعيم « التعزيز » .

النظريات المعرفية .

يتميز أصحاب هذه النظريات بميزات تختلف عن زملائهم نحو رؤيتهم لعملية التعلم أنهم ينظرون إلى هذه العملية « التعلم » على أنها :

- ١ - تغيير فى المعلومات وليس تغييرا فى الإستجابة .
- ٢ - عمليات عقلية إستنتاجية حرة هدفها الفهم أو الإستبصار .
- ٣ - أداء ناجح وثيق الصلة بفهم وإدراك العلاقات الحالية أكثر ما هو عليه فى الخبرات السابقة .

ومع أن النظرية المعرفية للمثير والإستجابة تعوزها الدقة إلا أن ذلك ليس هو التقسيم الوحيد ، إن نظريات « كورت ليثين » و « تولمان » توصف أحيانا « بالفرضية » من وجهة نظر عملية التعلم أو السلوك الذى يهتم بالدوافع أو أغراض المتعلم .

هذا وتعرف الآراء الجشططية ونظريات « كورت ليثين » و « تولمان » بالمجال الإدراكي أو « النظريات الفينومولوجية الظاهرية » وذلك بسبب تركيز الإنتباه على طريقة تفاعل الأفراد وتنظيمهم مع مثيرات البيئة .

سيكولوجية الجشططات .

كانت السمة الغالبة على علم النفس بالولايات المتحدة الأمريكية فى أواخر الثلاثينات هى سمة « سلوكية المثير والإستجابة » وفى هذه الآونة تفجرت آراء مجموعة من علماء النفس الألمان على هذه الساحة وكما وصفها أحدهم « هيلجارد ١٩٦٤ » كانت أشبه شئ « بنسمة الهواء المنعش » .

ويعتقد كل من « ماكس فريمر » وزملاؤه كورت وكوفكا وكهler أن

-١٢٩-

العمليات الداخلية للإنسان تعتبر الدراسة الحقيقية والسليمة لعلماء النفس ، كما شرعوا في السخرية من المحاولات التي تنادى بتفسير الفكر أو السلوك تفسيراً مادياً يعتمد على « التركيب الذرى » للإرتباطات .

وكان هؤلاء الألمان المهاجرون إلى أمريكا يعتقدون بأننا نتفاعل مع إدراكنا للأشياء فعندما نتجاهلها مشكلة نتعلم ليس بترابط المثيرات بالإستجابات ولكن برؤيتنا « لأشياء جديدة » فى المواقف ، إن كلمة « الجشطالت » تعنى بالألمانية نمط أو شكل أو صيغة ... ومن ثم كانت هذه النظرة الجديدة قد عرفت بإسم سيكولوجية الجشطالت .

الإستبصار .

لقد أدخل الجشطالتيون مفهوم « الإستبصار » ووصفوا ذلك بالحصول على نقطة التقاط الفكرة أو المسلك وبالإستبصار ، يمسك المعلم بالعلاقات الأساسية فى الموقف فهو يعرف ما الذى يؤدى بموضوع ما إلى موضوع آخر وكيف يصل الفرد هنا إلى هدفه .

إن الإستبصار غالباً ما يظهر على أنه يحدث فجأة مع شعور بالإكتشاف أو الفهم وإستخدم « كوهلر ١٩٥٢ » الإستبصار فى حل مشكلة القرود كما وصف « فريتمير ١٩٥٩ » حدوثه فى حل مشكلة الأطفال ولقد طبق « كوهلر » الكثير من أبحاثه فى جزر الكنارى أثناء الحرب العالمية الأولى .

وفى إحدى تجاربه وضعت موزة خارج قفص الشمبازى الجائع ومع قطعتان من العصي داخل القفص وكانت كلتاها قصيرة لاتصل إلى الطعام الذى يمكن الوصول إليه إذا إتصلت العصاتان ببعض لتصبح كعصا واحدة ولم تبد المحاولة والخطأ فى أن تمد الحيوان بحل ، ولكن الحل يأتى فجأة مثل « الفكرة اللامعة » ، ويشير « كوهلر » بأن ذلك سلوك ذكى قائم على إدراك ماهو مطلوب لحل المشكلة وأن ذلك ما نصفه « بالإستبصار » .

وفى إحدى المشكلات « لفريتمير » إستخدم فى دراسة الإستبصار والفهم أطفالاً طلب منهم أن يجدوا شكلاً معيناً وإذا فهم الأطفال كيفية الحصول على

- ١٣ -

شكل قائم الزوايا بتقسيمه إلى مربعات ، وبحسب عدد المربعات فى صف ويحدد عدد الصفوف ويفكر فى مشكلته الجديدة فلسوف يؤخذ بحقيقة أن المنطقة المحددة تبدو على أنها شكل قائم الزوايا إذا « أعيد تركيبها » بملء أحد الأطراف مع جزء من النهاية الأخرى وعندما يدرك الأطفال ذلك فإنهم يكتشفون أن متوازى الأضلاع ذا القاعدة والارتفاع هو نفس الشئ بالنسبة للشكل القائم الزوايا .

ويرى « هيلجارد » أن فكرة الإستبصار فكرة أساسية حيث يسير التعلم فيها على أفضل وجه حينما تكون عناصر المشكلة واضحة والحال محتملا كما يرى أن ذلك مكافئ للتعلم مع الفهم ويشير إلى أن هذا التأكيد الجشطلتى قد تبناه معظم علماء النفس مع بعض التغيير حيث يتضمن ذلك معظم العلماء الذين أخذوا بوجهات نظر المثير والإستجابة ، ولقد إكتشف الجشطلتيون عددا من العوامل التى تؤثر على كيفية إدراك الموقف وهل يمكن التوصل إلى إستبصار أم لا ؟ .

إننا نحاول دائما أن نضفى تركيبا من عندنا سواء كان هذا التركيب أو البناء بسيطا أو منظما أو كاملا هذا ما يعرف بقانون الشكل الكامل ، ومعناه أن الشخص يدرك الشكل أو الصيغة بطريقة يراها أحسن الأشكال الممكنة. فإذا رسمنا مجموعة مربعات فقد يراها الإنسان المشاهد على أنها شرح لدروس بعض أشكال مادة الرياضيات ولكنها فى نهاية الأمر رسوم لبعض حجرات المنزل .

مثال ذلك أن مجموعة النقاط الموضوعة بنظام رتيب ترى على أنها خط مستقيم بينما النقاط الثلاثة هكذا ترى على أنها مثلث والنقاط الأربعة تشاهد على أنها مربع أو مستطيل وهكذا نرى أن لكل إدراك شكلا وأرضية ومن ثم فإن سطور إحدى صفحات هذا الكتاب تعتبر شكلا وهذا الشكل قد يتلاشى كلية من الصفحة التى تمثل الأرضية كلما حدث لك شروء أو سرعان أثناء قراءة تلك لصفحات الكتاب وهكذا ، ولقد قدم الجشطلتيون مبادئ أخرى للتصور والتنظيم الإدراكى ليساعد على معرفة سبب حدوث بعض الإستبصارات أو عدم حدوثها ، وهنا يشير قانون التشابه أن الكلمات المتشابهة أو الرموز الأخرى أسهل فى أن ترتبط وتستعاد عن غير المتشابهة. كما يؤكد قانون التجاور على السبب فى أن قرء كوهلر قد وجد أنه من السهل عليه توصيل العصاتين معا لكى يصل هذا القرد إلى هدفه وهو الحصول على الموزة المعلقة فى سقف الحجرة .

التثبييت .

لقد وجد « فرتيمر » وأتباعه أن الإستبصار غالبا ما يؤجل ويعلق بسبب تثبييت المتعلم على بعض ملامح الموقف دون الملامح الأخرى ومن ثم فقد لا يدرك الشبان نرى العصا .

هذا وقد ترتبط مخطئين بقياس كاذب أو إفتراض خاص بمشكلة نواجهها . ويبدو ذلك ببساطة فى حل مشكلة النقطة وقدر زناد الفكر المحير والمحل وفحوى هذه المشكلة توصيل عدة نقط بأربع خطوط مستقيمة دون أن ترفع القلم عن الورقة . وهنا يظن معظم الناس أن الخطوط قد لا تمتد فيما بعد للنقط، وإذا كان الإستبصار عنصرا أساسيا فى حل المشكلة حلا ذكيا، فإن التثبييت يعتبر عدوه اللدود . Archenemy

سيكولوجية المجال عند ليشين .

لقد طور ليشين وتلاميذه (١٨٩٠ - ١٩٤٧) فكرة سلوك الفرد والجماعة التى إشتقت من نظرية الجشطت المتعلقة بمسائل الدوافع والنفس والشخصية . ونظرية الجشطت شأنها شأن نظرية المجال التى هى بمثابة طريقة التفكير التى يدرك بها الفرد الموقف والذات فى أى وقت معين . وعندما يكون لدى الفرد هدف فإنه غالبا ما يعتقد فى الوسائل المساعدة على تحقيقه أو الحصول عليه وماذا يؤدى شئ ما نحو شئ آخر أو أى الأفعال تؤدى بنا إلى أى الآثار ؟ ولقد قيل أن تصور أو مفهوم الفرد عن هذه العلاقات يعتبر جزءا من مجال حياته أو مجاله السيكلوجى .

فكرة مجال الحياة عند ليشين .

إذا شعرت يوما بأنك فى ضيق لسبب ما فإن ذلك جزء من مجال حياتك وما تفكر فيه لا يمكن رؤيته على أنه مفتاح الحقيقة هنا ... وكيف تشعر وتصرف ؟ يعتبر ذلك من العوامل الأولية فإذا تصرفت تصرفا ينم عن خوف من رئيس العمل

-١٣٢-

فإن ذلك الخوف يعتبر عنصرا من مجال حياتك سواء أدركت ذلك أم لا لذلك فإن مجال حياة الفرد يتضمن نفسه وكل شئ يؤثر فيه .

إن مجال حياة الفرد يتغير باستمرار ففى دقيقة يصبح غير واع لعوامل بيئته، ومن ثم رأى ليفين إن السلوك هو محصلة عملية تفاعل بين القوى الخارجية وعناصر مجال الحياة الأخرى متضمنا الأهداف التى يبحث عنها وكذا الموقف التى يحاول أن يتجنبها والعقبات التى تعوق حركاته من الناحية السيكلوجية وليس من الناحية الواقعية ، هذا وقد أطلق ليفين « طوبولوجية الموقف » على العلاقات بين هذه العناصر أو العوامل .

عمليات التعلم .

تساهم نظرية المجال مع نظرية الجشطالت فى مفهوم التعلم على أنه إعادة تنظيم أو بناء والبناء بالنسبة لمجال حياة الفرد كما يدركه هو نفسه يعد بناء معرفيا ويحدث التعلم والإستبصار نتيجة للتغيرات فى البناء وهذه التغيرات تأخذ أشكالا عديدة .

التمييز .

هو بناء أو تكوين لبعض مناطق عالمنا السيكلوجى بطريقة تفصيلية وهذا ملائم لإكتساب معلومات أكثر ، وفى هذا يضرب « ليفين » مثالا فيقول إن الفرد الذى يصل لأول مرة إلى مدينة جديدة غريبة ولا يعرف كيف يصل إلى الشقة التى إستأجرها وهذا الجزء من حياته ليس مركبا تماما، وحينما يبحث عن طريقة عند نقل الأمتعة نجد أن المحطة والشقة مرتبطتين عن طريق وسيلة المواصلات المستخدمة بين المكانين، وشيئا فشيئا يعرف هذا الفرد الغريب كيف يذهب من مكان إلى آخر فى أى جزء من المدينة، فالجزء الذى لم يكن مركبا من قبل أصبح تركيبه الآن معرفيا أو « مميزا » .

ولقد إعتقد ليفين كثيرا فى التعلم بأنه عملية إيجاد طريق من خلال بعض أجزاء مجال الحياة .

ويتغير التركيب المعرفى عندما تدخل عوامل جديدة نفترض أن شخصا ما

- ١٣٣ -

يشترى سيارة من مدينة جديدة وتصبح بعض الطرق القديمة أكثر وضوحاً له ومن ثم تكتسب معان جديدة وتحدث بعض المتغيرات حيث يفكر فى الذهاب إلى أماكن جديدة والقيام بأشياء لم يكن يفكر فيها من قبل كما تتغير الأبنية المعرفية نتيجة لتغيرات فى حياتنا النفسية والاجتماعية وحاجتنا ، والأمثلة الشائعة تتضمن إما رضا أو شعوراً .

وهنا سبب واحد للتغيير أو التنوع فى الأنشطة التربوية أن القادم الجديد سرعان ما يضيق ذرعاً بالمطعم الذى يقدم دائماً نفس الطعام ، إن المحبة والكراهية تتغير مع تقدم العمر والنمو الفسيولوجى ...

مثال ذلك شاب يقود سيارته ويمر باستمرار بها أمام مسجد بالمدينة ولا يفكر فى أن يؤدى فيه بعض الصلوات لأنه لا يفكر فى العبادات كثيراً فى مثل هذا السن. إنه يذهب فقط إلى النادى المجاور للمسجد وبعد أن يتقدم به العمر نراه يدير ظهره للنادى ويصبح متحمساً للذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة فيه لقد حدث تغير فى جاذبية النشاط فتغير معنى ومدلول هذا النشاط هذا هو « بناؤنا المعرفى » .

كما تتعرض سيكولوجية المجال أيضاً لمفهوم الذات الذى هو جزء من مجال حياتنا الذى يتناول معلومات الفرد ومعتقداته عن نفسه ولقد طور هوب « Hope ، ١٩٣١ » تلميذ ليثين المفهوم المتعلق بمستوى الطموح أى درجة النجاح التى يتوقعها الفرد لإنجاز عمل مقدم له .

وتقترح بعض الدراسات الأخرى المتعلقة بالدافعية إن الناس لديهم ذكريات أحسن عن الأعمال الناقصة بخلاف الأعمال التامة وأن الناس بالطبع غالباً ما يفضلون الأنشطة المنفصلة عن الأنشطة المتصلة .

ويرى ليثين أن المدرس يبدأ بدوافع الفرد بدلاً من إعطاء المكافآت ومحاولة حصر أو تضيق هذه الدوافع فى الأنشطة التعليمية المتاحة والهدف من ذلك هو توسيع وتكملة مجال حياة المتعلم .

السلوكيات المعرفية عند تولمان .

لقد كان النسق « المذهب » السيكلوجى عن « إدوارد تولمان » ١٨٨٦ - ١٩٥٩

-١٣٤-

معرفيا وغرضيا ، كما كان أيضا نوعا من السلوكية ، لقد جذبته نحوها مشكلات الجشطت ونظرية المجال ، كما كان معجبا بمناهج « واطسون » ولقد نجح فى أن يجمع بين مزايا الاتجاهات المعرفية والمثير والإستجابة .

لقد كانت نظرية تولمان غرضية وذلك لإعتقاده أنها بمثابة بحث عن الأهداف التى تعطى معنى لغالبية السلوك ووجد أن المثير والإستجابة تسبب رضا لبعض أشكال السلوك البسيط والميكانيكى ، كان إتجاهه معرفيا بمعنى أنه رأى التعلم عبارة عن طريقة نعرف بها : ما الذى يؤدى إلى ذلك النشاط ؟ وإذا كانت الترابطات هى ما تم تعلمه فيجب أن تكون ترابطات بين تمثيل المواقف الداخلية وتمثيل الأفعال التى يجب أن تؤخذ وبإختصار فالتعلم هو التشكيل للمواقف التى لها طبيعة التوقعات .

هذا وكون « تولمان » سلوكيا لأنه إعتقد أن السلوك الملاحظ والظروف التى تحدثه « كل مايجب دراسته » ورفض بشدة فكرة التأمل الباطن أو إختبار محتويات عقل الفرد علي أنها مصدر للبيانات ولكنه إذا كان قد إعتقد فى ذلك فكيف يكتب عن الأهداف والمعارف ولكنه لم يفكر فيهما على أنهما متغيرات مستقلة بل هما متغيرات متداخلة يمكن ملاحظتها وتأملها، وكان له فضل إختراع وتأليف معادلة المثير والإستجابة التى إستخدمها الكثير من علماء النفس حتى يومنا هذا والتى تشير بأن هذه المعادلة أو هذا القانون « المثير والإستجابة » يتضمن :

١ - مبادرة المثيرات قبل السلوك .

٢ - توسط العمليات الداخلية .

٣ - إنبثاق السلوك .

السلوك الكلى .

ولقد درس تولمان ما يعرف بإسم « السلوك الكلى » فى الأفعال أو الأداء ، تلك الأفعال التى تبدأ بتقديم موقف وتنتهى بتغيير هذا الموقف مثل خلع الملابس وضرب الكرة أو قراءة الكتاب ولم يهتم بحشد التغيرات السيكلولوجية أو الحركات العضلية والمعروفة بإسم « السلوك الجزئى » .
هذا ويتسم السلوك الكلى بأنه :

- ١ - موجه نحو الهدف .
- ٢ - يحدث فى عالم الأشياء .
- ٣ - يختار أقصر وأسهل الطرق للوصول إلى الأهداف .
- ٤ - قابل للتغيير والدراسة .

الخرائط العقلية المعرفية .

يرى تولمان أن عملية التعلم هى إكتساب التوقعات التى قد تكتسب عن طريق الترابطات وفكر فى تنسيق خطة العمل المتعلقة بالتوقعات بأن يعمل «خريطة معرفية» أو بناء معرفى قد يفكر فيه على أنه « معلومات عن الموقف » ويحدث التعلم عندما يتغير البناء المعرفى نتيجة لاستبصارات جديدة .

إن الطالب ذو الدافعية القوية يستخدم الخريطة المعرفية لإختيار طريق السلوك الذى يتوقع أنه سوف يؤدى به إلى رغباته وهذا يذكرنا بأن إشارات صندوق « ثورندايك » المحيرة قد قادت القطة بأن تتوقع فتح الترياس وأن هذه العملية الأخيرة بدورها تؤدى إلى الهرب وفى نظر تولمان أن الإستبصار يجب أن يكون تصورى « الجرى إلى الأمام والخلف » لكى يدرك الكائن الحى طريق السلوك الموصل إلى « التوقعات المرغوبة » .

إن الخريطة المعرفية للفرد تعنى ببساطة طريقة الكشف عن إختيار طرق السلوك لهدف متاح .

تقويم نظرية المجال .

بعد إهتمام المجاليين بدراسة المجال الحيوى والقوى المؤثرة على الفرد إهتموا بدراسة التعلم وعلى الأخص دراسة العمليات العقلية المعقدة مثل الإستبصار وسلوك حل المشكلة والتفكير وتكوين المدرك الكلى ومن أهم إضافات المجاليون فى التعليم مايلى (١) :

(١) محمد خير عرقسوس وآخرون : التعلم نفسيا وتربويا دار اللواء للنشر والتوزيع

- ١ - التعلم عملية يشترك فيها الفرد إشتراكاً نشيطاً فيقوم بعمليات التنظيم والإدراك والفهم والتجريد واختيار القواعد التي تساعد على تحقيق الحلول المطلوبة .
- ٢ - وهم يختلفون بذلك عن السلوكيين الذين يفسرون عملية التعلم تفسيراً ألياً أى أنه عادة تتكون من ارتباط مثير بإستجابة تحت شروط معينة .
- ٣ - عالجت نظرية المجال علاقة الدوافع والخوافز بعملية التعلم معالجة ديناميكية أقرب إلى المعالجة النفسية الصالحة لتفسير العوامل المعقدة مثل الاتجاه للهدف والصراع وسلوك حل المشكلة .
- ٤ - نظرية المجال تساعدنا فى المدرسة فنهتم بتحليل الموقف التعليمى ومجال التلميذ الحيوى بقدر الإمكان حتى نستطيع أن نعرف العوامل التى تشجع التلميذ على التحصيل وتلك التى تعرقله وقد عالج ليثين وتلاميذه مشكلات هامة فى مجال التعلم كظاهرة وتأثير الجماعة فى إحداث التغييرات بل لقد إهتم بديناميات الجماعة فى وقت أنكر فيه علماء النفس وجود الجماعات وكان لليثين الفضل فى نقل مفهوم الجماعة إلى حيز التجريب العلمى .
- ٥ - حاول ليثين أن يخضع مشيراته للدقة الرياضية فمقد كان موفقاً فى إختيار علمى الهندسة والميكانيكا لتفسير نظريته وأن هذه الرسوم البشولوجية يمكن أن تتوفى بسهولة مع شبكة العلاقات فى الموقف السيكلولوجى .

ما يؤخذ على النظرية .

- ١ - لم يهتم أصحاب النظرية بتحديد مفاهيمهم تحديداً إجرائياً دقيقاً مستمداً من الوقائع التجريبية المحددة للعالم ، ولعل السبب فى ذلك أنهم تعرضوا فى تفسيرهم للتعلم للعمليات العقلية المعقدة مثل الإستبصار وسلوك حل المشكلة وتحديد المدرك الكلى التى كان لها طابع العوامل المتوسطة فى النظريات السلوكية وهى من العوامل التى لا يمكن إخضاعها كلية للعوامل الموضوعية الدقيقة المحددة للعالم .
- ٢ - كثرت إشارة المجالين إلى عمليات التنظيم فى مجال الإدراك أو التنظيم فى قوى المجال ولم يحدد لنا كيف يحدث هذا التنظيم .
- ٣ - يرى بعض النقاد تصوير النظرية بدوائر خطوط ومجالات مقسمة إنما هو

-١٣٧-

حيلة تبهظ العقل بغموضها فى حين أنها تصوير لظواهرات نفسية بسيطة وأن هذه الرسوم لاتساعد على التنبؤ بل هى ترسم بعد معرفة الحقائق وكثيرا ما يستحيل تخطيط المجال إلا بعد ملاحظة السلوك ذاته ، ولم يكن ليثين موفقا فى إستخدام المقاييس المترية للمسافة والإتجاه مثلا .

تقويم عام .

يختلف تقويم علماء النفس ورجال التربية « لتولمان » إختلافا شديدا حيث ينظر علماء النفس إلى أعماله نظرة عالية فى الوقت الذى يعيبون عليه بعض النقص والقصور فى قوانينه التجريبية الشاملة بينما يرى رجال التربية بما فيهم علماء النفس التربويون من أمثال « جيروم برونر » ، « دافيد أوسبول » أن النتائج التى توصل إليها تولمان عن التعلم هامة بالنسبة للتربية ، إلا أن نظرتهم كانت كغيرها نحو عملية التعلم بمعنى أن المعلمين عليهم أن يبدأوا « بهدف المتعلم » فضلا عن إيجاد طريقة تجعل عملية التعلم سهلة يسيرة على المتعلم وتساعد على فهم وتحقيق هدفه من التعلم .

وهنا نقترح ونقدم أهم متضمنات نظرية تولمان فى النقاط التالية :

١ - يجب أن يكون المعلم على علم بأهمية الأعمال المختلفة وأن الثواب أو المكافآت ليست أساسية .

٢ - يتعلم التلاميذ عن طريق المشاهدة والقول والعمل .

٣ - يجب ألا تتضح تماما درجة تعليم التلاميذ حتى تتم عندهم الدافعية للأداء حيث لا يحدث تقويم لأن هذا التقويم لا يحتمل إجراؤه فى غياب البواعث .

سيكولوجية نمو الذات وتطبيقاتها التربوية .

يرى « أريك أريكسون » أن كثيرا من المشكلات الإنفعالية تعزى - فى المحل الأول إلى « إرتباك الذات » وهو عبارة عن نقص شعور الفرد بذاته مما يؤدى به إلى الخوف والاضطراب من رؤية الآخرين له فى صورة أو حالة غير الصورة التى

-١٣٨-

يرى هو نفسه بها ولذا فقد بسط أريكسون القول تفصيلا لمراحل فرويد النفس جنسية وأخذ بعد ذلك بمراحل النمو النفسى الإجتماعى حيث يلتزم الفرد ببناء مفاهيم الذات والواقع المتغير ، هذا ويعتقد أريكسون إن كل مرحلة إرتقائية لها ملامحها الإيجابية والسلبية .

ويذكر أريكسون بأن الشخصية الإنسانية تبرز من الصراعات الداخلية والخارجية لتكون المحصلة النهائية بعدئذ الشعور العميق بالوحدة الداخلية والحكم الجيد والإحساس الواقعى بالذات. وتبدو هذه المحكات تدريجيا أثناء تقدم الفرد وتطوره خلال مراحل العمر وإظهاره إستعدادا للتضج نتيجة تفاعله مع دائرة الأشخاص الواسعة والخبرات والتجارب العديدة . هذا ويحدث نمو الذات أو تضج الشخصية فى ثمانى مراحل متتالية وتتضمن كل مرحلة « أزمة » وهى عبارة عن فترة تتسم بقابلية عدم التكيف وبالتالي احتمال عدم توافق أو زيادة فى القوة أو الطاقة الكامنة .

وفى كتابه الشهير « الطفولة والمجتمع ١٩٥٠ » يعرض لنا أريكسون أن هناك فرضين أساسيين تدرج تحتها مرحلته الثمانية هما :

١ - تنمو الشخصية الإنسانية طبقا لنمو قدرة الشخص على التفاعل مع البيئة .

٢ - يحض المجتمع على هذا التفاعل وهذه المحاولات لتشجيع ووقاية المراحل المتتالية .

على أن هناك موضوعا أساسيا فى كتابات « أريكسون » وهو : مجابهة الأفراد بالأزمات التى تنهض بأعباء إتجاه نشاطاتهم مستقبلا. هذا وطالما أن هناك مراحل ثمانية للحياة عند أريكسون فإن هناك أيضا ثمانية أزمات نفسية إجتماعية وهى الموضحة بالجدول الآتى (١) :

(١) عن : J . F.Travers فى كتابه Edu . Psy . طبعة ١٩٧٩ ، ص : ١٦٣ .

-١٣٩-

جدول مراحل أريكسون الثمانية.

أزمات - قوة نفسية إجتماعية - مؤثرات بيئية .

العمر	المرحلة	الأزمة النفسية الإجتماعية.	القوة النفسية الإجتماعية.	التأثير البيئي .
سنة واحدة.	المهد.	الثقة في مقابل عدم الثقة .	الأمل .	سلوك الأمومة .
٢ - ٣	الطفولة المبكرة.	الإستقلال الذاتى في مقابل الخجل والشك.	قوة الإرادة.	الوالدان أو البديل عن الكبار .
٤ - ٥	الحضانة.	المبادأة في مقابل الذنب .	الفرض.	الوالدان. الأسرة الأصدقاء .
٦ - ١١	الطفولة الوسطى.	الثابرة في مقابل الشعور بالنقص.	المنافسة.	المدرسة .
١٢ - ١٨	المراهقة.	تطابق الهوية في مقابل إرتباك الهوية	الإخلاص.	الأقران الرفاق .
١٨ - ٣٥	سن الرشد	الألفة في مقابل العزلة .	الحب.	الشركاء. الزوج. الأصدقاء .
٣٥ - ٦٥	منتصف العمر .	إمكانية التوليد في مقابل الركود.	الرعاية.	مجتمع الأسرة.
أكثر من ٦٥	الشيخوخة.	وحدة الهوية في مقابل اليأس .	الحكمة.	الجنس البشري.

وتشكل كل مرحلة من هذه المراحل الثمانية قدرات وتحديات وطاقات جديدة

وهذه المراحل هي :

أولاً : مرحلة الثقة فى مقابل عدم الثقة (السنة الأولى) .

فى هذه المرحلة يستمد الطفل إشباعاته النفسية الأولى من فمه ثم يبدأ التمييز بين النفس وغير النفس وتحتضن الأم طفلها لإمتصاص لبنها والإستمتاع بحنانها من خلال دفتها ومن ثم تنشأ لديه علاقة عاطفية قوية بأمه ، وعن طريق نوعية إشباع حاجات الطفل الفمية يتحدد نمط علاقاته الإجتماعية ، وفى هذا تقول « إيرين جوسيلين » الطفولة التى يجد فيها الطفل إشباعا ورعاية لشئونه سوف يعطى الطفل إحساسا بالطمأنينة المريحة فى العالم الذى يحيط به بحيث يراه مكانا آمنا يعيش فيه وليس مكانا باردا لايهتم به أو مكانا معتديا لا بد أن يحمى نفسه منه « سيد أحمد عثمان ١٩٧٥ - ٣٥ » (١) .

ويعتقد أريكسون أن الشخصية السوية تتطلب الشعور بالثقة - ثقة الطفل بالآخرين مثلا - نحو ذات المرء وينمو هذا الشعور أثناء السنة الأولى من العمر وهذه الثقة تتطلب شيئين إثنين هما : الراحة الجسمية والطمأنينة النفسية ، هذا وقد لاحظ أريكسون عام ١٩٦٨ أن الشعور لدى الأطفال ينشأ من نوعية علاقة الأمومة وليس من مجرد الغذاء الجيد أو الرعاية الجسمية. ومعنى ذلك أنه إذا كانت رعاية الأمومة باردة رافضة ، فإن عدم الثقة سوف يظهر ويشار ويؤثر فى كل مراحل النمو الأخرى ، إن أساس الشعور بالثقة هو الأمل الذى يحدد « إريكسون » بأنه إعتقاد فى القدرة على النجاح .

ثانيا : مرحلة الإستقلال الذاتى فى مقابل الخجل والشك (٢ - ٣ سنوات) .

فى عامى ١٩٥٩ - ١٩٦٣ قام أريك أريكسون بتعديل فى نظرية فرويد المعروفة بإسم « النمو النفسى الجنسى » وتضمن هذا التعديل جانبين هامين هما :
١ - التركيز على التفاعل المتبادل بين المضمون الإجتماعى والمراحل البيولوجية المحددة .

٢ - إضافة مراحل إرتقائية جديدة إلى مراحل فرويد الأربعة « قمية - شرجية - قضيبيية - تناسلية » لتصبح هذه المراحل ثمانية ، ولكل مرحلة نفسية

(١) الرقم الأول بين القوسين يشير إلى سنة النشر والرقم الثانى يشير إلى الصفحة .

-١٤١-

جنسية طابعها المميز فى التفاعل الإجتماعى حيث يستمد الطفل لذاته أثناء المرحلة القمية المبكرة من كل ما يدخل فمه كالطعام أو لبن الأم ، ومن ثم فإن عملية « الإدخال » هى التى تشكل أسلوب العلاقات الشخصية المتبادلة بين الأم والطفل . وفى المرحلة الشرجية يحدث ضبط وتنظيم إخراج الطفل وهنا ينشأ صراع بين الأشخاص يتعلق بإخراج « البراز » أو الإحتفاظ به .

ويرتبط هذا الصراع بالنمو النفسى لسمة شخصية هى الإستقلال الذاتى أو سمات الخجل « ريتشارد س . لازاروس ١٩٨١ - ٨٣ » ، وفى هذه المرحلة يصبح الأطفال أكثر حركة وإنتقالا وأقوى شعورا لضبط سلوكهم إنهم يميزون عالمهم « بأنا » و « أنت » و « ممتلكاتى » وإذا لبي الوالدان مطالب الأطفال لتحقيق السيادة على البيئة فإن شعور الإستقلال الذاتى سوف ينمو كما ذكرنا من قبل .

وإذا كان الوالدان يحدان من نشاط أبنائهم ويرفضان رغباتهم ويسارعان فى توبيخهم على أخطائهم وحوادثهم ، إذا كان هذا النوع من الوالدين كذلك فإن الأطفال يفقدون الشعور بالضبط النفسى ويخامرهم إحساس بالخجل والشك .

إن أساس الشعور بالإستقلال الذاتى هو : قوة الإرادة التى يعتقد أريكسون بأنها تأتى من ضبط الذات المتزايد بدون فقدان إحترام هذه الذات إنها فترة صعبة حرجة للوالدين حيث أن التقييد المفرط يدمر الإستقلال الذاتى والحرية الزائدة قد تصبح خطرا كبيرا ولكن الحل الوحيد فى هذه الحالة هو البحث عن توازن موفق وسليم بين طرفين .

ثالثا : مرحلة المبادأة فى مقابل الذنب (٤ - ٥ سنوات) .

يلاحظ أريكسون أن الأطفال فى هذه المرحلة يتعرفون على ذواتهم ويؤكدون من هم ؟ حيث يصبح لديهم خيال جميل إنهم يتحركون كثيرا ولديهم حصيلة وفيرة من اللغة ، إن تحديات عالمهم تحتم عليهم أن يتقلدوا أعمالا ومهام جديدة مثل إرتداء الملابس والمحافظة على النظافة والإهتمام بالحيوانات الأليفة مما يؤدى بالطفل - فى هذه المرحلة - إلى تنمية مهارات الإتصال لديه والتعامل مع الأشياء المجردة . مثال ذلك يمكن للطفل أن يتعلم التمييز بين رمز الشيكولاته والشيكولاته نفسها وأن الشيكولاته الحقيقية وليس الرمز هى التى تسد جوعه ، إن نمو مثل هذه

-١٤٢-

المهارات يسمح للطفل بالتفكير فى الأحداث دون ممارستها بالفعل .
ومن نافلة القول أن الوالدين فى هذه المرحلة يسهمان بدور حيوى فى إرتقاء هذه المهارات ، سواء كانت تلك المهارات لغوية أو إجتماعية أو حركية ، فالوالدان اللذان يشجعان أطفالهما على عمل الأشياء واللعب والمساعدة فى الأعمال المنزلية . إنهما بذلك يفرسان شعور المبادأة بينما الوالدان اللذان يسخران من أفكار أطفالهم ومجهوداتهم فإنهم يفرسان فيهم إحساس بالذنب ، إن الغرض هنا هو الشعور بالمبادأة طالما أن هذا الغرض يدفع الأطفال بل ويعددهم لمتطلبات الرشد. ومن هذه المتطلبات تفاعل الطفل مع الآخرين. وتلعب عملية التفاعل بدورها دورا حيويا هاما فى نمو طريقة الإنسان فى الحياة أو ما نسميه بأسلوب الحياة فهى تمد الفرد بأنماط من السلوك تسمح له بالعمل داخل المجتمع (لطفى قطيم وآخرون ١٩٨١ - ١٧٣) .
وليس هناك شك فى أن السنوات الخمس للطفل هامة جدا فى حياته حيث يتعلم الطفل كثيرا من أنواع السلوك أو العادات التى تحدد شخصيته وهذا ما يلتقى فيه كل من « دولاورد وميللر » مع « فرويد » ولكن آراء « دولاورد » و « ميللر » تتعارض تماما مع وجهة نظر « فرويد » عندما يركزان على الدوافع المكتسبة التى يتعلمها الطفل أثناء النمو فى الوقت الذى يهتم فرويد كثيرا بالدوافع الفطرية ، على أن الطفل يتعلم كثيرا من السلوك المركب والمواقف المعقدة فيستجيب لذلك بإستجابات كثيرة لعديد من المشيرات المتباينة ، ومن ثم تتم عملية التعلم وفق مبادئ أربعة هى : الدافع - الإشارة - الإستجابة - التدعيم ، ولكى يتعلم الطفل يتطلب الأمر أن يكون لديه « دافع » لعملية التعلم ثم يجب أن يرى « إشارة » يستجيب لها إستجابة صحيحة مقبولة ، ويدون تلك « الإستجابة » يصعب على الطفل أن يتعلم ، وفى النهاية تؤدى هذه الإستجابة إلى خفض الدافع أو التدعيم ، إن توطيد العلاقة أو تدعيمها بين الإشارات والإستجابات هى أساس عملية التعلم (محمد عثمان نجاتي ١٩٨٣ - ٣٤٢) .

رابعا : مرحلة المشاهدة فى مقابل الشعور بالنقص (٦ - ١١) .
فى هذه المرحلة وأثناء سنوات الدراسة يصبح لدى الأطفال إستعداد للتعلم بسرعة والتخطيط لعمل الأشياء ، كما تصبح لديهم مايسميه أريكسون بالمشاهدة :

Industry إن المعلمين والآباء الذين لا يشجعون أطفالهم وما يقدمون من أنشطة قد يؤدي بهم ذاك نحو « الإحساس بالنقص » ، إن يأس الأطفال من مهاراتهم ووضعهم مع أقرانهم سرعان ما يجعلهم يشعرون بعدم الكفاءة أو القصور. وهنا يتصدع النمو ، فالم يعد الآباء أطفالهم للمدرسة هذا من ناحية أو إذا أخفقت المدرسة في تدعيم ما نتوقه في المراحل المبكرة وهذا من ناحية أخرى ، ويلعب المعلم دورا فعالا وحيويا في نمو الذات عند الطفل عن طريق عملية الإمتصاص الإجتماعى ففي المدرسة يزداد شعور الطفل بأهميته كما تزداد قدرته على التعبير عن الذات في النشاط العقلى والنشاط الإجتماعى ، ويرتبط نمو الذات بوجه عام خاصة ويجب على الجميع أن يهدفوا إلى إعطاء خبرات ملائمة للنمو السوى للذات مما يؤثر في عملية التعلم وحياة الطفل (حامد زهران ١٩٧٧ - ٢٥٩) .

ويذكر أريكسون بأن عملية نمو الذات لدى الطفل في هذه المرحلة ، تتأرجح بين المشاورة من ناحية والشعور بالنقص من ناحية أخرى ، وإذا أحس الطفل بأن مشابرة قد أحبطت Whose sense of Industry is Frustrated في المنزل « الأسرة » قد يستطيع الدحاق بها بالمدرسة من خلال مجهودات المعلمين الناهيين والمربين المخلصين ، ومن هنا فإن الطفل يشعر بأنه مشابر أو عاجز ليس فقط بسبب الوالدين ولكن بسبب الكبار الآخرين أيضا ، إن أساس الشعور بالمشاورة يكمن في المناقشة تلك هى تحقيق الشعور بالسيادة والهيمنة على البيئته . ويشكل الكبار الآخرون أهمية كبرى في إكتساب الطفل لأدواره الإجتماعية أو عملية التعلم الإجتماعى بصفة عامة حيث أن عملية إكتساب الأدوار ليست معرفية فقط بل هى إرتباط عاطفى يوفر عوامل التعلم الإجتماعى بثلاث طرق هى : التعاطف مع أولئك الآخرون وكذلك الإرتباط العاطفى الذى يحرك دوافع الطفل نحو التعلم فضلا عن توفير الإحساس بالأمن والطمأنينة لدى الطفل (سيد أحمد عثمان ١٩٧٥ - ٤٥) .

وخلاصة القول أن الطفل في هذه المرحلة يتعلم الأدوار الإجتماعية وأنواع السلوك الإجتماعى من محصلة سلوكياته في المواقف الإجتماعية المتنوعة. بيد أن مسار النمو - فى النهاية - يقوم أساسا على ردود فعل الآخرين وعلى نمو الذات وتطورها .

-١٤٤-

خامسا : مرحلة تطابق الهوية فى مقابل إرتباك الهوية (١٢ - ١٨ سنة) .
فى هذه المرحلة يجابه المراهقون بدوافع جنسية جامحة وبعض الشكوك والتخبط عن أدوار الكبار مستقبلا ، وغالبا ما يصبحون فى شغل شاغل بماذا يظهرون ؟ وكيف يظهرون فى نظر الآخرين بالمقاربة بمعتقداتهم عن هويتهم ؟ ومن يكونون ؟ وهذا هو البحث عن الهوية أو بمعنى آخر إما أن يبلغوا أقصى إحساس بهويتهم أو إرتباك كينونتهم .

ويعتقد البعض أن المراهقين عليهم أن يدمجوا كل الأدوار التى تعلمونها « البنوة - الصداقة - واللعب ... الخ » فى كل له معنى وإذا نجحوا فى ذلك فإنهم يشعرون بهويتهم النفسية الإجتماعية أما إذا أخفقوا فإنهم يظلون متشككين فى ذاتهم ، إن أساس الشعور بالهوية هو الإخلاص ... هو البحث عن أناس وأفكار يؤمنون بهم .

ومن الجدير بالذكر - فى هذا المقام - أن « أريكسون » قد أضاف إلى نظرية فرويد النفسية الجنسية مصطلحا جديدا هو « هوية الأنا » وهى محصلة الصراع الذى يحدث أثناء مرحلة البلوغ بهدف حل عقدة « أوديب » بالنسبة للولد وعقدة « اليكترا » بالنسبة للبنات فى المرحلة القضيبية. لقد إهتم أريكسون كثيرا بمرحلة المراهقة المتأخرة حيث يكتشف الفرد موقعه فى العالم والوصول إلى طبيعته الموحدة بسلام أى بلوغ هوية الأنا .

وفى هذا الصدد يشير « كينيث كينستون ١٩٦٥ - ١٩٦٨ » إلى مرحلة جديدة للشباب تصبح فيها علاقات الشباب موزعة بين « ذات الفرد » والعالم ، وهذه الثنائية ما هى إلا بؤرة الإهتمام الأول للشباب الصغير إبان صراعه مع النظم السياسية والإجتماعية التى تبدو مغترية عن وجهة نظره « ريتشارد . س لازاروس ١٩٨١ - ٨٤ » .

هذا ويتشابه المراهق مع الراشد فى سلوكه وفى إتجاهاته وقيمه وفى مفهومه الواضح عن ذاته ، وما يؤثر فى نمو الذات عند الراشد صورة الجسم والمعايير الإجتماعية والدور الإجتماعى والتفاعل الإجتماعى .

ومن التطبيقات التربوية اللازمة لنمو الذات لدى المراهق إنه يجب على الوالدين والمربين والإخصائيين النفسيين والإجتماعيين والمرشدين النفسيين أن يهدفوا

نحو تنمية مفهوم موجب مرن سوى للذات وذلك بإعطائهم خبرات ملائمة وتهيئة المناخ النفسى فى الأسرة وفى المدرسة مما يعود عليهم بالفائدة المرجوة والثمار الطيبة فى العملية التربوية بوجه خاص وحياتهم العملية بوجه عام .

سادسا : مرحلة الألفة فى مقابل العزلة (١٨ - ٣٥ سنة) .

يعتقد أريكسون أن المقصود بمعنى الألفة هو ما وراء الألفة الجنسية كما تعنى أيضا القدرة على تنمية الألفة النفسية الإجتماعية المتبادلة السليمة مع الأصدقاء والقدرة على الإهتمام بالآخرين بدون خوف من فقدان الهوية الذاتية وإذا أخفق الشاب اليافع فى أن يشعر بالألفة مع الآخرين فإن إحساسا بالعزلة قد يظهر. إن أساس الشعور بالألفة هو الحب والذي يقصد به أريكسون « التفانى المتبادل » أو كما صاغها أريكسون بمهارة إنها تعنى « مانحبه هو ما نكونه We are what we love . » وليست الألفة هنا قاصرة على التفانى المتبادل بل هى تعنى أيضا بعض أنماط التفاعل الإجتماعى للشباب فى المجتمع بهدف إشباع حاجات نفسية وتربوية لازمة للشباب ومنها على سبيل المثال تلك الحاجات الآتية :

١ - يحتاج كل شاب إلى تنمية المهارات السائدة فى مجتمعه ولاسيما المفاهيم والاتجاهات التى تجعل المرء شخصا ذكيا وإنسانا منتجيا فى الميادين الإقتصادية .

٢ - يحتاج كل الشباب إلى التنمية بوجه عام والمحافظة على صحته ولياقته البدنية بوجه خاص .

٣ - يحتاج الشباب لفهم حقوق وواجبات المواطن فى المجتمع الديمقراطى وأن يؤدى إلتزاماته وواجباته بكفاءة وإقتدار كفرد فى مجتمعه وكمواطن فى دولته .

٤ - يحتاج الشباب لفهم مغزى الأسرة وأهميتها للفرد والمجتمع والظروف المؤدية إلى الحياة الأسرية الناجحة .

٥ - يحتاج كل الشباب لمعرفة كيفية البيع والشراء وإستخدام السلع والخدمات بحرية وذكاء وفهم قيم المستهلك التى يرتضيها وكذلك النتائج الإقتصادية لسلوكياته وأفعاله .

٦ - يحتاج الشباب لفهم مناهج العلم وأثره على حياة البشرية فضلا عن

الحقائق العلمية الأساسية المتعلقة بطبيعة العالم والإنسان .

- ٧ - يحتاج كل الشباب لأخذ فرصته بقصد تنمية طاقاته للتعبير عن النواحي الجمالية فى الأدب والفن والموسيقى والبيئة الطبيعية .
- ٨ - يحتاج الشباب للقدرة على إستخدام وقت فراغه بكفاءة وفائدة وأن يقضيه بحكمة وإتزان وأن يقارن بين مناشطه التى تجلب له الرضا المهنى ومناشط الأفراد المبرزين والصالحين فى المجتمع .
- ٩ - يحتاج كل الشباب لإحترام الأشخاص الآخرين كى يطوروا من إستبصارهم وبصيرتهم للقيم والمبادئ الأخلاقية وأن يكونوا قادرين على التعايش والعمل جنباً إلى جنب فى سلام وتعاون مع الآخرين .
- ١٠ - يحتاج كل شاب إلى تنمية قدراته وإستعداداته للتفكير بتعقل والتعبير عن آرائه بوضوح وأن يقرأ ويستمتع بفهم وحرية « أريكسون إيمانويل ١٩٦٠ - ٢٦٦ - ٢٧٢ » .

سابعا : مرحلة إمكانية التوليد فى مقابل الركود (٣٥ - ٦٥ سنة) .

إن الأفراد خلال أواسط العمر يفكرون فى المستقبل والمجتمع وأطفالهم ويحدد أريكسون ذلك على إعتبار بناء وتوجيه الجيل القادم ، وإذا كان شعور إمكانية التوليد قد إنخفض فإن الأفراد يميلون للركود ويعانون من إعتبار الذات المرضى. أن أساس الشعور بإمكانية التوليد هو العناية والإهتمام الذى نعى بأن الأفراد مسئولون عن رفاة الجيل القادم .

ثامنا : مرحلة وحدة الذات فى مقابل اليأس (أكثر من ٦٥ سنة) .

أن الشخص الذى يمكنه أن يتطلع إلى حياته تطلعات الرضا والقبول ويتنع بحياته بحلوها ومرها وانتصاراتها وعثراتها هنا يتحقق له شعور وحدة الذات. فليس هناك يأس من العمر أو القشل أو إضاعة الفرص. إن أساس الشعور بوحدة الذات يكمن فى الحكمة حيث لم يعزل الشخص نفسه عن النشاط بعد ذلك النشاط الخاص بالحياة ومعناها .

ومن نافلة القول أن هذه المرحلة الأخيرة تتعامل مع كبار السن إنها تركز على

-١٤٧-

الشيخوخة التي تقوم بدورها على معايير ثلاثة هي : السن والصحة والتقاعد ، فمعيار السن يقدر - عند معظم الدول - بعمر ٦٥ سنة وهو السائد والمناسب للتقاعد عن العمل بعد رحلة حياة شاقة قطعها المسن خلال مراحل عمره النفسية والفسيولوجية ، بينما معيار الصحة يتضمن امارات الضعف العام وقصور وظائف الحواس وتدهور ميكانيزمات الذاكرة والتذكر واضطرابات عملية « الأيض » وإصابة الجسم بعدة أمراض مثل أمراض القلب والفشل الكلوى وضعف البصر وتصلب الشرايين والسكر ، ضغط الدم العالى، وأما معيار التقاعد فنعنى به الخلود إلى الراحة بعد حياة حافلة بمتاعب العمل وهموم العيش طوال حياة المسن (عزت الطويل ١٩٨٤ - ٢٢) .

تطبيقات تربوية.

يركز أريكسون على أن الشخصية بوجه عام لا تتأثر فقط بالفرد ذاته بل وبالوالدين أيضا والمجتمع ، وهناك مظاهر ضعف في كل مرحلة ويمكن للفرد أن يقهر الضعف فى أى مرحلة لتدعيم المراحل الأخرى ، ومعلوم أن الشخصية السوية تسود البيئة حيث أنها شخصية متكاملة تتسم بالنظرة الواقعية تجاه الذات والعالم الخارجى (ترافرز ١٩٧٩ - ١٦٧) .

إن إستبصارات وآراء أريكسون صائبة ومفيدة لرجال التربية حينما يحددون قوى الطالب النفسية والاجتماعية التى تتلائم مع عمره. وعن طريق تشجيع المنافسة وإظهار الود والإخلاص يمكن للمعلم أن يأخذ بزمام الشخصية السوية نحو الأمام فضلا عن تيسير عملية التعلم ، ويرجع التيسير بدوره إلى المعرفة التطبيقية والمهارات الحسية والحركية المكتسبة حيث يتعلم الإنسان أفضل وأسرع ما يتعلم حين يعمل. ومن المعلوم أن البحوث التى أجريت فى مجال إكتساب المهارات الحركية تحتل منزلة فريدة بين الأبحاث التجريبية فى سيكولوجية التعلم ويرجع ذلك إلى ارتباط هذه المشكلة ارتباطا مباشرا بمشكلات التعليم فى المدرسة ومشكلات التدريب المهنى فى المصانع والمؤسسات المهنية فدراسة إكتساب المهارة تتيح الفرصة المباشرة لدراسة أثر الممارسة فى التعلم (أحمد زكى صالح ١٩٧٢ - ٩٢) .

إن جانب التطبيق التربوي لدراسة سيكولوجية نمو الأنا ، ليس بالشئ الهين لأننا نتناول الفرد بالدراسة منذ ميلاده حتى شيخوخته هادفين من وراء ذلك نحو الوصول إلى معرفة « نط الشخصية » الذى أصبح محصلة مؤثرات عوامل بيئية ووراثية وثقافية شتى ، وهناك فرق كبير بين النظر والتطبيق عند حل مشاكلنا السلوكية التى تتطلب منا تعميق الصلة بين تحليل سلوكنا وحل مشاكلنا مما دعا « ب . ف . سكينر B . F . Skinner » الى أن يقول فى إحدى مقالاته بمجلة « علم النفس اليوم ١٩٨٢ » .

« أنا مهتم بما يمكن إن يكون من صلة بين التحليل السلوكى ومشكلات العالم فى يومنا هذا ، فنحن مهردون بنمو جامع للسكان وباستنزاف للموارد وتلوث البيئة وبشيخ الإبادة النووية الكاملة ، ونحن نملك التكنولوجيا الفيزيائية والبيولوجية المطلوبة لحل معظم تلك المشكلات ، ولكن يبدو أننا غير قادرين على وضعها موضع التطبيق وهذه مشكلة من مشكلات السلوك الإنسانى وهى واحدة من المشكلات التى يمكن أن يقدم لها التحليل التجريبي حلا ، وقد كانت البنائية فى العلوم السلوكية ضعيفة دائما فى الجانب الخاص بالدوافع فهى لا تفسر لماذا تكتسب المعرفة أو لماذا تستخدم ؟ ... ومن ثم لا تستطيع أن نخبرنا إلا قليلا عن الظروف التى سيقوم فيها النوع الإنسانى بالتغييرات اللازمة لبقائه » .

الفصل الخامس

الذاكرة والتذكر.

- * الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة .
- * اضطراب الذاكرة .
- * الذاكرة الاجتماعية .
- * الذاكرة الفصامية .

الذاكرة والتذكر .

من المعروف أن دراسة « الذاكرة والتذكر سيكولوجيا » تدخل في نطاق العمليات العقلية المعرفية ، ويمكن تعريف « الذاكرة » بأنها : تلك الوظيفة التي تجعل الشخص يحتفظ بخبرات الماضي وآثاره ، ليتمكن من إسترجاع تلك الخبرات في الوقت المناسب أو حسب ما يريد سواء أكان ذلك شعوريا أو لا شعوريا .

ومنذ فجر التاريخ ، راح العلماء والمفكرون يبحثون في الذاكرة ، ودراسة التذكر والترابط والتداعي الحر والتصور والتخيل إلى آخر هذه العمليات العقلية العليا التي فضل الله بها الإنسان وجعلها وقفا عليه وحده دون سائر الكائنات الحية الأخرى .

وفى مطلع عام ١٨٨٥ خرج علينا عالم النفس الألماني « إيبينجهوس » بمؤلفه الذي تناول فيه بعض التجارب النفسية التي تتضمن موضوعات مثل : التذكر والحفظ والإسترجاع ، هذا وكان من أهم إضافات إيبينجهوس في مجال التذكر ما أسماه المقاطع اللغوية عديمة المعنى وكيف يسترجعها الإنسان ؟ والمقصود بلفظ مقطع هنا مجموعة حروف لاتؤدي إلى معنى ، وقد يكون المقطع صورة أو شكلا غير مألوف لنا ، ومن المقاطع اللغوية ذات المعنى المحدد العديد من الكلمات وبالتالي ، فإن مجموعة الكلمات تعطينا جملا مفيدة وهكذا .

ويذكر « إيبينجهوس » في دراساته التجريبية على التذكر أنه لقياس : التذكر عند الإنسان يجب أن يمر ذلك بمراحل ثلاث هي :

مرحلة الإنطباع ، مرحلة الإستيعاب ، مرحلة الإسترجاع (١) .

وليس هناك فاصل بين هذه المراحل إذ أنها متداخلة بعضها في بعض على أن هناك علاقة وطيدة بين التعلم والذاكرة ويبدو ذلك بوضوح في أن عملية التعلم

(١) السيد خيرى وآخرون : علم النفس التجريبي - مطبوعات جامعة الرياض - الرياض

الصحيحة تساعدنا على تذكر المادة المطلوب تعلمها وإسترجاعها عند طلبها ولاشك أن مهارة القراءة أثناء عملية التعلم تساعد على تقوية الذاكرة وتجربتها ، أي أنك لا تستطيع أن تتذكر شيئا بسهولة إذا لم تكن قد تعلمت هذا الشيء « المادة » بالطريقة الصحيحة ، هذا وتعتمد الذاكرة - فى المقام الأول - عند تذكرها لبعض المواد علي تداعي المعاني وترابط الأفكار بعضها ببعض. بيد أن إسترجاع هذه الأفكار يرتبط بدوره بطريقة الإستيعاب أثناء الإسترجاع أى يرتبط ذلك بحالة الفرد لحظة الإستقبال والإرسال ، إننا نتذكر شيئا ما لأننا قادرون على ربطه أو إستدعائه بأشياء أخرى نعرفها من قبل إنك حين تستذكر دروسك مثلا فإن عملية الإستذكار مرتبطة شعوريا مع معلومات جديدة تتصل بما إستذكرته من قبل ولتفسير ذلك يجدر بنا أن نسوق المثال الآتى :

جملة سهلة الفهم قصيرة « أتذكر الحلم الذى رأيته أثناء نومي الليلة الماضية .
« كلنا ولاشك - أو معظمنا - يتذكر هذه الجملة بدون مجهود بعد سماعها مرة واحدة لأن كل كلمة فيها مرتبطة بمعنى الكلمات التى تليها على أنه إذا إستبدلنا هذه الجملة السهلة وذات المعنى المفهوم بجملة لامعنى لها ولتكن هذه الكلمات « منديل - شاي - عمل منتصف - الوقت - قواعد - نار » فهذه الجملة ليست واضحة لدرجة أن هذه الكلمات لا يمكن تذكرها بعد سماعها مرة واحدة ، هذا وليس فى الجملة الثانية أى ترابط عقلى بين إحدى الكلمات والتى تليها ، ومن هنا فإن كل كلمة يجب تذكرها على حدة حيث أنها منفصلة تماما عن الأخرى كلية ، إن هذه الحقيقة - أى حقيقة الترابط والتداعى - تفسر لنا لماذا كان إستذكار موضوع جديد صعبا عسيرا فالسبب يرجع إلى أننا حين نبدأ بإستذكار موضوع ما لأول مرة فليس لدينا إطار للمعلومات المكتسبة من قبل بهدف ربطها بما نتعلم إننا حين تبدأ فى تعلم لغة أجنبية مثلا فإن ذلك يصبح أشبه شئ بكيفية البدء فى تعلم الجملة عديمة المعنى « منديل - شاي - عمل - منتصف الوقت - قواعد - نار » .

وكلما إزداد نمو معلوماتنا فإن عملية التعلم على المدى الطويل قد تصبح سهلة يسيرة لأننا نملك خلقية المعلومات المشتملة على العناصر التى تتطابق وتتوائم مكونة أبعاد الترابط والتداعى مما يساعد المرء على التذكر والذاكرة على الدينامية والتدريب .

وهناك ذاكرة مدرية على التذكر وأخرى غير مدرية وهذه الحقيقة لاشك فيها. فالأولي يمكنها التذكر والإستذكار بسهولة بينما لا تستطيع الثانية « غير المدرية » القيام بهذا العمل لأن المرء لا يمكنه أن يتوقع الجرى بسرعة عدة كيلومترات مالم يكن قد تدرب على رياضة الجرى السريع ، إننا نتوقع ألا نتذكر موضوعات بسهولة ودقة ... لماذا ؟ لأننا لم نتدرب عليها . خلاصة القول أن تدريب الذاكرة على تذكر الأشياء أو إستذكار المواد الدراسية يؤدي إلى ذاكرة جيدة والعكس صحيح. فالمرء قد لا يمكنه أن يتذكر رقم بطاقته الشخصية ولكنه يتذكر عدد الأمتار التي قطعها فى سباق الجري كما قد يتذكر الطالب الجامعى الدرجة التى حصل عليها فى مادة الحساب عندما كان يؤدي إمتحان الشهادة الإبتدائية. وبالمثل فإن الفنان الذى وضع اللمسات الأخيرة للوحة جميلة إستوحاها من ذاكرته قد لا يمكنه أن يتذكر أين ترك الكتاب أو الصفحة التى كان يقرأها (١)

ويحدو بنا هذا المثال نحو الحديث عن النسيان فنتساءل لماذا ننسى ؟ ننسى لأن النسيان - بطبيعته - عملية عادية لاتعنى أى فقدان شاذ للتذكر بسبب صدمة عصبية أو تلف بالمخ أو تقدم السن « الشيخوخة » ... سؤال آخر ما هى الأسباب التى تكمن وراء النسيان ؟ ترجع هذه الأسباب إلى :

١ - النسيان بسبب الإهمال أو الهمود .

لاشك أن ما تعلمناه ونمارسه فى حياتنا لانساه بسهولة ، وقديما قالوا : حياة العلم مذاكرته ، لقد لاحظ كل من « هيلجارد » و « أتكسون » عام ١٩٧٥ أن ثمة تفسيرات أخرى للنسيان ومنها أن بعض المهارات الخاصة كركوب الدراجات أو السباحة قد أظهرت مقاومة كبيرة فى وجه النسيان كما أن بعض المواد اللغوية لاتنسى بسرعة حيث أنه من الممكن - أحيانا - إسترجاع بعض سطور من رواية أو قصة أدبية منذ أن كنا تلاميذ بالمدرسة الإبتدائية فى الوقت الذى ننسى ما تعلمناه من دروس اللغة العربية أو الحساب فى العام الدراسى الماضى بسبب التحلل أو

(1) Adock C. J Fundamentals of psychology , penguin books , Great Britian pp 191 - 192 .

مرور الوقت كما أن هناك متغيرات أخرى كالدوافع تلعب دورها فى الحفظ (١) .

٢ - النسيان بسبب الكبت .

هناك خبرات نحاول أن ننساها بسبب ذكريات كريهة غير سارة وقد تكون بسبب الخوف أو القلق المرتبط بها حيث أن الكبت يسبب النسيان .

٣ - النسيان بسبب التداخل أو الإضطراب .

يتفق معظم «السيكولوجين» على أن معظم أنواع النسيان تحدث بسبب تداخل تعلم مواد جديدة مع تعلم مواد قديمة إن عملية المثير اللفظى والإستجابة «Preactive Retroactive Process» توضح هذه النظرية ويقصد بالمثير اللفظى والإستجابة اللفظية أن المثير هو المنبه ذو التأثير اللاحق وهو ما يؤثر على التذكر اللاحق بينما الإستجابة اللفظية هى تلك ردود الفعل اللفظية المؤثرة على التذكر السابق ، ونعنى بذلك أن الإنسان فى بيئته الإجتماعية عرضة باستمرار لحالات التفاعل - Interac-tion والتطور والتغير ، فضلا عن ضرورة التوافق مع الظروف والأوضاع التى نحياها ومن هنا يتوقف مقدار ما يختزنه الفرد فى ذاكرته أو يستبعده منها على أسلوب تفاعله مع هذه الأوضاع والأحوال والتجارب والخبرات ، إن المواقف التى تثير فىنا رد فعل بسيط أو إستجابة مؤقتة قد ننساها بسرعة بينما تلك التى تثير فىنا إستجابة عميقة تؤدى إلى تعديل فى سلوكنا وأوجه نشاطنا طالما كان هذا النشاط مستمرا. هذا ويمكن القول بأن النسيان هو فى الواقع عملية نشاطية مثل عمليات النشاط التعليمية التى يقوم بها الفرد ويكون مندمجا فيها كلية (٢) .
ومن منطلق - تداعى المعانى - يذكرنا الحديث عن النسيان بعملية الحفظ أو الإسترجاع فنقول :

(1) John . F . Travers , Educational Psychology . Harper and Row . publishers New Yourk , 1979 . PP , 358 - 363 .

(٢) فؤاد أبو حطب ، محمد السروجي مدخل إلى علم النفس التعليمي .
مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة « ١٩٨٠ ص : ٤٩ » .

إذا كان الأطفال يتعلمون سريعاً بعض الكلمات عديدة المعنى فإنهم أيضاً ينسونها بسرعة وأن معدل ما نفقده يتأخر ويتباطأ عندما ننسى معظم ما تعلمناه وهذا ما يشير الدهشة .

مثال : ثبت علمياً أنه بعد إستذكار هجاء ٢٠ كلمة يمكن للتلاميذ الصغار أن يسترجعوا هجاء ١٥ كلمة منها إسترجاعاً صحيحاً. هذا وحتى صباح اليوم التالى قد يمكنهم أن يقوموا بهجاء ١٧ كلمة هجاءاً صحيحاً ببطء إلى حد ما ، إن التذكر ولاشك عملية صعبة هذا وما يعطل عملية التذكر التعب المتزايد خلال عملية التعلم الذى يؤثر فى عملية الحفظ وفى الوقت نفسه يتقدم هذا الحفظ بعد فترة زمنية .

وضع المادة المراد تذكرها .

هناك عنصر هام للمعلمين لابد من أخذه فى الإعتبار وهو دور المادة المراد دراستها أو تذكرها أن بداية ونهاية أى عمل يحتاج إلى تذكره إلا أن المرء يتعلم بسهولة أكثر أول القصيدة أو آخرها عن الأبيات التى تقع وسطها وهنا نتساءل: وكيف السبيل للمعلم لكى يساعد تلاميذه على حفظ هذا الجزء الوسيط الصعب ؟ للإجابة على هذا السؤال يطلب المعلم من تلاميذه أن يختاروا كلمتين أو ثلاثاً فى القسم ذى المعانى الخاصة بهم ويجعلهم يستخدمون هذه الكلمات كإشارات أو رموز لكى يتخيلوا صورة مرتبطة بهذا الجزء ، إن ممارسة التذكر قد نراها فى أمثلة كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر ، يتعلم الممثل دوره الجديد فى يوم أو يومين على الأكثر ، كما يعزف الموسيقىار لحن « بيتهوفن » الموسيقى من الذاكرة. ويحفظ لاعب الورق كل ورقة من أوراق اللعب الكثيرة فى مدة بسيطة أثناء اللعب. ويتذكر لاعب الشطرنج حركات قطع اللعب الكثيرة. كما يعرف الكمسارى كل أجرة لأى مكان أثناء عمله. ويتذكر بواب العمارة أو حارسها وجه كل ساكن من سكان العمارة .

إن هذه الممارسة التذكيرية هى التى تجعل من السهل على طلاب الدراسات التاريخية أن يتذكروا التواريخ والأحداث والتشريعات البرلمانية بينما يحتاج طلاب الدراسات العلمية والرياضية إلى ذاكرة للمعادلات والأشكال البيانية والأرقام الحسابية كما أن اللغات تحتاج فى تذكرها إلى معلومات عن الأفعال الشاذة وقواعد النحو المعينة وتركيب الجمل والعبارات .

ومن الصعب فى هذا المجال أن نستذكر موضوعا لا يتضمن فى بعض مراحلہ إستظهار مجموعة حقائق مجردة ويمكنك إجراء ذلك بإتخاذ الوسائل الصحيحة لتدريب ذاكرتك على مثل هذه المهارات فتبدأ بتقييم مغزى الحقيقة الصعبة المتعلقة بالذاكرة ، وهنا تنطلق العناصر القليلة الأولى فى الذاكرة بسهولة ثم تتوالى العناصر الأخيرة أكثر سهولة وإنسيابا ثم تظل العناصر الوسطى أصعب العناصر جميعها ، ويمكن القول أنه لو أردنا حفظ قصيدة شعرية فعلينا أولا قراءة القصيدة مرة واحدة فى المرة الأولى ثم ندونها فى المرة الثانية مع قراءتها فى نفس المرة. وأخيرا نقرأ القصيدة بعد ذلك فى المحاولة الثالثة وهكذا ، إننا حين نستذكر موضوعا ما فإن عناصره لا تقفز إلى أذهاننا دفعة واحدة ، وذلك لأن العناصر الأكثر سهولة والمألوفة لنا تسبق غيرها ، على حين تأتى بقية العناصر فى المحاولات التالية (١) .

الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة.

هل هناك فرق بين الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة فى طريقة تخزين المعلومات أو تبيدها ؟ للإجابة على هذا السؤال نسوق المثال الآتى :

إذا ألقينا نظرة عابرة على رقم جديد - لأول مرة - فى دليل التليفون لبرهة من الوقت فقد ننسى الرقم ويضيع من ذاكرتنا تماما هذا من ناحية كما قد نتذكر قصيدة شعرية أو قصة أدبية أو أحداث مسرحية أو موقفا من المواقف أو حجرة بالمنزل لمدة سنوات وهذا من ناحية أخرى ، فهل ياترى هناك « ميكانيزمات » متميزة للتخزين لدى الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة ؟ أم أن كلتا الذاكرتين وجهان لعملة واحدة ؟ وإذا لم يكن هناك جهد مبذول - من جانب الطلاب - أثناء عملية التعلم لإستجلاب المعلومات وصولا إلى تحويل هذا التعلم من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة ، فإنهم قد ينسون ذلك بسرعة. هذا وقد رأى كل من « هيلجارد وأتكينسون » عام ١٩٧٥ أن الذاكرة المؤقتة ما هي إلى نسق متحلل كالعهن

(1) Martin Rhodes , How to study , A Thomas and Company , Northamptonshire , 1977 , pp . 17 - 26 .

المنفوش لا يثبت على حال بينما الذاكرة الدائمة ما هي إلا مخزون دائم مستمر متماسك الحلقات .

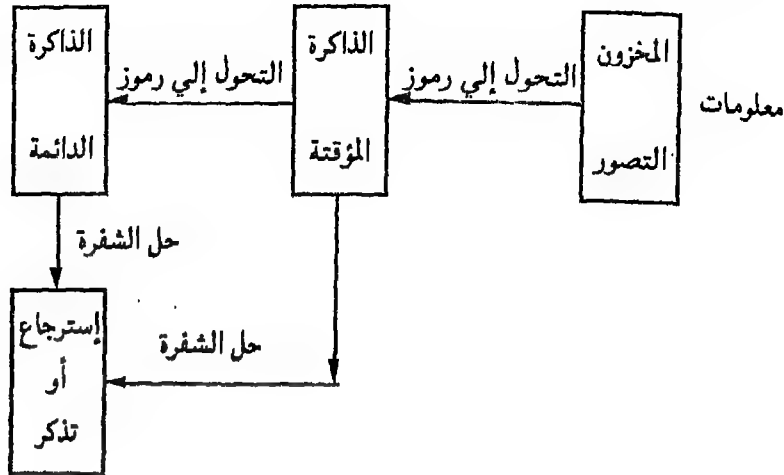
إن الإستجابات تدخل الذاكرة المؤقتة فإذا إسترجعت فإن الطلبة سيحتفظون بمعلومات وتعرف هذه الممارسة بعملية التسميع لحدود المعلومات التي يمكن للذاكرة المؤقتة الإحتفاظ بها. وبعد تأكيد الذاكرة الدائمة للمعلومات ، وإذا حدث تحلل أو تآكل فى الذاكرة المؤقتة قبل تحويل المعلومات إلى الذاكرة الدائمة فإن المعلومات أو البيانات يحدث لها نسيان تام وقد يحدث هذا التحول للمعلومات بشكل مستمر ، ولكن قد تخفق الذاكرة فى حالة عدم ملاءمة الإشارات أو الرموز ونسائل الآن : ما السبب فى أن بعض العناصر تختزن دائما ويمكن المرء أن يسترجعها حاليا ؟ سؤال لإجابة له حتى الآن مما جعل « جيلفورد » يتعمق كثيرا فى عمليتي التخزين الدائم ودراسة التسميع التلقائى ولاشك أن هناك « ميكانيزم » يحدد أى العناصر يمكن أن تخزن باستمرار وأنها لا تختزن أبدا ... إن معظم الخبرات لا تحتاج إلى تخزينها لأنها تتطلب أداء الميكانيزم الملائم لمنع هذا العبء الزائد (١) .

والسؤال الآن كيف تتحرك المادة من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة ؟ يحدث ذلك بتسجيل أسماء العناصر وتحويلها إلى معنى وصولا إلى حل رموز المدلول اللفظي Semantic Coding هذا ولا يتطلب الأمر الإحتفاظ بالمعلومات التي يمكن إسترجاعها منذ البداية ، مع أن هذه المعلومات قد تفسر إلى أسماء عند ضرورة إستدعائها أو إسترجاعها ولم يثبت علميا حتى الآن ما إذا كان المرء يرى الإستجابة متزامنة مع المخزون التصورى . أو الذاكرة المؤقتة وماذا يحدث أثناء حل رموز المدلول اللفظي أو بعده (٢) .

(١) مرجع سابق « John. F. Travers »

(2) Relph Norman Haber , How we remember what we see Reading from scientific American Psychology in progress , WH . Freeman and Comp, san Francisco , 1975 , p . 157 .

ويوضح هذا الشكل الآتى :



والواقع أن هذا الشكل يوضح مسار عملية التذكر والإسترجاع لمواد وموضوعات مختلفة مثل الكلمات أو الأرقام أو اللغات ، ومن اليمين تجد المعلومات الصادرة من العين مثل رؤية الكلمة المطبوعة وهنا تختزن مؤقتا حتى ترى بالفعل ، وحينما تنتهى هذه الصورة المرئية فإن الكلمة يمكن أن تفحص بدقة حتي في حالة إختفاء المنبه الأصلي وفى أثناء التمعن فإن الكلمة تتحول إلى رمز وبالتالي إلى إسمها الحقيقي مثل حروف ق . ل . م التى تصبح « قلم » وهنا تدخل الكلمات فى الذاكرة المؤقتة وبعد ذلك تأتى إلى الذاكرة الدائمة « جهة الشمال » ويتم التحول إلى رمز مرة أخرى من اسم الكلمة إلى معناها كما ترى فى أسفل الشكل أن الكلمة الصحيحة تسترجع بتحويل شفرتها وحل عقدها إلى الإسم الصحيح ، هذا ولعملية الإسترجاع أساليب ومناهج خاصة نذكر أهمها فى النقاط التالية :

١ - سعة الذاكرة .

ونعنى بها مدى إمكانية الفرد حفظ أو إسترجاع بعض المواد غير المترابطة مثل حروف الكلمات أو الأرقام بعد عرضها على الفرد مرة واحدة .

٢ - الكمية المسترجعة .

ونقصد بها مقدار ما يستطيع الفرد إن يسترجعه من كلمات أو أرقام أو

مفردات لفظية شتى وهنا تقاس كفاءة الفرد بعدد الوحدات التي يمكنه إسترجاعها .

٣ - مدة التدريب على الإسترجاع .

تعتمد هذه الطريقة على تحديد المدة الزمنية التي يحتاجها الفرد لإسترجاع مادة ما ، فإذا أمكنه إسترجاع قائمة من الكلمات للمرة الأولى وبدون أخطاء كان هذا دليلا على أنه أتم حفظ تلك القائمة فى وقت وجيز .

٤ - توفير المجهود .

ويرجع الفضل فى هذا المنهج التجريبي الكمي إلى « هيرمان ايبينجهوس » العالم الألماني ، ويقوم هذا المنهج على دراسة كمية المادة المسترجعة وكميتها المنسية بعد فترة زمنية لاحقة لتعلم مادة أو موضوع ما عند تكراره عدة مرات محدودة ، ويعتبر عدد مرات التكرار هو ما يعرف بإسم مقدار « التعلم الإستهلاكي Initial learning » والواقع أن الفرق بين هذا العدد وعدد مرات التكرار المطلوبة لإعادة تعلم مادة ما بعد مدة من الزمن يعتبر هذا الفرق بمثابة « توفير المجهود » .

٥ - التعرف والتمييز .

ونقصد بالتمييز تذكر بعض الأشياء لتمييزها وتقديرها عند رؤيتها فمثلا - فى علم النبات - ينبغى علينا أن نكون لدينا المقدرة على تسمية مجموعة من النباتات عند رؤيتها أو مشاهدة صورها ، وقد لا يحدث ذلك بدون رؤيتها وهنا ندرك الفرق بين الإسترجاع والتعرف حيث أن قوة سيطرتنا على المعلومات فى حالة الإسترجاع قوة متزايدة وفى زمن أقل بينما يستغرق التعرف على أى نوع من أنواع المعلومات زمنا كبيرا وتحكما فى المعلومات أقل وبالنسبة للتمييز فإنه يتطلب وقتا أطول ومجهودا بسيطا . وهذا يفسر أن بعض الأفراد يتذكرون بصريا وآخرون يتذكرون سمعيا كما أن معظم الناس أساسا ذوو ذاكرة بصرية (١) ويتذكرون الأشياء المطبوعة أسهل وأسرع من الأشياء المسموعة.ولتنمية القدرة على التمييز

(١) Martin Rhobes .

(١) مرجع سابق .

-١٥٩-

علينا أن ندرك أولاً ما إذا كانت ذاكرتنا سمعية أم بصرية ، والشكل الآتى يوضح الفرق بين التمييز والتعرف والإسترجاع من ناحية « المدى الزمنى » و « قوة السيطرة على المعلومات » بالنسبة لكل منهم .

قوة السيطرة علي المعلومات.	٤	الأسترجاع					
	٣		التعرف				
	٢				التمييز		
	١						
		١	٢	٣	٤	٥	٦
		المسدي الزممني					

ويوضح الشكل أعلاه المدى الزمني وقوة السيطرة على المعلومات بالنسبة للتمييز والتعرف والإسترجاع ، ونسأل الآن : كيف يستذكر الطلاب دروسهم ؟ للإجابة على هذا السؤال نسوق النقاط الهامة التالية :

أولاً : يبدأ دائماً بالأشياء الصعبة. يبدأ كثير من الناس مذكرتهم بالموضوعات السهلة وهذا إتجاه خاطئ عندما تتطلب المذاكرة اليومية تعلم شئ عن طريق إستظهاره إن البدء بالشئ الصعب له مبررات حيث أن الرغبة فى العمل والإقبال عليه والتحدى لشوارده وصفاء الذهن قد تصبح عوناً لنا على إستيعاب ما هو صعب ، علينا أن نبدأ دائماً بلب المشكلة ومجالها ، فالمتعلم المبتدئ فى تعلم العزف على البيانو - على سبيل المثال - سوف يجد أن صعوبات التعلم السابقة قد قلت إلى حد كبير إذا كان أستاذه قد بدأ بالتعليم معه بالمفاتيح التى تتضمن رفع درجة النغم أو خفضها. إن الحقائق تتقن بالتعلم المنتظم فى كل يوم ، وبهذه الطريقة فإن قدرنا هائلاً يمكن أن نتذكره فى وقت قصير وبدون عناء ، إن الطالب الذى يدرس

اللغة اللاتينية والذي يحفظ تصرف أحد الأفعال الشاذة عن ظهر قلب يوميا سوف يتعلم كل قائمة الأفعال الشاذة بالكتاب المدرسي في أقل من عام والقيام بهذا العمل ، على أن الطالب لابد أن يختبر نفسه دوريا بالحفظ والتسميع وتعزيز الذاكرة باستخدام الأفعال وتدوينها .

ثانيا : حاول تقوية ذاكرتك، يسهل على كثير من الناس أن يتذكروا كم يوما في الشهر ؟ ثلاثون يوما في سبتمبر مثلا ، وقد يؤدي هذا المجهود المبذول إلى مثل هذا التركيز على الحقائق التي تجول بخاطرنا بعد ذلك إن ربط تقوية الذاكرة بالحقائق يجب أن يكون واضحا ، ومن الوسائل السهلة في فن تقوية الذاكرة هو أن نأخذ الحروف الأولى للحقائق ونرى هل يمكن أن نكون منها جملة مفيدة ، وهناك مثال ممتاز للغاية نسوقه من دروس الجغرافيا حيث يتذكر الطلاب بعض العواصم الأوروبية من خلال كلمة يلسم والتي تشير إلى باريس لندن و ستوكهولم و موسكو وهكذا ، ومثال آخر حين يريد طلاب الجغرافيا أيضا أن يتذكروا أسماء البحيرات العظمى في الولايات المتحدة الأمريكية بالكلمة الإنجليزية « Homes » تدلنا سريعا على أسماء هذه البحيرات كالتالي بحيرة Huron و Ontario وبحيرة Eire و Superior وهكذا ... كما أن هناك من وسائل تقوية الذاكرة الإيقاع الموسيقي للكلمات أو الجمل وانتظامها في إطار فني ذي معنى ولذا كانت « ألفية ابن مالك » في اللغة العربية لجمع شتات قواعدها في قالب منظوم وكان الطلاب حفظة هذه الألفية أكثر قدرة على تذكر قواعد اللغة العربية من غيرهم .

والواقع أن استخدام « فن تقوية الذاكرة » هو مسألة تخيل وإبداع إلى حد كبير ومن الأمثلة على ذلك التوقيت العالمي بين الشرق والغرب فهل يمكنك مثلا أن تتذكر ما إذا كانت أستراليا متقدمة أم متأخرة عشر ساعات في التوقيت عن أوروبا ، وهل توقيت الهند متقدم أم متأخر عنه في أيسلندا ؟ ... إن مثل هذه التساؤلات يمكن أن يجاب عليها إجابة شافية بإستظهار ذاكرة صناعية كأن نقول مثلا الشرق سريع إن هذه العبارة الأخيرة - كحقيقة ذهنية - بسيطة لاترقى إلى الشك في أنه كلما بعدنا شرقا كلما كان الزمن متقدما ، ومن ثم يمكن القول أننا نستخدم الذاكرة الصناعية عندما لانجد شيئا يساعدنا على التذكر ، إنها تجعلنا نسيطر على الحقائق

التي يصعب تذكرها ، ولذا فإننا نستخدمها كنوع من تداعى الأفكار وتربطها .
ثالثا : إستخدام الطريقة الترابطية إذا أردت أن تتذكر إحدى الحقائق العلمية الصعبة فإن الطريقة الترابطية هي أنسب الطرق في هذا الشأن إنها وسيلة ربط قوى بين أحد العناصر وبعضها الآخر وتعتمد هذه الطريقة على تربط الأفكار أو تداعيها ، إن هذه المحاولة هي خلق « رباط » يجعل ذهنك - أليا - يتذكر عنصرا يتعلق بعنصر آخر تال له أو متقدم عليه .

رابعا : إتبع الرسم والملاحظة لاشك أن الرسم وسيلة من وسائل التركيز حيث أنه يساعد على أن تعطى إنتباهك لكل التفاصيل لتجسيد الشيء فى ذهنك ، حيث أن الرسم هو حالة خاصة من حالات الملاحظة والملاحظة بدورها مهارة ينبغى عليك أن تبحث تنميتها عليك يمارسة أو ملاحظة ما يدور حولك ، لاحظ الناس فى أعمالهم وفى ملابسهم وكيف يسلكون ، إمتنع نفسك فرصة للتأمل فيما يحدث حولك من مشاهد وأحداث وتذكر ماتراه وما تسمعه من كلمات .

خامسا : ليكن لديك قوة إرادة لكى تتقدم ذاكرتك فإن إستخدام قوة الإرادة والتكرار الدائم للأشياء التى تريد أن تستذكرها سوف يفيدك كثيرا وعندما يقول شخص ما لا أستطيع أن أستذكر ما أعلم فإن هذه العبارة تعنى بوضوح أنه لم يبذل مجهودا منتظما لإتقان مهارة التذكر فقد ينجح نظام ما بينما تخفق قوة الإرادة. وهنا نقول أن قوة الإرادة هي إجبار النفس على التذكر المطلوب المرغوب .

إضطرابات الذاكرة.

يشير « بيسيرجانيه » إلى أن الذاكرة هي : ذلك السلوك المعين والعمل الإجتماعى الذى أوجده المجتمع للتصدى لفكرة الغياب ، والرواية التى تميز الذاكرة بالتكرار المميز للعادة ومن لا يعرف تكرار بعض أحداث الماضي لا يتمتع بذاكرة على الإطلاق (١) ، كما يقسم علماء النفس الذاكرة إلى ثلاثة أنواع هي الذاكرة الحسية والذاكرة الإجتماعية وأخيرا الذاكرة الفصامية .

(١) « جان دولاي » أمراض الذاكرة - ترجمة ميشيل أبى فاضل - منشورات عويدات -

وتتضمن الذاكرة الحسية الذاكرات السمعية والبصرية واللمسية ويؤدي تعطيل هذه الذاكرة الحسية إلى « العمى الحسى » بمعنى أن الفرد الذى يفقد القدرة على تمييز الأشياء يدرك ولكنه لا يتعرف إلى ما يدرك ، هذا ويشترك كل من الإنسان والحيوان فى ذاكرة حسية حركية واحدة ومن ثم كانت تجارب « إيفان باثولوف » حول الفراغ التدريجى والمثيرات الشرطية والتى تشكل جميعها أهم مدخل لدراسة وبحث حالات فقدان الذاكرة الحسية الحركية .

فإذا كانت الذاكرة الحسية الحركية تمثل جانبا كبيرا من البدائية بين الذاكرات فإنها تحمل بين طياتها إلى حد ما التعرف. إنها ذاكرة الكلب الذى يبدأ لعبابه بالسيلان عند سماع الجرس المرتبط بتناول مسحوق اللحم. إنها ذاكرة الإنسان الذى يتعرف على القلم بأنه أداة للكتابة والكتاب وسيلة للقراءة والسرير دعوة للنوم وهكذا .

الذاكرة الاجتماعية .

هى ذاكرة خاصة بالإنسان وحده ووقف عليه حيث أن الإنسان يعيش فى مجتمع لأنه حيوان اجتماعى وهذه الذاكرة تتطلب أنساقا منطقية أى تمثيلات جماعية. ، ومن هنا لا يمكن فصل الذاكرة الاجتماعية عن فهم معرفة الماضى على أنه ماضى بهدف تعيين تاريخه ، حيث أن تحديد المكان وحده يدخل قدرا محددا من المنطق فى الذاكرة ويمكن القول بأن كل « نسق زمنى » نستخدمه لقياس الوقت بدءا من مولد المسيح عليه السلام أو من هجرة سيدنا محمد ص. حتى يومنا أقول أن كل هذه ما هى إلا إتفاقيات اجتماعية .

والواقع أن الذاكرة الاجتماعية تتأثر بالضعف ذهنى العام ، وقد يقضى المرض العقلى على هذه الذاكرة ولا يؤثر على وظائف الإدراك الحسى أو يعالج الأشياء ، إن دور المرض العقلى « الجنون » فى هذا الشأن هو « محو الطابع الاجتماعى » وبالتالي القضاء على الذاكرة الاجتماعية مع البقاء على الذاكرة الحسية الحركية وهذا ما يؤدي إلى وجود ذاكرة ثالثة هى الذاكرة الفصامية .

الذاكرة الفصامية .

إذا كنا نرى الحلم فى النوم كما يظهر لنا الهذيان فى حالات الجنون فليس

-١٦٣-

هناك أدنى شك فى أن ذاكرة الأحلام وحالات الهذيان هى الذاكرة الفصامية. وفى الأحلام وحالات الهذيان توجد بعض مشاهد وصور الماضى ولكنه ليس بماض بل يرى على أنه حاضر .

ولعل ذاكرة الحلم تعيش الحلم على أنه واقع وتواكب الوجود على أنه عدم وتحيا الغائب حاضرا. ومن خصائص الذاكرة الفصامية ما يلى :

١ - التذكر الزائد لأحداث الماضى .

٢ - التعرف المشوه .

٣ - إسترجاع أحداث الماضى بطريقة مرضية .

٤ - الخلل الزائد والتفكك لأحداث الحاضر .

إن زيادة التذكر لأحداث الماضى ما هى إلا مظهر من مظاهر التعرف السلبي ومحو فاعلية الذاكرة .

إن تيار الصور المتدفق الناتج عن زيادة التذكر هو ظاهرة تصدع وتدهور وليس ظاهرة إيجابية ترك المرض آثاره عليها ، لكن المرض لا يترك شيئا ، إنه يطلق العقل ويبدده ، فإذا أبيت الذاكرة الإجتماعية لم يعد هناك شئ يلجم طوفان الصور فيحدث تدفق قوى يؤدى إلى ضعف نفسى .

هذا وتشمل الذاكرة الفصامية مجموعة كبيرة من الذكريات العاطفية حيث أن الذاكرة العاطفية كلها ذاكرة فصامية لأنها فى حالة هلوسة ، ومجمل القول أن الذاكرة العاطفية ليست ذاكرة إجتماعية تدرك الماضى كماض ، بل إنها ذاكرة فصامية يعيش فيها المريض ماضيه من جديد حيث أنه لا يمكنه أن يتعرف عليه كماض وذلك بفضل الأطر الإجتماعية للذاكرة ، أن الذاكرة الفصامية تتكون أساسا من شحنات عاطفية يعيشها المريض ، وهنا تلعب عملية التحليل النفسى دورها الفعال حين تظهر هذه الشحنات العاطفية فى صورة إنفعال مفاجئ . وعلينا أن نأخذ فى الإعتبار أنه إذا كانت الذاكرة الحسية الحركية تدخل فى مجال علم النفس الفسيولوجي. والذاكرة الإجتماعية تدخل فى نطاق علم النفس الإجتماعي. فإن الذاكرة الفصامية تنتمى إلى علم النفس الإكلينيكي .

-١٦٤-

الفصل السادس

دوافع السلوك الإنساني .

* فكرة الهيغوستازي في الجسم البشري .

* الدوافع الفسيولوجية (البيولوجية) .

* الدوافع الإجتماعية .

* الدوافع اللاشعورية .

* مدلول التخيل في حياتنا النفسية

والإجتماعية .

* بين الكبت والقمع .

* علامات الدوافع اللاشعورية .

دوافع السلوك الإنساني .

تعتمد حياة الكائن الحى على إشباع العديد من دوافعه الرئيسية فالإنسان مغلًا أو الحيوان يحس بالجوع ويلزمه أن يشبع هذه الحاجة ... حاجة الجوع أى يفكر فى تناول الغذاء ، كما يحس الفرد بالعطش ويصبح فى حاجة ماسة إلى تناول الماء ليطفئ لهيب العطش كما يشعر الإنسان - أى إنسان - بالتعب ويلتمس الراحة لأنه فى حاجة إليها. وفى نفس الوقت قد يشعر أحيانًا ببرد الشتاء فيهب بسرعة إلى تدفئة نفسه وهو يحس أيضًا بكثرة المواد التالفة فى جسمه فيحاول التخلص منها ليشعر بالراحة والهدوء .

وبدون إشباع هذه الحاجات الأساسية للكائن الحى لا يستطيع هذا الكائن أن تستمر حياته لأن هذه الدوافع الأساسية التى يتوقف على إشباعها بقاء الكائن الحى هى التى تؤدى إلى توازن حياة الكائن الحى فسيولوجيا ونفسيا واجتماعيا .
إن موضوع الدوافع يعتبر من أكثر موضوعات علم النفس خطورة وإثارة لإهتمام الناس جميعًا بهذا الموضوع فالدوافع النفسية تهم الوالد الذى يحاول معرفة مبول الإبن إلى الإنطواء أو الإنزواء على نفسه وكراهيته للمذاكرة وتكرار مشاكساته وإعتداءاته على إخوته فى المنزل. كما أن هذه الدوافع تثير المعلم فى المدرسة للوقوف على معرفة مبول تلاميذه والسبب فى تحصيلهم الدراسى المنخفض أو المرتفع .

وبالمثل يهتم المعالج النفسى أو الطبيب بموضوع الدوافع فهذا مريض يشكو من بعض الإضطرابات العضوية أو النفسية ويذهب للطبيب مرارا وتكرارا ويعد بحث وفحص يرى الطبيب أن حالته الصحية لا تشوبها أى شائبة وهو خال من الأمراض العضوية . كما تهم الدوافع الزعيم السياسى ليفهم ويدرك إتجاهات الناس وإهتماماتهم أثناء التعامل معهم ولا سيما فى أيام الإنتخابات .

هذا ولا نغالى إذا قلنا أن علم النفس بهم كل صاحب عمل وكل تاجر وكل مهتم بالتعامل والإتصال والتفاعل مع الناس .

إن دوافع الكائن الحى ولا سيما الإنسان كثيرة ومتنوعة ومنها الخوف والغضب والجوع والعطش والكراهية والحاجة إلى الأمن والأمان ، وكذلك الحاجة إلى التواصل

والإلتزام ، وبالمثل الحاجة إلى الإهتمام والتقدير الإجتماعى وكذلك الرغبة فى البروز والتميز ، وكذلك الحاجة إلى تحقيق الذات والتعبير عنها كما يتفرع عن هذه الحاجات والرغبات العواطف والميول كعاطفة الولاء والإلتزام للوطن أو المبدأ والميل إلى صداقات بعض الناس فضلا عن أهداف الإنسان فى هذه الحياة وإمكاناته وطاقاته وطموحاته فى الحياة .

ومن الدوافع ما هو فطرى لايحتاج إلى تعلم أو إكتساب كدوافع النوم والجموع والعطش وحب الإستكشاف والإستطلاع ، ومنها أيضا ما هو مكتسب يكتسبه الفرد نتيجة لخبرته اليومية التى إكتسبها من إتصاله وتفاعله مع البيئة التى يعيش فيها كحب التعاون أو إحترام الغير .

وهناك نوع من الدوافع قد يكون شعوريا أو لاشعوريا فالدوافع الشعورية هى التى ندركها ونعيها عند القيام بها أو تنفيذها ومنها ما نطلق عليه « الدوافع اللاشعورية » وهى تلك التى لا يشعر بها الفرد ولا يدرك الفرد وجودها كالدافع الذى يؤدى بالإنسان إلى النسيان أو الدافع الذى يؤدى بالمرء إلى تفضيل طعام عن طعام آخر .

ما معنى الدافع « Motive » ؟

هو حالة داخلية كامنة قد تكون عضوية أو نفسية تؤدى إلى سلوك معين فى ظروف معينة لتصل فى النهاية إلى هدف منشود أى أن نهاية الدافع تحقيق هدف ولذا قيل « وراء كل سلوك دوافع » .

فالناس كل الناس على إختلاف إتجاهاتهم ومشاربهم وأهوائهم يكافحون فى الحياة كل فى تخصصه أو عمله وهم يعملون جميعا فى منظومة ديناميات الحياة لماذا ؟ للوصول إلى هدف أو تحقيق مآرب أى أن الأصل فى الدافع أن يجعل الإنسان الفرد يعيش فى حالة توازن لأن هدف السلوك هو إشباع وإرضاء الدافع بإزالة التوتر وعودة الإلتزان للكائن من جديد ، ويمر الدافع بعدة مراحل ليحقق فى النهاية الهدف أو العناية من السلوك مثال ذلك إستشارة أو تنبيه تؤدى إلى حالة من الضيق والضجر ففتحناج إلى سلوك مباشر وينتهى هذا السلوك بهدف يرضى الدافع ويشبعه وهنا ينخفض الضيق والضجر ويتلاشى .

-١٦٧-

وتتضمن لغتنا العربية الجميلة معانى إجمالية ومترادفات لغوية للفظ الدافع فهناك على سبيل المثال الحاجة والميل والنزعة والباعث والحافز والرغبة والإتجاه والعاطفة والهدف والإرادة والهوى وهكذا .
ولسنا فى حاجة إلى شرح كل نقطة من هذه الألفاظ لأنها مسميات ومترادفات لبعض أنواع الدوافع والغرائز والحاجات .

الإتزان الجسدى والكيميائى للإنسان "الهميوستازى".

أوضحت البحوث والدراسات التى أجريت فى مجال الفسيولوجيا أن هناك ميلا فى الكائن العضوى الحى نحو الإحتفاظ بحالة ثبات وإتزان جسدى وكيميائى وهو ما نطلق عليه التوازن الحيوى Homeostasis وإذا إضطرب توازن الجسم ظهرت فى الحال بعض العمليات الجسدية التعويضية لتقوم بمهمة سد النقص أو إزالة حالة الإضطراب .

مثال ذلك إذا حدث تهتك أو تلف فى بعض أنسجة الجسم فإن خلايا الدم البيضاء تقوم بتجديد هذه الأنسجة ، وإذا زادت حرارة البدن عن حد معين بدأ العرق يتصبب من الجسم لخفض درجة الحرارة وإذا دخل جسم غريب فى العين فإن الغدة الدمعية تزيد من نشاطها لطرد هذا الجسم الغريب من العين وهكذا ، إن عملية الإحتفاظ بحالة التوازن تهدف أساسا إلى تنظيم علاقة الكائن الحى بالبيئة بوجه عام ومن ثم يمكن أن نتخيل الكائن الحى يميل دائما إلى الإحتفاظ بحالة ثابتة من التنظيم الذاتى فإذا أصيب هذا التنظيم الذاتى بشئ من الإضطراب أو الخلل ظهرت دوافع معينة لتوجيه السلوك البشرى الوجهة السليمة .

تصنيف الدوافع .

تنقسم الدوافع - طبقا لتصنيفها الأكاديمى - إلى ثلاثة أنواع كبيرة هى على الترتيب الدوافع الفسيولوجية والدوافع الإجتماعية والدوافع اللاشعورية وننتحدث عن كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة بشئ من التفصيل فنقول :

أولاً :الدوافع الفسيولوجية .

من سمات الدوافع الفسيولوجية تلك السمات الآتية :

- ١ - الدوافع الفسيولوجية شائعة وعامة بين جميع أفراد النوع الواحد حيث أن الجميع يشعر بها ويحسها وتوجد هذه الدوافع أيضا عند الحيوانات وهى ذات وظيفة بيولوجية هامة لأنها المسئولة عن بقاء الكائن العضوى الحى .
 - ٢ - الدوافع الفسيولوجية فطرية وليست مكتسبة أو متعلمة فهى موجودة لدينا منذ الولادة.وسلوك الطفل فى بداية حياته مرهون بإشباع حاجاته الضرورية من ماء وطعام وهواء ونوم وراحة والتخلص من المواد المتراكمة فى جسم الإنسان.
 - ٣ - الدوافع الفسيولوجية لا تحدث إلا نتيجة إضطرابات أو خلل فى الإتزان العضوى والكيميائى للجسم .
- وتشمل الدوافع الفسيولوجية الجوع والعطش والتنفس والجنس والراحة والنوم والبعد عن الحرارة والبرودة والتبول والتبرز والبعد عن الألم الجسمى والأمومة، ونشير إشارات عابرة إلى بعض هذه الدوافع الفسيولوجية .

الجوع .

أوضحت الدراسات الكثيرة على أن إنخفاض المواد الغذائية فى الدم هو من أهم العوامل الرئيسية لوجود دافع الجوع لأن إنخفاض مثل هذه المواد الغذائية فى الدم يؤدى إلى التوتر والتوتر بدوره يؤدى إلى إحداث تقلصات فى جدران المعدة فيزداد النشاط العام فى جسم الكائن الحى ومن ثم يحس الإنسان بدوافع الجوع والرغبة فى تناول الطعام ، على أن بعض نتائج التجارب الأخرى قد أوضحت أن تقلص جدران المعدة ليس هو العامل الوحيد فى إحساسنا بالجوع بل أن حالة الدم الكيميائية هي العامل الأساسي الأول فى الإحساس بالجوع وفى إحداث تقلص جدران المعدة .

العطش .

يظهر دافع العطش بسبب إنخفاض الماء فى أنسجة الجسم مما يؤدى بشعور الفرد بالجفاف فى الفم والحلق وهو أول تنبيه يتلقاه الفرد بوجود إنخفاض فى كمية

الماء فى الجسم فيدفعه ذلك إلى تناول الماء لإطفاء هذا العطش وهناك أيضا بعض التجارب الكثيرة التى أجريت على دراسة فسيولوجية العطش والتى تشير بأن بالجسم البشرى جهاز خاص حساس لحاجة الجسم للماء ويقوم بتنظيم دافع العطش . والواقع أن كل من دافع الجوع ودافع العطش يتأثر بالتعلم والعوامل الإجتماعية السائدة فى البيئة ومن ثم تظهر ميول خاصة لتناول المربات والسوائل الأخرى والمشروبات المختلفة .

الدافع الجنسى .

هو من الدوافع القوية لدى بنى الإنسان وأكبرها أثرا وأهمها فى تشكيل سلوكه وصحته النفسية ، إن حياتنا الإجتماعية المعقدة فضلا عن تعقد الطبيعة البشرية بالإضافة إلى ضغوط وقيود الثقافات والحضارات العصرية ، تجعل دراسة هذا الدافع وتحليله صعبا للغاية .

كشفت الدراسات الحديثة عن أن نشاط هذا الدافع لدى الحيوان يعتمد على هرمونات تفرزها الغدد الجنسية عند الذكور والمبيضان عند الإناث كما بينت هذه الدراسات أن إزالة المبيض عند إناث بعض الحيوانات يزيل الإهتمام الجنسى لديها . كما بينت بعض الدراسات الفسيولوجية أن الهرمون الجنسى الأنثوى لا يفرز إلا أثناء طول التحفز الجنسى فقط .

وبالرغم من أن هناك تشابها أساسيا فسيولوجيا للدافع الجنسى عند الإنسان والحيوان إلا أن بينهما فروقا هامة فقد دلت بعض التجارب العلمية على أن إستئصال الغدد الجنسية الذكرية أو الأنثوية من أشخاص كبار ناضجين لا يؤثر فى نشاطهم الجنسى إلا تأثيرا بسيطا . ويلعب التعلم دورا كبيرا فى إكتساب بعض الإتجاهات الجنسية الخاصة من ذلك مثلا إن بعض الأفراد فى المجتمعات المختلفة قد يتعلم ممارسة العادة السرية أو التعلق بالجنسية المثلية أو الوقوع فى بعض الإنحرافات الجنسية نتيجة ما إكتسبه من خبرات فى ظروف معينة مرت به ، وتوضح لنا دراسات قام بها كينزى فى أمريكا أن ٥١٠٠ من الرجال من بين ٥٣٠٠ رجل بحثت حالاتهم أثناء البحث الذى قام به كينزى على الأمريكان وهو بعنوان «السلوك الجنسى لدى الرجال والنساء فى أمريكا» قرر هذا العدد من الرجال أنهم

مارسوا العادة السرية كما أن نصف عدد المفحوصين أجابوا بأنهم تورطوا فى عمليات جنسية مثلية مرة واحدة على الأقل وأدلى بعضهم ويقدر بنسبة ٤٥ ٪ تقريبا من الرجال الذين كانوا يعيشون فى الريف إنهم قاموا بنوع من الإتصال الجنسي مع الحيوانات ، والواقع أن أغلب الإنحرافات الجنسية لدى بعض الأفراد إنما جاءت فى صورة عادات وتقاليد وإتجاهات قد تعلمها هؤلاء الناس نتيجة بعض الخبرات التى مرت بهم .

دافع الأمومة .

إن وظيفة الأم فى عالم الإنسان أو دنيا الحيوان تنحصر فى تغذية الصغار والعناية بهم وتوفير الرعاية لهم والدفاع عنهم وهذا هو السلوك الشائع بين كل الأمهات لدى الإنسان والحيوان من ذلك مثلا قد أوضحت بعض البحوث العلمية التى أجريت على الفئران البيضاء وجود سلوك واضح للأمومة فالفأرة أثناء ولاداتها لصغارها تظهر إهتمام كبير لهم فهى التى تقطع الحبل السرى وتحنو عليهم وتبنى لهم عشا من أى مادة فى البيئة وتسهر على راحتهم وإذا ضل أحد صغار الفئران الطريق أو العش فإنها تعيده إليه كما أوضحت الدراسات الفسيولوجية الكثيرة وجود أساس فسيولوجى لدافع الأمومة فقد تبين مثلا أن هرمون « البرولاكتين Prolactin » الذى تفرزه الغدة النخامية يلعب دورا حيويا فى تنشيط دافع الأمومة مثال ذلك :

إذا حقنت فأرة عذراء بهذا الهرمون فإنه يبدو عليها إهتمام واضح برعاية وعناية الفئران الصغيرة .

أما عن دافع الأمومة لدى الإنسان فهو يختلف من ثقافة إلى ثقافة ومن حضارة إلى حضارة يتأثر بالطبع بعوامل التنشئة الإجتماعية والتقاليد والعادات الإجتماعية ففى بعض المجتمعات البدائية توجد ظاهرة تبني الأطفال ولا يستطيع الفرد أن يعرف حقيقة نسب الأطفال فى مثل هذه المجتمعات البدائية حيث أن معظم الأمهات يسلمن الأطفال لنساء أخريات ليقمن بعملية التربية . وفى جزر « إندامان » يعتبر أهالى هذه الجزر أنه من مظاهر الشهامة والتعاون والإنسانية أن يطلب الرجل المتزوج تبني أطفال أصدقائه .

هذا وقد ذكرت بعض الدراسات الأنثروبولوجية إنتشار ظاهرة قتل الأطفال بين بعض المجتمعات البدائية خوفا من الفقر والفاقة كما كان يحدث عند العرب فى الجاهلية ، كما ذكرت بعض الدراسات أن بعض المجتمعات البدائية يرغبون دائما بشكل محموم أن يكون فى الأسرة عدد الأولاد مساوي لعدد البنات فإذا زاد عدد الأطفال من أحد الجنسين عن الآخر قامت الأسرة بقتل العدد الزائد من الأطفال .

الغرائز .

ونحن بصدد الحديث عن الدوافع الفسيولوجية لايمكن أن نغفل الإشارة إلى موضوع الغرائز ، حيث أن الدوافع الفسيولوجية دوافع « فطرية » أصلا ومن هنا وجب علينا أن نتحدث عن الغرائز لأن الغريزة فى حد ذاتها سلوك فطرى متحجر ، سلوك غريزى مركب فينا منذ الولادة ، ولقد كان لوليم مكدوجال قصب السبق فى الحديث عن الغرائز ويرى أنها بمثابة المحركات الأولى لأى نشاط حيوى حركيا كان أم عقليا فرديا كان أم جمعيا من قبل الكائن الحى وللغريزة جوانب ثلاثة هى الإدراك والوجدان والتزوع .

وهناك غرائز مشتركة بين الإنسان والحيوان مثل التماس الطعام والراحة والنوم والإخراج والهرب والمقاتلة والغريزة الجنسية والوالدية والغريزة الإجتماعية وحسب الإستطلاع والسيطرة والخضوع والتملك والإدخار . هذا وكلما تقدم الحيوان وتطور فإن ذلك لايعنى أن تتلاشى الغرائز أو تأخذ فى الأقول ، بل كل ما يحدث هو قدرة الفرد أو الحيوان على التحكم فى هذه الغرائز أو تحويلها .

نظرية فرويد فى الغرائز .

يرى فرويد أنه يمكن دمج غرائز ولييم مكدوجال فى غريزتين إثنين هما : غريزة الحياة ، وغريزة الموت فأما غريزة الحياة تكمن فى مظاهر محافظة الفرد على نفسه ، والعمل المستمر والبناء وعمارة الأرض والإبداع والإختراع والفكر والفن . بينما تصبح غريزة الموت ماثلة فى التدمير والعدوان والقناء والعدم والخواء والفراغ وهذه هى كل مظاهرها وهناك طاقة حيوية جنسية تعرف باسم « الليبدو Libido »

توجد عليها هاتين الغريزتين غريزة الحياة وغريزة الموت ، ويقول فرويد بأن العدوان مثلا لا يحدث بسبب الإحباط فقط بل إن الإنسان - فى حد ذاته - عدوانى بطبيعته « أى الدافع العدوانى عند الإنسان دافع جنسى فطرى مسرور كالجوع والعطش والجنس يتطلبه تركيب الإنسان الجسدى. إن صفة العدوانية صفة عامة مشتركة بين جميع الأفراد برغم الفروق الفردية بينهم وإختلاف الثقافات والحضارات لديهم وتباين الاتجاهات والقيم والمعايير الإجتماعية عندهم ، إن العدوان خاصية فطرية أساسية عند بنى الإنسان فى كل عصر وكل زمان ومكان ، منذ عهد هابيل وقايل أبناء سيدنا آدم عليه السلام حتى عصر الذرة وغزو الفضاء ، مروراً بحروب وغزوات العرب التحريرية والخليجية والفلسطينية. ولما كان العدوان أصلاً مظهراً للغريزة ، فإن الفرد فى كراهية دائمة لأخيه الإنسان وهى كراهية وبغضاء بالفطرة وأن وراء الحب الظاهر السائد لدى الناس عداوة مستمرة خافية وليست طيبة الفرد سوى الوهم والحرقاة والضلال .

كما أسهب وأطال فرويد الحديث عن معنى الغريزة الجنسية « غريزة الحياة » وربطها بالحب بأوسع معانيه فهى تشمل الحب الجنسى وحب الحياة وحب الذات وحب الوالدين والأطفال وحب الأصدقاء والناس جميعاً .

ومجمل القول أن فرويد قد قرر بأن الجنسية هى غريزة الحياة لماذا ؟ لأن الجنسية حب وتقدير وبناء علاقات إنسانية مع الآخرين وأى خلل أو اضطراب تصاب به الجنسية أو يلحق بها فمعنى ذلك تقهقر إلى الوراء وكراهية عمياء وخراب وتدمير وفناء نفسى وفراغ إجتماعى وخواء .

ثانياً : الدوافع الإجتماعية .

ليس من الممكن إعتبار الدوافع الإجتماعية دوافع فسيولوجية حيث أنها ليست مرتبطة بالنمو ولكنها بكل بساطة دوافع مكتسبة خبرها وإكتسبها الفرد بالتعلم أثناء مروره بعملية التنشئة الإجتماعية أو التطبيع الإجتماعى ، إن الدوافع الإجتماعية نتاج عوامل ثقافية وحضارية وخبرات جديدة موقفية من الحياة المعاشة ، وقد وضحت الدراسات الحديثة فى علم النفس وفى علم الأنثروبولوجيا . أن مثل هذه

الدوافع الاجتماعية تتأثر بالعوامل الاجتماعية وإنها عملية إكتسابية تكتسب بالتعلم وليست بالفطرة .

هذا وتباين الظروف الاجتماعية وتختلف كثيرا ومن ثم تختلف تجارب وخبرات ومواقف ونظام الأسرة التى ينشأ فيها الأطفال وينتج عن هذا التباين وجود اختلافات كثيرة فى الميول والإتجاهات والرغبات والقيم التى يتميز بها الأفراد بعضهم عن بعض .

المنايع الأساسية للدوافع الاجتماعية .

لما كان الطفل عند ولادته لا يمكنه إشباع دوافعه الفسيولوجية بنفسه بل تتطلب الأمر أن يقوم شخص أو أشخاص برعايته وعنايته وتغذيته ، لما كان ذلك كذلك فإن إرتباط الشخص بموقف عملية التغذية يصبح ذا قيمة خاصة عند الطفل ، فالأم تقوم بتغذية الطفل لأن الغذاء هو العامل الأساسى للمحافظة على حياته ولما كانت الأم هى التى تقدم هذا الغذاء فأن تقديم الغذاء يقتصر بوجود الأم ومن ثم تصبح الأم ذات قيمة خاصة عند الطفل حيث أن وجودها فقط بجوار طفلها أمر كاف ومشبع لحاجة الطفل وعلى هذا الأساس ذاته يكتسب الأشخاص الآخرون فى الأسرة قيمة كبيرة عند الطفل وهذا هو أساس حب الطفل لأسرته وتقديره لها وإرتباطه بها حيث إذا سافر الطفل بعيدا عن أسرته شعر بالغربة والإغتراب وألم الفراق وتمنى العودة إلى أسرته .

إن الأطفال دائما فى حاجة إلى رعاية وعناية من أسرهم بإشباع دوافعهم الفسيولوجية ، ولا يتم هذا الإشباع دائما إلا على أيدى أفراد آخرين هم أفراد الأسرة ومن هنا يكتسب الطفل حبه للناس والميل إلى الوجود معهم ، ومن الدوافع الاجتماعية أنواع كثيرة كالحاجة إلى الأمن والحاجة إلى البروز فى المجتمع والحاجة إلى التقدير الإجتماعى والإتجاهات الإجتماعية والعواطف الجياشة نحو الوطن أو الأشخاص والميول المكتسبة والعادات والتقاليد المختلفة والأهداف والمثل ومستوى طموح الفرد ، والدوافع المكتسبة قد تكون إجتماعية عامة أو إجتماعية حضارية أو إجتماعية فردية .

الدوافع الاجتماعية والحاجات النفسية .

يجب أن نؤكد أن الحاجات النفسية لا تشبع إلا فى إطار إجتماعى ، وأسرة الطفل هى أول بيئة إجتماعية يمكنها أن تتيح للطفل فرصا لإرضاء حاجاته النفسية المختلفة ، إن توفيق الأسرة فى هذا الإرضاء والإشباع يؤدى بسلوك الفرد وإتجاهاته نحو الجماعات إلى سلوك راض مرض. مثال ذلك الحاجة إلى الأمن النفسى وتعنى شعور الإنسان بالأمن والإطمئنان على صحته وأسرته ومستقبله ومركزه الإجتماعى ولذا يجب على الفرد أن يعمل جاهدا على كسب رضا الناس وحبهم وإهتمامهم كما يجب على المجتمع أيضا أن يقدم لأفراده أنواع مختلفة من التأمين الإجتماعى ضد حوادث العمل والبطالة والعجز والشيخوخة وهذا هو العدل والعدل أساس من أسس الأمن. كما يجب أن يكون لدى الفرد قدر كبير من المهارات اللازمة للكفاح فى الحياة والمواقف الإجتماعية المختلفة فى المجتمع وبالمثل على الفرد أن يتحلى بالشقة بالنفس تدعيما لشعوره بالأمن وهناك حاجة نفسية ماسة هى الحاجة إلى التقدير الإجتماعى وهى حاجة ضرورية بالفرد ويتوقف نجاح الفرد فيها وقبوله فى المجتمع بأن يتميز بالتقدير والإكبار والإحترام من الآخرين طبقا لمكانته الإجتماعية ، إن التقدير الإجتماعى يقوى ويدعم الشعور بالأمن ولكنه ليس مصدرة ، على أن هناك أفرادا يوجهون عدوانهم إلى الناس جميعا وهذا ما نسميهم بالأشخاص المتبذيين من الوالدين ومن المجتمع ومثل هؤلاء الأشخاص يكتبون عدوانهم ولكنهم يصابون بعد ذلك بأعراض الإكتئاب والفصام .

ومن الحاجات النفسية أيضا المرتبطة بالدوافع الإجتماعية الحاجة إلى الإنتماء Need for Belongingness ، لاشك أن شعور الفرد بالأمن والتقدير الإجتماعى يزداد دائما حين ينتمى إلى جماعة قوية كالأسرة أو المدرسة أو النادى أو الجمعية المصرية للدراسات النفسية وتبدو هذه الحاجة بداية من خلال أفراد الأسرة بوجه عام وعلاقة الطفل بأسرته بوجه خاص .

فإذا وجد الفرد الإشباع والإرضاء فى علاقته بالأسرة والأصدقاء أصبح يلتبس العلاقات الإجتماعية مع الناس جميعا لإرضاء مايعانيه من نهم إجتماعى . وإذا عملت الأسرة على إرضاء حاجة الفرد إلى الإنتماء وشعر الفرد بالإنتماء

إلى جماعة معينة زاد ولاؤه وشعوره بأنه جزء منها ، وقد يحدث العكس لدى عمال أحد المصانع أو المؤسسات الذين يعانون من الجفاء العاطفى والعلاقات الإجتماعية السلبية والواهنة وإنعدام الإلتواء . وهنا يشعر العامل بالفقدان والضيق والغربة النفسية والإغتراب الإجتماعى فيقل شعوره بالإلتواء إلى مصنعه ويقل ولاؤه له وتحمسه لعمله رغم وجوده إلا أنه موجود لأنه شكلا وجسما ولكنه غائب ذهنيا وفكريا فهو موجود كلا لأنه موجود غير محدود كما قال شيخ علماء النفس فى مصر الأستاذ الدكتور / أحمد عزت راجح رحمه الله وطيب ثراه ، ومن الحاجات النفسية أيضا المرتبطة بالدوافع الإجتماعية الحاجة إلى إحترام الذات تلك الحاجة التى تدفع الفرد إلى الحفاظ على كرامته والدفاع عن ذاته ، إن الحاجة لإحترام الذات تؤكد تماما على أن نستمر عوراتنا الذاتية لأن عيوب الذات يجب أن تظل مستورة والحاجة إلى إحترام الذات ترتبط إلى حد كبير بالحاجة إلى التقدير الإجتماعي فإحترامنا لذواتنا يتطلب إحترام الغير لنا .

ويوجد أيضا من الدوافع الإجتماعية بعض الدوافع الهامة مثل دافع السيطرة دافع التملك وعن دافع السيطرة نقول إنه دافع مشترك بين الإنسان والحيوان وقد يعتبر البعض دافع السيطرة بمثابة الغريزة الفطرية كما يقول بذلك ماكودوجال وألفرد أدلر Adler حيث يعتبران هذا الدافع من أقوى وأهم الدوافع الإنسانية والواقع أن الإعتقاد بأن السيطرة غريزة فطرية قول لا تؤيده نتائج الدراسات والبحوث العلمية الحديثة ويتضح من بعض البحوث الأنثروبولوجية وغيرها أن دافع السيطرة ليس غريزية وإنما هو نتاج لعوامل حضارية وثقافية وإجتماعية نشأ فيها الطفل . أما عن دافع التملك فنحنى به الرغبة الجامحة في حيازة أشياء لها قبة مادية وهذا الدافع موجود بوضوح عند كثير من الحيوانات التى تميل إلى تخزين الطعام وإعداد مأوى خاص بها ، ويظهر دافع التملك بوضوح بين أفراد معظم المجتمعات الإنسانية إلا أن هناك بعض المجتمعات الأخرى لا يظهر فيها دافع التملك بوضوح والواقع أن دافع التملك دافع إجتماعى يكتسبه الإنسان تحت تأثير العوامل الحضارية والإجتماعية التى ينشأ فيها وهو ليس غريزة فطرية إلا أن التملك فى حد ذاته ليس غاية وإنما هو وسيلة لإشباع دافع الأمن والسيطرة والشهرة فى معظم المجتمعات .

الاتجاهات النفسية .

نعنى بالاتجاه النفسى Attitude مقدرة إنفعالية إكتسابية تشكل صورة من صور الدوافع الإجتماعية المكتسبة أثناء عملية التنشئة الإجتماعية للطفل والاتجاه النفسى قديكون نحو :

١ - موضوع من الموضوعات أو شئ من الأشياء فى بيئة الإنسان الطبيعية .
٢ - فرد أو أفراد أو حيوان أليف أو مفترس ، فإتجاهى نحو أستاذى أو والدى أو أحد أقربائى يختلف تماما عن إتجاهى نحو زميل دراسة أو أحد الجيران أو أحد الغرباء من ناحية الحب أو الكراهية أو الإعجاب أو الإحتقار أو عدم الإهتمام أو المنافسة .

٣ - زمرة من الناس كالتحيز لهم أو التعصب ضدهم .
٤ - فكرة مجردة أو نظام سياسى معين أو إعتناق أحد المبادئ أو التضحية فى سبيل العلم أو الشرف أو العدل والحق والخير والجمال .
٥ - الذات الفردية مثل إحترام النفس والإعتزاز بها والثقة فيها مما يؤثر إلى حد كبير فى سلوك الفرد نحو نفسه ونحو الآخرين فالمتكبر يرى الناس - فى نظره - صغارا وهم كذلك يروونه صغيرا حقيرا ومن هانت عليه نفسه كانت على الناس أهون وهكذا .

هذا وقد رأى العالم النفسى الأشهر الفرد أدلر Adler أن الفرد الذى يحس بعقدة النقص فى قرارة نفسه يبغض الناس أقدارهم ويقلل من شأنهم .

تصنيفات الاتجاهات النفسية .

للإتجاهات النفسية صور مختلفة نعرضها فى النقاط الآتية :

- ١ - الإتجاهات الموجبة : كإتجاهات الإحترام والمودة والحنان والمحبة والعطف .
- ٢ - الإتجاهات السالبة : كإتجاهات الإحتقار والبغضاء والعدوانية والإشمزاز .

٣ - الاتجاهات الخاصة : وهي الاتجاهات التي ترتبط بموضوع معين كحب طعام معين أو التعلق بدراسة الكمبيوتر .

٤ - الاتجاهات العامة : وهي الاتجاهات الشاملة الكاملة نحو شيء ما ويعرف الاتجاه هنا في هذا الصدد « بالخاصية Trait » مثل خاصية إحترام كل ما هو قديم أو كلاسيكى كحب الأغاني القديمة لموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب ، والحفاظ والتمسك بالعادات القديمة الأصيلة في الزواج والتعليم الجامعى والإحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية ، ومن هذه الخصائص الفريدة تتكون شخصية الإنسان الفرد في المجتمع .

٥ - الاتجاهات القوية : وهي تلك الاتجاهات المدعومة بالحب والحنان والشوق والوجدان وتعرف بالعواطف مثل عاطفة الأمومة وعاطفة الولاء والإنتماء الوطنى وعاطفة الحب المتبادل .

٦ - الاتجاهات الضعيفة : وهي اتجاهات موقفية عابرة لاتدوم طويلا مثل الاتجاه نحو حرب أهلية خاطفة .

خلاصة القول أن تكوين العواطف والاتجاهات يتوقف بالضرورة على ممارسة وتكرار علاقة الإنسان بموضوع أو بشئ خاص بالاتجاه أو العاطفة على أن يكون تكرار الشخص بالموضوع يبعث على الرضا والسرور والإشباع النفسى فيرتبط الشخص بالموضوع أو الشئ وهنا مانسميه بالعاطفة أو الاتجاه النفسى .

ثالثا ، الدوافع اللاشعورية .

بعد أن تحدثنا من قبل عن الدوافع الفسيولوجية والدوافع الإجتماعية وضررنا الكثير من الأمثلة التوضيحية من حياتنا الواقعية. وعرضنا الأدلة الكثيرة والبراهين العديدة بأن موضوع الدوافع والحاجات من الموضوعات الهامة إلى حد كبير وأن الدوافع بكل أنواعها ما هى إلا محركات لرغبات وتصرفات الإنسان الفرد. ومن هنا فإن وراء كل سلوك دافع وهذا بيت القصيد من دراسة الدوافع. هذا ونتعرض هنا فى هذا المقام للحديث عن أخطر أنواع الدوافع فى حياتنا النفسية والإجتماعية وهى «الدوافع اللاشعورية» تلك الدوافع التى كان لقرويد Freud . s قصب السبق فى

إكتشافها وإرتياد مجاهلها وسبر غورها ، وفك طلاسمها بأن جعلنا نقف أمام هذا الكشف العلمى المذهل مؤمنين بأن اللاشعور والعقل الباطن يشكلان جزءا غامضا مستترا من النفس البشرية التى تجمع بين السواء والفجور والتقوى والتزكية والتدسية واللوم والتمرد والتطامن .

ونعنى بالدوافع اللاشعورية كل دافع لانشعر أو نحس به من خلال سلوكنا حيث أن هناك سلوكا يحدث جبرا وغصبا عن إرادتنا ولادخل لنا فيه وليس معنى ذلك أن يحدث مثل هذا السلوك مصادفة أو بشكل عشوائى ، لا إنه سلوك مقصود وحتمى لأنه لاشئ يحدث من فراغ طبقا للمقولة العلمية النفسية والاحتمية السيكولوجية Psychological Determinism .

لماذا لانشعريا الدافع ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول : لأن طريقة إشباع دوافعنا الفسيولوجية والإجتماعية صارت عادات يومية متواترة وجزءا من سلوكنا يحدث من خلال التكرار والممارسة الطبيعية فأصبحنا لانفكر فيما يقوم وراء هذا السلوك من دوافع ، فالمرء يجامل صديقة لأنه يعيش فى جماعة ويمتثل لمعاييرها ومثلها وقيمها وعاداتها ، ويتعاون فى العمل ، ويحدث كل هذا بدون إحساس واضح بالدوافع التى تدفعنا على القيام بهذا السلوك ، إننا لانمعن النظر فى دوافعنا ويوعتنا إلا فى حالة إعاقتها وإصطدامها بعقبات إجتماعية أو مادية فالصداقة التى تقوم بين إثنين على أساس من المودة والتعاطف لايحس بها أحد الصديقين إلا إذا شابها بعض الشوائب أو سوء تفاهم أو مايكدر صفو هذه الصداقة كما أن سلوكنا البشرى لايبعثه دافع واحد فقط بل عدة دوافع فالعامل فى المصنع قد يجتهد فى مهنته رغبة أو رهبة أو زهوا وإفتخارا أو حرصا وإعزازا بالصنعة أو من أجل العيش الرغيد أو طلبا للأمن وتحقيق الذات ، وهكذا نرى أن سلوكنا البشرى يحركه باعث لمجموعة دوافع مختلفة وليس دافع واحد .

ومن الدوافع ما يصيب كريبها ومنفرا على نفس المرء فيسبب له المتاعب ويجلب له الخزي والعار فى حالة الشعور به ، ولذا يحاول الفرد أن يطمس معالم

هذا الدافع وينساه ويتم كبته فى اللاشعور ولذا يجب علينا ألا نصدق مايقوله الناس عن دوافعهم لا لأنهم يكذبون ولكن لأنهم لا يدركون أو يتخيلون .

مدلول التخيل فى حياتنا النفسية .

قد نشعر يوما ما برعب وهلع من تخيلاتنا ، وما تعنيه هذه التخيلات فهل تمثل هذه التخيلات حقيقتنا الأزلية وواقعنا الملموس ؟ للإجابة على هذا السؤال نستمع لقصة رواها أحد المشتغلين بالتحليل النفسى (١) فى قديم الزمان كان يعيش رجل فى مملكة قديمة ، وكان على قدر من التقوي والتدين والورع ولذا أمر حاكم هذه المملكة أحد الفنانين المشهورين أن يرسم لوحة فنية لهذا الشيخ الورع التقى والذي يحترمه ويقدره ولما تم للفنان ماأراد وإنتهى من رسم اللوحة المطلوبة حضر ليقدمها إلى حاكم المملكة وسط إحتفال مهيب ، وعندما أراح عنها الستار كاد الحاكم أن يقع مغشيا عليه من هول المفاجأة إذ كان الوجه المائل أمام الأعين فى اللوحة وجه رجل داعر فاسق ، وهنا صرخ الحاكم بأعلى صوته « هذه إهانة كبيرة » وكاد يقطع رأس الفنان المسكين وهنا هتف الرجل التقى الورع صاحب اللوحة كلا يامولاي صبرا وإستمع إلى « تقف أمامك الآن صورة الرجل الذى كافحت طوال حياتى ألا أكونه » إن هذا يعنى - من خلال هذا القصة - أننا جميعا ذلك الرجل المتدين ونعمل مدفوعين دائما على مقاومة ما لدينا من نزوات وغرائز هابطة.وعندما نتحدث بعض هذه المقاومات خارج إدراكنا فإن مثل هذه الدوافع والرغبات تأخذ فى الظهور وتصبح أشبه شئ بالنقوش الصغيرة والتي نطلق عليها تخيلات ومن هنا نشعر بألم وبشاعة الكائن الذى نحاول جاهدين ألا نكونه .

بين الكبت والقمع .

نقصد بالكبت Repression منحر دافع مهيمن ، أو فكرة حوازية قهرية أو

(١) من بحث قام به المؤلف بعنوان « التفكير السحري » دراسة نفسية أنثروبولوجية

دار المطبوعات الجديدة الإسكندرية ١٩٨١ ص : ١٧ - ١٨ .

صدمة وجدانية قاسية من منطقة الشعور وكبت الأحداث أى نسيانها ، بينما كبت الدافع فنعني به إنعدام الإحساس به إذ أنه بمثابة الحيلة الدفاعية التى تقى الإنسان وتحافظ عليه من الضيق والضجر والقلق النفسى ، وما يراوده من الرغبة فى الإنتقام من صديق أو الغيرة المرضية على حبيب أو الشعور بالذنب من سلوك شائن قام به. فالدفع المكبوت هو ذلك الدافع الذى لانشعر به ونرفضه تماما ونحاول أن نضع سدا منيعا أو حصنا قويا ليشكل ما يسمى « بالتعتيم الإخبارى » على سوءاتنا وسياتنا النفسية. ولا ننسى أن عملية الكبت عملية محو أو إنكار لإرادى أما عن القمع Suppression فهو محو إرادى لبعض الدوافع من مجال الشعور إنه بمثابة « كظم الغيظ » وتهدة النفس وضبطها بعد غضب مفاجئ أو حدوث أفعال لانقبها وتعافها النفس لغرابتها وخروجها عن المألوف من قيمنا ومعاييرها وتقاليدينا .

خلاصة القول أن الكبت عملية لاشعورية تحدث بشكل تلقائى لا إرادة لنا فيه بينما القمع عملية شعورية تحدث بإرادتنا ونتحكم فيها أثناء مسارها .

إمارات الدوافع اللاشعورية .

تتسم الدوافع اللاشعورية فى حياتنا الواقعية ، ببعض الخصائص أو الإمارات البارزة ومنها على سبيل المثال :

أولا : فلتات اللسان أثناء الكلام .

فقد يدعى أحد الأفراد لإلقاء محاضرة عامة فى أحد النوادي الإجتماعية وفى بداية حديثه يقول « سيداتى آنساتى سادتى طالت ليلتكم ... » بدلا من أن يقول طابت ليلتكم وهذه الفلتة اللسانية تكشف - لدى المتخصصين فى التحليل النفسى - عن قلق مقيم ومزاج سقيم وإضطراب أليم ... حيث تبين أن المحاضر كان يعاني من بعض الأمراض السيكوسوماتية « النفسجسمية » (١)

(١) أمراض عضوية سببها نفسي بحت مثل : قرحة المعدة والإثنا عشر والذبحة الصدرية والإسهال المزمن، والإمساك المزمن، وضغط الدم الجوهري، والصداع النصفي، وإضطراب الدورة الشهرية، وبعض الأمراض الجلدية والتناسلية وأمراض الحساسية الخ .

Psycho-somatic Diseases قرحة المعدة وتعاوده آلام القرحة ليلا والليل عنده يعتبر طويلا طويلا بما فيه من سهد وسهر وقلق وألم ، ومن ثم نطق بالحقيقة التي يعيشها فكانت هذه الفتلة اللسانية التي حدثت « لاشعوريا » .

ثانيا : ذلات القلم .

نظن أثناء الكتابة أن القلم أخطأ ولكننا الذي نخطئ ، كما هو الحال في تشغيل الكمبيوتر حينما يقول أحدهم أن الكمبيوتر أخطأ في النتيجة ولكن ليس العيب في الكمبيوتر. إن العيب في الشخص الذي يغذي الكمبيوتر بالبيانات أو المعلومات لتخزينها واستخدامها فيما يريد. ومن أمثلة ذلات القلم أن ذهب أحدهم لزيارة زميله بالمستشفى فرأى أن سريره الأبيض خاليا منه فسأل أين يكون ؟ فقيل له لقد ذهبوا به إلى غرفة العناية المركزة فكتب له بطاقة هذا نصها : حضرت لزيارتكم للإطمئنان على صحتكم الغالية ودعوت الله لكم بأن يديم عليكم « نعمة الشفاء » بدلا من « نعمة الشفاء ». هذا وقد تبين بعد ذلك أن هناك منافسة دراسية قديمة بين الزميلين كانت تتسم بالعداء المستتر والكراهية المكبوتة والغيرة المهنية اللاشعورية ، مما دفعت بصاحبنا أن يخط بقلمه ما جاء على لسانه ولا غرابة في ذلك إنها الدوافع اللاشعورية .

ثالثا عملية النسيان .

عملية ديناميكية شأنها شأن التذكر. نحن ننسى لأننا بشر ومن ثم كتب علينا الخطأ والنسيان. ويوضح لنا علم النفس أن النسيان الدائم والموصول يعتبر حالة مرضية لا سوية بينما النسيان البسيط أو المؤقت نسيان ضروري وعادى وحالة سوية والنسيان - بطبيعته - تعبير أصيل عن دوافع لاشعورية أو شبه شعورية ، ومن أنواع النسيان نسيان أسماء بعض الأصدقاء ونسيان بعض الذكريات ، ونسيان إرتداء بعض الملابس. ونسيان بعض الناس ما إقتضوه منا من مال أو متاع. ونسيان الطبيب لبعض الآلات الطبية كالمشارط والفوط في بطن المريض. ونسيان المريض تناول الدواء والسبب الأساسي هنا مرجعه إلى الدوافع اللا شعورية .

رابعاً : فقدان الأشياء .

يرى معظم الناس أن فقدان الأشياء يقوم أساساً على الإهمال واللامبالاه ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك-إن سبب فقدان الأشياء يعود إلى تعمد مستتر لاشعوري لاندركه ، إننا نفقد الهدايا التى أهداها لنا أفراد ليس بيننا وبينهم علاقات حسنة أو مودة حميمة ، فالطالب الذى يخشى الرسوب فى مادة دراسية معينة لا يفقد الكتاب الخاص بهذه المادة إلا فى ليلة الإمتحان فيها .

ويرى علماء التحليل النفسى بأن الفتاة التى تفقد خاتم الخطوبة دليل قوى ونذير أكيد بعدم إتمام الزواج ، حيث أن هناك كراهية مكبوتة بين الفتاة والشاب المتقدم لها للزواج ، وينتهى ذلك بالصراع والعناد وعدم التفاهم أو القبول بين الطرفين وينقض السامر ويعود الزائر .

خامساً : تدمير الأدوات المنزلية .

تحافظ ربة البيت دائماً على الأدوات المنزلية ولكن رغم حرصها الشديد على مثل هذه الأدوات فقد يحدث - أثناء ترتيب المنزل - أن تتحطم إحدى الفنازات الجميلة وليس بسبب الإهمال أو القوضى ولكن هناك قصد دفين فى كسر أو تحطيم بعض الأدوات المنزلية كأن تكون الفازة قديمة وتفكر ربة المنزل فى شراء أخرى جديدة أو إستبدالها أو إنها موضوعة فى غير مكانها الملائم أو إنها هدية من شخص غير مرغوب فيه من ربة المنزل،إن تحطيم مثل هذه الفازة قد حقق لاشعورياً رغبة دفينية فى نفس ربة المنزل وهكذا .

سادساً : الأحداث الطارئة .

وهى عبارة عن أفعال تتسم بالنزعة التشاؤمية لدى بعض الناس فالوقوع أثناء السير فى الطريق يفسره الشخص بأن هذا الطريق محفوف بالمخاطر وأن التعثر أو الوقوع نذير شؤم،والواقع يدل على أن ذلك كله يكمن فى طيات عدة دوافع لاشعورية مستترة-خذ على سبيل المثال ذهب أحدهم لزيارة صديقه ليلاً وبدلاً من أن يدخل شقة صديقه هذا إتجه نحو شقة أخرى هى شقة جاره ليدخلها لماذا ؟ بسبب سلطان الدوافع اللاشعورية الدفينة .

سابعا : لعبة الطفل .

تلعب الدمية أو عروسة الطفلة دورا حيويا فى حياتها النفسية ، فهذا طفل يقطع أنف لعبة على هيئة والده أو أنها رمز الأب ، ، وهذه طفلة صغيرة تقطع رجل عروستها البلاستيكية تخيلا منها بأنها أختها أو شبيهة الأخت ، هذا ويحدث كل ذلك كنوع من التنفيس عن مشاعر طفولية مكبوتة نحو اللعبة التى تمثل الأب أو الأخت فى خيال الطفل .

ثامنا : الأحلام .

هى عالم رجب فسيح نشاهده ونعيشه أثناء النوم. ومن الأحلام ما يحدث على هيئة ذكريات أحداث سابقة فيتذكر الشخص الحالم ما حدث له من ضيق وتوتر فى إمتحان الأمس. وغالبا ما يكون هذا التذكر مشبعا بالخيال الخصب والمبالغة الوهمية . ، وهذه ناحية وظيفية أساسية للحلم ووسيلة لإشباع الدافع اللاشعورى . هذا ويرى فرويد فى كتابه الأحلام إن مانحلم به ماهو إلا صراع نفسى قوى بين رغباتنا اللاشعورية الدفينة وبين مانكابه نفسيا من كبت هذه الدوافع اللاشعورية بجهازنا النفسى. ومن ثم يصبح الحلم بمثابة الحل الوسط الذى يرضى كل الأطراف المتصارعة .

إن وظيفة الحلم - كما يراها فرويد - حراسة النوم وإستمراره وتوفير الهدوء ومقاومة كل إزعاج يقلق الحالم أثناء نومه مثال ذلك : إذا شعر النائم بأن حيوانا مفترسا يقترب منه ويهاجمه ، فإن الحلم يظهر فى الحال لصد هذه المشاعر المؤدية إلى إزعاج النائم « الحالم » ، وتصوير الحيوان المفترس بأنه حيوان أليف محبوب لدى الحالم. وهنا تبدو وظيفة الحلم الأساسية التى تتجلى فى عملية إشباع الرغبات والدوافع اللاشعورية للحالم أثناء النوم ، هنا يظهر الحلم فى صورة كلب أليف أو قط نظيف للحالم بدلا من الحيوان المجهول المفترس ، والواقع أن للحلم صورتان : الأولى صورة بارزة واضحة التى نراها على علاتها كما هى دون تبديل أو تحوير. والثانية صورة مستترة كامنة يكتنفها الضباب والغموض والرموز والإشارات وتلك هى الرغبات والدوافع اللاشعورية التى برزت على سطح الأحداث فى الحلم فى صورة مجموعة رموز وأشكال هلامية غير متماسكة .

ويرى المشتغلون بالتحليل النفسى أن الأحلام تلعب دورا حيويا فى الكشف عن مخبوء الدوافع النفسية المؤثرة على مرضى النفوس .

هذا ونرى أن أحلام النوم كأحلام اليقظة كل نوع منهما قائم على عدة تخيلات من نتاج حاجات ورغبات لم تتحقق وصراعات لم تحسم ومن ثم كان الحلم - فى نظر فرويد - إشباع أو هام خيالية لعدة رغبات مكبوتة وغير مكبوتة .

كما أن الحلم ليس صورة هلامية كالعهن المنفوش ، أو مزيجا من زخرف ونقوش كما يعتقد العامة والدهماء وكما يظن الخاصة والأدباء ... لا ... إنه نشاط نفسى يحقق هدفا ويقوم بوظيفة رئيسية فى حياتنا النفسية هى وظيفة « حارس النوم » ومساعدة الحالم على النوم الهادئ دون إزعاج .

فى كتابه الشهير « لغز الكون » المؤلف عام ١٨٩٩ يرى هيكل Haekel أن الطاقات الميكانيكية والكهرية والحرارية والصوتية والضوئية كلها فروع لأصل واحد جوهرى هو الطاقة فى حد ذاتها حيث يمكننا أن نحول كل صورة من هذه الصور إلى الصورة الأخرى. وبالمثل أبدع فرويد حين أدرك أوجه التشابه الكامل بين الأحلام وأعراض اضطرابات مرضى النفوس والمخترعات التكنولوجية والرسوم الفنية والإساطير الأولية والشعائر الدينية القديمة وطقوس المجتمعات البدائية وفكرة « الطوطم والتابو ». لقد رأى شيخ المحللين فرويد أنه برغم اختلاف وتباين مثل هذه الظواهر النفسية إلى أنها تتسم بسمات رئيسية مشتركة تكمن فى التعبيرات الرمزية عن الرغبات الجامحة والمخاوف اللاشعورية الدفينة .

العقد النفسية .

نقصد بالعقدة النفسية حشد هائل من ذكريات متراكمة منذ الطفولة شابها الكبت والإحباط والشحنات الإنفعالية الأليمة فأفرزت هموما نفسية عديدة كالهلع والضجر والغشيان والغيرة المرضية ، وشعور دفين بالذنب وقلق نفسى مقيم. والأصل فى العقدة النفسية أنها نتاج التربية الأسرية الخاطئة أو خبرات طفولية مؤلمة أو فشل الفرد مرارا وتكرارا فى تحقيق هدف ما ، أو مواجهة الفرد بصراعات نفسية أو صدمات إنفعالية متواترة ويحدث لكل هذه المشاعر والأحاسيس أن تتوارى فى زوايا

النسيان وتأخذ مكانها فى نطاق الكبت فتتكون العقدة .

مثال لبعض المصابين بعقدة نفسية : شاب فى سن ٢٤ يصاب بالإغماء والصداع دائما إذا دخل أحد المستشفيات ويحاول جاهدا ألا يقرب المستشفى إذا كان سائرا بالشارع ، وقد أوضح التحليل النفسى إن هذا الشاب وهو فى الخامسة من عمره قد رأى حادثة تصادم بالشارع فذهب مع المصاب وحشد كبير من الناس إلى المستشفى وهناك سقط تحت سيارة الإسعاف فأصيب ببعض الكدمات والجروح ووقع مغشيا عليه ، وعندما شب عن الطوق وأصبح كبيرا يافعا تذكر تفاصيل هذا الحادث وهنا هاجت الذكرى وإجتاحت إنفعال الخوف من المستشفى وأصبح صاحبنا يدخل المستشفيات ويغشى المصححات والعيادات دون خوف أو عقد .

ونطلق على العقدة إسم الإنفعال السائد فيها مثل « عقدة أوديب » و « عقدة النقص » و « عقدة إليكترا » و « عقدة الأم » و « عقدة الأخ هابيل وقابيل » . وفرق كبير ويون شاسع بين عقدة النقص والشعور بالنقص فعقدة النقص - Inferiority Complex تعنى بها إستعداد لاشعورى مكبوت لدى الفرد نتيجة مجابهة الشخص بأفعال قهرية ومواقف عدوانية تجعل الفرد يحس إحساسا مؤلما يعجزه وإرتباكته وإنعدام خبرته .

أما عن الشعور بالنقص Inferiority Sense فالمراد به إعتقاد الفرد بأنه أقل كثيرا من الآخرين ، مما يؤدي به إلى الخوف والقلق والدونية ويحاول دائما أن يقلل من شأن ذاته والعمل على إحتقار نفسه ، وقد يحدث هذا الشعور بالنقص لشخص ما إذا عرف أنه يعانى من بعض العيوب الخلقية أو الإجتماعية أو البدنية . ومن المعلوم أن الشعور بالنقص قد يتلاشى إذا قام صاحبه بعملية تعويض ناجح ، فترى التحيل متفوقا دراسيا . وترى الفتاة الفقيرة تعمل على التفوق والبروز فى مجال اللغة الإنجليزية وهكذا .

الفصل السابع

دافعية العمل والرضا المهني .

* نظرية الحاجات .

* نظرية الوجود والانتماء والنمو .

* نظرية الحاجات عند ماكلياند .

* نظرية ذات العاملين عند "هيرزبرج" .

* النظريات الإدراكية " المعرفية " .

* النظريات السلوكية .

* مبدأ " برماك " .

* نظرية التعلم الإجتماعي .

* نظرية الفروق الفردية .

* قياس الرضا المهني .

دافعية العمل والرضا المهني .

سوف نتعرض في هذا الفصل للنقاط الآتية :

١ - نظرية الحاجات : وتتضمن :

- أ - الحاجات البيولوجية والأساسية .
- ب - الحاجة إلى الأمن والأمان .
- ج - الحاجات الإجتماعية .
- د - الحاجة إلى تقدير الذات .
- هـ - الحاجة إلى تحقيق الذات .

٢ - نظرية الوجود والانتماء والنمو (E . R . G) :

ومن أبعاد هذه النظرية الأبعاد التالية :

- أ - بعد الحاجة إلى الوجود « EXistance » .
- ب - بعد الحاجة إلى الانتماء « Relatedness » .
- ج - بعد الحاجة إلى النمو « Growing up » .

٣ - نظرية ذات العاملين « هيرزبرج » .

٤ - نظرية الحاجات عند « ماكلياند » .

٥ - النظريات المعرفية وتضم عدة نظريات منها :

- أ - نظرية العدالة والإنصاف .
- ب - نظرية التوقع .
- ج - نظرية الإتساق « الثبات » .

٦ - النظرية السلوكية .

وتشمل على عدة مبادئ ونظريات منها :

- أ - الإشراف الفاعل .
- ب - مبدأ « بروماك » .
- ج - التغذية الرجعية .
- د - نظرية التعلم الإجتماعى « Social Learning » .
- هـ - نظرية الفروق الفردية « Individual Diffrenes » .
- د - قياس الرضا الوظيفي « المهني » .

هذا ويتطلب الأمر من كل مؤسسة أو هيئة أن تقوم بتدريب العاملين فيها والتأكد من ملائمة الوظائف والأعمال التى يشغلونها مما يحفزهم على الإنجاز والشعور بالرضا المهني نحو هذه الأعمال ، ويرى علماء النفس الصناعى أن الدافع على الإنجاز ما هو إلا القوة التى تدفع العامل إلى الأمام لتجويد وتحسين أدائه ، إن القدرة والمهارة هما المؤشر على قيام العامل بعمله على الوجه الأكمل من جهة بينما يحدد لنا الحافز صحة وسلامة أداء العامل من جهة أخرى ، ورغم الارتباط الوثيق بين الحافز والأداء وصعوبة قياس هذا الارتباط ، إلا أن الباحثين قد إتفقوا على أن زيادة الحافز لدى العامل تؤدي إلى إرتفاع مستوى الأداء الوظيفى ، كما أن شعور العامل بالرضا والإرتياح يؤثر على عملية الأداء إيجابا ، وفى المقابل فإن شعوره بالضيق والضجر والقلق نحو عمله ومدير العمل يؤدي بالعامل نحو التقييد والإنسحاب من الموقف وبالتالي يؤثر على الأداء سلبا .

وبالرغم من إزدیاد وقاء العمل بمتطلبات العامل ، إلا أن ذلك قد لا يؤدي إلى مستوى أعلى فى الأداء حيث أن المواظبة ومدة بقاء العامل فى عمله يمثلان متغيرين على قدر كبير من الأهمية فى هذا الشأن. وبعد هذا العرض الموجز والمقدمة التمهيدية لنظريات الرضا الوظيفي نقدم وصفا تفصيليا لهذه النظريات فنقول :

نظرية الحاجات .

تفترض هذه النظرية أن الرضا الوظيفي يتحدد وفقا لما تقدمه الوظيفة أو المؤسسة من إشباع إحتياجات العامل مثل الأمان والتقدير ، وقد قدم « إبراهيم ماسلو A . Maslow » تسلسلا هرميا لهذه الحاجات لكى تصبح بعد ذلك أشهر نظرية لإشباع الحوافز والحاجات ، ويرى « ماسلو » أن العامل يصبح راضيا عن

-١٨٩-

عمله عند أى نقطة معينة إذا ما تم الوفاء بإحتياجات معينة ، وهناك خمسة أنماط من الحاجات الرئيسية ذات تسلسل هرمى بمعنى أنه لابد من إشباع المستويات السفلى من الإحتياجات أو الحاجات قبل أن يهتم العامل بالمستوى التالى من الحاجات ويعتبر هذا التسلسل الهرمى بمثابة « درجات السلم » يتم صعوده درجة بدرجة ، ودرجة واحدة فى المرة الواحدة حتى يتم الوصول إلى القمة ، وقد قام « ماسلو » بتصنيف هذه الحاجات على الوجه التالى :

أولاً : الحاجات البيولوجية الأساسية .

وفحواها أن الفرد يسعى أولاً لإشباع الحاجات البيولوجية الأساسية مثل الطعام والماء والهواء والمأوى ، فالفرد العاطل بلا عمل والمشرّد فى نفس الوقت « بلا مأوى » ويكاد يموت جوعاً فإنه - فى هذه الحالة - يقبل أى عمل طالما أنه يوفر له استمرار الحاجات الأساسية .

ثانياً : الحاجة إلى الأمن والأمان .

بعد إشباع الحاجات البيولوجية الأساسية فإن الوظيفة التى تقوم بمجرد توفير الطعام والمأوى لاتعتبر وظيفة توفر الرضا ، ويتحول إهتمام الموظف عندئذ نحو إشباع الحاجة إلى الأمن والأمان ، فقد يعمل الفرد فى منجم فحم مثلاً غير آمن تهدده الأخطار من كل جانب وذلك ليكسب قدراً كافياً من المال لضمان بقاء أسرته على قيد الحياة ، ولكن إذا ما حصلت أسرته على الطعام والمأوى بسهولة فإن رضا العامل عن عمله سوف يستمر فى حالة توفير الأمن والأمان لمكان العمل .

ثالثاً : الحاجات الإجتماعية .

عندما يتم الوفاء بأول مستويين من الحاجات الأساسية فإن رضا العامل عن عمله سوف يستمر وذلك فقط عندما يتم إشباع حاجاته الإجتماعية ، وتشمل الحاجات الإجتماعية : التعاون والعمل مع الآخرين والعيش فى جماعة مناسبة والشعور بالإنتماء نحو الجماعة والبروز الإجتماعى وعقد العلاقات الإجتماعية والصدقات مع الآخرين ، وتحاول المؤسسات والمصالح الحكومية والقطاعات المهنية

الخاصة إشباع الحاجات الاجتماعية للعاملين فيها والأفراد بمختلف الطرق فنجد مثلا أن الشركات والمؤسسات والمرافق والمنظمات والمصانع توفر للعاملين فيها : إستراحات للنوم وكافتريا لتناول المشروبات وبعض الوجبات الخفيفة ومكان للعاملين لمناقشة أمورهم المعيشية والمهنية وتنظيم رحلات سياحية وترفيهية ودينية وإقامة برامج رياضية وتقديم عروض فكاهية وكل هذا فى سبيل الوصول إلى إشباع الحاجات الاجتماعية .

رابعاً : الحاجة إلى تقدير الذات .

عندما يتم إشباع الحاجات الاجتماعية فإن العامل بعد ذلك يقوم بالتركيز على إشباع هذه الحاجات الذاتية مثل الشعور بالتقدير والنجاح ، وتقوم المؤسسة بإشباع هذه الحاجة من خلال الشكر والمديح والإعجاب والمكافآت والترقيات وزيادة المرتب أو العلاوات ، هذا وليست المسألة هنا المرتب المرتفع فقط بل إن طبيعة العمل وطريقة الأداء هما اللتان تجعلان الفرد فى المكانة المرموقة ، وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض المؤسسات تهتم كثيراً بتأثير مكاتب العاملين فيها لإشباع الحاجة إلى تقدير الذات ، وكلما زادت أهمية وضع الموظف مهنيا كلما كان أثاث مكتبه فاخرا ، وبالمثل فإن بعض الشركات الهندسية لاتسمح لمهندسينها بتعليق شهاداتهم الدراسية أو مؤهلاتهم العلمية على الحائط إلا بعد الحصول على الشهادة المهنية أو الخبرات الطويلة فى الأعمال النقابية .

خامساً : الحاجة إلى تحقيق الذات .

عندما يصبح للإنسان أصدقاء ويكون لديه شهادات تقدير ويتقاضى أجرا عاليا عن عمله ، فإنه قد لا يكون راضيا تماما عن عمله لأنه لم يتم إشباع حاجة تحقيق الذات لديه وتلك الحاجة هى المستوى الخامس والأخير فى التسلسل الهرمى للحاجات عند « ماسلو » .

ويمكن تعريف « الحاجة إلى تقدير الذات » عن طريق شعار تجنيد الشباب المعمول به بالولايات المتحدة الأمريكية القائل : كن كل مايمكنك أن تكونه Be all that you can be إن العامل أو الموظف الذى يجاهد ويكافح من أجل تحقيق

الذات يريد أن يصل إلى أقصى إمكانات فى كل مهمة ... إنه رجل المهمات الصعبة أو المستحيلة الذى يحقق الصعب فى يسر وسهولة . إن العامل الذى يعمل على ماكينة لمدة عشرين عاما قد يصاب بالملل والسأم والضجر من عمله هذا لأنه أنجز كل ما يمكن إنجازه مع هذه الآلة ، إنه يبحث الآن عن نوع آخر من التحدى ليحقق ذاته وفى بعض الوظائف يصبح إشباع الحاجة إلى تحقيق الذات سهلا ومريحا مثال ذلك : أستاذ الجامعة مطالب دائما بالبحث والتنقيب عن كل جديد فى تخصصه كما إنه يقابل كل عام مجموعات جديدة من الطلاب من بيئات مختلفة وثقافات مختلفة متباينة ليقوم بالتدريس لهم .

هذا وهناك الكثير من المهام والأعمال الأكاديمية والبحوث العلمية التى يقوم بها أستاذ الجامعة بالإضافة إلى الأعباء الإدارية الأخرى وكل هذا يعتبر تحديا مستمرا يؤدى به إلى أعلى قدر من الرضا المهنى والوظيفى وبالتالي يؤكد « الحاجة إلى تحقيق الذات » .

وهناك أنواع أخرى من المهن والوظائف لاتعمل على إشباع حاجات تحقيق الذات مثل الموظف الذى يعمل بقسم الأرشفة بإحدى المؤسسات الحكومية إن طبيعة عمله تتطلب وضع الملفات والمستندات والأضابير والخرائط المساحية والأوراق الهامة لمدة ست ساعات يوميا وست وثلاثون ساعة إسبوعيا ، إنه يقوم بعمل روتينى واحد منذ عشرين عاما أو يزيد مما سبب له الملل والضجر والشعور العميق بأن وظيفته هذه غير قابلة للتجديد أو التطوير ومن ثم أصبح تحقيق الذات فى عمله بعيد النال أن لم يكن من المحال .

التناوب والتوسع والإثراء .

ومما يساعدنا على إشباع حاجات تحقيق الذات يمكننا إجراء الكثير من التغيرات والتطوير فى « بيئة العمل » حيث يعتبر تناوب العمل وتوسيعه وإثراؤه أسهل هذه التغيرات وأكثرها شيوعا ، فضلا عن تعلم العامل كيفية تشغيل مختلف الآلات والماكينات وأداء الكثير من المهام فى وقت قصير ، ولاشك أن التوسع فى العمل والتناوب فى أوقاته والإثراء فى إنتاجيته يحقق لنا هدفين كبيرين :

أولهما : زيادة التحدى للعامل وإجباره تعلم الجديد فى العمل من تشغيل

آلات وإدارة أعمال إضافية أخرى ، وعلى هذا الأساس فإنه إذا ما أتقن عملا ما أو تشغيل آلة من الآلات فإنه سوف يتمكن من تشغيل آلات وماكينات أخرى .

ثانيهما : تناوب العمل يمكن العامل من تغيير الأعمال وتنوعها مما يقلل من الملل والسأم مثال ذلك أن العامل الزراعى الذى يحرق الأرض الزراعية بالجرار الزراعى فى أحد الأيام ، ويسقى الزرع فى يوم آخر ويجمع ثمار الفاكهة من الحديقة فى يوم ثالث ويحصد القمح فى يوم رابع ويجمع محصول البطاطس فى يوم خامس . كل هذا يؤدي بالعامل إلى تقليل الضجر والتعب والملل ، وليس هناك أدنى شك فى أن إثراء العمل وتناوبه يعتبر خير وسيلة جيدة لإشباع الحاجة إلى تحقيق الذات ، والفرق بين تناوب العمل وإثرائه يكمن فى أن التناوب يجعل العامل قادرا على أداء مختلف الأعمال الكثيرة ، بينما إثراء العمل يجعل العامل مؤهلا لتحمل مسؤولية العمل ومخاطره .

ولو نظرنا مرة ثانية إلى وظيفة الأستاذ الجامعى لوجدنا أن مسألة إثراء العمل شئ أساسى فى عمله حيث إنه يقرر ما سيقوم به من بحوث وما يختاره من مقررات الدراسة الجامعية ، وهذه السلطة الشخصية فى حد ذاتها تعتبر نوعا من إتخاذ القرارات التى تؤدي بدورها إلى أعلى مستوى من عملية الرضا الوظيفى ، إن إثراء العمل فى مؤسسة أو مصنع ما يتطلب منا أن نعالجه ونتعامل معه من خلال طريقتين :

الطريقة الأولى : مثال ذلك عندما يبدأ الشخص عمله فى موقع ما فإن مفتش «التحكم فى الجودة» يتأكد من جودة عمله وبعد أن يعمل العامل لفترة طويلة فى الشركة تكفى لإشباع مستويات الحاجات الأربع السابقة فإنه سيتحمل مسؤولية التأكد من مدى جودة عمله كما يستطيع أن يقرر موعد أجازته السنوية ومكان وزمان تناول طعام الغداء بالشركة ، وكذلك الوقت المناسب الذى ينجز فيه عمله .

وفى بعض الشركات الصناعية مثلا لا توجد ساعات حائط لى يتحمل العمال مسؤولية أكبر فى أداء عملهم وعدم النظر كثيرا إلى مثل هذه الساعات وذلك من خلال وعيهم الحقيقى لمدة العمل الذى يتحقق عن طريق إستخدام ساعاتهم الخاصة إن إتخاذ العامل لمثل هذه القرارات البسيطة تحو به نحو أداء مرتفع للعمل

هذا وقد أثبتت البحوث النفسية أن عملية إتخاذ القرار المتاحة للعمال تزيد من ثراء العمل وتجويده حتى لو كانت هذه القرارات بعيدة عن عملهم وليست لها علاقة مباشرة بأداء هذه الأعمال .

الطريقة لثانية : لإثراء العمل لدى العمال عليهم أن يدركوا أن لعملهم هدفا كما أنه من خلال عملهم يمكنهم أن يحققوا أهدافا جديدة متوالية وجديرة بالاهتمام ، ففي مصانع السيارات مثلا يقوم العمال والفنيون بتحقيق أكثر من هدف من خلال العمل الجماعي لصناعة السيارات ، وبدلا من أن يقوم العامل بمهمة واحدة طوال اليوم ، فإنه يقوم بعدة مهام وأعباء كما يفعل باقى العاملين فى مجموعته الفنية . ومن ثم فإن العامل يرى أنه شارك بأكثر من عمل أو مهمة رئيسية فى تصنيع سيارات مكتملة ، إن زيادة سرعة خط التجميع وطريقة تقليل الفاقد وزيادة معدلات الجودة وإتخاذ القرارات فى يسر وسهولة وتحمل المسؤولية فى العمل كل هذا يؤدى بدوره إلى زيادة حاجات تحقيق الذات وبالتالي إلى زيادة الرضا المهنى للعاملين .

وفى بحث أجراه كل من « هاكمان و أولد هام عامى ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، Hackman - Old ham » لتدعيم فكرة المفاهيم الكامنة وراء إثراء الوظيفة ، وكان أساس نظريتهم من الخصائص الوظيفية المعروفة بإسم « Jop Character- istics theory » وترى هذه النظرية أن الأفراد يختلفون فى حاجاتهم إلى النمو ، كما تفترض هذه النظرية أن الأفراد ذوى الحاجة القوية للنمو فإن الوظائف والأعمال التى تؤدى بالعمال نحو إشباع وظيفى ورضا مهنى مرتفعين تسمح للعمال باستخدام مختلف المهارات فضلا عن توفير الإستقلالية فى العمل ، مما يؤثر تأثيرا إيجابيا فعلا على المجتمع وبذلك يمكن للعمال إكمال مشروع بأكمله وليس مجرد جزء منه ، هذا ويمكن القول بأن نظرية « ماسلو » للحاجات قد لعبت دورا حيويا بما قدمته من إرشادات أخذت بها معظم المؤسسات والشركات الصناعية أملا فى زيادة الإشباع الوظيفى للأفراد العاملين فهى تتطلب توفير التقدير وتحسين المستوى ومكان العمل المريح والمتميز بالأمن والأمان للعمال لزيادة الإحساس بالإشباع ومن ثم فإن علماء النفس فى مجال الصناعة قد إستخدموا هذه النظرية على نطاق واسع

بالرغم من عدم شيوعها لدى الأكاديمين والباحثين .

نظرية الوجود والانتماء والنمو E . R . G .

في عام ١٩٧٢ قدم « أولد فير Aldefer » نظرية الحاجات ذات المستويات الثلاثة وهي الوجود (E) Existance والانتماء -Related (R) ness والنمو (G) Growth وتعرف هذه النظرية بإسم E . R . G ، هذا وقد أبدت الأبحاث التي أجراها كل من « وانوس Wanous » و « إزواني Zwany » عام ١٩٧٧ « عدة المستويات التي إقترحها « أولد فير » إن الفرق بين نظرتي « ماسلو وأولد فير » أن نظرية « أولد فير » تتناول المستويات الثلاثة على أنها نوع من مستويات متتابعة أكثر منها متدرجة ، بمعنى أن الشخص يمكنه أن يتخطى بعضا من المستويات الثلاثة ، وعندما سمح « أولد فير » بمثل هذا التخطى في المستويات فإنه قد أزال واحدة من أكبر المشكلات التي واجهت نظرية « ماسلو » بالإضافة إلى ذلك فإن « أولد فير » قد فسر السبب في أن المستوى الأعلى في بعض الأحيان قد لا يكون أكثر أهمية بمجرد إشباع حاجات المستوى الأدنى . ويرى أولد فير أن الترقى للمستوى التالي بالنسبة لبعض الوظائف في كثير من الشركات غير ممكن حيث يعزى لبعض العوامل مثل : سياسة الشركة أو طبيعة الوظيفة ومن ثم فإن الطريق إلى المستوى التالي هو طريق مسدود يؤدي بالعامل أو الموظف إلى الإحباط مما يولي أهمية أكثر للمستوى السابق ، وقد يكون هذا من أهم الأسباب التي جعلت بعض النقابات تطالب بنفوذ وفوائد أكثر لأعضائها أكثر من مطالبتها بتحسين أوضاع العاملين بالشركات .

نظرية ذات العاملين « لهرزبيرج Herzberg » .

تشتمل هذه النظرية على عاملين إثنين وفقا لترتيب « هيرزبيرج » :

عوامل الصحة النفسية ،	المحفزات .
أجر .	مسئولية .
أمن .	نمو .
زملاء عمل .	تحدي .
ظروف عمل .	إثارة .
سياسة الشركة .	إستغلال .
جدول عمل .	تنوع .
مشرفون .	إنجاز .
	تحكم .
	عمل محبب .

قام هيرزبرج عام ١٩٦٦ بتطوير نظرية حاجات أخرى تتضمن مستويين إثنيين هما مستوى خاص بالمحفزات وآخر خاص بعوامل الصحة النفسية. وعنده أن الصحة النفسية هي تلك العناصر ذات العلاقة الوطيدة بالوظيفة وهي تنتج عن الوظيفة ولا تشملها ، وعلى سبيل المثال فإن الأجر والمنافع هي نتائج الوظيفة وليست الوظيفة نفسها ، كما أن تكوين صداقات جديدة وعلاقات طيبة قد تنتج عن العمل وأثناء الذهاب إليه ، ولكن ذلك لا يتضمن بشكل مباشر أعباء وواجبات العمل .

هذا ومن عناصر المحفزات مستوى المسؤولية وقدر كاف من الرقابة على الوظيفة وإهتمام العامل بعمله ، ويرى « هيرزبرج » أن عوامل الصحة النفسية ضرورية ولكنها غير كافية بالنسبة للرضا الوظيفي والتحفيز بمعنى أنه إذا غاب عامل صحي نفسي في مستوى ملائم وليكن مثلاً إنخفاض أجر العامل ، فإن العامل أو الموظف سوف يتضجر ويميل ويقلق ، ولكن إذا كانت كل العوامل الصحية النفسية موجودة ومتوفرة فإن مستوى الرضا للموظف يصبح متعادلاً ومتوازناً ، أن وجود كل المحفزات والعوامل الصحية النفسية هما فقط اللذان يمكن أن يسببا الرضا

-١٩٦-

المهني والتحفيز ، ومن ثم فإن الموظف ذو الأجر المرتفع وليست عليه رقابة أو مسئولية على وظيفته قد لا يكون راضيا عن عمله ، بينما نرى أن الموظف ذا الأجر المنخفض يصبح متبرما وقلقا برغم ما يتمتع به من هيمنة وسلطة في عمله ، وبالمجمل فإن العامل ذا الأجر المرتفع ولديه قدر كبير من الرقابة والمسئولية على وظيفته يصبح هو العامل السعيد الراضى عن عمله .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نقدم مقارنة بين نظريات : « ماسلو » و « أولدفير » و « هيرزبرج » كالتالى :

« ماسلو »	« أولدفير »	« هيرزبرج »
حاجة تحقيق الذات .	غزو .	محفزات .
حاجة تقدير الذات .		
حاجة اجتماعية .	إنتماء .	عوامل صحة نفسية .
حاجة الأمن والأمان .		
حاجة بيولوجية .	وجود .	

نظرية الحاجات عند « ماكلياند » .

يرى « ماكلياند » أن العاملين يختلفون من ناحية الرضا الوظيفي طبقا لحاجات ثلاثة هي : الحاجة إلى الإنجاز Achievement والحاجة إلى الإنتماء Affiliation والحاجة إلى السلطة Power فالعاملون الذين يتمتعون بحاجة كبيرة نحو الإنجاز يتطلعون إلى الأعمال التى تتحدى قدراتهم ويصبح لهم السيطرة

-١٩٧-

عليها ، فى حين أن العاملين ذوى الحاجة المحدودة للإنجاز يصبح لديهم قدر كبير من الرضا الوظيفى إذا كانت وظائفهم تتضمن قدرا قليلا من التحدى لقدراتهم ، ويصبح احتمال النجاح فى وظائفهم كبيرا وعلى العكس من ذلك نجد أن العاملين ذوى الحاجة الكبيرة للإنتساب يفضلون العمل كثيرا مع أفراد آخرين ومساعدتهم وغالبا ما توجد هذه الأنماط من العاملين فى الوظائف الخدمية بشكل أكبر من وجودهم فى الوظائف الإدارية ، بينما العاملون ذوو الحاجة الكبيرة للسلطة يصبح لديهم رغبة جامحة فى التأثير على الآخرين بشكل يزيد عن رغبتهم فى أن يكونوا ناجحين بسهولة .

وقد أظهرت عدة بحوث نفسية أجريت فى الفترة ما بين ١٩٧٦ - ١٩٨٦ أن العاملين ذوى الحاجة القوية للسلطة والحاجة الكبيرة للإنجاز عادة ما يصبحون مديرين ناجحين ، هذا من ناحية بينما العاملون المحققون بشكل كبير وذوو حاجة إلى الإنتساب قد يصبحون من أسوأ المديرين ويمكن قياس هذه الحاجات بإختبار تفهم الموضوع « T A T » وفى هذا الإختبار يتم عرض سلسلة من صور الإختبار علي أحد العاملين ويطلب منه إن يحكي قصة عن كل صورة من صور الإختبار المذكور ومن إستجابات الموظف أو العامل يتعرف الأخصائى النفسى على القدر الذى تحتوى عليه كل فكرة من أفكار الإنجاز والإنتساب والسلطة فى هذه القصص .

النظريات الإدراكية « المعرفية » .

١ - نظرية العدالة والإنصاف :

قام « آدمز Adams » عام ١٩٦٥ بتطوير نظرية العدالة والإنصاف التى تعتمد على الفرض المنطقى القائل بأن مستويات الرضا الوظيفى والتحفز يرتبط إلى حد كبير بمقدار العدالة والإنصاف التى نرى أننا نعامل بها بالمقارنة بالآخرين ، فإذا كنا نعتقد أننا نعامل بطريقة غير عادلة وغير منصفة فإننا نحاول أن نغير من معتقداتنا أو سلوكنا حتى يتضح أن الموقف عادل ، وهناك ثلاثة عناصر تدخل فى هذا الإدراك الحسى للعدالة والإنصاف تلك هى : مدخلات Inputs ومخرجات Out puts نسبة مدخلات ومخرجات Inputs - Out puts Ratio ، والمدخلات هى

١٩٨-

تلك العناصر الشخصية التي تتطلبها الوظائف التي نعمل بها والعوامل الواضحة هي الوقت والتعليم والخبرة ، بينما العوامل الفرعية تتضمن تكاليف رعاية الأطفال والمسافة بين المسكن ومكان العمل .

أما عن مخرجات العمل فتشمل كل الفوائد المادية والمعنوية التي تعود علينا من الوظيفة أو العمل ، وتشمل عناصر المخرجات الواضحة الأجر والمزايا والمنافع العامة والتحدي والمسئولية ، بينما المخرجات الفرعية « الأقل وضوحا » تتدخل في الأصدقاء وتأييث المكتب والسكرتارية الفنية .

وطبقا لهذه النظرية فإن كل عامل يقوم لاشعوريا بعمل قائمة بالمخرجات والمدخلات ثم يقوم بحساب نسبة المدخلات والمخرجات بقسمة قيمة المخرج على قيمة المدخل ، وهذه النسبة في حد ذاتها ليست مقيدة على وجه الخصوص ، بيد أن كل عامل يمكنه أن يقوم بحساب نسبة المدخل والمخرج للعاملين الآخرين ثم يقارن ذلك بموقفه الوظيفي فإذا كانت النسبة الخاصة به أقل من نسبة الآخرين فإنه يقلق ويتبرم ومن ثم يجب تحفيزه بهدف إيجاد توازن بينه وبين الآخرين ويتحقق ذلك بطريقتين إثنين هما :

أولا : قد ينشد العامل أو الموظف مدخلات أكبر بوسائل مثل طلب علاوة أو قدر أكبر من المسئولية .

ثانيا : قد يعمل العامل أو الموظف على أن تصبح النسبة أكثر تساويا بتقليل مدخلاته فيقلل من جهده المطلوب أو من حضوره إلى العمل .

هذا وقد دعمت البحوث النفسية فكرة إنخفاض الرضا الوظيفي عندما تصبح نسبة مدخلاتنا - مخرجاتنا أقل من الآخرين وهذا ما أثبتته بحث « لورد Lord هوهنفيلد Hohenfeld » عام ١٩٧٩ من ناحية وبحوث « هونستايين Hauenstein و لورد Lord ١٩٨٩ » من ناحية أخرى .

وقد نتج عن هذه النظرية تنبؤ طريف يتمثل في موقف كانت نسبة المدخل - المخرج أعلى من نسب الآخرين ، ولما كانت هذه النظرية قائمة على العدالة والإنصاف فإن التنبؤ المتوقع هو أن يعمل الموظف أو العامل بجهد بهدف الحصول على نسب متساوية إما بزيادة مدخلاته أو تخفيض مخرجاته ، بمعنى أنه إما يعمل بجهد أكبر أو يطلب تخفيض أجره ، والواقع أن البحوث التي أجريت في هذا المجال

تشير ألى أن العاملين غالبا ما يستجيبون لزيادة الأجر عن طريق العمل بجد وإجتهاد أكبر وأكثر « آدمز Adams » و « روزنبوم Rosenbaum » ١٩٦٢ و « بريتشارد Preitchard » و « دونيت Dunnette » و « جورجسون Jor-genson » ١٩٧٢ غير أن مشاعر عدم العدالة والإنصاف الناتجة عن زيادة الأجر لدى العاملين لا تستمر طويلا .

هذا ومن الأفضل أن نجعل العاملين يشعرون بالرضا الوظيفى عند معاملتهم من خلال العدالة والإنصاف وزيادة أجورهم لقاء ما يقومون به من أعمال ، وقد لا يوافق البعض على هذا المدخل حيث من الصعب تنفيذه لعدة أسباب منها :

السبب الأول : تستطيع أى مؤسسة أن تتحكم فى متغيرات مثل الأجر الشهرى وساعات التشغيل وبعض المزايا المادية ولكنها لا تستطيع أن تتحكم بسهولة فى متغيرات أخرى مثل بعد السكن عن مكان العمل أو عدد الأصدقاء الذين يتعرف عليهم العامل فى الوظيفة .

السبب الثانى : إدراك العامل أو الموظف للمدخلات والمخرجات ومدى فهمه لها هو الذى يحدد العدالة فى المعاملة وليست المدخلات والمخرجات الفعلية هى التى تحدد العدالة فى العمل .

مثال ذلك : حصل طالبان يقسم علم النفس وهما ذوا قدرة علمية متساوية على نفس الدرجة فى إحد المقررات الدراسية ، وكان أحدهم يدرس ١٠ ساعات إستعدادا للإمتحان ولم يشاهد زميله مطلقا فى المكتبة ، وهنا يستشعر الطالب الأول أن الدرجات غير عادلة حيث أنه درس كثيرا وذهب إلى المكتبة للقراءة والإطلاع والبحث ، وقد يكون الطالب الآخر - الذى لم يذهب إلى المكتبة - على حق فى الدرجة التى حصل عليها حيث كان يدرس ويبحث لمدة ٢٠ ساعة بدون أن يعرف الطالب الأول ذلك ، وفى هذه الحالة لا يمكن إن يصبح إدراك الطالب لمستوى المدخل مطابقا للواقع .

ومن هنا فمن الأهمية بمكان أن يدلى العاملون بأحكامهم على معلومات واقعية حيث إن ذلك يعتبر من الأمور التى يصبح قولها أسهل من فعلها ولو أمكن لمؤسسة ما أن تحافظ على العدالة والإنصاف للعاملين فيها فهذا لا يمنع مقارنة النسب الخاصة بهم بنسب غيرهم من العاملين بمؤسسة أو شركة أخرى ، وقد تكون

- ٢٠ -

المدركات الخاصة بالأجور والمزايا فى المؤسسات الأخرى أكثر تشوبها وعموضا من المدركات الداخلية وعلى فرض أن نظرية الإنصاف نظرية سليمة ومطابقة للواقع ، فإن الحفاظ والإلتزام بمستوى مرتفع من الرضا الوظيفى قد يصبح أمرا صعبا .

٢ - نظرية التوقع Expectancy Theory :

وتقوم النظرية المعرفية الأخرى على تحفيز العامل وتعرف باسم نظرية التوقع وقد قدمها لأول مرة « ثروم Vroom » عام ١٩٦٤ وتم تعديلها عام ١٩٦٨ بواسطة بورتر « Porter » و « لاولر Lawler » وتشمل هذه النظرية ثلاث عناصر لكل منها تعريف خاص يختلف مع كل تعديل للنظرية وهذه التعريفات كالتالى :

- التوقع (E) : عبارة عن العلاقة المدركة بين كمية الجهد التى يبذلها العامل والمحصلة النهائية .

- الفائدة (I) : Instrumentality عبارة عن المدى الذى ينتج فيه أداء العامل عند ملاحظته نتيجة معينة .

- التكافؤ (V) : Valence عبارة عن المدى الذى يقوم فيه العامل بتقييم نتيجة معينة .

وإذا أردنا فهم مستوى تحفيز العامل فإن هذه العناصر تستخدم فى المعادلة الآتية :

التحفيز = التوقع (الفائدة × التكافؤ)

$$\text{Motivation} = E (I * V)$$

وهكذا يتم تحديد كل نتائج السلوك بضرب تكافؤ كل عامل فى الإحتمال الذى يحدث عند مستوى أداء معين ثم ضرب هذه النتائج فى التوقع الذى يبذل فيه العامل جهدا لتحقيق مستوى معين من الأداء ، وبالنسبة للتوقع فإذا اعتقد العامل أنه مهما يعمل بجهد وإجتهاد فلن يصل إلى مستوى الأداء المطلوب ، ومن ثم يصبح تحفيزه منخفضا. أما بالنسبة للفائدة سيتم تحفيز العامل إذا تمخض عن سلوكه نتيجة معينة بمعنى أن العامل إذا إستمر فى عمله ساعات إضافية فإنه يتوقع أن يكافأ أو يشاب عليها والعكس إذا تغيب بدون عذر مقبول عن العمل فإنه يتوقع أن يعاقب

-٢٠١-

علي ذلك ، هذا ولكى يصبح للسلوك نتيجة مرغوبة لابد أن يتوفر فى هذا المجال عاملان إثنان هما :

الأول : أن يكون سلوك العامل ملحوظا حيث أنه بدون الأداء الملحوظ أو الملموس ، ستنخفض واقعية « تحفيز » العامل نحو العمل .

الثانى : يجب مكافأة السلوك الملموس أو الملاحظ حيث أنه بدون مكافأة العامل سينخفض التحفيز .

وبالنسبة « للتكافؤ » يجب أن تكون مكافأة العامل بشئ له قيمة مادية ومعنوية فى حالة الأداء الجيد وفى حالة عقوبة الموظف أو العامل بالإيقاف عن العمل ، فإن هذا النوع من العقاب يعتبر عقابا مؤثرا فعلا إذا كان العامل فى حاجة ماسة إلى المال .

هذا وقد طبقت « نظرية التوقع » فى مجالات كثيرة منها : توقع تعدى السرعة القانونية لدى مجموعة من سائقي السيارات والغش فى أحد الإمتحانات بالنسبة لمجموعة طلاب جامعيين ، وفى حالة الغش فى الإمتحانات يجب أن نناقش عنصر « التوقع » فنقول : أن احتمالية ضبط الطالب أثناء الغش ، يراها الطالب من وجهة نظره إنها ذات احتمالية منخفضة للغاية ، ولتحديد العنصر الفعال قد نتساءل عن احتمالية النتائج السلبية التى تقع على الطالب الذى يغش إذا تم ضبطه ، ففى كثير من الجامعات تصبح هذه الإحتمالية منخفضة لسببين هما : صعوبة إثبات غش الطالب من جهة فضلا عن أن العقوبة العامة لا تزيد عن إيقاف الطالب عن حضور الإمتحانات لبضعة أيام وهذا من جهة أخرى . هذا وإذا أردنا أن نطبق « نظرية التوقع » فى مجال الغش فى الإمتحانات والحد من هذه الظاهرة فما علينا إلا أن نزيد من احتمالية ضبط الطلبة الغشاشين وإمكان إثبات عملية الغش أكثر سهولة وأن نجعل نتائج الغش أكثر صرامة .

وفى « نظرية التوقع » نجد أن مقدار التكافؤ والفائدة يمكن قياسهما بدقة ومن ثم تصبح لهذه النظرية قدرة فائقة على التوقع ولكن فى حالة سلوك الناس بشئ من العقلانية ، وهذا بعيد المنال ، ووجود مصدر داخلى للتحكم وهو ليس بالقدر الكافى دائما وبرغم توجيه بعض الإنتقادات لهذه النظرية إلا أنها مازالت أكثر النظريات فائدة فى توقع سلوك العاملين فى المصانع والشركات .

٣ - نظرية الثبات Consistency Theory :

تهتم هذه النظرية بتفسير الرضا الوظيفي والدافعية نحو العمل ، وقد قام « كورمان Korman » عام ١٩٧٦ بتعديلها وتطويرها ، هذا وتلقى هذه النظرية أضواء على « مستوى التقدير الذاتى » للعامل من ناحية « وأداء العمل » من ناحية أخرى حيث وجد أن العلاقة إيجابية بين الإثنين ولا شك فى ذلك فالعامل ذو التقدير الذاتى المرتفع يميل نحو أداء العمل المرتفع والعكس صحيح ، وهناك ثلاثة أنواع من التقدير الذاتى للعاملين على الترتيب :

أ - تقدير الذات الدائم : وهو شعور الفرد بنفسه بوجه عام .
ب - تقدير الذات الموقفى : وهو شعور الفرد بنفسه فى موقف معين مثل تشغيل ماكينة .

ج - تقدير الذات المتأثر إجتماعيا : وهو شعور الفرد بنفسه طبقا لتوقعات الآخرين

إن مسألة تقدير الذات الدائم - مثلا - أمر صعب حيث يتم ذلك بطريقتين :
(١) يتم بتبصير العامل بمواطن القوة فيه سواء فى الورشة أو الشركة لأن التبصير بدوره يؤدى إلى زيادة التقدير الذاتى من خلال توضيح مواطن القوة لدى العامل .

(٢) يكلف العمل بمهمة سهلة بحيث يتم ضمان نجاح العامل فى تأديتها حيث أن هذا النجاح يزيد من التقدير الذاتى للعامل .
وهذه الطريقة تقوم على مبدأ التنبؤ بتحقيق الذات القائل بأن الفرد سوف يؤدى أداء عاليا أو متواضعا طبقا لتوقعه لأدائه وعندما يصبح الفرد مدركا بتوقعات الآخرين ويطابق توقعه الشخصى مع توقعاتهم فسيكون أداؤه متمشيا مع توقعاتهم .

النظريات السلوكية .

وهناك مجموعة أخرى من النظريات تفترض أنه يتم تحفيز « دفع » العاملين فى حالة إثابتهم ومكافأتهم على الأداء الممتاز ، وتقوم النظريات السلوكية بالتنبؤ بالكثير من نفس السلوك الذى تنبأ به النظريات المعرفية ، غير أن هناك إختلافا فى

- ٢٠٣ -

كيفية التنبؤ بذلك السلوك ، هذا وتقوم النظريات السلوكية بالتركيز فقط على السلوك العلنى الصريح للعامل أو الموظف بينما تقوم النظريات المعرفية بالتركيز على العمليات التى يقوم بها العامل أو الموظف لإتخاذ القرار .

نظرية الإشراف الفاعل .

قد تصبح أكثر النظريات السلوكية تأثيرا هى الإشراف الفاعل حيث ترى الأخيرة أن العامل سوف يستمر فى أداء سلوكه الذى يتم تعزيزه ، ومن ثم فإذا كوفئ عامل ما لعدم إرتكابه أخطاء ، فهناك احتمال كبير فى أن يقدم لنا نوعية جيدة عالية من العمل ، وإذا كوفئ العامل على كمية العمل التى تحققت أو أنجزت فسيقابل ذلك بقدر أقل من الإهتمام على النوعية ويحاول زيادة الكمية .

وهناك طريقة المكافأة المالية للعاملين عن أدائهم الممتاز وذلك عن طريق أجر التفوق والفرق الرئيسى بين أجر التفوق وبين الطريقتين السابق شرحهما هو أن أساس أجر أنظمة التفوق هو الحوافز التى يتم منحها حسب درجات تقييم الأداء ولا يكون الأساس هو مقاييس الأداء الموضوعية ،

ومن ثم فإن أجر التفوق يعتبر أسلوبا جيدا للوظائف التى يصعب فيها قياس التفوق ، وفى نظام أجر التفوق الذى تستخدمه إحدى الشركات الصناعية التى لاتعتمد على الربح فإنه يتم قسمة تقييم أداء كل عامل أو موظف على إجمالى عدد نقاط الأداء الممكنة وعندئذ يتم ضرب هذه النسبة المئوية فى أقصى زيادة وهى ٣ ٪ ، والتى يمكن أن يحصل عليها الموظف أو العامل ، وفى ظل هذا النظام لا بد وأن يحصل العامل على تقدير سليم لكى يتسلم الزيادة الكاملة وهى ٣ ٪ وهنا كان معظم العاملين يتسلمون ما بين ٢ ٪ إلى ٢,٥ ٪ .

والواقع أن كثيرا من العاملين يميلون نحو أنماط مختلفة من المكافآت وهذا يستوجب أن يكون المشرف على العمل على وعى ودراية تامة بالتدريب فى هذا المجال على عوامل التدعيم ، مثال ذلك قد يطرأ العامل ويتحمس للكلمة الطيبة ، وابتسامه الرضا الساحرة وهناك عامل آخر لايهمه سوى المكافأة المالية كما أن هناك عامل ثالث يرى أن المكافأة عنده هى إتاحة الفرصة له للقيام بالعمل الذى يحبه

٢٠٤-

وهكذا كل يغنى على ليلاه !! لقد أصبح إستخدام النقود كمكافأة للعامل أو الموظف ودفعه للعمل لتحسين أدائه ، من الأمور الشائعة والسائدة ويتخذ أشكالاً كثيرة ، ومع خطة الأجر على قدر الأداء يتم دفع أجر الموظفين طبقاً لمقدار ما ينتجه كل عامل أو موظف .

إن إحدى المشكلات الكبرى المرتبطة بأجر التفوق تكمن فى أن الزيادات تعتمد على تقديرات آراء شخصية ، وإنطلاقاً من ذلك فإن بعض المشرفين يبالغون فى درجات تقييم الأداء لكى يزداد أجر موظفيهم أو عمالهم فضلاً عن زيادة مشاعر العامل الإيجابية نحو المشرفين ، ومن المعلوم أيضاً إن المديرين يبالغون فى تقييم الأداء عندما يرون أن المرتبات الأساسية لبعض الأعمال منخفضة جداً ، على أن هناك مشكلة أخرى ترتبط بأجر التفوق تظهر بوضوح فيما هو متاح من مبالغ تتغير مع كل سنة مالية ، ومن ثم فإن الأداء الممتاز فى إحدى السنوات قد يكون سبباً فى الحصول على مكافأة كبيرة ، فى حين أن نفس الأداء فى سنة أخرى قد لا يتسبب فى الحصول على أى مكافأة ، وينطبق ذلك على وجه الخصوص فى القطاع العام ، وإذا أردنا أن يكون أجر التفوق ناجحاً فلابد من إتاحة التمويل والمعلومات المستمرة عما هو متاح ولابد من تقسيم المبلغ بين الموظفين أو العمال « ويزدوم Wis-dom و باتزج Patzig ، ١٩٨٧ » .

مبدأ بريماك Premack .

هناك أسلوب آخر للتعزيز والتدعيم ينبع من « مبدأ بريماك ١٩٦٣ » Premack Principle والذي يرى أن التعزيز نسبى وأن المشرف يمكن أن يحفز العامل أو الموظف الذى يبدو فى ظاهره بأنه ليس تعزيزاً وأفضل طريقة لشرح هذا المبدأ هى بناء هرمى تعزيزى المعروف باسم : Construct a Reinforcement Hierarchy

كما هو واضح فى الآتى :

-٢٠٥-

مثال « لبناء هرمية التعزيز » .



وكما هو موضح بالشكل أعلاه ، فإن أقصى ما يرغب فيه العامل هو الحصول على المال وعلى إجازة من العمل ، وأقل ما يرغب فيه هو صف الحروف وتنظيف الطابعة ، ويمكن لهذا العامل أن يقوم بصف الحروف وتنظيف الطابعة وسوف يسعد بوظيفته ويؤديها على أحسن وجه إذا منحناه قدرا من المال عن كل مهمة يؤديها بإتقان ، غير أن هذا النظام الخاص بالمكافأة قد يكون مكلفا وعلى ذلك فإنه طبقا لمبدأ « بريماك » يمكن أن نطلب من العامل القيام بتنظيف الطابعة إذا منحناه الفرصة للقيام بأحد النشاط الذي يفضل على تنظيف الطابعة ومن الهرمية الخاصة بتعزيزه ، فإننا نجد أن التخلص من الحرق المختلطة بالزيت تعتبر من أكبر الأعمال المحببة لديه ، لأنه يمكنه الحصول على قليل من الراحة بالخروج إلى خارج العمل والوصول إلى منطقة التخلص من النفايات وبهذا فإن كل ما نقدمه كمكافأة هي أن نتركه يتخلص من النفايات وقد يبدو إن مبدأ « بريماك » عديم الجدوى ، ولكن علينا أن ندرك أن الطريقة التي يكافئ بها المرء نفسه - في حالة الإستذكار مثلا - أن يمنح نفسه فترة من الراحة أو السير في حجرة المكتب بعض

الوقت أو بتناول شيئاً من المشروبات ، إن هذا السلوك محبوب ومرغوب للنفس لأنه يدعم موقف الإستذكار ويعززه ، ورغم أن الإشراف الفاعل يعتبر وسيلة ناجحة في تحسين الدافعية والأداء فإن « ديسي Deci » ١٩٧٢ قد حذر من الإعتقاد بأنه بالنسبة لبعض الناس وبعض الأعمال قد يصبح الأفراد مدفوعين « محفزين » للعمل لأنهم يستمتعون بهذا العمل وليس لأنهم يكافئون عليه ، هذا وتوضح بحوث « ديسي Deci » أن منح أجر للفرد عن كم العمل الذي يقوم به سوف تقلل من درجة إستمتاعه بأداء ذلك العمل ، وعلى ذلك فإذا متعنا الحوافز المالية عن العامل فسوف يقل تحفيزه للعمل عما كان مع إستخدام المكافآت .

« وضع ووضوح الهدف » : ولزيادة فاعلية الدافعية يجب إستخدام عملية وضع الهدف بمعنى أن يكون لكل عامل هدف محدد كما وكيفا في مجال إنتاجه وعمله ، إن وضع أهداف فرعية محددة يمكن أن يعمل على تحسين الأداء « كلاوسكى Klawsky » عام ١٩٩٠ .

ومنذ وقت قريب كان هناك إعتقاد سائد بأن الهدف ووضوحه ووضعه يؤدي إلى زيادة الإنتاجية ولاسيما إذا شارك العامل في وضع هذا الهدف ، إن أول دراسة عن « وضع الهدف » ووضوحه قد أثارت إهتمام علماء النفس الصناعى والتنظيمى ومنهم على سبيل المثال : « لاثام Latham » و « بليدز Blades » عام ١٩٧٥ ، وقد أجرى هذان الباحثان دراسة على سائقي الجرارات بأحد المصانع المنتجة للأخشاب حيث كان السائقون لا يملثون جراراتهم بالكمية المطلوبة من الأخشاب بمعنى كان هناك خلل ونقص في التعبئة مما يؤدي بالخسارة الكبيرة في ميزانية المصنع ، ولعلاج نقص الإحمال تم تعيين أهداف وزن محددة للسائقين ، كما أحيط السائقون علماً بأنه لاعتقاب بسبب عدم تحقيق الهدف ولن تكون هناك مكافأة عند تحقيق الهدف أيضا ، وفي هذه الحالة إرتفع متوسط الأحمال لدى كل السائقين ، ورغم أن هذه الدراسة كانت من الدراسات الرائدة ، إلا أنه لوحظ أن وضع الهدف يعتبر فاعلا ومؤثرا في مختلف المواقف .

التغذية الرجعية Feedback : أوضحت بحوث : لوك و لاثام Locke & Latham عام ١٩٩٠ أنه يجب تقديم التغذية الرجعية للعاملين بشأن كل تقدم

٢٠٧

يحرزونه فى سبيل تحقيق أهدافهم فى حالة تحقيق زيادة كبيرة فى فاعلية تدعيم الأهداف والوصول إليها ، ومن صور التغذية الراجعة : إخبار العامل عن حالته الوظيفية أولا بأول ، أو تجسيد نشاطه المهني من خلال رسم بياني أو عرض لون معين من الإضاءة كمؤشر بأن العامل يسير فى الطريق الصحيح نحو الهدف المنشود والإنتاج المستهدف .

نظرية التعلم الإجتماعى « Social Learning Theory » .

ترى هذه النظرية السلوكية أن العاملين يلاحظون مستويات الحماس والرضا فى العمل لدى باقى العاملين ثم يحاكون هذه المستويات ويقلدونها ، ومن ثم فإذا كان قدامى العاملين فى شركة ما يعملون بجهد وإجتهد ويمتدحون أعمالهم ويحبون رئيسهم ، فإن العاملين الجدد يسلكون نفس المسلك وتتوفر لديهم صفة الإنتاج المبدع والرضا عن العمل والعكس صحيح فى هذا المجال المهني .

نظرية الفروق الفردية « Individual Differences Th . » .

هناك نظرية حديثة عن الرضا المهني والدافعية للعمل إن نمطا معيننا من أنماط البشر يصبح سعيدا بعمله ومتحمسا له بصرف النظر عن نوع العمل الذى يعمل ، ومن الناس من تعلق أصواتهم بالشكوى من أعمالهم وآخرون متحفزون ومتحمسون فى كل عمل يقومون به أو مهنة يضطلعون بأدائها ، وفى عام ١٩٧٧ توصل الباحثان « ويرى Wherry و ساوث South » إلى نظرية تناقش الجوانب الشخصية لدافعية العمل ، فأجريا اختبار قوامه ٧٠ بندا لقياس المستوى العام لدوافع العمل لدى الفرد وأيدت نتائج البحث فكرة أن مستوى الدافع للعمل تعتمد بدرجة كبيرة على أنماط البشر وأنواع العمل ، كما أيدت دراسات أخرى نفس النتائج حول الرضا المهني بالإضافة إلى أن العمل يمثل بؤرة الإهتمام فى حياة بعض الأفراد وأنهم سعداء فى أعمالهم من هؤلاء الذين لا يتركز إهتمامهم على العمل . ولقد وجد « أوربن Orpen » عام ١٩٧٨ علاقة مشتركة صغيرة ولكنها فى نفس

الوقت إيجابية بين الرضا المهني والرضا عن الحياة ، كما وجدت علاقة مشتركة بين مستويات الرضا المهني بين المراهق والراشد ، وتم تفسير هذه الدراسات على أنها تأييد للنظرية التي تفترض أن الرضا المهني قد يتأثر ولو جزئيا بالسمات الشخصية . وفي عام ١٩٨٩ توصل كل من « آرفي Arvey و بوتشارد Bouchard وسيجال Segal و أبراهام Abraham » إلى أن الرضا المهني لا يتحقق من خلال العمل فقط ولكن يمكن أن تحدده أيضا عوامل وراثية كما توصل « آرفي Arvey » وزملاؤه إلى هذه النتائج بمقارنة مستويات الرضا المهني لدى أربعة وثلاثون زوجا من التوائم المتطابقة الذين تم فصل كل واحد منهم عن أخيه في سن مبكرة . وإذا كانت البيئة وحدها هي التي تتحكم في الرضا المهني فلن تكون هناك علاقة مشتركة بين مستوى الرضا المهني لدى هؤلاء التوائم المتطابقين الذين تمت تربيتهم في بيئات مختلفة والذين يشغلون وظائف مختلفة في الوقت الحالي ، وإذا كان لكل التوائم المتطابقين نفس مستوى الرضا المهني بالرغم من تربية كل واحد منهم منفصلا عن أخيه وشغل كل منهم وظيفة مختلفة عن الآخر فسيكون من المرجح وجود استعداد وراثي للرضا المهني .

قياس الرضا المهني .

يمكن قياس الرضا المهني بأحد الإختبارات المعروفة باسم « إختبارات القلم والورقة » ، ومن الإختبارات الرائدة في هذا المجال « إختبار كونين Kunin » عام ١٩٥٥ الذي يعرف باسم « إختبار أو مقياس الوجه » . أن أكثر المقاييس إستخداما في هذا المجال هو « الدليل الوصفي المهني Jop Descriptive Index (JDI) » الذي قام بتطويره « سميث Smith و كندال Kendall و هولين Hulin » عام ١٩٦٩ ويتكون من سلسلة من الصفات والجمل المتعلقة بالوظيفة والتي يقوم الموظف أو العامل بتقديرها ، ويعطى المقياس درجات لخمس أبعاد من الرضا الوظيفي وهي على الترتيب : الإشراف والأجر وفرص الترقى وزملاء العمل وطبيعة العمل ، وهناك مقياس مشابه وهو إستبيان منيسوتا للرضا المهني « Minnesota Satisfaction Questionnaire (MSQ) » الذي قام بتطويره كل

من : « وايز Weiss و داويس Dawis و إنجلترا England و لو فكست Lofquist » ١٩٦٧.

ولما كان « الدليل الوصفى المهني » يحتوى على خمسة مقاييس فإن « إستبيان منيسوتا للرضا » يحتوى على ٢٠ مقياسا مما يؤكد أنه ليس من السهل قياس الرضا الوظيفى وهذا صحيح عندما يفكر المرء فى إستجابات الموظف فى الدليل الوصفى المهني ، فإن ذلك لا يرتبط إرتباطا كبيرا بإستجاباته فى « إستبيان منيسوتا للرضا » حيث أن كلا من « الدليل الوصفى المهني » و « إستبيان منيسوتا للرضا » يقيسان جوانب معينة من الرضا الوظيفي ، ومن ثم فإن كلا من « أيرنسون Ironson و « سميث Smith » و « برانيك Brannick » و « جيبسون Gibson » و « بول Paul » عام ١٩٨٩ قد قاموا بتطوير مقياس الوظيفة فى الشكل العام ، إن مقياس الوظيفة فى الشكل العام مفيد عندما تريد إحدى المؤسسات مقياس المستوى الشامل للرضا الوظيفي وليس جوانب معينة من الرضا المهني .

إستبيان منيسوتا للرضا المهني (M . S . Q) .

- إسأل نفسك : ما مقدار رضى عن هذا الجانب من الوظيفة ؟
- راض جدا : وتعنى أنني راض جدا عن هذا الجانب من الوظيفة .
 - راض : وتعنى أنني راض فقط عن هذا الجانب من الوظيفة .
 - لا أعرف : وتعنى أنني لا أستطيع أن أقرر أنني راض أو غير راض .
 - غير راض : وتعنى أنني غير راض عن هذا الجانب من الوظيفة .
 - غير راض مطلقا : وتعنى أنني غير راض بالمرّة عن هذا الجانب من الوظيفة .

-٢١٠-

غير راض مطلقا.	غير راض.	لا أعرف.	راض. .	راض جدا.	هذا ما أشعر به نحو وظيفتي الحالية .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	يمكن أن أكون مشغولا طوال الوقت .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	فرصة العمل بمفردى فى الوظيفة .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	فرصة القيام بأشياء مختلفة من حين لآخر .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	فرصة أن أكون مرموقا فى المجتمع .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	طريقة معاملة رئيسى للعاملين معه .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	كفاءة المشرف فى إتخاذ القرارات .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	المقدرة على القيام بأشياء تخالف الضمير .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	مقدار ماتوفر الوظيفة من ثبات التعيين .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	فرصة القيام بأشياء لأناس آخرين .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	فرصة إبلاغ الناس بما يقومون به .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	فرصة القيام بشئ فيه إستخدام لقدراتى .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	طريقة تنفيذ سياسات الشركة .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	الأجر ومقدار العمل الذى أقوم به .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	فرصة التقدم فى هذه الوظيفة .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	حرية إستخدام تقديرى وحكمى الخاص .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	فرصة محاولة إستخدام الطرق الخاصة بى
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	لقيامى بالعمل .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	ظروف العمل .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	مدى إنسجام زملاء العمل مع بعضهم والآخرين
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	المديح الذى أتلقيه عند القيام بعمل جديد .
<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	ما توفره الوظيفة من إحساس بالإنسجام .

الفصل الثامن

سيكولوجية الإنفعالات .

- * جوانب الإنفعال .
- * نظريات الإنفعال .
- * الإنفعالات النفسجسمية .
- * الإنفعالات وسيكولوجية الجماعات .
- * نظرية التحليل النفسي في الجماعات .
- * الأنماط العشرة لنظرية " ردل " في الإنفعالات .

سيكولوجية الإيفاعلات .

خلق الله الإنسان لعبادته والضرب والعمل في آفاق المعمورة ويتعلم ويكره ويفرح ويحزن ويخاف ويطمئن ويصارع الهلع والإشمئزاز ويحاول التغلب علي الوسواس والإستحواذ وتنتابه - أحيانا - حالات من الهم والغم والكمد الأليم ، كما تغشاه خبرات من الحقد والحسد والإكتئاب المقيم ، وتلازمه في حياته النفسية غير مرضية دون بصيرة ويتنهى في أنين وإغتراب نفس كسيرة وتحاصره مشاعر الذنب فيبكي ملوما محسورا ، وتستحوذ عليه أحاسيس « الترجسية » فيخال نفسه أسدا هصورا .

وما هذه الحالات والصور الوجدانية إلا معالم حياتنا النفسية التي تميزها عن الحالات النفسية في دنيا الحيوان والنبات ومن الصعب - إن لم يكن من المستحيل - مشاهدة أم لا تتألم لمرض فلذة كبدها وولدها الوحيد.أو بكاء عروس على حبيبها الزوج المخطوف تحت تهديد السلاح والوعيد .

هذا ويدون الألم والحب والضيق والضجر والقلق والتوتر والحزن والكراهية والأرق والسهاد والفراق والإغتراب بدون هذا كله تعتبر حياتنا النفسية خواء وعدم ووهم وندم

وصفوة القول وأصدقه أن حياتنا النفسية - كما ذكرنا آنفا - لا تسمى حياة بدون إنفعالات ومن هنا كان موضوع الإنفعالات في علم النفس من الموضوعات الأساسية التي تربط دائما بالدوافع النفسية والصحة النفسية والمزاج والتناغم والإنسجام والعمليات المعرفية العقلية من تذكر وتفكير وتصور وتخيل وذكاء فضلا عن العلاقة الوطيدة بين الإنفعالات وصحة البدن من ناحية والإنفعالات والأمراض السيكوسوماتية « النفسجسمية » من ناحية أخرى .

ونتسائل الآن عن ماهية الإنفعال ؟ نقصد بالإنفعال : Emotion « شعور همجي مضطرب » وخلل عام يصيب الفرد كله نفسا وجسدا ويؤثر إلى حد كبير في تصرفاته وأفعاله وخبراته الحسية والشعورية وأعضاء جسمه الحشوية الداخلية « الفسيولوجية » وتحدث الإنفعالات نتيجة لأسباب نفسية إجتماعية وبيئية « إن الشخص أثناء إنفعاله الشديد تصاب كل أنواع وصور نشاطه بالشلل التام فلا يرى

ماذا قال ؟ ولا يدرك حقائق الأمور ولا يعي عواقب هياجه وغضبه .

خبرة إنفعالية واقعية : ذات شتاء والجو ملبد بالسحب والغيوم ، والأرض تكسوها الزروع والأشجار اليانعات فتسبب شبورة كثيفة تجعل الرؤية متعذرة متعسرة ، وفي هذه الآونة كان طالب صغيرا يسير بين قضبان السكك الحديدية وإذا بظهور قطار فجأة ينهب الأرض نهباً ولحظة أن سمع الطالب صوت القطار يقترب منه أصيب بالهلع والإضطراب ، فوقف شعر رأسه وزادت ضربات قلبه وجف ريقه وزاغ بصره وارتعد جسده وتصبب عرقه وحبس صوته وفجأة تحركت قدماء بسرعة كبيرة ليقع في أحد الحقول بعيدا عن مسار القطار - كادت تحدث حادثة وتقع الواقعة ولكن الله سلم .

وعند حدوث الإنفعال تضطرب أعضاء الإنسان الفرد خارجيا وداخليا مثل : إنتصاب شعر الرأس وإتساع حدقة العين وإتساع شعبيات الرئة وتتوقف العصارة المعدية بالمعدة تتكاسل عملية الهضم وتفرز الغدة الكظرية هرمون الأدرينالين وتتسع الشرايين السطحية وتضيق الشرايين الحشوية وتزداد ضربات القلب وتتوتر العضلات ويفرز الكبد السكر في الدم ويزداد تصبب العرق وإفرازه وتتوقف الأمعاء الدقيقة عن العمل أو تعمل ببطء وتتوتر عضلات الجسم إستعدادا للهرب والحفاظ على النفس .

والإنفعال أولا وقبل كل شئ عملية نفسية جسمية فسيولوجية معقدة متنوعة الجنبات وتسير في حلقات منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

- ١ - الفهم والإلمام بموقف الإنفعال .
 - ٢ - حدوث تغيرات في وظائف الأعضاء الداخلية .
 - ٣ - حدوث إضطرابات جسمية خارجية .
 - ٤ - الخبرات الشعورية السابقة .
 - ٥ - رد الفعل تجاه موقف الإنفعال .
- ونتحدث عن كل عنصر من العناصر السابقة بالتفصيل فنقول :

١ - الفهم والإلمام بموقف الإنفعال :

بداية عند إنفعال الشخص عليه أن يتفهم الموقف الذي حدث فيه الإنفعال ،

ففى مثال الطالب الصغير والقطار كان إلمام الطالب ومعرفته تماما بخطر القطار كان هذا بمثابة إستشارة إنفعال الهلع والخوف الشديد لدى الطالب ، ويعتمد إدراك وفهم الطالب لخطر القطار على مجموعة عوامل خارجية وعوامل داخلية فمن العوامل الخارجية حضور القطار فى وقت لم يتوقعه الطالب بالإضافة إلى مواجهة هذا الخطر وحده بعيدا عن أسرته. أما عن العوامل الداخلية لدى الطالب فتكمن فى خبرة الطالب بحوادث القطارات وسائر المواصلات الأخرى وما ينجم عن ذلك من قتلى وجرحى ومفقودين ، إن هذه العوامل فى مجملتها قد لعبت دورها المؤثر فى تفهم وإدراك الطالب لموقف الإنفعال .

هذا وقد تختلف العوامل الداخلية من شخص إلى آخر طبقا للفروق الفردية فى علم النفس ومن ثم فإن إدراك الأفراد لموقف ما يتباين من فرد لآخر ، فمشاهدة القرد طليقا فى الشوارع قد يسبب هلعاً وخوفاً لبعض الأشخاص ، بعكس وجود القرد فى قفصه بحديقة الحيوان ، وقد يغضب وينفعل أحدهم عند سماع نكتته فكاهية وقد يضحك آخر غيره على مضمون النكتة وهنا نقول بأن طريقة التنشئة الاجتماعية والتربية المنزلية والخبرات السابقة والأحوال والظروف الأسرية والنفسية والإجتماعية والإقتصادية كل هذه العوامل مجتمعة تؤثر فى حياتنا الإنفعالية .

٢ - حدوث تغيرات فى وظائف الأعضاء الداخلية :

هناك تغيرات حشوية وفسيولوجية تحدث فى كل كيان الإنسان عند إنفعاله ومن أهم هذه التغيرات ما يلى :

أ - تغيرات تحدث فى الدورة الدموية حيث تزداد سرعة ضربات القلب وسرعة النبض وزيادة كمية الدم التى تصل إلى أعضاء ومناطق الجسم وبالتالي إرتفاع ضغط الدم وإحمرار الوجه بسبب إندفاع الدم من الأحشاء إلى الأجزاء الخارجية .

ب - تغيرات حشوية داخلية وهنا تنخفض إفرازات العصارة المعدية إلى حد كبير كما تتوقف عملية الهضم وتحركات الأمعاء الدقيقة والغليظة مما يسبب حالات عسر الهضم لدى المنفعلين من الأفراد .

ج - تغيرات تحدث فى الغدد : وهنا يزداد إفراز الغدد العرقية فى

الجسم ويقل إفراز الغدد اللعابية مما يسبب جفاف الحلق بالإضافة إلى زيادة إفراز هرمون الغدة الأدرنالية في الدم لتدعيم النشاط الجسدى الذى يقوم به الفرد المنفعل .
د - تغيرات فى وظيفة الكبد : وهنا يزداد نشاط الكبد حيث يفرز كمية كبيرة من السكر لتعمل على زيادة طاقة الإنسان لمواجهة حالات الإنفعال الطارئة .

٣ - حدوث اضطرابات جسدية خارجية :

وتحدث تغيرات واضطرابات خارج الجسم عندما يتفعل الشخص ومنها ما

يلى :

أ - تغيرات فى الوجه : عادة ما تصبح تغيرات الوجه - أثناء الإنفعال - خادعة كاذبة بعيدة عن الحقيقة والواقع ، وذلك طبقا للفروق الفردية بين الناس فقد يكون الشخص فى حالة إعياء وتعب شديد ويظهر بأنه لديه طاقة هائلة من العمل أو كما يقولون - بلغة الشعر العربى الجميل - « كالطير المذبوح يرقص طربا من الألم » وقد يضحك الشخص كثيرا فى حالة إنفعال : الفرح الغامرة ، أو السرور المفاجئ ولكنه - كما يذكر المتنبى حكيم الشعراء - « ضحك كالبكاء » . ولماذا نذهب بعيدا ونحن نسمع كثيرا كلمات أغنية « سلطان الأغاني الحزينة » فريد الأطرش حين يردد « عيني بتضحك وقلبي يبكي .. » ومن ثم يجب ألا نعتد على تغيرات ملامح الوجه « كأمانة أو شاهد » على نوعية الإنفعال .

ب - شكل الجسم العام : يسبب الإنفعال لنا تغيرات فى شكل الجسم بوجه عام . خذ على سبيل المثال إنفعال الحب فترى المحب منبسطة الأسارير خفيفة الحركة مرفوع الرأس يتخيل نفسه كأنه يسير فوق بساط وردي ، وأحيانا كأنه يطير فى الهواء . وإذا كان إنفعال الحب قويا رصينا ترى المحب خفيض الصوت زائع البصر نحيل الجسد بطيئ الإستجابة ، قليل الكلام ضعيف الحركة وهكذا .

ج - نبرات الصوت ونغماته : يتغير الصوت كثيرا لدى المنفعل شديد

الغضب فتري الواحد منهم يتحدث أثناء الإنفعال بوجه عام ، بنبرات صوتية حانية أو نغمات كلامية قاسية ، كما يتخلل صوت المنفعل رنة أسمى ويردد تعبيرات « لعل وعسى » إن مثل هذه النبرات الصوتية والنغمات الحاملة ، نسمعا بوضوح لدى

بعض الممثلين الموهوبين من أمثال عملاق المسرح العربى يوسف وهبى بصوته المتهدج المميز وأستاذ الإلقاء الفريد حسن البارودى والفنان القدير المعروف أمين الهنيدى ، وهكذا يلعب الإنفعال دورا كبيرا فى تلوين نبرات صوتنا ونغمات حديثنا .

د - الخبرات الشعورية السابقة :

تدل الخبرات الشعورية السابقة على الإحساس الفعلى بالإنفعال ، ومن الصعب علينا أن نتعرف على الإنفعال الظاهر بسبب التغيرات الفسولوجية الداخلية أو الخارجية ويمكن القول بأن المشاعر التى تنتاب الفرد المنفعل ، ما هى إلا المكونات الأصلية التى تحدد لنا الإنفعالات المختلفة ومدلولها .

هـ - رد الفعل تجاه موقف الإنفعال :

ونقصد بذلك كيفية مواجهة الإنسان المنفعل والخروج من أزمة الغضب النارى والعودة إلى سيرته الأولى ، فالطالب الذى إستشعر الخوف والهلع حينما سمع صفير القطار قادمًا نحوه بسرعة ، قد شل تفكيره وتجمدت حركاته فى البداية ولكنه شرع فجأة يجرى بعيدا لينجو بنفسه من الخطر الداهم ومن ثم عاد الأمن والإتزان ، ويعتبر رد الفعل هنا بمثابة عملية توافقية لهذا الموقف الطارئ ، وتختلف عملية التوافق تجاه موقف الإنفعال بمعنى إنها قد تطول أو تقصر ، تقصر كما عرضنا فى المثال السابق . وتطول هذه العملية فى حالات كثيرة فقد تستمر شهورا أو سنوات ، فالطالب الذى يتكرر رسوبه فى إمتحان الثانوية العامة يتملكه الغضب ويصاب بالإحباط والقنوط وبعد أن يفكر بهدوء ويعرف مواطن الخطأ ، وأسباب فشله ، تراه ينظم مذاكرته ، ويشق بالله وينفسه فيكتب له النجاح المنشود وهنا يهدأ بالا ، ويرتاح نفسيا ، ويقتحم المشكلة ويتغلب عليها .

نظريات الإنفعال -

بداية ، لكل إنفعال جوانب ثلاثة هي علي الترتيب :

١ - جانب داخلي لا يشعر به ولا يدركه إلا صاحبه المنفعل وهذا النوع من

-٢١٧-

- الإحساس أو الشعور بالإنفعال يمكن دراسته ويحتمل بتأمل الفرد لذاته .
- ٢ - جانب خارجي يحتوي علي تغيرات الملامح المختلفة ، وكل تعبيرات الوجه وما يصاحب ذلك من إشارات صادرة عن المتفاعل كالشكوي من الألم أو الحزن أو الإبتهاج والسرور أو الصياح .
- ٣ - جانب فسيولوجي ويتمثل فى ضربات القلب السريعة وارتفاع ضغط الدم وضيق التنفس وعسر الهضم وإضطرابات الجهاز الهضمي .
- والواقع أن هذه الجوانب الثلاثة لا تحدث علي إنفراد لتسبب الإنفعال ، إلا إنها تحدث بطريقة متكاملة شاملة لتشمل الإنسان بكيانه ووحدته النفسية والجسمية والاجتماعية ، هذا وقد ظهرت بعض النظريات الخاصة بحدوث الإنفعال وتهدف إلي تحديد الارتباط بين جوانب الإنفعال الثلاثة التي تحدثنا عنها آنفا ، ومن هذه النظريات ما يلي :
- نظرية جيمس - لينج .**

في عام ١٨٨٤ خرج علينا « عالم النفس الأمريكي جيمس (James) بنظرية في الإنفعالات مؤداه أن الإنفعال لا يحدث بسبب مشاهدتنا أو إدراكنا لمصدر الخطر سواء كان هذا المصدر حيوانا مفترسا أو زلزالا وإنما يحدث بسبب إضطراب الأعضاء الحشوية الداخلية وكذلك الأعضاء الخارجية إن شعورنا بالإنفعال هو نتاج إحساسنا بتغيرات جسمية وفسيولوجية حدثت لكياننا النفسي كله ، فإذا رأينا مصدر الخطر ننأي بعيدا عنه ونخاف بعد ذلك وشعورنا بالخوف أو الهلع يأتي بعد أن نحس برجفة وصعوبة في الكلام هذا ويتبنى هذا الرأي أيضا عالم الفسيولوجيا الدانمركي لينج Lange مدعما رأي زميله جيمس .

وخلاصة قول أصحاب هذه النظرية أن الشعور بالإنفعال لا يسمى إنفعالا إلا إذا كان نتيجة تغيرات فسيولوجية داخلية وخارجية مثل سرعة ضربات القلب وإحمرار الوجه وبردودة الجسم كله وإرتباك المفاصل وإضطراب العضلات .

هذا وقد نقد نفر كثيرون هذه النظرية نقدا مريرا من مطلق أن كل الإضطرابات الجسدية فى الإنسان تحدث دون أن تتسم - عادة - بصفته الإنفعالية ويعيدا عن الجوانب الوجدانية .

نظرية الطوارئ Emergency Theory .

أسس هذه النظرية عالم النفس الأمريكى كانون Canon عام ١٩١١ الذى يعمل أستاذا لعلم النفس الفسيولوجي ، وتعرف نظرية الطوارئ أحيانا باسم النظرية المهادية Thalomic Theory نسبة إلى « المهيد » أو « الهيبوتلاموس » وهو المنطقة العصبية الموجودة وسط الدماغ .

ويرى كانون مؤسس هذه النظرية أن معايشة الموقف الذى أدى إلى الإنفعال ، يعمل على تنبيه منطقة عصبية توجد فى وسط الدماغ تعرف باسم « الهيبو ثالاموس Hypothalamus » ترسل نبضات عصبية تأخذ طريقها نحو « قشرة المخ » و« الأعضاء الداخلية » فى وقت واحد تقريبا مما يؤدي ذلك إلى الشعور بالإنفعال بينما إلتقاء مثل هذه النبضات العصبية مع الأعضاء الحشوية الداخلية والعضلات هو الذى يسبب التغيرات الفسيولوجية الداخلية والخارجية وتؤكد هذه النظرية على أن الشعور الإنفعالي والتغير الفسيولوجي « حدثان متزامنان » أى يحدثان فى وقت واحد على وجه التقريب .

هذا وقد بحث كانون التغيرات الفسيولوجية المصاحبة لحدوث الإنفعال وتوصل إلى أن هناك هرمونا تفرزه الغدة الأدرنالية يعرف بهرمون الأدرنالين له فوائد كثيرة ويلعب دورا حيويا فى مساعدة الفرد أثناء الإنفعال الشديد مما يساعده على التصرف فى مثل هذا الموقف العصيب ، إن زيادة معدل إفراز هرمون الأدرنالين ينتج عنه : زيادة نبض الجسم البشرى ، وسريان الدم فى كل أنحاء الجسم وإرتفاع ضغط الدم وضيق الأوعية الدموية وإتساع مسارات الهواء إلى الرئتين لتيسير عملية التنفس ، وزيادة كرات الدم الحمراء وتأخير ظهور التعب مما يجعل الفرد قادرا على مجابهة مواقف عصبية كان لايمكنه مجابهتها فى الظروف العادية .

الإنفعالات والأمراض النفسجسمية .

لما كانت الإنفعالات من المؤثرات النفسية والجسمية على كيان الإنسان الفرد ، حيث ترتبط إلى حد كبير بالخلل والإضطراب الفسيولوجي الذى يصيب الفرد نقول لما كان ذلك كذلك فإن للإنفعالات الشديدة نصيبا كبيرا فيما يصاب به الفرد من

أمراض نفسجسمية « سيكوسوماتية » أى أمراض جسمية ذات أصول نفسية مثل : قرحة المعدة وقرحة الإثنا عشر وضغط الدم العالى وأمراض الربو والحساسية والصداع النصفى وإضطرابات الشريان التاجى فى القلب والإمساك المزمن والإسهال المزمن وبعض الأمراض الجلدية والإضطرابات الجنسية لدى الرجل والمرأة وهكذا .

إن الإنفعال يتطلب دائما قدرا من التنفيس أو التصريف بهدف إنسياب الطاقات الحشوية الداخلية والتغيرات الفسيولوجية الخارجية لتزود وظائفها المنوط بها فى يسر وإنسجام ، أما إذا تعطلت هذه الطاقات الحشوية والتغيرات الفسيولوجية عن عملها بسبب العوائق والحدود والحواجز ، كأن يكف الإنسان عن أذى أو ضرر أصابه من شخص آخر ، أو يتجمد فى مكانه ولايجرى فى حالة مواجهته بخطر مبین فإذا حدث ذلك ، فنحن أمام طاقات معطلة أصابها وإبل من الخلل والإضطرابات والكد المقيم ، كما أن مثل هذه الأسباب المثيرة للإنفعال قد تستمر ردحا طويلا من الزمن فى حالة إعاقه وكف بسبب الكبت أو القمع فتصبح « مزمنة » مما يحدو بها إلى ظهور الأمراض السيكوسوماتية التى أشرنا إليها من قبل . والواقع الأكيد أننا إذا أغلقنا الباب فى وجه إنفعالاتنا ولم نسمح لها بالتعبير الحركى والسلوك الواقى لأنفسنا وحياتنا ، ما لم نفعل ذلك فإن جسدنا يقوم بمهمة التعبير المطلوب من هذه الإنفعالات ، ولكن بعد دفع الثمن الباهظ فى صورة خلل وإضطرابات وأمراض عضوية كثيرة ، إن هذه الأمراض بمثابة المترجم عن حياتنا الإنفعالية اللاشعورية .

هذا وتكثر الأمراض السيكوسوماتية فى البلدان المتقدمة والمناطق الصناعية التى تتسم بالأزمات الإجتماعية والصراعات النفسية والغيرة المهنية والظروف الإقتصادية السيئة التى تجعل الفرد صريع الفقدان والضيق والإغتراب والقلق فضلا عن إثارة الفرد بكل ما هو غريب وشاذ فينزع إلى العداوة والحقد والغل والحسد والبغضاء وعدم الإنتماء والأناية .

وخلاصة القول أن : الإصابة بالأمراض السيكوسوماتية تكثر لدى الرجال وتقل كثيرا لدى النساء إنها كثيرة فى محيط رجال الأعمال ورجال المهمات الصعبة والإداريين وذوى المسئوليات الجسام من الرجال وأصحاب الطموحات البعيدة وبعض المفكرين والعلماء .

الانفعالات وسيكولوجية الجماعة .

تدرس الجماعات لا فى علم النفس الاجتماعى فقط بل فى علم الاجتماع أيضا وعلم الاجتماع يدرس الجماعات بمعنى يختلف عن دارس الجماعات فى علم النفس الاجتماعى فبينما يدرس علم الاجتماع الجماعة فى مستوى التنظيم ومن حيث أنها عنصر من عناصر المجتمع ومن حيث مركزها فى البناء الاجتماعى نرى علم النفس الاجتماعى يدرس الجماعة من ناحية دينامياتها بغض النظر عن دراستها فى نطاق المجتمع ككل مثل علم الاجتماع وهناك تصنيف جورفيتش ونظريته عن دراسة الجماعات من الناحية السيسولوجية فهو يصنف أنماط المجتمع وفقا لخمس عشرة مبدأ من مبادئ التصنيف من حيث :

- ١ - المضمون : مثل جماعات ذات وظيفة واحدة أو وظائف متعددة أو جماعات تتعدد وظائفها « النادى - الأسرة - الدولة » .
- ٢ - الحجم : مثل السعة أو المدى ومثل عدد الأفراد والدخول فيها صعب وقاصر على عدد معين مثل زوج وزوجة وأطفال .
- ٣ - العمر : مثل الجماعات المؤقتة والجماعات الثابتة .
- ٤ - النمو : وهذا المبدأ مثل إيقاع الجماعة أو نموها فهناك جماعات تنمو ببطء وجماعة متوسطة النمو وجماعة سريعة النمو .
- ٥ - درجة التشعب : وهى كالجماعات ذات الأبعاد المختلفة والجماعة ذات العلاقة المصطنعة والجماعات الدائمة .
- ٦ - التكوين : أى على أساس التكوين فهناك جماعات واقعية مثل الجماعة الفرضية أو القهرية كالأُسرة وجماعة إرادية أى صادرة عن إختيار .
- ٧ - الوظائف : فهناك جماعة القرابة وجماعة الأخوة وجماعة السكن .

تعريف الجماعة .

أولا : جون ستيوارت ميل : قال بأن الجماعة هى مجموع الأفراد المكونين لها وهذا التصور للجماعة يرجع إلى الأفراد الموجودين فى هذه الجماعة وهذا ما

- ٢٢١ -

يعرف باسم «التصور العددي» للجماعة على أساس الظواهر الفردية ويقول كذلك «بأن الناس في تجمعهم لا يتحولون إلى جوهر جديد أو خصائص مختلفة مثل إتحاد الهيدروجين والأكسجين الذي ينتج عنه الماء فالنقطة الهامة هي أن الموجودات الإنسانية في تجمعها تستمد خصائصها من القوانين الطبيعية لدى الفرد» ولذلك فالطبيعة الإنسانية واحدة سواء كانت بمفردها أو مع الآخرين وملخص نظرية «ميل» هو :

١ - فكرة التصور العددي .

٢ - الاختلاف في تعقيد الظواهر يرجع إلى قوانين العناصر المستقلة .

٣ - التعقيد في الظواهر يرجع إلى تنوعها مثال « حركة السوق » والنتيجة هي أن علم النفس الفردي يكفي لدراسة الظواهر داخل الجماعة .

٤ - الظواهر الاجتماعية ترتد إلى الأفكار والأحاسيس الذي تحدث داخل العقول وفقا لقانون « الترابط والتداعي » .

ثانيا : جبرائيل تارد : له مؤلفان هما قوانين المحاكاة *Les Lois de L'Imitation* والقوانين الاجتماعية *Les Lois Sociales* ونظريته في الجماعة منصبة لا على دراسة العناصر الفردية ولكن على دراسة العلاقة القائمة بين هذه العناصر والجماعة عند تارد هي مجموعة من الكائنات يحاكي بعضها بعضا أو يشبه بعضهم البعض ، والسمات المشتركة بينهم هي نسخ قديمة من نفس النموذج . ويعزز تارد نظريته بقوله أن العلم الذي يبدو حقيقة أو واقع إجتماعي أو ظاهرة إجتماعية هونتيية لإكتشافات فردية لاقي معارضة إجتماعية في الأول وإنتشر من فرد إلى فرد من المبتكر إلى المحاكي وهذا الإنتشار عن طريق المحاكاة جعله في النهاية يبدو كما لو كان موجودا ، وفكرة المحاكاة تفترض وجود علاقة إنفعالية بين شخصين « نموذج والصورة » ولولا هذه العلاقة الإنفعالية لاتكون محاكاة والمحاكاة لاتحدث إلا بين شخصين أحدهما مكانته الإجتماعية مرتفعة والآخر أقل مكانة إجتماعية .

نتائج هذه النظرية :

١ - ماهي وحدات التحليل ؟

٢ - ثبات وحدات التحليل .

٣ - حجم الجماعة وأثره فى بنائها .

نقد النتيجة الأولى : يتمثل فى مثال « موقف الغيرة فى الحب » وهو موقف ثلاثي يتكون من المرأة والشخص الغيور والشخص الثالث الذى تحبه المرأة ونشير إلى دراسة لفرويد بعنوان « A Special Type of Choice of Object made by Men » ومن هذه الدراسة نتبين أن هذا الموقف الثلاثي لا يمكن أن يرتد إلى أبسط من ذلك أو نرجعه إلى موقف ثنائي كما يقول تارد أو إلى فرد واحد كما يقول ميل .

نقد النتيجة الثانية : ولنقد هذه النتيجة نراها أنها تعارض كل مانعرفه من المشاهدات التى إكتشفتها نظرية الجشطت التى تقول بأنه لا توجد عناصر لها خصائص ثابتة بل تفقد خصائصها وفقا للمركبات التى تدخل فيها والعنصر حين يدخل فى مركب يفقد خصائصه كعنصر ويكتسب خصائص جديدة موجودة فى شكل آخر .

نقد النتيجة الثالثة : ليس صحيحا أن حجم الجماعة ليس له أهمية فيما يتعلق بأنواع التفاعل الذى يحدث داخل الجماعة. وليس صحيحا أن الجماعات وإن اختلفت فإنها متجانسة. بمعنى أنه إذا تأملنا صورة أنواع التفاعل نلاحظ أن الجماعة المؤلفة من فردين تبدى درجة مرتفعة من مظاهر التوتر .

نظرية طبيعة لجماعات .

تتلخص هذه النظرية بأن الجماعة لها وجود متميز عن الأفراد الموجودين فيها وبالتالي يمكن دراسة هذا الوجود دراسة مستقلة عن الأفراد الموجودين بداخلها ، والآن نتعرض للصور التاريخية عن هذه النظرية وقد بدأها « سبنسر » فنقول :

أولا : نظرية سبنسر : هى تطبيق لمبادئ نظرية التطور فى علم الحياة على المجتمعات الإنسانية فيرى أنه من الممكن أن نرى المجتمع كالكائن العضوى وفكرة البناء الإجتماعى مستمدة من علم الحياة وسبنسر فى تصوره للبناء الإجتماعى يرى أن المجتمع والكائن العضوى متشابهان فى أربع جهات هى الوحدات ، البناء ، والأجزاء .

-٢٢٣-

والحياة ويختلفان في أربعة أيضا هي : الشكل ، الحجم ، المكان ، الشعور ،
وبالجملة فعند سبنسر تطور الإنسانية مماثل لتطور الكائنات العضوية .

ثانيا : إميل دوركايم : يلاحظ دوركايم أن الظواهر في المستوى الإنساني
يمكن إظهارها على ثلاث مستويات :

١ - المستوى العضوي : أى الخلايا التى يتألف منها جسم الإنسان أو أى
شئ جديد .

٢ - الظواهر النفسية : نفسها تتضمن وجود الخلايا العصبية ولكنها شئ
جديد بالنسبة للمستوى الأول .

٣ - مستوى المجتمع : عند تجمع الأفراد حيث يتكون المجتمع والشعور
الجمعى .

ثالثا : جوستاف لوبون : ونظريته تقوم على « النفس الجمعية » والجمهرة .

رابعا : وليام ماكدونالد : ونظريته تقوم على « عقل الجماعة Group
Mind » .

نقد نظرية التطور .

عما تقدم يتضح أن كل النظريات المبنية على فكرة التطور يمكن أن تقول أنها
« ترى أن التطور داخل الفرد يعكس التطور داخل الجنس البشرى أى الإنسان فى
تطوره يعكس تطور الجنس البشرى » .
وبذلك نصل إلى المعادلة الآتية :

الطفل = البدائى = العصابى « المريض نفسيا » ويظهر ذلك على أساس أن
المريض نفسيا يكون قد فقد أساليب التكيف فى المجتمع الذى يعيش فيه فيعود
إلى الحالة البدائية وهذا التصور خاطئ بمعنى أن هناك نوعا من التطور لدى
البدائيين وأن هناك حضارة وثقافة وأطفالا أصحاء وأطفالا مرضى كما فى المجتمع
المتحضر .

-٢٢٤-

ويتضح من ذلك أن نظرية التطور لاتصمد أمام إختبار الواقع وإعتبار أن الإنسانية تسير في خط واحد في تطورها « من البسيط إلى المعقد » ليست صحيحة بل هي معقدة أيضا في المجتمعات البدائية ، إذن هذا التصور سواء في شكله العام « الجماعة مجموعة أفراد مكونين لها » أو شكله الذى يعتمد على نظرية التطور ، لا يمكننا إعتبار الجماعة كموجود « الجماعة لها خصائص مستقلة عن خصائص الأفراد » .

نظرية التحليل النفسى فى الجماعات .

فى كتاب فرويد « علم النفس الجماعى وتحليل الأنا - Group Psychology and The analysis of EGO » يظهر لنا أن الثنائية بين الفرد والجماعة ثنائية زائفة ويقول فرويد بأنه لايمكن دراسة الفرد مستقلا عن الجماعة إذ أن فى الواقع علم النفس الإجتماعى سابق على علم النفس الفردى فالشخص الآخر يلعب دائما دورا فى حياة الفرد بإعتباره نموذجا أو موضوع أو نصير أو خصم وبذلك نرى أن بداية التصور الأولى لفرويد هو أنه أمامنا « كل دينامى » ومن الخطأ فصل الفرد عن الجماعة وفكرة فرويد فى تصوره للجماعات تعتمد على نقده لنظرية جوستاف لويون أي نقده للنظرية السيكلولوجية التى ترى فى الجماعات مظهرا من مظاهر مايسمى بالنفس الجمعية وبذلك كانت نظرية لويون تقوم على :

- ١ - الجماهير تخضع لقانون الوحدة النفسية .
- ٢ - سيطرة الدوافع الغريزية اللاشعورية .
- ٣ - خضوع الجماهير للإيحاء وزيادة قابليتهم له .
- ٤ - تدخل الأفكار عن طريق العدوى الإنفعالية .

أما نظرية فرويد فى الجماعات فتعتمد فى توضيحها للظواهر داخل الجماعات على ما يسمى بمفهوم الليبيدو Libido الذى يشتمل على كل ما يتضمنه موضوع الحب أي أن هذه النظرية تقوم على أسس ثلاثة هى :

- ١ - يرفض فرويد الثنائية بين الفرد والجماعة .
- ٢ - يرفض فكرة الإيحاء .
- ٣ - يعتمد على مفهوم الليبيدو .

ومن ثم فإهتمام فرويد منصب على الروابط الوجدانية والقوى الإنفعالية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض. على أن هناك خلافا بين فرويد وليش في تعريف الجماعة فليش يتناول الجماعة الموجودة كما هي ولكن لا يظهر لنا الإنفعالات داخلها. ولكن فرويد يتناول تكوين الجماعة باعتبار أنه يقوم على الروابط الإنفعالية الموجبة. ويضرب فرويد مثالا للجماعة وهي جماعات الكنيسة والجيش فالجماعات بهذا الشكل جماعات مصطنعة لأنها غير ناتجة عن إرادة الأفراد وهي جماعات ذات تماسك يرجع إلى الضغط الخارجي. كما يلاحظ فرويد أن أفراد هاتين الجماعتين موجودون مع بعضهم بفضل علاقاتهم بشخص خارج الجماعة في الكنيسة هذا الشخص هو المسيح وفي الجيش القائد. ولا بد أن تعرف أن الأساس في تماسك الجماعة مثل جماعة الجيش هو نوع العلاقة بين القائد والأفراد وليست الأفكار إذ أن عنصر التماسك في الجماعة هو في الأصل الرابطة الوجدانية والليدية بين الأفراد. والدليل على ذلك « عصاب الحرب War Neurosis » الإنهيار العصبي أثناء المعارك وهو تعرض الفرد لصدمة لا يستطيع معها تصريف القلق أو الشحنة الإنفعالية التي تولدها هذه الصدمة وليس سبب ذلك تعرض الفرد لأخطار خارجية ولكن السبب هو أن رئيس الجند في علاقته مع الجندي عامله بقسوة أي أن أخطار الحرب ثانوية بالنسبة لعلاقة الفرد بالقائد والإنهيار نوع من التمرد على المعاملة التي يتعرض لها الجندي في علاقته بالقائد وبالمثل كذلك « ظاهرة الهلع » وهي خاصة بعلاقة الأفراد بعضهم ببعض إذ أنه في حالة الذعر تضعف علاقة الأفراد ويؤدي ذلك للتفكك .

ونظرية فرويد الأولى كانت تقوم على المقابلة بين غرائز الأنا وهي لحفظ الذات والغرائز الجنسية الليدية وهي لحفظ النوع أما النظرية الثانية فهي تعديل للأولى وهي كالآتي :

غريزة الأنا والغرائز الجنسية وهي لحفظ الحياة. غريزة الموت وهي الميل التدميرى الأولى .

تكوين الجماعات بالنسبة لنظرية فرويد يقوم على :

١ - الروابط الإنفعالية الموجبة « الحب » .

-٢٢٦-

٢- وجود قائد .

٣ - وجود فكرة تحل محل القائد .

٤ - الحقد .

٥ - التوحد ... والتوحد له خمسة أدوار هامة هي :

- أ - يؤدي إلى الموقف الأوديبى « توحد بالأب ، حب الأم - يلتقى التياران فى الموقف الأوديبى = « دوافع عدوانية ضد الأب » .
 - ب - يؤدي إلى موقف الشعور بالذنب « دورا - المدرس المريض Dora وأما المريضة بالسعال المؤلم وتحقيق إشباع الشعور بالذنب » .
 - ج - أساس العدوى الإنفعالية « البنات فى المدرسة وهم يكون مع زميلاتهم التى جاها خطاب غرامى » .
 - د - التوحد بالموضوع المفقود وإنقسام الأنا « الميلانكوليا » مثال فقدان شخص لزميل عزيز لديه ومثال الطفل والقطة وسير الطفل على أربع .
 - هـ - فى حالة الحب حيث يحل الموضوع محل الأنا الأعلى « إدماج الموضوع فى الأنا »
- تتكون الجماعات وطبيعة تكوينها عند فرويد كالاتى :

- ١ - علاقة الأفراد لبيديه « عاطفة حب » .
 - ٢ - يوجد توحد لإشترائهم فى صفة واحدة مستمدة من علاقاتهم بالقائد .
 - ٣ - إبدال الأنا الأعلى للأفراد بشخص خارجى واحد .
- وبذلك تكون هى الشروط الواجب توافرها عند تكوين « الجماعة » عند فرويد .

ويجب أن نلاحظ أنه فى حالة الطالبة بالمدرسة الداخلية التى بكت عند تسلمها خطاب حبيبها وحدث لها أزمة هستيرية هذه الحالة ليست محاكاة بل توحد Identification بمعنى أن هناك وجه شبه فى الأنا بين هذه الطالبة وباقى الطالبات إذ أن كل منهن قد إستبدلت الأنا الأعلى بموضوع خارجى « الحبيب » . وهنا حدث نوع من الإدماج بين الشخصيتين .

الإنفعال الجماعى والقيادة .

نظرية « ردل » « Redel » .

دراسة ردل تتناول فى الواقع نظرية فرويد فى الجماعات وتحاول توسيعها وإبراز الجدة من ناحية وتكملة بعض النقائص الموجودة فيها من ناحية أخرى. ويلاحظ ردل أنه عند فرويد يوجد خلط بين المثل الأعلى للأنثى والآنثى الأعلى قبل عام ١٩٢٣ ونظرية فرويد القديمة كانت تقول بتكوينها من غرائز الأنثى وهى لحفظ الذات والغرائز الجنسية وهى لحفظ النوع أما النظرية الجديدة لفرويد فهى مكونة من غريزة الحياة « غرائز جنسية + غرائز الأنثى » وغريزة الموت وهى عبارة عن ميل تدميرى أولى ، وكل هذه النقط متعلقة بالمبادئ العامة لنظرية فرويد .

نظرية ردل تركز على قيمة الدوافع العدوانية فى تكوين الجماعات .
مفاهيم أساسية لنظرية ردل .

١ - فكرة الإنفعال : فكرة الإنفعال عند ردل تشمل الإنفعالات والدوافع الغريزية ، والمقصود بالإنفعالات الجماعية هى تلك الأحداث الغريزية والإنفعالية التى تجرى لدى الأشخاص أثناء خضوعهم لعملية تكوين الجماعات ، والنقطة الهامة هنا هى التمييز بين العمليات المكونة للجماعات والعمليات التى تحدث لدى الأفراد داخل الجماعة .

فمثلا من الإنفعالات أو الدوافع مايسمح بتكون الجماعات كإعجاب عدد كبير من الأشخاص بشخص معين يجعلهم يكونون جماعة حول هذا الشخص وتعتبر هذه من الإنفعالات المسئولة والمقدمة للجماعات .

ويجب أن نعلم تماما أنه ليست كل الأنفعالات التى تحدث داخل الجماعة تكون مسؤولة عن تكوين الجماعة. ويجب التمييز بين الإنفعالات الجماعية الدائمة والإنفعالات الثانوية .

نقد نظرية فرويد .

- ١ - لا يفرق بين المثل الأعلى للأنثى والآنثى الأعلى .
- ٢ - لا يتناول كل أنواع الجماعات المقودة .

-٢٢٨-

الشخص المركزي : هو الشخص الذي تحدث حوله العمليات الإنفعالية المكونة لجماعة أو هو نقطة التبلور بالنسبة لتكوين الجماعة. والشخص المركزي عند ردل هو الشخص الذي يستثير لدى أعضاء الجماعة المستقبلية العمليات الإنفعالية المكونة للجماعة بفضل إرتباط الأفراد بهذا الشخص وشعورهم بمشاعر معينة تعمل على تكوين الجماعة .

مسلمات أساسية في نظرية ردل .

- ١ - الفعل المبادئ « Initiatory act » : هو الفعل الذي يأتيه أحد أفراد الجماعة ويكون من نتيجته أن يرفع لدى أفراد الجماعة الشعور بالذنب .
- ٢ - القيادة عند ردل : عملية الجماعة ذات وجهين فالجماعة ككل دينامي ذات حدين يكمل أحدهما الآخر وهما الجماعة . والشخص المركزي ووجودهم ضروري في نظرية ردل .

الأنماط العشرة لنظرية ردل في الإنفعالات .

نتعرض الآن بشئ من التفصيل لنظرية ردل Redel في الإنفعالات مع التركيز على مدلول النمط سيكولوجيا ، والدور الذي يقوم به الشخص المركزي Central Person والمحور الذي تدور حوله فكرة تكوين الجماعة ، وأخيرا تفسير الموقف من الناحية الإنفعالية ، ومن هذه الأنماط العشرة نتناولها في النقاط الآتية :

أولا : نمط الوالد : وهو يشكل جماعة من أطفال فصل دراسي بإحدى المدارس ومتوسط أعمارهم « عشر سنوات » ومدرس الفصل شخص نبيل حازم في سلوكه رقيق حنون يمثل أرقى أنواع المثل العليا والنظام وحب العمل ، ويتقبل الأطفال هذه القيم بكل الحب والإحترام ، كما يخشون - أحيانا - فقد حبهم لمدرسهم ، ومن ثم يضطرون لكبت أحاسيسهم ومشاعرهم غير الملائمة لمثل وقيم المدرس ، ويقوم المدرس هنا بدور الشخص المركزي وهو بمثابة « الوالد » لماذا ؟ لأن الشخص المركزي بإعتباره موضوعا للتوحد على أساس الحب ، يؤدي عادة إلي « الإندماج » داخل الأنا الأعلى ، ولتفسير هذا الموقف - من المنظور الإنفعالي - نرى أن المدرس هنا

-٢٢٩-

يعتبر في مركز الوالد وقد تكونت الجماعة بفضل أن الشخص المركزي يقوم مكان
الأنا الأعلى حيث أن العلاقة هنا قائمة على الحب الذي يؤدي إلى التوحد In-
dentification واكتساب القيم الأخلاقية والاجتماعية ، وبذلك أدمج الأطفال
الأنا الأعلى لديهم بالمدرس مما حدا بهم لتكوين الجماعة .

ثانيا : نمط القائد : وهذا النمط يظهر في جماعة من الشباب تتراوح
أعمارهم من ١٥ - ١٧ سنة في فصل دراسي ، ومدرس الفصل شخص صغير السن
وإنسان جذاب وقريب إلى نفوس الشباب بما لديه من علاقة طيبة بينه وبين هؤلاء
الشباب مما جعلهم يدرسون دون ضغط خارجي ، هذا ويعطف المدرس على دوافع
الشباب الغريزية مقدرا ظروفهم الشبابية وهذا يمثل شيئين متناقضين هما :
مسئوليات ومقتضيات الدراسة ، والسماح بإظهار الدوافع الغريزية للشباب في
حدود معينة ، إن دور الشخص المركزي يقوم به المدرس وهو بمثابة القائد وباعتباره
موضوعا للتوحد على أساس الحب الذي يؤدي إلى : الإندماج في القدوة الحسنة
للأنا ، ويتجلى تفسير الموقف في أن المدرس القائد يقوم بدور المثل الأعلى للأنا ،
وهذا يمثل للشباب إمكانية التوفيق بين مقتضيات الواقع ومقتضيات الحياة الغريزية .
ومن ثم فإن الشباب قد كونوا جماعة لأنهم قد إتخذوا من المدرس القدوة الحسنة أو
المثل الأعلى للأنا عندهم ، وهنا ظهرت الإنفعالات الجماعية .

ثالثا : نمط الطاغية : ويشمل جماعة من الأطفال في سن العاشرة بفصل
دراسي ومدرس الفصل شخص متوسط السن تتسم شخصيته بالتسلط والقهر
والنظام الصارم أثناء علاقته مع هؤلاء الأولاد كما أنه يميل إلى الإنتقام لإظهار
دوافعه العدوانية ، ورغم ذلك فهناك توحيد قوى بين المدرس الطاغية وبين الأطفال ،
إن دور الشخص المركزي في هذا النمط هو المدرس .

هذا ويمكن أساسا تكوين الجماعة في الشخص المركزي علي اعتبار أنه يمثل
« موضوع التوحد » القائم علي الخوف الذي يؤدي بدوره إلي « التوحد بالمعتدي »
علي حد تعبير : أنا فرويد : (Anna Freud) ويبدو تفسير هذا الموقف في أن
الأطفال قد « أدمجوا » الأنا الأعلى عندهم بالأنا الأعلى للمدرس عن طريق التوحد

ويدافع الخوف من العدوان وعلي هذا الأساس ظهرت الإنفعالات التي سمحت بتكوين الجماعة حولها من منطلق شخصية المدرس والحاجات الموجودة لديه وسن الأطفال .

رابعا : نمط المعشوق : ومجاله ينحصر في جماعة من البنات في فصل دراسي متوسط أعمارهم ١٦ سنة ويتمتع مدرس الفصل بأنه صغير السن جذاب وليس لديه أية اهتمامات بعلاقاته بالبنات ، كما يتميز هذا المدرس بالثبات الإنفعالي والنضج العقلي وقد تكونت الجماعة لأن مشاعر الحب موجهة إلي موضوع واحد حيث أن البنات في حاله عشق وإعجاب بالمدرس ، ولكن المدرس يعاني من صعوبة حفظ النظام .

ويبدو دور الشخص المركزي في شخصية المدرس « المعشوق » علي إعتبار أنه بمثابة « موضوع دوافع الحب » الذي أدي إلي تكوين الجماعة ، ولتفسير هذا الموقف نري أن المدرس في هذه الحالة يظل الشخص المركزي خارج الجماعة ويستشير الإنفعالات الجماعية لدي البنات إن المبدأ الذي يتكون علي أساسه بناء الجماعة هو أن البنات قد قمن بإختيار شخص واحد بالذات علي إعتبار أنه يمثل « موضوع حبه » ومن ثم تكونت الإنفعالات الجماعية .

خامسا : نمط المتنبؤ : وهذا النمط عكس النمط السابق ويدور حول مجموعة شباب مراهقين بفصل دراسي والإدارة المدرسية تتميز بالحسم والقوة والنظام علي أن العلاقة بين المدرس والشباب تتسم بالخشونة والكراهية والجفاف والعدوانية لذا فالجميع خائف من عقاب المدرس وذلك رغم أن الترابط قوي جدا بين المراهقين . وهناك أحد الشباب قد « توحّد » بالمدرس وأصبح يمثل « موضوع الدوافع العدوانية » ويعتبر دور الشخص المركزي هنا « المدرس العدواني » لماذا ؟ لأن أساس تكوين الجماعة وبنائها إنفعاليا يتمثل في موضوع لدافع العدوان أنه المدرس المتنبؤ .

حيث أن المدرس في هذه الحالة ليس موضوعا « للتوحد » ولكنه موضوع للدوافع العدوانية ، ومن أجل ذلك كون المراهقون حوله جماعة برغم حرية التعبير عن مشاعر الكراهية والبغضاء للمدرس من ناحية وحرية التعبير عن مشاعر الحب

بين المراهقين من ناحية أخرى ، ومن هنا نرى علاقات أساسها التوحد أو التعلق بالموضوعات .

سادسا : نقط المنظم : ويتضمن فصل دراسي به مجموعة من الأولاد متوسط أعمارهم ١٣ سنة ويوجد من بينهم خمسة أولاد يدخنون السجائر سرا ويعانون من توتر وشعور بالذنب بالإضافة إلي أحد الأولاد الذي يدخن السجائر علنا بسهولة ويسر ، هذا وقد كون هؤلاء الأولاد جماعة منظمة ذات كيان ثابت ، إن الولد الذي يدخن علنا قد أدى لهذه الجماعة دورا هاما وهو إشباع حاجة ضرورية لا يستطيع باقي الأولاد في الجماعة إشباعها ومن هنا تم تكوين الجماعة . إن دور الشخص المركزي في هذا النمط يتمثل في الولد المنظم لأنه أساس وموضوع تكوين الجماعة بإعتباره « سندا للأنا » الذي يؤدي في النهاية إلي توفير وسائل إشباع الدوافع . ولتفسير هذا الموقف نقول لا توجد في هذه الحالة علاقة إنفعالية كالحب أو الكراهية أو الخوف أو التوحد ، ولكن الشخص المركزي يقدم خدمة هامة للأنا لدي أفراد الجماعة إلا وهي توفير وسائل إشباع رغبات غير مرغوب فيها ، وهنا تنمو وتزداد الإنفعالات الجماعية ، ولما كان الأولاد في حالة صراع نفسي داخلي فإن المنظم يعمل علي تحديد هدف الجماعة بأكملها .

سابعا : نقط المضلل : ويدور حول فصل دراسي به تلاميذ متوسط أعمارهم الزمني ١٣ سنة ، وقد لاحظ الأخصائي الإجتماعي أن ستة تلاميذ من الفصل كله يزاولون عملية « الإستمناء » Masturbation « وكان أحدهم هو الذي يبدأ بهذا السلوك الشائن بمنزله بدون إحساس أو شعور بالذنب وفي نفس الوقت كان باقي التلاميذ يحاولون التغلب علي مشاعر القلق المرتبطة بالجنس وتمكنوا في النهاية من مزاوله نشاط جنسي معين علي سبيل التجربة .

إن أول تلميذ قام بعملية الإستمناء من دون أفراد هذه الجماعة يعرف هنا باسم « المضلل » حيث قام بتضليل باقي التلاميذ وزين لهم شر أعمالهم علي أنها الخير المبين وإنقلبوا له طائعين خائفين منه ، وهنا تكونت الجماعة لأن التلميذ المضلل كان أولهم الذي قام بفعل مبادئ ، أن دور الشخص المركزي يتلخص في أنه بمثابة « السند للأنا » عن طريق الفعل المبادئ الذي قام به التلميذ المضلل وكان ذلك بهدف إشباع وإرضاء الدوافع .

وخلاصة القول أن تفسير الموقف يكمن في شدة الرغبات الجنسية لدى أفراد الجماعة حيث كان الأنا لديهم في حالة صراع بين الأنا الأعلى ومتطلبات الدوافع الغريزية، وهنا يقف الأنا حائرا ، ماذا يفعل ؟ وكيف يحدث فك الإشتباك ؟ وهنا يظهر الفعل المبادئ كمؤثر فعال في مثل هذه المواقف ويجتاح مشاعر الذنب ويزيل القلق المقيم ويفك الصراع الأليم .

ثامنا : نمط البطل : وفي هذا النمط تطالعنا جماعة من التلاميذ في فصل دراسي متوسط أعمارهم ١٠ سنوات ، وهذا النمط يشبه تماما نمط الطاغية ، مع زيادة الدوافع الغريزية لدى جماعة نمط البطل إلا أن الطاغية هنا يرتكب أخطاء كبيرة مما جعل التلاميذ « يتوحدون به » « التوحد بالمعتدي » وذات مرة قام أحد الأولاد يدافع عن زميله من ظلم الطاغية ولم يتوقع أحد من الأولاد القيام بمثل هذا العمل في حضور المدرس الطاغية حيث غضب المدرس من هذا الأسلوب وهنا أصبح الولد - المدافع عن زميله - بمثابة البطل بالنسبة لباقي الأولاد الآخرين مما دفعهم إلي حبه والتوحد به هذا ويعتبر الشخص المركزي هنا « سندا للأنا » عن طريق الفعل المبادئ في إتجاه مقاومة الدافع الخاص بتوكيد القيم الأخلاقية ، ولتفسير هذا الموقف نقول بأن الأولاد كانوا يعانون من ميول مكبوتة تشخذ صورة التمرد علي المدرس الطاغية ، والبطل هنا يقوم بدور الفعل المبادئ لتظهر شجاعته، علي أن المبدأ الذي تقوم عليه الجماعة هو أن الشخص المركزي يؤدي خدمة لدي الأنا بفضل الفعل المبادئ الذي يحل الصراع لدي الجماعة وما الفعل المبادئ هنا إلا توكيد وترسيخ القيم الإجتماعية والأخلاقية .

تاسعا : نمط المحرض : في هذا النمط نلاحظ جماعة فصل دراسي متوسط العمر لديهم ١١ سنة ويتضمن سلوكهم موضوعات ذات عدوي للآخرين مثال ذلك كان مدرس « البنات » يشرح تكوين الزهرة ووردت كلمة - أثناء الشرح - لها دلالة جنسية ولاحظ المدرس أن الأولاد قد نظروا فجأة إلي أحد زملاءه وانفجروا ضاحكين وحدث نفس الشئ في اليوم التالي ، ولم يضحك الأولاد لأن زميلهم لم يكن حاضرا في هذا اليوم ومر الموقف بسلام حيث أن الأولاد - التلاميذ لم يربطوا بين الكلمة

التي جاءت بالشرح ودلالاتها الجنسية ويبدو دور الشخص المركزي في هذه الحالة في التلميذ « المحرض » لأن أساس وموضوع تكوين الجماعة يدور حول هذا المحرض بإعتباره المؤثر الوحيد بطريق العدوي في إتجاه إشباع الدوافع هذا وينحصر تفسير الموقف في أنه قد نتج شعورا بالذنب والقلق والتوتر لدى الأولاد لأن الأنا لديهم كان في حالة تورط من الدوافع الغريزية ، ومطالب الأنا الأعلي القوية .
إن الشخص المركزي يؤدي خدمة لدي الأنا بفضل العدوي الإنفعالية كما يمثل الولد المحرض النقطة التي ينتهي عندها تحريم المثل الأعلي للجماعة الرسمية .

عاشرا : نمط القدوة : وفيه نعيش مع جماعة قصص دراسي متوسط العمر لديهم ١١ سنة إنها جماعة مكونة من أصدقاء لهم شخص مركزي يتمتع بشعبية مطلقة بينهم وله تأثير كبير علي الآخرين حيث يسلك الأولاد سلوكا في وجوده إنهم يسألونه كثيرا عن أشياء وموضوعات تهمهم لأن زميلهم هذا يشير فيهم حب الإستطلاع والفضول ومشاعر الخوف ومشاعر الذنب .
إن هذا التلميذ القدوة يعتبر بمثابة مركز الجماعة كما أنه لا يفكر في أي تفكير غير مرغوب فيه إنه الشخص المركزي بإعتباره مؤثر عن طريق العدوي في إتجاه مقاومة الدافع .

ومن ناحية تفسير هذا الموقف نرى أن الموقف الداخلي لأفراد الجماعة يتضمن عدة دوافع تسعى جاهدة نحو الإفصاح عن نفسها في الوقت الذي يعارض الأنا الأعلي هذا الإفصاح ، وهناك نوع من التوتر بين حب الإستطلاع وتحريم الأنا الأعلي ، إن التلميذ القدوة وهو مركز الجماعة لا يعاني من التوتر والصراع مما يوفر الشعور بالأمن والطمأنينة لأفراد الجماعة في وجود التلميذ القدوة وكل هذا بفضل عدوي عدم الصراع ونقلها إلي شخصية بها صراع .

-٢٣٤-

الفصل التاسع

الفروق الفردية والذكاء .

- * أنواع الفروق الفردية .
- * جوهر الذكاء وتعريفه .
- * قياس الذكاء .
- * أهمية قياس الذكاء .
- * العوامل المؤثرة في السلوك الذكي .
- * تأثير البيئة على الذكاء .
- * توزيع القدرة العقلية .
- * طرق تفسير نتائج اختبار الذكاء .

الفروق الفردية والذكاء .

إذا كانت الحكومات الحديثة والإيديولوجيات المختلفة تساوى في الحقوق والفرص بين كافة الناس فى المجتمعات الحديثة ، لا لشيء سوى أن ذلك حق مقدس من حقوق الأفراد ، فإنه لا يمكن ولا يستساغ أن تساوى بينهم فى القدرات العقلية والسمات المزاجية والأبعاد الشخصية ، بما يحدو بهم إلى القدرة على المنافسة المشروعة والعدالة بين بعضهم البعض كما أنه يمكننا أن نوفر لكل منهم فرصة التعلم والعمل في الوقت الذى لا تستطيع أن تساوى بينهم فى نوع التعلم أو العمل أو الإنتاج أو الأداء أو الأجر .

إننا إذا أغفلنا ما بين الأفراد - على اختلاف أعمارهم وأجناسهم وأشكالهم من فروق جسمية وعقلية ومزاجية وفسولوجية لأدى بنا ذلك إلى خطرين : خطر فردى وخطر إجتماعى ، ويكمن الخطر الفردى فى سوء توافق وعدم تكيف الشخص نفسه مع من يعيش ويحيا معهم بالإضافة إلى إنعدام الدافع إلى العمل والتحفز على تخطي العقبات والصعوبات ، وكذلك عدم الموائمة وسوء التعامل مع الأشياء والمهن والأعمال ، هذا بينما نجد الخطر الإجتماعى ماثلا فى سوء عدالة في توزيع أو إنتقاء الأفراد النابهين فى المجتمع لمهنة من المهن أو عمل من الأعمال ، وعدم مراعاة العدل فى عقابهم أو إثاباتهم أو حل مشاكلهم ، وبالجمله طبقا لهذه الحالة لا يمكننا أن نضع الإنسان المناسب فى المكان المناسب سواء كان فى الجيش أو المصنع أو المؤسسة أو المدرسة أو المعهد أو الجامعة .

ومن ثم تكون النتيجة الحتمية لذلك العبث : إنخفاض مستوى الإنتاج وكثرة الرسوب وزيادته فى الدراسة وإصابة الفرد العامل بالإضطرابات النفسية والعصبية من ملل وسأم وتعب لأقل مجهود وإنحراف صحى نظرا لما يعانيه من الأمراض وذلك لأننا كلفناه بالقيام بعمل لا يناسب ميوله ولا يتماشى أو ينسجم مع مواهبه ، هذا ويعد حدوث الخطر الفردى والخطر الإجتماعى تتوالى أيضا جملة الأزمات والكوارث الأخلاقية والإجتماعية مثل : سوء الحالة الإقتصادية ، وفساد العلاقات الإنسانية ، وضعف الوشائج الإجتماعية و، شعور الفرد العامل بالفقدان والضياع . وتهتم المدارس الحديثة بدراسة الفروق الفردية ومحاولة إكتشافها فى كل

مرحلة من مراحل التعليم ، ولهذا كان لدراسة الفروق الفردية دور هام وأثر لا ينكر لكل من المدرس والأخصائي النفسى والمشرف الإجتماعى والباحث التربوي بعد إن ثبت علميا أن هذه الفروق تعمل عملها فى توضيح وتحديد مدى فائدها ونفعها للتلاميذ والدارسين أثناء عملية التعلم ، إن دراسة الفروق الفردية بين التلاميذ سواء كانت تحصيليه أو مزاجية أو عقلية لتساعد المهتمين بالعملية التربوية على تكييف المناهج وطرق التدريس بما يتلائم وإستعداداتهم وحاجاتهم في كل مرحلة من مراحل التعليم بعيدا عن التوضيحية بحاجات الجماعة ومصالحها .

خذ على سبيل المثال لا الحصر : إهتمام الأخصائي النفسى بدراسة الفروق الفردية بين التلاميذ يساعده على تحديد مالى كل منهم من قدرات وإستعدادات وعلى إبراز ميوله الدراسية والمهنية بوضوح مما يحقق الإتجاه المهنى الملائم والرضا الذاتى لدى الطالب في ممارسة العمل فى المستقبل والنجاح فى الدراسة .

الفروق الفردية والقياس .

أدرك الإنسان ببصيرته منذ فجر التاريخ أن هناك فروقا قائمة بين الأفراد ، وحاول عبر تاريخه الطويل فهم وملاحظة هذه الفروق وتفسيرها ، فهو يرد هذه الفروق - أثناء مراحل حياته البدائية - إلى أسباب غيبية ميتافيزيقية تارة كما يعزوها أحيانا إلى قوة الطبيعة ومشئنة الآلهة تارة أخرى ولعلنا نرى فى كتابات قدامى المفكرين والفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو مفهوما جوهريا للفروق الفردية وضرورة مراعاتها فى التربية والمجتمع ، حدث ذلك غداة أن قسم أفلاطون فى « مدينته الفاضلة » الدولة إلى ثلاثة أقسام :

الإنتاج . والدفاع . والإدارة .

وهذه الوظائف الثلاثة تقابل القوى الثلاثة فى النفس البشرية وهى القوة الغضبية والقوة النزوعية والقوة الناطقة وهنا ندرك أن هناك فروقا بين من يقومون بالإنتاج ومن يتولون الدفاع ، ومن يتكلفون بإدارة المجتمع وهكذا .

ولقد كان للمفكرين العرب شأن كبير فى هذا المجال حين قسموا الناس على

-٢٣٧-

إختلاف مللهم ونحلهم وأنسابهم بالنسبة لأية صفة من الصفات ألى ثلاثة مستويات: الأعلى والأوسط والأدنى ، ومع بداية القرن العشرين إلا قليلا « أواخر القرن التاسع عشر » أصبح للقياس النفسى أصول ومناهج فى الدراسة والتفسير .

الفروق الفردية .

يمكننا أن نطلق على هذا الجانب العقلى « علم النفس الفارق -Differen- Psychology » وهو العلم الذى يقوم بدراسة الفروق الفردية والسيكولوجية بين الأفراد أو الجماعات والغرض منه بوجه عام هو تفسير السلوك . والهدف من علم النفس الفارق هو دراسة سلوك الفرد طبقا للظروف والأحوال البيئية والبيولوجية المتغيرة دراسة تحليلية مقارنة بالإضافة إلى ربط الفروق الملاحظة بالعوامل اللازمة بقصد تحديد أثر كل متغير فى تطور سلوك الفرد .

موضوع علم النفس الفارق .

دراسة الفروق الفردية الخاصة بسلوك الأفراد من حيث طبيعتهم ومداها ، مثال ذلك أن إكتساب مهارة أو تعلم شئ ما لدى الإنسان أو إكتساب فعل منعكس شرطى أو تعلم إحدى المتاهات فى مجال الحيوان ، كل ذلك يحتاج إلى محاولات وإستبصار وتأزر حركى ومهارة يدوية ونوع خاص من الذكاء يختلف من حيوان إلى آخر ومن فرد إلى آخر ، ومن العوامل المؤثرة فى تحديد الفروق الخاصة بسلوك الأفراد ما يلى :

- ١ - العوامل الفيزيائية مثل البيئة الإجتماعية .
 - ٢ -العوامل البيولوجية مثل العمر والسلالة والجنس .
 - ٣ - العوامل الثقافية مثل الإتجاهات والمعايير والقيم .
 - ٤ - العوامل الإجتماعية مثل كثافة السكان والمستوى الإقتصادى والطبقى .
- هذا وثمة تصنيف ملامح الفروق الفردية نجده عند « كرونباخ » حين يميز بين نوعين من الأداء والذى يقصد به « كل ما يمكننا ملاحظته وقياسه من نشاط

٢٣٨

الإنسان الفرد « بينما يقسم الأداء إلى أقصى وأداء مميز ، والمقصود بالأول نوع النشاط الذي يصدر عن الشخص عندما يبدى لنا أفضل ما عنده من أداء ممكن ، بينما الأداء المميز هو ذلك النشاط الفعلى الذي يقوم به الفرد وطريقة أدائه له . ويرتبط الأداء الأقصى بالتنظيم العقلى لدى الفرد فى الوقت الذى يرتبط الأداء المميز بدوافع الفرد وسماته الإنفعالية .

أنواع الفروق الفردية .

إذا أردنا أن نعرف مدى الاختلاف بين الطول والوزن لشخص ما فإن الفرق هنا هو فرق فى نوع الصفة حيث لا يمكننا أن نقارن بين الطول والوزن لعدم وجود وحدة قياس مشتركة بين صفة الطول وصفة الوزن فالطول يقاس بالأمتار مثلاً بينما الوزن بالكيلوجرامات ، وكذلك الحال ليس بالإمكان عقد مقارنة بين درجة التحصيل الدراسى عند فرد ما ، الثبات الإنفعالى لدى هذا الفرد لعدم وجود وحدة قياس مشتركة .

إن الفروق بين فردين فى صفة من الصفات هى فروق فى الدرجة وليست فى النوع مثل الفرق بين الطول والقصر ، فهو فى الدرجة ، وذلك لوجود درجات متفاوتة من الطول والقصر وهنا نستطيع المقارنة بينهما بإستخدام مقياس واحد ، إن مثل ذلك كمثال قياس سمة عقلية مثل الذكاء ، حيث أن الفرق بين العبقري وضعيف العقل هو فرق فى الدرجة وليس فرقاً فى النوع وذلك لوجود درجات مختلفة بينهما ولأنهما يقاسان بمقياس واحد .

تعريف الفروق الفردية .

عند دراسة صفة من الصفات لدى بعض الأفراد والفرق بينهم فى هذه الصفة يجب علينا أن نحدد مثل هذه الصفة تحديداً دقيقاً من إعداد مقياس مناسب لقياس الصفة المطلوبة ، وهنا نحدد مستوى كل فرد عند مقارنته بمتوسط درجات الجماعة أو المجموعة التابع لها الفرد ومن ثم يمكننا تعريف الفروق الفردية بأنها الإنحرافات

-٢٣٩-

الفردية عن متوسط الجماعة لذا كان « الإنحراف المعياري » كوسيلة من وسائل المقاييس الإحصائية ، أدق مقياس لمقارنة تشتت الفروق الفردية في الجماعات المختلفة في المجموعات المتبانية .

وجملة القول أن تشتتا كبيرا للفروق الفردية يصادفنا في السمات الشخصية الإنفعالية ، بينما يقل هذا التشتت للفروق في السمات العقلية حتى يصل إلى أقل مدى ممكن في الفروق في الصفات الجسمية .

الذكاء .

دأب كثير من الناس على تعريف الذكاء بأنه سرعة الفهم والإستيعاب والقيام بأى عمل بمهارة محسوسة ملموسة فيقولون مثلاً « هذا سائق ماهر » لأنه سريع القيادة ويتفادى الأخطاء بسرعة ، ويتحاشى الحوادث في حينها ، إنه سائق ماهر لأن المهارة سمة من سمات الذكاء .

هذا وقد يذهب مدرس الرياضات إلى أن طالبا ما يعتبر ذكيا لأنه يتمتع بعقلية رياضية تحليلية سريعة الفهم والتصور في حل المسائل الرياضية والإلمام بنظريات التفاضل والتكامل وقوانين الهندسة الفراغية ومبادئ حساب المثلثات واللوغاريتمات ، بينما يرى زميله مدرس اللغة الإنجليزية أن نفس الطالب يعتبر غيبيا لأنه لا يجيد التعبير اللغوي وليست لديه قدرة لغوية بارعة في قواعد اللغة الإنجليزية .

ومعنى ذلك أن كلا المدرسين يرى أن فيصل القول وجوهر الموضوع في الذكاء هو درجة التحصيل ، وهذا رأى خاطئ وأساس ضعيف لمعرفة درجة ذكاء الطلاب ، ويرجع ذلك في - المحل الأول - إلى « الفروق الفردية - Individual Differences » التي تكمن في القدرة على التحمل وسرعة الإستيعاب والفهم والسن ودرجة النضج العقلي والنمو الجسمي والنفسي ، وشكل البنية العام وسرعة البديهة والمبادأة والقدرات الخاصة والذكاء العام وهكذا .

هذا وقد يطلق رجل الشارع والعامة من الناس على الفرد صفة الذكاء لا لشئ إلا لأنه « أصلح الرأس » أو عريض الجبهة « أو لامع العينين » أو « ذرب

اللسان « أو «أصفر الشعر» وهذه كلها صفات لا أساس لها فى تقدير الذكاء فكم من الأغبياء والمعتوهين ذوى رؤوس كبيرة بشكل ملحوظ وكم من الناس يتمتعون بجبهة عريضة ولا يحسنون التصرف فى أبسط المواقف ، كما أنك قد ترى الكثير من الناس والأفراد ذوى عيون براقه يريق المعدن اللامع ويدخلون فى عداد المأفونين ، وكثير من الأفراد أيضا ذوى شعر أصفر ونعتبرهم من ضعاف العقول فى هذا المجال كما يقول الباحثون ،المشتغلون بموضوع الذكاء لا يمكن أن نصل إلى تعريف الذكاء من ناحية المظهر الخارجى أبدا دون أن نسبر غور مخبره وتدرك عمق حقيقته ولذا فالذكاء - طبقا لما يرى الكثرة الكاثرة من الباحثين - أشبه شئ بالكهرباء - إن صح هذا التعبير لايمكنك أن تراه أو تشعر به أو تدرك حقيقة وجوده إلا حينما تسرى ذرات الكهرباء فى الأسلاك فيتولد النور ليأخذ شكل ضوء المصباح الكهربائى ، أو عندما تدور هذه الذرات فى شكل قوة عاتية تستفيد منها وبها لتصيح « قوى محرركة » للمصانع والتوربينات والمضخات وشتى أنواع الماكينات والآلات المستخدمة فى حياتنا الواقعية وعالمنا المتخفى فى شتى أنواع وسائل العلوم والتقنية . خلاصة القول أن الذكاء كالكهرباء التى تبدو أمام الناظرين من خلال الضوء الساطع الجميل والقوى المحركة حيث لا غنى عنها فى تشغيل الآلات والماكينات .

جوهر الذكاء وتعريفه .

أولا : يطالعنا « سينسر » بتحديد للذكاء وتعريفه فيقول :
الذكاء هو القدرة العقلية Mental Ability لدى الكائن الحى لكى يكيف to adapt سلوكه وفقا للوسط الذى يعيش فيه ومعنى ذلك أن الذكاء بهذا التعريف عند «سينسر» لا يخرج عن طريق أو أسلوب التفكير والإدراك ونوع الذاكرة وشكل الخيال وقوة الإرادة أضعفها .

ثانيا : تعريف « سترن Stern » للذكاء لم يخرج عن كونه :
قدرة عقلية - كما يورد سينسر - على التكيف Adaptation فى المواقف الجديدة أى القدرة على التصرف الذكى الحسن .

ثالثا : يرى كلاباريد Claparide إن الذكاء :

-٢٤١-

قدرة عقلية لدى الفرد تبدو فى صورة حسن التصرف والإدراك فى المواقف الصعبة الجديدة .

وابها : يعتقد علماء التربية ورجالها والمشتغلون بها أن الذكاء هو :
القوة الدافعة على التحصيل والتعلم بإقتدار With Great Ability أو
بمعنى القدرة على التعلم .

خامسا : يرى إيبينجهاوس Ebbinghaus أن الذكاء هو :
القدرة على التركيب Power Of Combination ولاغرو فى ذلك فى
أن يقول إيبينجهاوس بهذا التعريف الذى يعتمد على إدراك الشئ أو الموضوع إدراكا
كليا ونظر إليه نظرة تتسم بالشمولية والعمومية نظرة وظيفية بحتة Pure
Functional view ترتبط فيها الأشياء السابقة باللاحقة ، وهذا هو ما حدا
بعالمنا إيبينجهاوس فى أن يصمم بعض الإختبارات التكميلية التى تتلخص فى
إعطاء الفرد شكلا ناقصا أو صورة غير مكتملة أو جملة بترء ويطلب من هذا
الإنسان الفرد إتمامها أو إكمالها حيث أن القدرة على إضافة أشياء أو كلمات أو
إكمال لوحات أو سد ثغرات Gaps لموضوع ما ، إنما يعتمد ذلك أولا وقبل كل شئ
على فهم وإدراك الصورة أو اللوحة فهما كليا وإدراكا تاما .

سادسا : يرى تيرمان Terman أن الذكاء هو:
القدرة على التفكير المجرد Abstract Reason والتجريد فى نظره يقوم
على إدراك العلاقات ككل وضمها بعضها إلى بعض ، كما أنه يرى أن المقصود
بالتفكير هو إستخدام المعانى المتركة فى شكل الرموز والأفكار والإشارات
واللمحات والإيماءات ومن ثم فإستكمال وإتمام الموضوعات الناقصة سواء كانت فى
شكل صور أو لوحات فنية لا يمكن أن نعتبرها تفكيراً مجرداً Abstraction عند
تيرمان فهو يرى فى هذا المجال أن الأصل فى إختبارات الذكاء Intellegence
Tests هو إعتمادها وقيامها على إستخدام الألفاظ والأرقام والرموز .

سابعا : يشير بعد ذلك بينيه Binet إلى الذكاء بأنه :

-٢٤٢-

القدرة على التكيف والانتباه المدعم بالإرادة القوية وأيضاً الذكاء هو القدرة على الإدراك والإبتكار والتوجيه والتقد الذاتى .

ثامنا : يرى سبيرمان Spearman أن الذكاء هو :

القدرة على إدراك العلاقات وأطراف هذه العلاقات .

ونحن نرى أن التعريف السابق تعريف قد جمع بين المحددات والمسميات السابقة للذكاء حيث أن الذكاء عندما يعرف أو يحدد بتعريف واحد على حدة فإن الصواب بجانبه بينما لو إشتكرت كل المحددات السابقة كلها فإن مجموعها يقترب من التعريف الشامل الكامل للذكاء .

ويقصد سبيرمان بإدراك العلاقات بين الأشياء وبعضها البعض ، ذلك النوع من التفكير المنظم والخيال القوى والذاكرة الحادة والأداء الماهر .

ولنأخذ مثالا على ذلك النوع من إدراك العلاقات بين الأشياء فنقول السحاب يسبب المطر والإمساك يجلب الصداق ، فنحن نربط هنا بين العلة والمعلول وكلاهما طرفان فى قضية واحدة كذلك قولنا الأسد حيوان والشجر نبات فكلا من كلمتى حيوان ونبات أطراف علاقات وبالمثل فى عالم الرياضيات والحساب هب أن لدينا هذه المتوالية العددية الآتية :

١٦-٤ ، ٦-٣٦ ، ٨-٦٤ ، ١٠-١٠٠ وأردنا تكملة المتوالية الأخيرة لأدركنا ببساطة بأن هذه المتوالية عبارة عن طرفين الطرف الأول مضروباً فى نفسه لينتج الطرف الثانى هذا فى المتوالية الأولى والمتوالية الثانية كذلك ، إلا أن الطرف الأول فى كل متوالية يسير بتسلسل متساو ٤ - ٦ - ٨ - ١٠ وهكذا ويضرب هذا الطرف الأول فى نفسه لينتج الطرف الثانى وبذلك يكون الطرف الثانى فى المتوالية الأخيرة هو ١٠٠ .

هذا مثال واقعى لفهم العلاقات وأطرافها ، وفهم أكثر فقد نلمح فى حياتنا الواقعية اليومية بعض الأفراد الأذكيا عند إدراكهم لأحد الرسوم الكاريكاتورية فى إحدى المجلات أو الصحف اليومية فالواقع أنه مجرد وقوع بصر الفرد على أحد الرسوم الساخرة فإنه ينفجر ضاحكا على الفور لأنه أدرك بسرعة بديهته وحدة بصيرته فحوى ومضمون الرسم بينما نرى زميله لا يدرك معنى هذا الرسم أو حقيقته

-٢٤٣-

أو فحواه وهذا يؤكد تماما أن الذكاء قوة خفية وعامل مشترك بين جميع الناس ولكن بنسب متفاوتة متباينة .

تاسعا : يرى سيرل بيرت الذكاء بأنه :

كفاية ذهنية عامة فطرية وهذا قريب الشبه بما ينادى به « سبيرمان » إلى حد كبير .

عاشرا : يرى فريق من الناس أن الذاكرة القوية فى ناحية ما أو قدرة من القدرات كتذكرا أسماء الشوارع أو عناوين المنازل أو أرقام التليفونات يرون أن هذا ذكاء ويرى البعض الآخر أن الخيال الخصب والشعور الرقيق والمقدرة اللغوية والحركات الذكية الدقيقة كل هذا ذكاء والواقع أن كل هذه الآراء ووجهات النظر خاطئة من أساسها لأنهم ينظرون إلى ناحية واحدة أو قدرة واحدة فى الفرد ليأخذوا منها حكمهم وقرارهم ليضيفوا صفات وسمات الجزء الواحد على الكل الشامل وهذا وهم كبير وخطأ ظاهر وقرار عقيم فكيف يمكننا إعتبار الفرد الذي يحفظ ديوانا من الشعر مثلاً فرداً ذكياً بينما هو لا يملك القدرة على إدراك العلاقات وليست لديه مقدرة التصرف فى المواقف الحرجة .

قياس الذكاء .

هناك أكثر من عامل مؤثر فى النظرية التعليمية ، وليس أدل على ذلك من محاولة علماء البيولوجيا وخبراء النفوس فى القرن العشرين ، إكتشاف العلاقة بين العمليات العقلية العليا ، والسلوك المؤثر فى عملية التعليم ، فقد كان الناس يعتقدون أن التشابه والتماثل بين فردين شيئاً عادياً ، بينما عدم التماثل بين فردين وضعف القدرة على الإستجابة ليعتبر من قبيل الضعف العقلى .

وفى أيامنا هذه أصبح من المعروف فى مجال البحوث البيولوجية والسيكولوجية أن التطور العقلى قابل للبحث والدراسة بمعدلات وافية لتوضيح التباين فى القدرة العقلية .

طبيعة الذكاء : منذ أمد بعيد ظهرت علاقة وطيدة بين الذكاء والحياة اليومية بدليل أن التباين والخلاف بين الأفراد ذوى المهن المختلفة فى القدرة على

مواجهة المواقف الصعبة معروف وملحوظ عند الآباء والمدرسين والأطفال والمراهقين ، وسواء أكان الفرد ماهرا فى هذا أم ذلك فأن لديه معلومات دقيقة فى مجال معين من المعرفة أو أن يكون الفرد قادرا على حل مشكلة عملية مما يعكس ذلك على سلوك الأفراد اليومى وأدائهم السابق والواقع أن الإتصال اليومى بالناس والحياة فى المواقف المختلفة يقوم على تقييم ثابت ، وأعاد تقييم قدرة هذا أو ذاك لمواجهة متطلبات موقف معين بكفاءة وفاعلية .

هذا وقد إكتشف « ثنت » فى ألمانيا وجالتون « فى إنجلترا و » كاتل « فى أمريكا أن الأفراد يختلفون فى دقة ونوع إستجاباتهم عندما تم إختبارهم فى أعمال بسيطة ، وكان ذاك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وفى عام ١٨٨٠ نجح « إينجهاموس » فى إبتكار إختبارات عن طريق تطبيقها بدرجة كبيرة من الدقة حتى توصل إلى أي مدى يختلف الأشخاص فى القدرة على الإستظهار ، كما إبتكرت إختبارات أخرى لقياس الاختلافات بين الأفراد فى أنشطة مثل إكمال الجمل ونسخ الكلمات وربطها بعضها البعض .

ونتيجة لدراساته فى الإنتباه والذاكرة إستنتج « الفرد بينيه » العالم الفرنسى أن الذكاء « أكثر مجموع الوظائف المعزولة الأداء ، وأن السلوك الذكى يجب أن يوضع فى إطار المناشط التى تجمع العبارات المتنوعة ، وقد إعتقد أن درجة الذكاء تظهر من تلقاء نفسها فى إستجابات الأشخاص وفى كل الأعمال للمواقف البيئية » .

بدأت بعد ذلك تبلور فكرة الذكاء لدى بعض العلماء والباحثين من أمثال :
١ - ثورندايك : يرى أن الذكاء هو قوة الإستجابات الجيدة وأنه « الذكاء » يتضمن مجالات ثلاث هى :

- ١ - الإرتفاع - الإتساع - والسرعة فى إنجازالأعمال الصعبة .
- ٢ - كولفن : الذكاء هو قدرة مكتسبة .
- ٣ - وودرو : الذكاء هو القدرة على التعلم والإستفادة من الخبرة .
- ٤ - ستودراد Stoddrad يرى أن الذكاء هو القدرة على ممارسة المناشط والأعمال التى من صفاتها :
أ - الصعوبة .

- ٢٤٥ -

- ب - التعقيد .
- ج - التجريد .
- د - السرعة .
- هـ - تكييف الفرد للهدف .
- و - القيمة الإجتماعية .
- ز - ظهور الابتكار .

العوامل المؤثرة في السلوك الذكي .

وراثة المقدرة الذهنية : أثبتت علماء البيولوجيا وعلماء النفس أن هناك أفرادا أذكيا ، وأنه من الممكن إكتشاف التخلف العقلى أكثر من التفوق العقلى ولاسيما في فترة الطفولة ، وكان ذلك بعد دراسات مستفيضة للإستدلال على التشابه بين الآباء والأبناء والتوائم والأقارب ، كما أشاروا بأن هناك صفات للتخلف العقلى منها :

- ١ - التردد .
 - ٢ - ميل الطفل للعب مع الأطفال الصغار .
 - ٣ - تنقص الطفل المتخلف عقليا القدرة على التركيز في إختبارات بسيطة لمدة بسيطة
 - ٤ - الطفل المتخلف عقليا يتسم بالغباء وبطء الإستجابة .
 - ٥ - لديه أخوة وأخوات متخلفين عقليا .
- بينما نرى من مميزات الطفل الذكى والناضج عقليا تلك الصفات :
- ١ - لديه قوة إنتباه عالية .
 - ٢ - لديه حصيلة وافرة من المفردات والكلمات يستخدمها بدقة وذكاء .
 - ٣ - يمتاز بقوة الملاحظة وسرعة الإستجابة .
 - ٤ - كثير الأسئلة والإستفسارات .
 - ٥ - غريب فى طريقة تفكيره .
- وبعيدا عن القدرات الموروثة للطفل ، فإن المؤثرات البيئية التى تحيطه وتعمل

كقوة دافعة لنشاطه الذهني تحتاج إلى أن تكون في حالاتها في أحسن الحالات ، هذا وليس هناك جدال بخصوص أهمية كل من علم تحسين النسل أو إصلاح الجنس البشرى كوسائل لتحسين الحالة الذهنية للأفراد ، إن درجة ذكاء الفرد فى أى مرحلة من مراحل نموه هى محصلة تفاعلات الذكاء الموروثة وكل عوامل الخبرة التى تدفع الفرد ويستجيب لها .

تأثير البيئة على الذكاء .

يطابق النمو الذهني تأثير التربية فى كل مرحلة من مراحل النمو برغم أن الأطفال الأغنياء لا يمكن أن يتفوقوا عقليا بينما يظلون على حالهم ، وهناك ظواهر تدل على تأثير البيئة الصالحة تساعد الطفل على فعل الكثير مهما كان الجهد المبذول والعكس صحيح إذا كانت البيئة فقيرة وهزيلة ، هذا وقد يولد الطفل ولديه درجة عالية من الجهد للتصرف بذكاء ولكن إذا لم يجد الدافع من خلال التعلم ليمارس هذه المقدرة فقد يبدو غبيا ومتخلفا عقليا .

لقد قامت دراسات عديدة لدراسة آثار مدرسة الحضانة ورعاية روضة الأطفال على القدرة الذهنية ، كما أظهرت دراسة « جودائف » للأطفال الثمانية والعشرين المنتظمين فى مدرسة الحضانة ومقارنتهم بمجموعة لم تحضر فيها تقدما طفيفا فى تحقيق الذكاء بالنسبة للمجموعة الحاضرة فى المدرسة ، ولقد أظهرت أيضا دراسات « باريه » و« كوك » و« وليم » أن القدرة الذهنية تتأثر نتيجة لتدريب ما قبل المدرسة . ولقد إتجهت البحوث أيضا لإكتشاف تأثير مجالات البحث فى المدرسة على ذكاء تلاميذ المدرسة الابتدائية ، وكان منها دراسة على ثلاثة أطفال ذكاؤهم تحت المستوى العادى ، وقد حضروا من فصول المدارس النظامية العامة ومزودين بمناهج وخبرات مدرسية رسمية فى مدرسة خاصة وبعد أكثر من عامين من الإنهاك والعمل المتواصل بهذه الأنشطة التعليمية أظهر هؤلاء الأطفال تحسنا طفيفا فى الذكاء .

نمو الذكاء .

ثبات النمو : عادة ماتكون القدرة الذهنية - فى المتوسط - لأى فرد منتظمة فى معدلها وبذا تصبح درجة الذكاء فى كل مرحلة من مراحل العمر مستقرة نسبيا

-٢٤٧-

طالما ظل الحال كما هو فى النمو الطبيعى ، فالمعروف أن المعدل يكون سريعا خلال الفترات وعندئذ يتطور تدريجيا حتى يكتمل النضج ذهنى فيختلف العمر الزمنى الذى يبلغ فيه النضج العقلى للفرد درجة الكمال ، فهو بالنسبة « لبينيه » من ١٤ - ٢٢ سنة ، كما وضع « تيرمان » نتيجة لعمله إختبارات « بينيه » ١٦ سنة كحد للنمو العقلى ، وقرر « ثورندايك » أن القدرة على التعلم قد تستمر فى الزيادة حتى عام الخامسة والأربعين .

إختلاف النمو العقلى بين الجماعات .

إختلاف الجنس :

يميل الأولاد والبنات إلى إظهار القليل إذا ما قيس ذكاؤهم بإختبارات القدرة العقلية وذلك بعكس ما هو شائع ، وهناك تباين كبير بين الأولاد والرجال أكثر مما هو حادث بين السيدات والبنات .

إختلاف السلالة :

أثبتت إحدى الدراسات أن الجنس « العنصر » النوردى أعلى فى ذكائه من المجموعات القومية الأخرى ، وذلك حينما كانت المقارنة قائمة بين ذكاء « النوردين » الإنجليز - الأمريكان - الإستكلنديون - الألمان ، وذكاء بعض المجموعة القومية الأخرى مثل : الإيطاليين - وسكان المدارين - واليونانيون - والروس « السوفييت » ولم تأخذ الدراسة فى الإعتبار الإختلافات فى الخلفية الثقافية وعدم الإنسجام مع التقاليد والأعراف ، هذا ونقرر هنا أن مثل هذه الدراسة لم تعد مقبولة الآن برغم أسطورة الرقى والتقدم النورماندية التى مازالت مقبولة من بعض الناس .

توزيع القدرة العقلية .

قسم « الفرد بينيه » درجات القدرة العقلية على ضوء الأعمال العقلية ، هذا وقد جاء بعد ذلك « تيرمان » ليكمل أبحاث « بينيه » فتوصل إلى ما يعرف باسم العمر العقلى والعمر الزمنى للفرد ، وقال على سبيل المثال : إذا كان هناك

طفل عمره الزمني ١٠ سنوات وطلبنا منه القيام بعمل مناسب له فوجدنا أن عمره العقلي عشر سنوات أيضا ففي هذه الحالة يكون العمر العقلي والعمر الزمني متطابقين وتصبح قدرة الطفل العقلية مناسبة لعمره الزمني « الحقيقي » .
وإذا افترضنا مثلاً أن ذلك الطفل ذي العشر سنوات قد قام بإجتياز اختبار لصبي في الثانية عشرة ، هنا يمكن القول أنه قد تفوق في ذكائه على مجموعته ، إن العالم « تيرمان » يقارن العمر الزمني والعمر العقلي في صورة معادلة لكي يعبر عددياً عن درجة العلاقة بين الإثنين تعبيراً بالشهور ولكي يتجنب الكسور العشرية ، فإن معادلة النسبة المئوية تقسم إلى ١٠٠ ، ومن هنا فإن النتيجة العددية تعرف باسم « نسبة الذكاء » أي أننا نحصل على نسبة الذكاء بقسمة العمر العقلي للفرد على العمر الزمني له مضروباً في ١٠٠ ؛ وقد قام تيرمان بتطبيق تلك للمعادلة كما يلي :

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي (بالشهور)}}{\text{العمر الزمني (بالشهور)}} \times ١٠٠$$

هذا ويمكن تصنيف نسبة الذكاء بالجدول في الصفحة التالية .

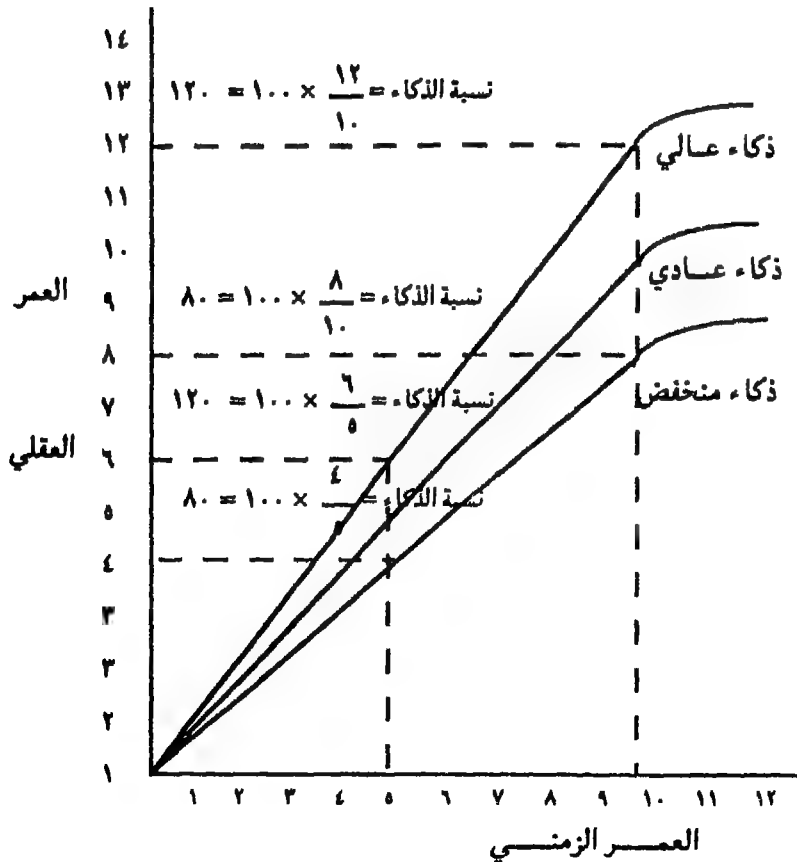
أهمية قياس الذكاء .

يهتم الطالب الذي يدرس علم النفس التربوي بالتطبيقات العلمية ، ويرجع ذلك إلى رغبته في استخدام الطرق التي تمكنه من قياس القدرة العقلية بالإختبارات المناسبة .

هذا وقد تركزت نتائج كل الإختبارات على القدرة العقلية التي تتأثر بعوامل عدة ترتبط بحالة المفحوص مثل كل ما يميل إليه كالموضوعات المحبوبة لديه وهكذا وهنا نقول بأنه قد يأخذ المدرس أو طالب التربية بنتائج إختبار الذكاء ، لأن نتائج قياس قدرة فرد ما على التعلم مماثلة لها ، وخلاصة القول عندما تكون الكفاءة مطلوبة سواء في المدرسة أو خارجها يصبح النجاح في التكيف الإجتماعي والإتزان

العاطفى وحوافز القدرة على العمل وغيرها من العوامل الشخصية أساسا لقياس القدرة العقلية ، وفي هذا المجال نأخذ فكرة عامة عن إختبارات الذكاء وقياسه :
هناك مايعرف باسم إختبارات اللغة المفهومة والمبهمة وهى التى تكشف إلى أى مدى يسيطر الشخص على موضوع للقراءة إذا كان فى مستوى ثقافى مناسب ، ويطلب من الشخص أن تكون إجابته بالرمز أو بإشارة توضع أمام السؤال وترتكز كثير من إختبارات الذكاء المستعملة على مواد متشابهة كتلك التى تستعمل فى بنود إختبار ألفا للجيش ومن هذه المواد :

- ١ - إتباع الطرق أو التوجيهات .
- ٢ - المسائل الرياضية .
- ٣ - الإجراء العملى .



شكل يوضح منحنيات النمو الإفتراضي والتي تدل على نسبة ذكاء ثابتة .

الرتبة	نسبة الذكاء	نوع التصنيف	النسبة المئوية لجميع الأشخاص
١	من ١٤٠ فأعلى	الشخص النابغة (العبقري)	٠,٢٥ ٪ من جملة المجتمع .
٢	١٣٩ - ١٣٠	الشخص المتفوق جدا .	٠,٧٥ ٪ من جملة المجتمع .
٣	١٢٩ - ١٢٠	الشخص المتفوق .	٦,٠٠ ٪ من جملة المجتمع .
٤	١١٩ - ١١٠	الشخص فوق المتوسط .	١٣,٠ ٪ من جملة المجتمع .
٥	١٠٩ - ١٩٠	الإنسان العادي الذكاء .	٦٠,٠ ٪ من جملة المجتمع .
٦	٨٩ - ٨٠	الشخص تحت المتوسط .	١٣,٠ ٪ من جملة المجتمع .
٧	٧٩ - ٧٠	الشخص الغبي .	٦,٠٠ ٪ من جملة المجتمع .
٨	٦٩ - ٥٠	الشخص المأفون .	٠,٧٥ ٪ من جملة المجتمع .
٩	٤٩ فأقل	الشخص الأبله والمعتوه .	٠,٢٥ ٪ من جملة المجتمع .

٤ - إستخدام المراتفات .

٥ - عدم ترتيب الجمل .

٦ - تسلسل الأعداد .

٧ - قياس الإجراءات .

٨ - المعلومات .

وتعد موضوعات الإختبارات تبعا للمادة المطلوب قياسها علي أن تحدد المصطلحات طبقا لدرجة صعوبتها ، هذا ويشار إلى إختبارات اللغة دائما علي أنها إختبارات الذكاء المجرد ، وعلي المجتمع أن يواجه القارئ بمجموعة من هذه الإختبارات إذا كان في وضع الإختبار « مفحوص » .

ويمكن القول أن إختبارات الأداء تكمن فائدتها في قياس قدرة الأفراد علي التنبؤ ، إن مثل هذه الإختبارات يجب أن تشمل بعض الصور الناقصة والتي يطلب عادة إستكمالها أو أن يكون بها بعض القصور أو الغموض ويطلب من المفحوص إكتشاف القصور أو النقص أو إزالة الغموض وهكذا .

طرق تفسير نتائج اختبار الذكاء .

لقد كان لمفهوم العمر العقلي كما عرفه « بينيه » الأثر الكبير فى تفسير نتائج الاختبار ، مثال ذلك إذا كان أحد إختبارات الذكاء يشتمل على ٩٠ بنداً فيمكن أن نتأكد من الإجابات الصحيحة عند إجراء هذا الاختبار على مجموعة من مختلف الأعمار من الأفراد فالشخص الذى يبلغ من العمر ١٤ سنة وشهرين وآخر يبلغ من العمر ١٥ سنة وأربعة شهور ، فإذا أجاب معظم المفحوصين البالغين من ١٤ سنة وشهرين على ٤٢ بنداً من بنود الاختبار البالغ عددها ٩٠ بكفاءة وإقتدار ، فحينئذ يكون لأى فرد قد أحرز ٤٢ بنداً بصرف النظر عن عمره الزمنى الحق فى أن يقال له أن عمره العقلي ١٤ سنة وشهرين .

ولكى يكون من اليسير علينا تقدير معدل تطور القدرة العقلية عند أى شخص ، يجب أن يكون معلوما لدينا عمره العقلي وعمره الزمنى حتى يكون حاصل قسمة عمره العقلي على عمره الزمنى مضروباً فى مائة هو نسبة الذكاء ، إن نسبة الذكاء تساعدنا على معرفة درجة التطور فى القدرة العقلية وقدرة الفرد على التعلم فى المستقبل ، كما أن حاصل الذكاء كمقياس للتنبؤ يصبح أكثر فائدة وفاعلية فى المراحل المتوسطة والعليا من المدرسة الإبتدائية والثانوية ثم فى السنوات النهائية من المدرسة ، فإذا إقترب الفرد من مرحلة النضج يصبح حاصل إختبار الذكاء أقل أهمية حيث أنه من المشكوك فيه أن تتخذ من العمر الزمنى أساساً للنضج .

وعند حساب نسبة الذكاء فهل ياترى يصبح المقام « العمر الزمنى » ١٤ أو ١٦ أو ١٨ أو ٢٠ أو ٢٢ ؟ وفى أى عمر يمكن أن يتحقق نضج الفرد عقلياً ؟ ويرغم أن بعض علماء النفس قد أشاروا بأن سن ١٦ هو سن النضج ، إلا أنه لم نر مايدل على ذلك أو تثبت صحته .

وهناك إختلاف بين رجال التربية فيما يتعلق بقدرة الفرد العقلية والتي ينبغى أن تكون بمثابة تقييم للتحصيل الدراسى فى تعلم المواد الملائمة لمستواه العقلي ، مثال ذلك فى إحدى المدارس إذا حصل بعض التلاميذ على درجات عالية نتيجة قدرتهم على التعلم ، فإن ذلك هو بمثابة تقدم كما يظهره أحد إختبارات المتخصصين فى قياس الذكاء ، وما يحققونه من نجاح فهو يختلف بالطبع عن التلاميذ الآخرين

-٢٥٢-

محدودى الذكاء .

إن هؤلاء التلاميذ الأذكياء سوف يحققون الكثير من التقدم فى البداية من حيث سيطرتهم على المنهج الدراسى ولكن مستواهم سوف ينخفض بعد ذلك فى السنوات النهائية عما كانوا عليه فى فصولهم الأولى ويرجع ذلك لفكرة مدرسيهم عنهم إنهم قد يحققون نجاحا فى المواقف السهلة فى الوقت الذى يخفقون فى المواقف الصعبة ، وفى نهاية هذا الفصل يمكن القول بأن الوسيلة الوحيدة لفهم الفروق الفردية ودراستها هى الاختبارات النفسية .

الفصل العاشر

ديناميات الجماعات .

* ماهيتها وآفاقها وعلاقتها بعلم

النفس الإجتماعي .

* الاتجاهات والسلوك والإقناعات .

* تكوين الاتجاهات والتمسك بها .

* الإقناع والاتجاهات المتغيرة .

* العلاقة بين الاتجاهات والسلوك .

* الإدراك الإجتماعي وفهم الآخرين .

* عملية تكوين الإنطباع .

* عمليات العزو وفهم أسباب السلوك .

* نظرية إدراك الذات وفهمنا لسلوكنا الخاص .

ديناسيات الجماعة .

ماهيتها وآفاقها وعلاقتها بعلم النفس الإجماعى .

يعتبر علم النفس الإجماعى من أهم فروع علم النفس بوجه عام حيث أنه يجمع بين الفرد من ناحية وبين المجتمع أو الجماعة من ناحية أخرى بهدف الإتصال والتواصل والتفاعل والإنفعال والتأثير والمؤثرات الإجتماعية والمسايرة والمغايرة والتعصب والعنف والعدوان ومساعدة الآخرين والتسامح والحب والكراهية بين أفراد المجتمع .

ولتعريف علم النفس الإجماعى نقول : أنه أحد فروع علم النفس الذى يركز على دراسة كيفية تأثير وتأثر أفكار الناس ومشاعرهم وأفعالهم ومدى تفاعلها مع الآخرين .

علم النفس الإجماعى بين الحنان والعدوان .

من وظائف علم النفس الإجماعى دراسة وبحث عمليات نفسية إجتماعية مثل الإهتمام والحب والتجاذب والإنجذاب بين الشخصيات المختلفة وتطوير وتنمية العلاقات الإجتماعية نحو الأفضل ، ووضع الحد الفاصل : Cutting Edge بين ما نحب وبين ما ندرك فكيف نرى - مثلاً - حقيقة الجمال فى الطفل ؟ هل نراه فى عينيه أم فى إبتسامته المشرقة ؟ ومن المعلوم أن كل الحقائق نسبية ما عدا حقيقة الجمال فهي وحدها الحقيقة المطلقة ومن ثم يجب أن نضع حداً فاصلاً بين الحب والإدراك .

وعلى الوجه الآخر إذا تتبعنا خط سير العلاقات الإجتماعية السيئة وإضمحلال الحب والحنان وتدنى مستوى العلاقة الإجتماعية نحو الأسوأ ، فإننا أمام صورة نفسية مشوهة تجسد لنا شخصية سيكوباتية أساسها ومهادها العنف والعدوان والتدمير وعبقورية القيادة المجنونة وتبنى الأفكار السخيفة والمعتقدات الدينية المنحرفة ، إن مثل هذه الشخصيات نراها فى كل زمان ومكان تتلون كالحرباء فى كل أرض نعيش عليها وتجمع بين الثقوى الظاهرة والفجور المستتر وبين

التزكية والتدسية ، « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ولتجسيد الفهم نسوق مثالا من المجتمع الأمريكي المعاصر :

« دافيد كورش » شخصية غريبة الأطوار حفظ الكتاب المقدس كان زعيما يتمتع بجاذبية جسدية كبيرة له سحر مغناطيسى ، لديه قدرة كبيرة وموهبة خارقة على إقناع الناس بما يعتقد وما يراه من خطأ أو صواب فيصبح الواحد من ضحاياه مسلوب الإرادة مزعزع العقيدة سقيم الوجدان بليد الحس والشعور ، ضاع من قدمه الطريق وفقد السند والصديق . ولقد كان لدى « دافيد كورش David Koresh » جانبا مظلما فى شخصيته المتناقضة حيث كان يعاشر أتباعه ومريديه معاشرة الأزواج برغم زعامته وقيادته الدينية لهم التى كانت تسمى باسم « أتباع دافيد Branch Davidians » لقد خضع له كل أتباعه وحواريوه عندما أمرهم بأن يقدموا له كل ممتلكاتهم وأموالهم وأولادهم لأنه هو المسيح الحقيقى ولا مسيح غيره وتنبأ لهم ذات يوم بأن العالم ستقوم قيامته فجأة وينتهى ويذول ، وما على الأتباع والمريدين إلا التسليم والخضوع للمسيح دافيد !! وتنفيذ أوامر الرب لأن العالم هذه الأيام سوف تأكله النار ولا تبقى ولا تذر وسيهلك فيها كل البشر !! .

وفى صباح أحد الأيام كان قد إنتهى كل شئ حين رأى رجال البوليس والمباحث الفيدرالية أعمدة الدخان تتصاعد من نوافذ بيوت المستوطنة التى يسكنها أتباع « دافيد » وهاجم البوليس المنطقة بأسرها لإنقاذ جماعة دافيد الدينية الذين إعتصموا - طبقا لأوامره - لمدة ٥١ يوما إلا أن النار قد أتت على كل فرد من أفراد الجماعة داخل منازلهم وهكذا ولله فى خلقه شئون !! إن هذه الطاعة العمياء من جانب أتباع القائد والزعيم ، تعتبر بمثابة حادثة عارضة طارئة لا أساس لها من السلوك العقلانى سلوكنا كبشر عادى ، إن سلوك هذه الجماعة يوضح لنا مدى القوة التى كان يتمتع بها الزعيم دافيد إنها قوة معنوية نفسية يتمتع بها الزعيم لفرض رأيه على الآخرين بطريقة سحرية .

إن عملية فرض رأى على الآخرين لها جانب آخر نستحسنه ونرضاه إذا كان فيه خير لنا ، فنحن نستجيب على الفور لتوجيهات الأستاذ أو المعلم أو الرئيس فى مدارسنا وجامعاتنا وعملنا ، إننا أيضا نستجيب لبعض أنواع الدعاية والإعلان عند

شراء سيارة أو تليفزيون برغم أننا ندفع أكثر من السعر العادى ولكنها الدعاية والإعلانات التى تقع تحت تأثيرها .

هذا وعلى العاملين والمشتغلين بعلم النفس الإجتماعى أن يضعوا فى إعتبارهم طبيعة ومسببات السلوك الفردى فى المواقف الإجتماعية المختلفة .
إن أهداف ومجالات علم النفس الإجتماعى تكمن فى إقناع الأفراد والجماعات للقيام بتغيير إتجاهاتهم الفكرية ، وتبنى أفكارا جديدة وقيما جديدة بالإضافة إلى فهم نط الفكر العام الذى يتبناه الآخرون ، بمعنى كيف يمكننا أن نأثر بسلوك وأنفعال وتفكير الآخرين ؟ ما السبب فى أن بعض الناس يبدى عدوانه وقسوته نحو الآخرين ؟ مما جعل العالم الآن يعيش فى خوف ورعب وهلع من الدمار الشامل ، وما السبب أيضا فى أن بعض الناس يقوم بالمخاطرة بحياته لمساعدة الآخرين ، وفى هذا المجال يقدم لنا علم النفس الإجتماعى فكرة رائعة وتفكيراً أفضل فى الأساليب المستخدمة فى إقناع الناس وكذلك الحلول التى تساعدنا على تكوين فكرة عن أساليب الإقناع وكيفية تكوين إنطباع أفضل عن الآخرين وطريقة تقويمهم ووسائل إستخلاص أنواع المحاباة والتحيز والتحامل والنظر فى تفسير وترجمة المسببات التى ينشأ عنها أنواع وأنماط معينة من سلوكيات البشر مما يؤثر على الطريقة المستخدمة فى معالجة أسباب السلوك .

إن ما يفعله الآخرون وما يقال حولنا يؤثر على النشاط اليومى لدينا. ومن العناصر الهامة التى يهتم بها علم النفس الإجتماعى تلك العناصر الكامنة وراء ظهور السلوك الإجتماعى السلبى والسلوك الإجتماعى الإيجابى مثل تقديم يد المساعدة للآخرين أو السلوك العدوانى ، إن مثل هذه الدراسة فى هذا المجال تساعدنا فى الإجابة عن بعض الأسئلة التى تدور حولنا من هنا وهناك مثل :
- ما هى الإتجاهات الفكرية والمواقف ؟ وكيف يتم تشكيل هذه الإتجاهات أو تغييرها. والحفاظ عليها والتمسك بها ؟

- كيف يمكننا تكوين إنطباعا عن ملامح وأشكال وأنماط شخصية الآخرين ؟
وما هى الأسباب الكامنة وراء سلوك الآخرين .

- ما هى التأثيرات الناجمة من الإنحياز للآخرين عند دراسة سلوكهم ؟
- ما هى المبادئ الرئيسة لفرض السلطة والتأثير الإجتماعى على الآخرين ؟

- ما هي العوامل التي تجذبنا نحو أشخاص معينين ؟ وما هو التسلسل المتبع فى العلاقات الإجتماعية ؟ .
- ما هي أهم العوامل التي تشكل أساسيات السلوك العدواني ؟ .

عن الاتجاهات والسلوك والإقناع .

لاشك أن الإعلانات التليفزيونية تلعب دورا حيويا فى الحث على شراء بعض المنتجات وإقناع الناس بأن مثل هذه المنتجات أو السلع هي الأفضل والأرخص والأجود ، وهنا يظهر دور المشتغلين بعلم النفس الإجتماعى حيث يدرسون الاتجاهات الفكرية والميول والنزعات والإهتمامات البشرية ومدى القابلية للإستعداد لقبول إستجابة ما .

ولانتقصر الاتجاهات الفكرية فقط على المنتجات الإستهلاكية ولكنها ترتبط أيضا بأفراد معينين وموضوعات تجريدية تعتمد أساسا على طبيعة التفاعل والإتصال والتواصل بين الأفراد من جهة وعلى الثقافات والتجاذب من جهة أخرى ، كما أن الاتجاهات الفكرية تختلف أيضا فى الأهمية من ناحية تعاملنا مع الأصدقاء وزملاء العمل وأفراد الأسرة الواحدة بالنسبة لعملية التفاعل الإجتماعى .

والواقع أن الاتجاهات النفسية الإجتماعية ما هي إلا ميل أو نزعة يكتسبها الفرد بالتعلم أثناء إستجابة لشئ ما والتعامل مع شخص أو أداة معينة على نحو من الرضا والإرضاء أو الرفض والإنكار .

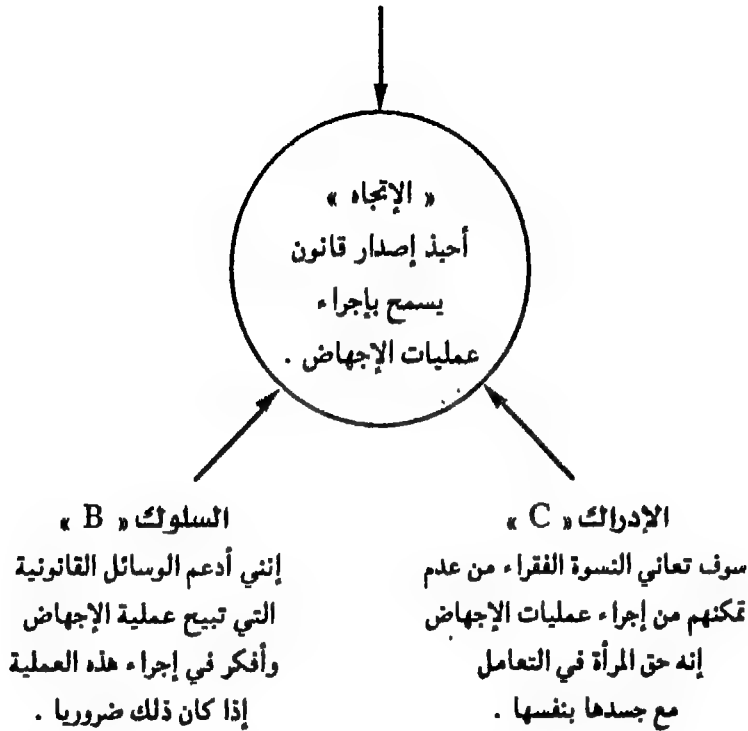
هذا ويضع علماء النفس الإجتماعى فى إعتبارهم أن الاتجاهات النفسية الإجتماعية تشكل نمودجا من مكونات ثلاثة هي : « العاطفة Affect » و « السلوك Behavior » و « الإدراك Cognition » ويعرف هذا النمودج باسم « نمودج : ABC Model » « راجيكي ١٩٨٩ » وإليك توضيحا بالشكل الآتى :

-٢٥٨-

« العاطفة » « A »

أحب إتخاذ القرارات الخاصة بي

ويؤلني أن يمنعني الآخرون من الحصول علي حقوقي .



من الشكل أعلاه نرى أن « الإتجاه » هو : أحبذ إصدار قانون يسمح بإجراء عمليات الإجهاض للنساء ، بينما تكمن « العاطفة في القول : إنني أحب إتخاذ القرارات الخاصة في هذا الشأن ، أما السلوك وهو المكون الثاني « Compo-
nent » فنراه في القول القائل : « إنني أدعم الوسائل القانونية التي تبيع عملية الإجهاض وأفكر في إجراء هذه العملية إذا كان ذلك ضروريا » ويأتى بعد ذلك المكون الثالث والأخير وهو الإدراك ويتمثل في: سوف تعاني النسوة الفقراء من عدم تمكنهم من إجراء عمليات الإجهاض وأنه من حق المرأة التعامل مع جسدها بنفسها . هذا وتتكون جميع الإتجاهات من هذه العناصر الثلاثة : الإدراك - السلوك -

العاطفة ، مثال ذلك ما هو إتجاهنا نحو مطربة مشهورة مثل سيدة الغناء العربى « أم كلثوم » إن إتجاهنا هو الحب والإعجاب بهذه المطربة العظيمة وهذه « عاطفة » إيجابية ، أما عن « سلوكنا » نحو هذه المطربة فيتمثل فى شرائط تسجيل لكل أغانيها الجميلة ، بينما يكمن عنصر « الإدراك » فى إعتقادنا الجازم بأن هذه المطربة مطربة ممتازة ولن يوجد الزمان بمثله ، وترتبط عناصر الإتجاه الثلاثة « عاطفة - سلوك - إدراك » بعضها ببعض ولكنها تختلف فيما بينها من ناحية سيطرة أوسيادة أحد هذه العناصر على العنصرين الآخرين وفقا لطبيعة العلاقة .

تكوين الإتجاهات والتمسك بها .

نأتى إلى عالمنا هذا ونحن صفحة « بيضاء Tabula Raza » خالية تماما من الإتجاهات النفسية الإجتماعية ، وعندما نرى طفلا ما يتسم لأمه أو أبيه ، فمعنى ذلك أنه بدأ « يكتسب » إتجاها جديدا بشأن العلاقة الحميمة بين الوالدين وبين الطفل ، وتنمو الإتجاهات وتتطور بسرعة أثناء إكتسابها لها ونحن فى سنوات المهد الأولى وتلازمنا طوال الحياة لتدرك وظيفتها ونعيش آدائها بالإكتساب ومن خلالها نتصارع ونصالح كأعداء أو أحباب .

التشريط الكلاسيكى والإتجاهات:

من العمليات الأساسية المكونة للإتجاهات تلك العمليات التى يمكننا تفسيرها إعتمادا على مبادئ التعلم « ماكجورى McGurie » ١٩٨٥ إن عمليات التشريط ذاتها هى التى جعلت الكلب يسيل لعبه عند سماع الجرس المرتبط والمقترن بتناول الطعام ، إن نفس هذه العمليات هى التى تفسر لنا كيفية إكتساب الإتجاهات والمواقف ، ومن المعلوم فى دراسة « علم النفس الإجتماعى » أن الجماعات يربطون بين تفاعل المشاعر والعواطف من ناحية ، وبين الموضوعات والأشياء من ناحية أخرى مثال ذلك من الماضى القريب : لقد وجدنا أن معظم الضباط والجنود الذين مكثوا فترة طويلة على شاطئ الخليج العربى أثناء فترة الحرب مع العراق الشقيق قد أفادوا بعدم رغبتهم فى الجلوس أو رؤية أى شاطئ آخر

-٢٦٠-

مرة أخرى نتيجة خبرة مؤلمة للحرب ضد العراق فتكون لديهم « إتجاه سلبي » من جراء الدمار الشامل والفقدان والأسروالموت بسبب هذه الحرب ، إن هؤلاء الضباط والجنود قد إكتسبوا إتجاهات ومواقف سلبية نحو حبات الرمل الصفراء والشاطئ الرملى الدامى وبصورة مماثلة فإن عمليات الترابط الإيجابية يمكن تطويرها من خلال «التشريط الكلاسيكى Classical Conditioning» هذا وبالمثل فقد يتكون لدينا إتجاه إيجابى نحو أحد العطور أو الروائح الذكية إذا كان أحد أحبائنا يستخدم هذه العطور أو الروائح الذكية قد هاجت الذكرى وأعادتنا لنا « الماضى الجميل » والأيام والليالى الخوالى .

ويستخدم رجال الدعاية والمتخصصين في الإعلان والإعلام فى مجال التليفزيون مبادئ التشريط الكلاسيكى المرتبطة بالإتجاهات والمواقف بهدف الربط بين الترويج لمنتجاتهم وبين التركيز على المشاعر والأحاسيس الإيجابية « السوب ١٩٨٨ ، Alsop » . مثال ذلك أن الكثير من الإعلانات التليفزيونية يقدمها شبابا وفتيات على قدر كبير من الجاذبية والجمال وقوة الشخصية ، وليس هناك أدنى شك فى أن الأفكار الكامنة وراء هذه الإعلانات هى إثارة إستجابة شرطية كلاسيكية نحو بعض المنتجات الصناعية مثل معجون الأسنان أو الملابس الجاهزة أو الأكلات والأطعمة الشهية والربط بين هذه المنتجات والمشاعر الإيجابية .

أساليب التشريط الإجرائى لإكتساب الإتجاه .

هناك عملية أخرى من عمليات التعلم الرئيسية والمعروفة باسم « التشريط الإجرائى » الذى يشكل أسس عملية إكتساب الإتجاه حيث إن الإتجاه المدعم شفوياً أو لفظياً يتسم - عادة - بالإستمرارية ، بينما الذى يشير السخرية لصاحبه من الآخرين فإنه يكف عنه ونهجه إن عملية « التعلم الإبدالى Vicarious Learning » ما هى إلا نوع من التعلم يقوم الشخص من خلاله بمراقبة سلوك الآخرين وإتجاهاتهم بهدف تطوير وتنمية الإتجاه إلى الأحسن بالنسبة للقائم بالملاحظة «المراقبة» ولاسيما إذا كان هذا الأخير ليست له دراية أو خبرة بالتعامل مع الموضوع المرتبط بهذا الإتجاه ، ويتعلم الأطفال بطريقة « التعلم الإبدالى » أو التعلم بالنيابة .

حيث « يلتقط الطفل Pick up » تحيزات آرائهم

مثال ذلك : إذا قال الوالد لطفله « إن الشخص الأعمى لا يمكنه أداء بعض الوظائف » فإن مثل هذا الطفل سوف يعتقد جازماً في رأى والده حتى إذا لم يكن قد قابل شخصاً أعمى من قبل ، إن اعتقاد الطفل بأن الأعمى شخص غير مؤهل للقيام بجميع الأعمال مثل المبصرين ما هو إلا اتجاه قد تعلمه الطفل بأسلوب أو طريقة « التعلم بالإتابة » أو التعلم بالإبدالى .

إننا جميعاً فى حياتنا النفسية والاجتماعية نتعلم ونكتسب الإتجاهات والمواقف بطريقة « الأتابة Vicarious » من خلال مشاهدة الأفلام السينمائية والتلفزيون وغير ذلك من وسائل الإذاعة مثال ذلك : أن الأفلام السينمائية التى تعظم من شأن « العنف Violence » تؤدى فى النهاية إلى تأييد وتدعيم الإتجاهات والمواقف الإيجابية الخاصة بالعنف والعدوان ، كما أن الأفلام والمسرحيات التى تعلقى من شأن خضوع المرأة للرجل ، تشكل إتجاهات لتدعيم هذا الموقف وأن المرأة ما هى إلا أداة لتحقيق أغراض الرجال .

الإقناع والإتجاهات المتغيرة:

إن من يقوم بإقناع الناس برأى من الآراء أو بترويج أو تسويق سلعة من السلع يجب أن يتم إختياره بعناية شديدة وأن تتوفر فيه عدة صفات كالطلاقة اللفظية والكياسة وحسن المنظر ورباطة الجأش والمبادأة والمجازبة الشخصية ، فضلاً عن كونه من الشخصيات المشهورة المحبوبة فى المجتمع مثل : النجم السينمائى أو المذيع التلفزيونى اللامع أو الأديب المعروف أو الصحفى المشهور « ألويت ، وميتشيل ١٩٨٥ » ، إن أعمال الدعاية والإعلانات التلفزيونية تعتمد أساساً على نتائج الدراسات المرتبطة بطرق الإقناع التى تدرس فى علم النفس الاجتماعى ، هذا ومن أهم مصادر الدعاية أن يكون الداعية شخصاً جذاباً وعلى قدر مرتفع من المهارة وأن يكون موثق فى كلامه « جونسون Johnson ، ١٩٩١ » و « تيسار Tes-ser » و « شافير ١٩٩٠ Shaffer » ومن المعلوم أن مقدم الرسالة أو المذيع أو الممثل أو الخطيب يتوقف عليه إقناع المشاهدين بماله من تأثير كبير على جمهوره من الناحية الدعائية أو الإعلانية .

خصائص الرسالة :

لاشك أن مضمون الرسالة يمثل أهمية كبيرة كمقدم الرسالة حيث يؤثر ذلك كله على الإتجاهات والمواقف والسلوكيات فالجمهور لا يقبل إلا مشاهدة البرامج ذات الرسالة الجيدة التي تحوز رضاه ومن الأفضل - دعائياً - أن يقدم الرسالة من خلال شخصين على شكل مناقشة بينهما ، فيبدأ مقدم البرنامج فى عرض وجهة نظره ويقدم الطرف الآخر الرأى المقابل ، وفى هذه الحالة تصبح الرسالة ذات أثر كبير ومفيد لأن المشاهدين إستفادوا من الرأى المؤيد والرأى المعارض فى الرسالة أو البرنامج المقدم ، وهناك من الرسائل ما يشير الذعر والهلع مثل الرسائل التي تحذر بشدة من عدوى مرض الإيدز الذي ينتقل عن طريق الممارسات المحرمة ، فإذا كان مضمون الرسالة يقول : « إذا لم تأخذ حذرَكَ فإنك قد تصاب بهذا المرض الإيدز ، إن مثل هذه الرسالة تؤدي إلى خوف كبير وهلع مشير فى نفوس الناس ، وبالتالي تشير فى الأفراد والجماعات كل أنظمة الدفاع النفسى مما ينتج عنه تجاهل الرسالة حيث أنه من الأفضل تقديم رسالة التحذير المصحوبة ببعض التوصيات والإجراءات اللازمة لتجنب الإصابة بهذا الخطر المخيف .

خصائص مستقبل الرسالة :

وعند تقديم الرسالة عبر الوسائل المرئية والمسموعة ، فإن المتلقى «المستقبل» قد يتلقاها أو يستقبلها أو يتجاهلها لأن ذلك يعتمد على «ذكاء الشخص» مباشرة. إن العلاقة بين مدى إقناع الأفراد أو المشاهدين بالرسالة من ناحية ودرجة ذكاء الناس من ناحية أخرى علاقة معقدة ، لأن إرتفاع نسبة الذكاء لدى المشاهدين قد يحدوا بهم نحو الإقناع بمضمون الرسالة بسهولة ويسر ، وفي الوقت ذاته قد يؤدي إلى عرقلة عملية الإقناع ، ولاشك إن درجة الذكاء المرتفعة تساعد الناس على فهم الرسالة بصورة أفضل وأسرع فضلاً عن إسترجاعها بشكل منتظم ، لقد وجد بعض الباحثين أن إرتفاع مستوى الذكاء يرتبط بوجود قدر كبير من المعرفة لدى أفراد الشعب لأن المواطن إذا كان يتمتع بقدر هائل من الدراية والمعارف والمعلومات والأحداث فإنه يحوز ثقة كبيرة فى مصداقية وجهة نظره وبالتالي يرفض الآراء المضادة والهدامة فى هذا الشأن ، ومن هنا يمكن القول بأن مستقبل الرسالة أو المتلقى المرتفع الذكاء من الصعب إقناعه بمقارنته بمتلقى آخر أقل ذكاء ، وما زال

الجدل والنقاش مستمرا فى هذه المسألة ولم ينته بعد « رودس Rhodes » و « وود Wood ، ١٩٩٢ » .

هذا ومن ناحية الفروق الفردية بين الذكور والإناث وجد بعض الباحثين أن النساء أسهل بكثير فى عملية الإقناع بمقارنتهم بالرجال « أليس إيجلى Alice Eagly ، ١٩٨٩ » .

إلا أن هذه الفروق بين الرجل والمرأة ليست كبيرة بشأن مسألة الإقناع وهناك طريقين إثنين فى عملية الإقناع : الطريق المركزى وهنا يتم الإقناع بالمعالجة المركزية والطريق الطرفى الخارجى ويتم فيه الإقناع طبقا للمعلومات التى تتضمنها الرسالة ولتحتاج إلى تفكير كثير من جانب المتلقى « المستقبل » .

ولا يمكننا إستخدام الطريقة المركزية فى الإقناع إذا كان المستقبل لا يجيد الإنصات أو الإستماع أو إنه يصاب بالملل أو مشئت الفكر ومن ثم يصبح الطريق المركزى للإقناع أقل أهمية وفائدة ولا حياة لمن تنادى أو كما يقولون « ورب مستمع والقلب فى صمم » !!

إن وسائل الدعاية التى تستخدم المشاهير من الممثلات والفنانات بهدف الترويج لبعض السلع أو المنتجات تعتمد أساسا على الطريق الطرفى الخارجى فى الإقناع برغم أن مضمون الرسالة يصبح أقل تأثيرا لأن المشاهد أو المستقبل لرسالة الشخصية المشهورة « الفنانة » ينصب تفكيره أصلا على شخصية الفنانة ولن يلقى بالا أو إهتماما بمضمون الرسالة ، أما إذا كان مقدم البرنامج أو الرسالة غير معروف أو مجهول فيمكن إستخدام الطريق المركزى للإقناع حيث يصبح مضمون الرسالة جيد الصياغة .

العلاقة بين الاتجاهات والسلوك .

يؤثر الاتجاه إلى حد كبير على طريقة السلوك وليس هذا بعجيب ، إنك إذا كنت ممن يحبون تناول أكلات السمك بكل أنواعه فإن ذلك يمثل عنصر المشاعر والعواطف فى بناء الاتجاه ، وإذا كنت تفضل تناول السمك فى مطعم معين فإن هذا المكان المحدد يمثل عنصر « السلوك » ، وإذا إعتقدت جازما بأن تناول الأسماك بكثرة كغذاء ومصدر جيد للبروتين يكسبك الصحة والعافية لأنه سهل الهضم فإن

ذلك يمثل عنصر « الإدراك » ومن ثم فإن هناك إرتباطا قويا بين الإتجاهات والسلوك تختلف وتتباين باختلاف نوعيات الناس حيث يحاولون أن يتوافقوا أو ينسجموا بربط إتجاهاتهم بسلوكياتهم ومعظم الأفراد والجماعات يميلون نحو الثبات علي المبدأ في حياتهم والتناغم والإنسجام مع أنفسهم ومع الآخرين ، وفي بعض الأحيان نجد أن السلوك هو الذي يؤثر على الإتجاه بمعنى أن طريقة السلوك هي التي تشكل الإتجاهات النفسية والاجتماعية .

وفي عالم دراسة الإتجاهات هناك الكثير من المتناقضات السلوكية التي تؤدي بنا نحو حالات من الضغوط النفسية ، مثال ذلك أن الشخص الذي يقوم بعمل جبراً أو قسراً وغير مقتنع به من الناحية السلوكية فإن ذلك يجلب له نوعاً من التوتر النفسى المعروف باسم « التنافر الإدراكي Cognitive Dissonance » الذى يحدث بسبب صعوبة الموقف الإختيارى حيث يوجد الشخص فى وقت واحد بين مجموعتين من الإتجاهات المتناقضة ، مثال ذلك أن الشخص الذى يدخن السجائر وقد يعلم تماماً بأن التدخين يسبب مرض سرطان الرئة إنه يدخن بشراهة ويعرف أضرار التدخين ، وهنا يظهر « التناقض الإدراكي » وليس هناك أدنى شك فى أن تصارع الأفكار والمعتقدات والإتجاهات يؤدي فى النهاية إلى « التنافر الإدراكي » ، إن الأهمية الخطيرة لهذه النظرية أنها تتوقع بأن الفرد سيصبح « مدفوعاً Motivated » نحو كسر حدة وتخفيض حالة « التنافر الإدراكي » بإحدى الطرق الآتية :

الطريقة الأولى : تعديل أحد المدركين أو كلاهما .

الطريقة الثانية : تغيير الأهمية المدركة لأحد المدركين .

الطريقة الثالثة : إضافة مفاهيم إدراكية جديدة .

الطريقة الرابعة : الإنكار التام بأن المدركين مرتبطين ببعضهما .

ومن ثم فإن المدخن قد يقرر بنفسه بأنه لا يدخن هذا العدد الكبير من السجائر التى تؤدي بدورها إلى الإصابة بالسرطان الرئوى وهذا فى حد ذاته يعتبر عملية تعديل للشئ المدرك من ناحية كما لا توجد أدلة واضحة حسب رأى المدخن للربط بين التدخين والسرطان من ناحية أخرى. وهذا في حد ذاته تغيير للشئ المدرك ، وقد يحاول المدخن إقناع نفسه بأنه إذا مارس المزيد من الرياضة فإن ذلك وقاية له ،

من الأضرار الناجمة عن التدخين ، وهذا هو ما نعينه بإضافة مفاهيم إدراكية جديدة. هذا ومهما يكن من إستخدام أى تكنيك فإن المحصلة النهائية تكمن فى خفض التنافر ويجب أن نلاحظ أن « التنافر الإدراكى » ينبع من تناقض مفهومين ، مثال ذلك : أحب أن أتناول بعض الوجبات فى خارج منزلى فى مكان هادئ نظيف هذا هو المفهوم الأول ، بينما المفهوم الثانى يناقض الأول تماما مثل لا أستطيع -ماديا - أن أتناول بعض الوجبات فى هذا المكان بسبب إرتفاع أسعاره كثيرا .

ويقاوم الشخص هذا التناقض بإقناع نفسه بأنه لا يريد أن يتناول أى طعام فى مثل هذا المكان ويقول لصاحبه أنا فى واقع الأمر لاأريد تناول أى طعام فى مثل هذا المطعم ، وذكرونا هذا الموقف بقصة « الثعلب والعنب » حيث شاهد الثعلب ذات يوم حديقة أعناب واشتاق إلى هذا العنب اللذيذ التامض وحاول الوصول إلى العنب من خلال أسوار الحديقة ولكنه لم يستطع ، وفى النهاية نظر مليا إلى العنب نظرة فاحصة وقال لنفسه لا حاجة لى بالعنب إنه عنب ردىء ولم ينتضج بعد . إننا جميعا فى حياتنا النفسية والاجتماعية نمثل هذا الثعلب حين أخفق فى الوصول إلى هدفه ، ونسوق إليك قصة أخرى : ذهب فتى يخطب فتاة ذات جمال أخاذ وتخيّل أنه يطير بحصانه الأشهب ويشد الحاصرة والمهماز ولكنه لم يوفق فى بلوغ هدفه وحصوله على الحبيبة المنشودة وكاد الهوى يعصف به ولكنه تحامل على نفسه وتسامى فوق الأحزان وأصبح يناجى نفسه ويردد : خيرها فى غيرها البنات كثيرات إن هذه الفتاة كانت بيضاء البشرة ولكنه بياض كالح ! ! وهكذا يكون التبرير وقديما قال الفلاسفة والمفكرون بأن الإنسان حيوان ناطق ونحن نقول فى هذا المجال - بلغة علم النفس الإجتماعي - إن الإنسان حيوان مبرر !

ويلجأ الشخص عادة إلى إنكار الحقيقة أو التقليل من شأنها لى تصبح حقيقة نسبية ويطفئ على السطح « التنافر الإدراكى » الذى يبدأ فى الإنخفاض رويدا رويدا عن طريق تغيير الفرد لإتجاهاته ومواقفه لى تصبح هذه الإتجاهات والمواقف أكثر إيجابية عند القيام بمهام بغيضة أو أداء أعمال ذات خبرة مؤلمة أو التأمل فى رجوع الصدى لذكريات من الماضى السحيق ، وهنا تتحول المهام البغيضة إلى مهام مرغوبة والأعمال المنفرة الكريهة إلى أعمال مسلية محبوبة والذكريات الحزينة النبيلة تتحول إلى ذكريات مشرقة ثم تشرق الشمس ثانية وتغرد الطيور .

إن عملية التنافر وعدم الانسجام تفسر لنا الكثير من معنى الأحداث التي نواجهها في حياتنا اليومية المعاشة التي تتداخل فيها الاتجاهات والميول والمواقف والسلوكيات ، وهناك ما يعرف باسم « ظاهرة عرض الذات الانتقائي Selective Exposure Phenomenon » وفيها يلجأ الشخص إلى كسر حدة التنافر وعدم الانسجام عن طريق تعريض نفسه لبعض المعلومات التي تدعم موقفه وتشد من أزره ويقوم هذا الشخص بانتقاء المعلومات التي تدعم صحة وسلامة قراره الذي إتخذه في أمر من الأمور ويتجنب المعلومات التي تناقض صحة قراره « سيرز Sears ، ١٩٦٨ و سويني Sweeny ، جروبار Gruber ، ١٩٨٤ » .

والواقع أن نظرية التنافر وعدم الانسجام قد مرت بمراحل عديدة من التطوير منذ بداية ظهورها في أواخر عام ١٩٥٠ ، وتمخضت عن الكثير من إجراء البحوث والدراسات التي تؤكد صحتها تنظيراً وتطبيقاً « آرونسون Aronson ، ١٩٩٠ » وقد تعرضت هذه النظرية للكثير من المدح والقدح والإستحسان والإستهجان كما قدم نفر من علماء النفس الإجتماعي إقتراحاً ببعض التفسيرات النظرية البديلة لهذه النظرية ومن هذه البدائل ما قدمه « داريل بيم Darryl Bem ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٢ » في نظرية المعروفة باسم نظرية « الإدراك الحسي الذاتي Self Percep- tion Theory » وفحوى هذه النظرية يرى أن الناس يشكلون إتجاهاتهم وميولهم ومواقفهم عن طريق ملاحظة سلوكهم بأنفسهم مع إستخدام نفس المبادئ التي يستخدمونها عند ملاحظة سلوك الآخرين وذلك بهدف إستخلاص وإستنتاج نتائج وإتجاهات ومواقف الآخرين . ومن نافلة القول أن نظرية « التنافر الإدراكي الذاتي » تقترح بديلاً واضحاً يكمن في أن الشخص يقوم بعملية بحث فاعلة لمحاولة فهم السلوك الذي إتخذه نحو نفسه ونحو الآخرين ولقد أثبتت البحوث أن وجود تعارض بين مفاهيم الإدراك يؤدي إلى ظهور حالات التنافر وعدم الانسجام كما أن هناك عوامل أخرى إضافية تزيد من حدة التنافر وعدم الانسجام ومن أهمها الشعور بالمسئولية والإحساس بمسئولية الفرد عن النتائج السيئة الوخيمة وتهديد مفهوم الذات كل ذلك يؤدي إلى زيادة التنافر وعدم الانسجام « ستيل Steele ، ١٩٨٨ ، كوبر Cooper ، ١٩٨٩ » ورغم وجود بعض ظلال الشك والريب في صحة التفسيرات البديلة لنظرية التنافر وعدم الانسجام ، إلا أنه يمكن القول أيضاً

بأن مثل هذه النظريات والتفسيرات لا تقدم لنا وصفا دقيقا لكيفية تفاعل الناس مع عدم التناغم بين الإتجاهات والمواقف والسلوك حيث أن معظم الناس يضى قدرا من المعقولة علي إتجاهاتهم ومواقفهم وسلوكهم وإيجاد نوع من التناغم والإنسجام بين السلوك والإتجاه والموقف .

الإدراك الإجتماعى وفهم الآخرين .

بعيدا عن ضعف الإنتماء بين بعض أفراد المجتمع المصرى فى الوقت الراهن وبصرف النظر عن مستوى التوافق ودرجة الإنسجام بين أفراد شعبنا المصرى الأصيل ذو الجذور العميقة الضاربة فى أطناب الحضارة والتوحيد بعيدا عن هذا كله أدركنا أن هناك تألفا وألفة وإنتماء قوميا شاملا ومحبة صادقة بين أفراد الشعب والرئيس الراحل « السادات » أثناء حربنا الرمضانية المقدسة عام ١٩٧٣ بيتنا وبين إسرائيل. فى هذه الآونة نذكر أن معظم أفراد الشعب أثناء حرب أكتوبر العظيم قد أحاطوا بقاتلهم « السادات » فرحين مكبرين بقرب ساعة الخلاص والنصر المبين وذلك كله برغم تشويه « الرئيس السادات » وتحريفه لبعض الحقائق عن العدو وعن تحديد موعد الحرب فى بعض المؤتمرات الصحفية قبل الحرب . وكان من المفترض تجاه ذلك أن يكون رد الفعل التنافر وعدم الإنسجام وظهور « الإدراك الوجدانى السلبي » من جانب أفراد المجتمع ولكن حدث العكس فقد حظى « السادات » برضاء الجماهير وحبها له وأطلقت عليه لقب « بطل العبور » ومن قبل ذلك « الرئيس المؤمن » ، إن هذه المواقف والأمثلة توضح لنا بجلاء وقوة « أثر الإنطباع » بين الرئيس والشعب وحماس الجماهير نتيجة « القوة الكاسحة للإنطباع الأول - Pow-er of the first Impression » كما يدل ذلك ويؤكد على أهمية تحديد كيف يقوم الناس بتطوير عملية الفهم والإدراك للآخرين .

أن من أهم الآفاق والمجالات السائدة فى دراسة علم النفس الإجتماعى فى أيماننا هذه تكمن فى التركيز على « عملية تعلم الإنسان الفرد لكل ما يتعلق أو يرتبط بعملية فهم وإدراك سلوك الآخرين وتفسير الأسباب الكامنة أو المستترة وراء سلوكهم » فيسك Fiske ، تايلور Taylor ، ١٩٩١ .

فهم الآخرين وتكوين فكرة عنهم .

فى عصر الأعلام والإعلان والثورة المعلوماتية والبيث التيفزيونى للقنوات الفضائية والتفاعل والتواصل مع العديد من الأفراد فى اليوم الواحد نتعرض لقدر هائل من المعلومات عن شخصيات الآخرين ، وهنا نتساءل : كيف نستشعر أو نوظف مثل هذه المعلومات فى إتخاذ قرارات هامة عن سلوك الناس والمجتمع والحياة بوجه عام ؟ كيف نحكم على الخصائص والسمات المميزة للآخرين ؟ ومن هنا نذر علماء النفس الإجتماعى أنفسهم لدراسة مفهوم الإدراك الإجتماعى ونادوا بأنه « مجموعة العمليات التى تكمن وراء فهمنا لعالمنا الإجتماعى ، وقد أكد علماء النفس على أن هناك الكثير والعديد من المخططات والرسومات البيانية والأنساق الإدراكية والمعرفية عن الناس والتجارب الإجتماعية .

وتستخدم مثل هذه المخططات البيانية فى تنظيم المعلومات لتخزينها فى الذاكرة بهدف إعمال العقل وقدح زناد الفكر فى كيفية عمل العناصر المختلفة فى العالم الإجتماعى المكتظ بالأحداث والناس فضلا عن تكوين إطار عام يتم من خلاله تصنيف وتفسير المعلومات والبيانات المتعلقة بالمشيرات الإجتماعية والدوافع النفسية لدى الناس ، هذا وتلعب المخططات البيانية فى تنظيم المعلومات عن الناس دورا هاما وخطيرا فهى لدى «المعلم Teacher» تتضمن الخصائص الآتية :

١ - مستوى المعرفة ودرجة الإدراك والإلمام بمحتويات المادة العلمية المطلوب تدريسها .

٢ - الرغبة الأكيدة فى نقل المعلومات للآخرين والدافع القوى فى تشويق الناس .

٣ - الإدراك بمدى إحتياج الطالب لفهم ما يقال له وما يقدم إليه من معلومات .

وفى عالم الأمومة نرى أن مكونات الرسم التخطيطى فى هذا المجال يشتمل على :

١ - الدفء العائلى والرعاية الكاملة والعناية المستمرة والتنشئة الإجتماعية السليمة والتربية الصالحة للطفل .

٢ - العطف والمرونة والوفاء بمتطلبات كل فرد من أفراد الأسرة .
 وخلاصة القول أن الرسومات التخطيطية تقوم بتنظيم المعلومات والسلوكيات المتعلقة بالآخرين لإسترجاعها وتصنيفها عند الضرورة ، كما تساعدنا على التنبؤ بشخصية الآخرين ووضع الأشخاص المحيطين بنا داخل الإطار المناسب من الرسومات التخطيطية « سميث Smith ، ١٩٨٤ » .

عملية تكوين الإنطباع .

تعريفها : هى عبارة عن عملية يلجأ الفرد إلى إستخدامها بهدف تنظيم المعلومات المتاحة لديه بخصوص أحد الأفراد الآخرين وتكوين « إنطباع Im- pression » كلى شامل عنه ، وفى إحدى التجارب العلمية فى هذا المجال كان لدينا مجموعتين من الطلاب الجامعيين وأخبرناهم بأن أستاذاً من خارج الكلية سوف يلقي عليهم محاضرة بعد قليل ، وقلنا للمجموعة الأولى من الطلاب أن من سمات شخصية المحاضر أنه شخصية جادة صارمة بارد فى علاقاته الإجتماعية ، بينما أخبرنا المجموعة الثانية منهم بأن شخصية الأستاذ القادم لإلقاء المحاضرة تتسم بالمشابة والجدية ودفء العلاقات الإجتماعية ، وكان وصف الأستاذ المحاضر متشابهاً لدى المجموعتين وينحصر الاختلاف فى كلمتين هما : بارد ودافئ فى علاقاته الإجتماعية وأدى هذا الاختلاف إلى تغير كبير فى طريقة نظرة الطلاب من المجموعتين إلى الأستاذ المحاضر ورغم تشابه المحاضرة فى موضوعها على كل مجموعة وهنا نجد أن إحدى المجموعتين من الطلاب كان إنطباعهم المكون عن الأستاذ بأنه شخص يتمتع بالدفء والرقّة ودماثة الخلق وهذه صورة أكثر إيجابية بمقارنتها بإنطباع طلاب المجموعة الأخرى التى وضعت الأستاذ المحاضر فى إعتبارها بأنه « شخصية باردة » .

ونخرج من هذه التجربة الخاصة « بتكوين الإنطباع » عن الآخرين بأن الأفراد والجماعات يوجهون إهتماماتهم ويركزون إنتباههم ويظهرون مشاعرهم نحو السمات الهامة غير العادية أى السمات الرئيسية للشخصية . إن مجرد وجود إحدى السمات الأساسية أو المركزية فى الشخصية يؤدي إلى تغيير المعانى أو

المدلولات الخاصة بالسّمات الأخرى ، ففى المثال السابق كانت هناك سمة واحدة مركزية هي « البرودة » أو « الدفء » فى الشخصية التى أدت إلى تغيير جميع المعانى المرتبطة بالسّمات الأخرى .

ونظرا لوجود بعض الشغرات فى درجة معرفتنا بالآخرين ، فإننا نميل نحو وضع هؤلاء الأشخاص فى درجة توافق مع أنماط الشخصية التى تمثل بدورها نماذج معينة من البشر من هذه المنظومات الشخصية نستطيع أن نرسم مخطوطات بيانية مكونة من سمات وصفات تتأرجح بين الود والصدقة والمحبة والعدوانية والصراحة والإنفتاحية والإنسباط. ومن ثم يتحدد نوع وسمات الشخصية وفقا لإحدى هذه الرسومات التخطيطية. ول سوء الحظ فإن أنماط الشخصية والرسومات التخطيطية المتعلقة بالسّمات قد تصبح عرضة لبعض العوامل التى تؤثر بدورها على دقة التقسيم ، وليس هناك أدنى شك فى أن الحالة المزاجية تؤثر على كيفية رؤيتنا للآخرين فالشخص السعيد البشوش الوجه يميل - عادة - نحو تكوين « إنطباع » حسن وجميل نحو الآخرين من ناحية ونحو تكوين أحكام إيجابية عن هؤلاء الآخرين من ناحية أخرى بعكس من يعانون من حالات مزاجية سيئة « فورجاس Forgas ، Bower 1987 ، إربار Erber ١٩٩١ » .

عمليات العزو وفهم أسباب السلوك .

دلت التجارب والخبرات العلمية والاجتماعية على أن الشخص الذى يعمل عملا منظما وجيدا ودقيقا بطريقة جديدة وبمهارة فائقة فى فترة قصيرة وأقل مجهود فى الجامعة أو المعهد أو الشركة أو المصنع أو المزرعة دلت البحوث والدراسات النفسية الاجتماعية على أن هذا « أداء Performance » جيدا ممتازا وعلى باقى العاملين أن يلتزموا بهذا الأداء ويحتزوا به ، وهنا تتقلب القلوب وتزوغ الأبصار نحو صاحب الأداء الممتاز فيصوب الآخرون سهام أبصارهم النارية نحوه وتمتلأ القلوب والنفوس حقدا عليه لماذا كل هذا ؟ لأن الشخص الذكى عملا وأداء والممتاز خلقا وعلم ، والأمين قولا وفعل يعتبر بالنسبة لأفراد الجماعة شيئا مذكورا وحصنا حصينا معمورا وكوكبا دريا منيرا حيث أتى بما لم يأت به الآخرون

-٢٧١-

وسلك مسلك الرجال الأشداء فى عمله فتبدو الحيرة والإرتباك عند فهم أسباب دوافع السلوك التى دفعت أحد العاملين المميزين للقيام بهذا العمل المجيد ، وهذا أن دل فإنما يدل على أن رقما قياسيا أو معيارا أدائيا قد ظهر فى العمل وعلى الآخرين أن يسيروا فى ركاب نظام الأداء والعمل الجديد أملا - من الإدارة - فى زيادة وجودة الإنتاج ومن ثم تهب عاصفة النفور والكراهية ، ويشتد الصراع على المناصب وتبدو مظاهر حمى المنافسة - غير الشريفة - بين الأفراد كنوع من الكفاح عندما تنمو « كوادز حزب أعداء النجاح » ١١

هذا ويمكن القول بأن عملية الإدراك الإجتماعى تساعد الآخرين على تكوين إنطباع كلى عن سمات شخصية الأفراد المميزين مما حدا بنظرية العزو Attribution Theory أن تبحث تفسير كيفية إتخاذ القرار على أساس إنتقاء عينة من سلوك الفرد وهذا بدوره يساعدنا كثيرا على تحديد الأسباب التى تدفع ببعض الناس أن يسلك سلوكا ما ، وما مدلول ومعنى هذا اسلوك « واينر -Wein-er ، ١٩٨٥ ، جونز Jones ، ١٩٩٠ » .

وعندما نبدأ فى محاولة فهم مسببات السلوك لشخص ما فإنه يتعين علينا أن نحدد أولا عما إذا كانت الأسباب فطرية أو موقفية ونعنى بالأسباب الموقفية Situational Causes تلك التى تسبب السلوك القائم علي العناصر والعوامل البيئية والمحيط الخارجى .

وعلى سبيل المثال : لو أن شخصا سكب إحدى زجاجات اللبن على أرضية حجرة نظيفة فإنه يبدأ فوراً فى تنظيف المكان ولا يعزى الدافع إلى تنظيف المكان إلى حب الشخص للنظافة فى حد ذاتها ، ولكن ذلك يعزى إلى متطلبات الموقف لهذه العملية لأن ذلك الشخص هو الذى تسبب فى كسر زجاجة اللبن فكان عليه أن يعالج الموقف بإزالة آثار اللبن المسكوب ، ولو أن شخصا آخر يهتم بنظافة المطبخ ، فإنه أساسا من أولئك الذين يعشقون النظافة والنظام والترتيب والتنسيق فى منزله ، ويعزى الدافع نحو تنظيف منزله بوجه عام والمطبخ بوجه خاص إلى حالته المزاجية التى تعزى بدورها إلى ميوله الفطرية نحو المحافظة على النظافة والنظام ويرتبط ذلك بسماته الشخصية و « العزو الفطرى dispositional cause » .

وعود على بدء لمثالنا السابق « الشخص المميز أداءا ومهارة » وسط الزملاء

-٢٧٢-

العاملين يعزى السبب إلى تفانيه في العمل من دون زملائه إلى ميول ونزعات معينة وحالة مزاجية خاصة بعيدا عن أى أسباب موقفية ولكن من الناحية المنطقية قد نتصور أن هناك بعض العناصر المؤثرة في الموقف أدت بالشخص المتميز في عمله إلى دوافع سلوكية تمثلت في العمل المكثف والآداء الماهر ، وفي هذه الحالة لا يعزى « العمل المكثف الماهر » إلى الحالة المزاجية أو العزو الفطري وإنما يعزى أساسا إلى بعض العناصر المتمثلة في الموقف .

التحيز في العزو والخطأ سمة بشرية .

لاشك أن الوقوع في الخطأ من السمات البشرية ومادما نتناول المعلومات بطريقة منطقية عقلانية تعتمد على نظرية العزو التي ترى أن مجريات الأمور والأحداث العالمية تسير بإنسيابية وسهولة ، ولسوء الحظ أنه برغم قيام نظرية العزو بعمليات التنبؤ الدقيقة إلا أن الناس على اختلاف أجناسهم وإتجاهاتهم لا يتناولون معلوماتهم عن الآخرين بأسلوب منطقي وفقما لما تتادى به هذه النظرية « نظرية العزو » .

إن نظرية العزو تقوم أساسا على وفرة المعلومات المتناغمة والثبات والوضوح والتعاسك والرأى الجمعى وهنا تلعب نظرية العزو دورها الحيوى في التنبؤ الدقيق والسليم بسلوك الآخرين « هيوستون Hewstone ، جاسبرز Jaspers ، ١٩٨٧ » هذا وقد أثبتت البحوث بأن هناك محاباة وتحيز في طريقة التعامل مع الأشياء والأشخاص المعزوة « المسببة للسلوك » ومن حالات التحيز للأشياء والأشخاص نسوق الأمثلة الآتية :

التحيز الأساسى للعزو .

إن من أكثر عمليات التحيز يتمثل في قيام معظم الناس بعزو سلوك الآخرين إلى عوامل وأسباب مزاجية ترتبط بالنزعات والميول الشخصية ، وقد يعزو بعض الناس السبب في سلوكهم إلى « العوامل الموقفية » وعلى سبيل المثال : عند

-٢٧٣-

تحليل بعض المقالات الصحفية المتعلقة بشئون القراء فى الصحف والمجلات مثل : «إسألونى» أو «طبيب القلب» أو «كل عقدة ولها حلال» نجد أن الكتاب يعمدون إلى عزو المشكلة أو إرجاعها بشأن مشاكلهم الخاصة إلى عوامل موقفية بينما ترجع مشاكل القراء إلى أسباب أساسها ومهادها عوامل قظرية وميول ونزعات شخصية .

هذا وعند دراسة سلوكنا الشخصى فإننا نهتم ونركز على جانب التغيرات البيئية والعوامل الموقفية أى إننا نفسر الأشياء بعزوها إلى العوامل والعناصر المرتبطة بالموقف إن هذا التحيز يحدو بنا نحو إيجاد مبررات فى حالة مجابهتها لإخفاق أو عجز يحاصرنا أثناء موقف عصيب نعيشه ومحاولة التخفيف من حجم المشكلة وكسر حدتها بأن نتعلل ببعض الظروف المخففة والعوامل المطلقة .

أثر الهالة.

وهى عبارة عن تأثير الشخص فى تقييمه للآخرين بشعوره الشخصى وليس على أساس الإعتبارات الموضوعية . وأثر «الهالة The halo Effect» ماهى إلا ظاهرة تجعلنا نضفى بعض الصفات الطيبة إلى الصفات الأخرى لدى شخص ماثل أمامنا ، وقد تكون فكرتنا عن هذا الشخص فكرة مبدئية ويتسم بالذكاء والإخلاص والوضوح وتأتى بعد ذلك لنضيف بعض الصفات الأخرى التى لا وجود لها لدى الشخص المذكور «كوبر Cooper ، ١٩٨١» ويتكرر نفس الموقف وتنقلب الأوضاع رأسا على عقب إذا ما أضفنا بعض السمات والصفات السيئة واستعرضنا بعض المثالب والعيوب وألصقناها بالشخص .

ويعزى أثر الهالة عندما نعتقد فى بعض نظريات الشخصية التى تعكس أفكارنا ومفاهيمنا واتجاهاتنا المرتبطة بسمات الشخصية التى تتبلور فى شخصية الأفراد ، أن طريقة فهمنا للعالم وما يحدث من حولنا قد تكون خاطئة لعدم موانة تطبيق هذه النظرية على بعض الأفراد حيث أن كثيرا من الناس لا تتوفر فى شخصياتهم جميع السمات أو الصفات الأساسية الإيجابية كما لا تتوفر لديهم أيضا كل الصفات السيئة ولكن الأمر فى النهاية يتضمن «معيارا وسطيا» وأن الناس على إختلاف أجناسهم واتجاهاتهم وقيمهم يجمعون صفات وسمات من هنا وهناك

ولديهم من السمات الغث والسمين والمستحسن والمستهجن والجميل والقيبح .

التحيز المتشابهة افتراضيا :

إذا اعتقدت بأن شخصية الآخرين تتشابه إلي حد كبير مع شخصيتك ، فإن التأثير الناتج عن ذلك سيجعل توجهاتك تأخذ مسارا نحو إتجاه معين بسبب التشابه القائم بينك وبين أصدقائك ومعارفك من ناحية الآراء والأفكار والاتجاهات والأشياء المستحسنة والأشياء المستهجنة حيث أن معظم الناس يعتقد بأن الأصدقاء والزملاء يتشابهون معهم بدرجة كبيرة .

إن الشعور الذي يدفع المرء نحو الاعتقاد في تشابه شخصية الآخرين مع شخصيته ماهو إلا ميل واعتقاد عام نطلق عليه التحيز القائم على « التشابه المفترض Assumed - Similarity Bias » إى التحيز المتشابهة افتراضيا أو المحاباة المعتمدة على التشابه المفترض ، إنك تفكر في الآخرين المقربين لك من وجهة النظر القائمة على أساس تشابه هؤلاء الناس مع الآخرين مع شخصيتك حتى عندما تلتقى بهم لأول مرة « روس Ross ، جرين Greene ، هاوس House ، ١٩٧٧ ، هوخ Hoch ، ١٩٨٧ ، ماركس Marks ، ميلر Miller ، ١٩٨٧ » وإذا كان هؤلاء الآخرون مختلفين عنا فإن التمييز أو المحاباة المعتمدة على التشابه المفترض ستؤدي إلى إتخاذ عمليات تقييم غير دقيقة حيث أن الصورة التي ترسمها للشخص الآخر لاتتواءم عنه أى معلومات إنها في واقع الأمر صورة خاصة بنا ووقف علينا وحدنا وتعكس الطريقة التي نرى بها أنفسنا .

نظرية إدراك الذات وفهمنا لسلوكنا الخاص -

إن نظرية التحيز للأشياء الأساسية المعزوة « المنسوبة » لنا تفسر بعض النقاط المرتبطة بعملية العزو والناس لا ينسبون فقط بعض الأشياء أو الصفات للآخرين ، وإنما يقومون أيضا بملاحظة ومراقبة سلوكهم الخاص وينسبون الأشياء للآخرين على أساس إقدامهم على فعله ، هذا وترى نظرية إدراك الذات إنه عندما تصبح « الإشارات الموقفية Situational Cues » ضعيفة نتيجة عدم توفر الخبرات السابقة أو المعلومات المتاحة ، فإن الشخص سوف ينظر إلى سلوكه الخاص

ويعتمد عليه اعتمادا كليا فيما ينسبه أو يعزوه للآخرين مثال ذلك : إذا طلب منك بعض الزملاء بالكلية القيام بالدعاية والأعلان عن إحدى المسرحيات بنادى الدراما فى الجامعة فقد تشعر بالسعادة فى بادئ الأمر لثقة الزملاء بقيامك بهذا العمل الذى أنت أهل له ، وبعد فترة من الوقت قد تشعر بأنه ليس لديك متسعا من الوقت نظرا لإنشغالك بالبحث العلمى والدراسة المكثفة ، وهنا تخبر الزملاء بأنك سوف ترد عليهم بشأن هذا الموضوع فى خلال بضعة أيام وقد تمر الأيام دون أن تجد لديك الوقت الذى يسمح لك بالاتصال بهم وبالتالى لا يمكنك إتخاذ قرار حاسم فى هذا الشأن ، ما السبب فى عدم إتخاذ القرار الحاسم ؟ إنك فى النهاية تصل إلى إستنتاج مؤداه أنك غير متحمس لهذا الموضوع ولست راغبا فى هذه الوظيفة وتتخذ قرارا لا رجعة فيه ، إنه قرار قائم على : نظرية « إدراك الذات Self - Perception Theory » ، إن التردد فى عملية إتخاذ القرار فى هذا الموضوع معناه « إنعدام الدافع النفسى » الذى أدى بدوره إلى عدم الرغبة فى الإشتراك فى حملة الدعاية المطلوبة لمسرحية الكلية ، إنك بهذه الطريقة تبدو كما لو كنت تقوم بملاحظة نفسك من الخارج على فرض أنك تعتمد على سلوكك الخاص .

وترى نظرية إدراك الذات أن الناس يعتمدون أساسا على أساليب وأنماط معينة يستخدمونها فى تفسير الأحداث التى تطرأ على حياتهم ، مثال ذلك أن العوامل المرتبطة بالطبقة الإجتماعية فى المجتمع الإنسانى مع إختلاف الأجناس أو السلالات سواء من الأفارقة أو البيض ، كل هذه العوامل تلعب دورها الخطير فى نوعية الأشياء التى تنسب للآخرين فالأفارقة المقيمين بأمريكا لا ينسبون الأشياء التى تحدث لهم للعوامل أو العناصر الداخلية على عكس البيض ، فالأطفال الأفارقة فى أمريكا يشعرون بأن نجاحهم فى العمل أو الدراسة يعتمد على قدر الصعوبة الكامنة فى المهام التى يؤدونها كما أن بشرتهم السوداء هى سبب اعتمادهم بدرجة كبيرة على الحظ بدلا من المجهود المبذول فى العمل ويعزى ذلك إلى التمييز العنصرى لدى الكبار والصغار ، وعلى العكس من ذلك فإن الأطفال البيض يرجعون سبب نجاحهم فى الحياة أو الدراسة إلى القدرات العقلية ومقدار المجهود المبذول أى أنهم ينسبون النجاح إلى العوامل والعناصر الداخلية « كاتز Katz ، ١٩٦٧ ، فرند friend ، نيل Neale ، ١٩٧٢ » .

إن الشخص الذى ينسب أو يعزو النجاح إلى العناصر والعوامل الخارجية ما هو إلا شخص يقلل من شعوره بالمسئولية الشخصية عن النجاح والإخفاق ، وتكمن أهمية الأسباب الخارجية فى مشكلة التكيف ، بينما الشخص الذى يعزو النجاح إلى العوامل الداخلية فإنه يؤمن بأهمية تغيير السلوك المتمثل فى بذل المزيد من الجهد بهدف الوصول إلى النجاح « جراهام Graham ، ١٩٩٠ » .

هذا وينسب الأفراد فى القوميات المختلفة ، أنماط السلوك بطرق متباينة فطلاب الصين واليابان ينسبون ما تحقق لهم من نجاح وما أحرزوه من مكاسب إلى الجهود المبذولة حيث أن هذه الجهود يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها ، وإنهم يعتمدون على بذل الجهود الشاقة أكثر من إعتمادهم على القدرات العقلية حيث أن هذه القدرات من العوامل التى لا يمكن السيطرة عليها أو التحكم فيها .

أما عن الطلاب الأمريكيين فهم يركزون على أهمية القدرات ويقللون من شأن أهمية الجهود المبذولة « هولواى Holloway ، ١٩٨٨ ، هيس Hess ، شيه ماى Chih - Mei ، ماك ديفيت Mc Devitt ، ١٩٨٧ » ، إن مثل هذه التباينات والإختلافات « الفروق الفردية » فى الأنماط المعزوة « المنسوبة » قد تكون ناجمة عن إرتفاع مستوى الإنجاز لدى الطلاب الآسيويين حيث يتميزون عادة بمستوى أداء رفيع عن زملائهم الطلاب الأمريكيين وذلك عند عقد مقارنة علي المستوى الدولى لإنجاز الطالب الجامعى ، ولما كان الطلاب الصينيون واليابانيون يرجعون السبب فى التفوق الأكاديمى إلى الجهود المبذولة فى الدراسة فقد كان لهم قصب السبق فى العمل الأكاديمى المنظم والدقيق ومن ثم فقد تفوقوا علي الطلاب الأمريكيين الذى يعتقدون في أهمية القدرات العقلية الكامنة فى تحديد مستوى الأداء .

الفصل الحادي عشر

المؤثرات الاجتماعية والسلوك.

الفصل الحادى عشر

المؤثرات الاجتماعية والسلوك .

- * المسايـرة وإتباع سلوك الآخرين .
- * خصائص الجماعة .
- * إجماع آراء الجماعة .
- * الفروق الجنسية فى المسايـرة بين الوهم والحقيقة .
- * الطاعة المباشرة .
- * الثبات على المبدأ .
- * الجاذبية الشخصية .
- * أسباب إضمحلال العلاقات الاجتماعية .
- * العدوانية والسلوك الاجتماعى المرغوب .
- * مظاهر العدوان فى وسائل الإعلام .

المؤثرات الاجتماعية والسلوك.

تعلمنا من « لغتنا العربية الجميلة » ومن تراثها وأمثلتها الخالدة مقولة أدبية مؤداها « جارهم ما دمت في دارهم » وهي تقابل ما يتردد في اللغة الإنجليزية من قولهم : « When in Rome do as Romans do » أى عندما تتواجد فى روما تصرف كأهل روما ، وعملية التأثير الاجتماعى تهدف أساسا إلى مواجهة الشخص بقدر من الضغوط الاجتماعية تجعله يتصرف أو يسلك فى موقف معين طبقا لسلوك الآخرين ، وتدفعنا الضغوط دفعا نحو الإتفاق أو التنافر لإحداث بعض التغييرات فى السلوك وهذا بدوره يحدو بنا نحو الدخول فى مجال التأثير الاجتماعى ودراسة عناصره ومكوناته .

إن التأثير الاجتماعى هو أحد مجالات « علم النفس الاجتماعى » ويشمل ثلاثة أنواع رئيسية من عناصره وهى : المسايرة ، والقبول ، والطاعة .

المسايرة وإتباع سلوك الآخرين .

نقصد « بالمسايرة Conformity » عملية تغيير فى السلوك أو الإتجاهات الاجتماعية الناتجة عن الرغبة الصادقة للشخص فى إتباع المعتقدات أو المعايير الخاصة بالآخرين ، إن أول دراسة كلاسيكية إيضاحية للإمتثال « للمسايرة » قد بدت بسلسلة من التجارب التى أجريت خلال الخمسينات من هذا القرن وقد أجراها « سولمون آش Solomon Asch » على مجموعة من ستة أشخاص يشتركون فى « إختبار المهارات الإدراكية » .

والواقع إن هدف التجربة لم يكن لدراسة أو بحث المهارات الإدراكية وإنما كان هدف التجربة الأصيل هو «دراسة مدى مسايرة الشخص الآخر» وهو السابع مع الأفراد الستة الآخرين بمعنى أن هذا الشخص السابع رغم إعتقاده بأنه كان يقدم الحلول الصحيحة فى التجربة ، إلا أنه كان يقع فى نفس أخطاء مجموعة الأفراد الستة مسايرة منه للجماعة وخضوعا لضغوطها الاجتماعية ، ومنذ دراسة « آش » الرائدة فى هذا المجال مجال «المسايرة» فقد ظهر بعد ذلك مئات الدراسات التى

-٢٨٠-

بحثت العوامل المؤثرة فى عملية المسائرة فضلا عن المعلومات المتاحة الآن عن هذه الظاهرة « موسكو فتشى Moscovici ، ١٩٨٥ » هذا ومن المتغيرات الهامة التى تمخضت عنها عملية « المسائرة » تلك المتغيرات الآتية :

أولا : خصائص الجماعة :

كلما كانت الجماعة ذات جاذبية أكبر لأعضائها كلما كانت ذات قدرة أكبر فى مسائرة الأعضاء لها ، وكلما إزدادت قدرة الجماعة على فرض عملية « المسائرة » على أعضائها ، كلما إنخفضت مكانة الفرد الإجتماعية ، وكلما إنخفضت رتبة الفرد داخل الجماعة كلما إزداد وتعاضم أوجه التشابه بين الفرد والجماعة وهذا بدوره يؤدى إلى زيادة تأثير الجماعة على سلوك الفرد .

ثانيا : طبيعة إستجابة الفرد :

يرتفع مستوى « المسائرة » لدى الناس عندما يتعين عليهم إتخاذ رد فعل أو إستجابة على رأى ومسمع من الجماهير ، بينما ينخفض مستوى « المسائرة » عندما تتاح للأفراد فرصة تقديم الإجابة فى سرية تامة ، ولذلك فإنه فى أثناء إجراء الإنتخابات يتقدم الناخبون بأصواتهم فى سرية تامة أثناء إجراء عملية التصويت أمام صناديق الإنتخاب .

ثالثا : نوعية المهمة المطلوب تنفيذها :

يتعرض الأفراد للكثير من الضغوط الإجتماعية ، إذا كانت بعض المهام أو الأعمال المراد القيام بها غامضة ومعقدة ، فعندما نستطلع آراء أفراد جماعة من الجماعات عن نوعية الثياب أو الملابس « المسائرة » للموضة فسوف نحصل على إجابات مسائرة ومتطابقة مع آراء الجماعة وإذا قلت أو إنخفضت كفاءة المرء عن أداء بعض المهام الخاصة بالجماعة ، فإن ذلك يؤدى بدوره إلى التقليل من إمكانية حدوث « المسائرة » .

رابعا : إجماع آراء الجماعة « Unanimity of group » :

تؤدى ضغوط عملية « المسائرة » فى الجماعة إلى إتفاق الآراء بالإجماع

لآراء تدعيم رأى أو موقف ، وإذا كان ذلك كذلك فما هو موقف أفراد الجماعة المعارضة لآراء الآخرين ويساندونهم أحد الخلفاء فى الجماعة والمعروف باسم السند الإجتماعى Social Supporter الذى يتفق معهم قلبا وقالبا ؟ إن مجرد وجود هذا السند الإجتماعى الذى يدعم وجهة النظر غير المقبولة من الأفراد فإن ذلك كفيل بتخفيض ضغوط عملية « المسايرة » « ليفاين Levine ، ١٩٨٩ » .

والمعروف أن السند الإجتماعى « هو الشخص المشارك لبعض الأفراد فى جماعة ما ، ويؤيد وجهة النظر غير المقبولة شعبيا بالإضافة إلى إتجاه أفراد الجماعة الأخرى ، ولذلك فهو يشجع على أسلوب « المغايرة Nonconformity » ، واختلاف الآراء وعدم « المسايرة » .

الفروق الجنسية فى المسايرة بين الوهم والحقيقة .

ونتساءل فى هذا المجال : هل النساء أكثر مسايرة وطواعية عن الرجال ؟ للإجابة على هذا السؤال نلاحظ أن المرأة صارت تتأرجح مرة إلى الورا وأخرى إلى الأمام وذلك إبان العقدین الأخيرین ، منذ سنوات عديدة كان رأى السائد بأن النساء أكثر مسايرة من الرجال ، وظل هذا الرأى معروفا ومتفقاً عليه من الجميع حتى أواخر السبعينات من هذا القرن « آلان Allen ، ١٩٦٥ » وبعد ذلك ظهرت حقيقة علمية أكيدة تشير بأن التباين القائم بين درجة تأثر ومسايرة الرجال ودرجة تأثر ومسايرة النساء ماهو إلا تباين واختلاف ظاهرى أكثر منه حقيقى ، فعلى سبيل المثال ظهر أن المهام والموضوعات المستخدمة فى تجارب عملية المسايرة كانت غالبا مألوفة ومعروفة للرجال أكثر من النساء .

إن عدم الألفة قد أدت بالنساء إلى أن يصبحن أكثر مسايرة وذلك بسبب مشاعرهن التى تفتقر إلى الخبرة والممارسة والمهارة وليس بسبب أى ضغوط أو ميول داخلية أو عوامل فطرية « إيجلى Eagly ، كارلى Carly ، ١٩٨١ » هذا ومازال الجدل محتدما حول عملية المسايرة لدى الرجال والنساء حيث تشابكت وجهات النظر وعاد بنا العلماء إلى الإستنتاج القديم القائل بأن النساء أكثر مسايرة وطواعية عن الرجال وأن الميل نحو عملية المسايرة من جانبهن يصبح مستقلا نسبيا عن المهام أو

الموضوعات التي يتم تنفيذها « إيجلى Eagly ، ١٩٨٩ » ومن الأسباب التي تدفع بالنساء إلى المسايرة ، القيام بعمل ما هو متوقع منهن من الناحية الاجتماعية وإيحاء المجتمع إليهن بأن يصبحن أكثر إنسجاما مع الآخرين بالمقارنة بالرجال ، كما أن النساء - أيضا - أكثر تعرضا للمؤثرات الاجتماعية أكثر من الرجال ومازالت النتائج فى هذا الموضوع متأرجحة ومعلقة .

القبول والخضوع للضغوط الاجتماعية المباشرة .

عندما نناقش عملية المسايرة فإن ذلك لايعني أننا نخضع للأمر المباشر أو لنقدر من الضغوط الاجتماعية وإنما ذلك يهدف أولا وقبل كل شئ إلى دفع الشخص إلى إتخاذ مسلك معين بطريقة معينة فى موقف معين ، ويطلق علماء النفس الاجتماعى على نمط السلوك الذى يبدو كاستجابة للضغوط الاجتماعية اسم « القبول والخضوع للضغوط الاجتماعية » .

طريقة التعامل قرب الأعتاب تمهيدا للدخول من الباب .

ومضمون هذه الطريقة يكمن فى تطور المطلب الصغير حتى يتحول إلى مطلب كبير مثال ذلك : ير أحد البائعين ببابك ويعطيك عينة من بضاعته فتقبلها شاكرا لأنك لن تخسر شيئا وبعد فترة قصيرة من الوقت يمر عليك مرة أخرى بهدف مطلب أكبر وشراء كمية أكثر من بضاعته وهنا تجد نفسك فى موقف الحائر المتردد لأن من وافق على قبول المطلب الصغير عليه أن يقبل مضطرا المطلب الكبير .

إن ظاهرة « من الأعتاب إلى الأبواب » كانت حصيلة دراسة أجراها جماعة من الباحثين راحوا يطرقون الأبواب بهدف توقيع السكان على إستمارة وشكوى إلى المسئولين بالحكومة للمطالبة بسن قوانين جديدة لتحقيق الإنضباط فى الشارع وتوفير سبل الأمن والأمان أثناء قيادة السيارات « فريدمان Freedman ، فريزر Fraser ، ١٩٦٦ » وبعد تحقيق هذا المطلب البسيط من جانب الحكومة للمواطنين طالب معظم السكان السماح لهم من المسئولين بوضع لافتة كبيرة وبعض اللوحات الإرشادية لسائقي السيارات تحثهم على تهدئة السرعة والسير ببطء أمام المدارس

-٢٨٣-

الحداثق حرصا على الأطفال وهنا نجد أن نسبة الإستجابة أو القبول للمطالب لكبيرة لدى بعض الناس تصبح منخفضة إذا لم يتعرض بعض الأفراد من هؤلاء لناس للمطالب الصغيرة « بيمن Beaman ، ١٩٨٣ » .

إن إشترك الفرد فى المطالب الصغيرة تجعله أكثر إلتما بعد ذلك وقبولا لأى طالب أخرى فيما بعد ، ويرجع السبب فى حدوث هذه الظاهرة وفاعلية هذا لأسلوب إلى الإدراك الحسى الذاتى والملاحظة الذاتية « ديلارد Dillard ١٩٩١ » .

طريقة فتح الأبواب للحصول على السراب .

وتعتمد هذه الطريقة على تقديم مطلب كبير ثم التقدم بعد ذلك بطلب صغير ، فقد يأتى أحدهم طالبا منك أن تقرضه مائة جنيهها مصريا ، فترفض طلبه لأن المبلغ غير متوفر معك الآن مثلا ثم يبدأ هذا الشخص فى المساومة والإلحاح فى طلبه حتى يصل المبلغ المطلوب إلى عشرة جنيهات فقط-إن الغالبية العظمى من الناس - فى مثل هذه الحالات - قد تبدى قدرا كبيرا من القبول والخضوع فى حالة إقراض الآخرين مبلغا بسيطا بعكس طلب المبلغ الكبير والواقع أن هذه الطريقة تقوم على إستراتيجية تختلف تماما مع الطريقة السابقة التى تعرف باسم « طريقة التعامل قرب الأعتاب » .

وخلاصة القول ان الناس على إختلاف إتجاهاتهم وثقافتهم يستجيبون بطريقة مرنة ويسيرة للمطالب الصغيرة وهذا من ناحية كما يرغبون فى المحافظة على مظاهر شخصيتهم أمام الآخرين وهذا من ناحية أخرى ويرجع أثر هذه الإجراءات وأهميتها فى أن كلا من الطرفين يقدمان تنازلات ليصل الأمر فى النهاية إلى حل وسط بعد الإقتال من حجم المطلب .

الطاعة ، مطاوعة الأوامر المباشرة .

يقوم بعض الناس بإستخدام أساليب المطاوعة والمرونة بهدف التوصل إلى إتفاق مع الطرف الآخر حيث أن أساليب الإمتثال للأوامر تؤدى بالطرف الآخر إلى

الإستجابة للمطلب بطريقة ودية وسريعة وفى بعض المواقف الأخرى يتعين على الشخص أن يمتثل للأوامر الصادرة من السلطة مثلاً أو من الإدارة فى العمل أو أصحاب النفوذ وعادة ما تكون هذه الحالات من الإمتثال والإذعان أقل شيوعاً من عملية الإستجابة بطريقة المطاوعة العادية .

هذا وقد أجريت بعض التجارب العلمية فى مجال عملية المطاوعة والإذعان ومنها على سبيل المثال تجربة « جهاز الصدمات الكهربائية » وإصدار بعض الأوامر لعدد من الأشخاص بتشغيله عليهم ، وبعد تنفيذ الأوامر كان هناك شخص يجلس فى الجهة المقابلة للجهاز وقام بتمثيل دور المتضرر الذى أصابه ألم شديد من شحنة كهربائية عالية ، والحقيقة أنه لم يصب بأذى سوء على الإطلاق هذا وقد إستجاب بعض الأفراد للأوامر لأنهم توقعوا أن إلقاء اللوم كله سيوجه إلى صاحب التجربة الذى قام بتشغيل الجهاز ، والواقع أنه قد أثبتت بعض التساؤلات الأخلاقية المرتبطة بطريقة إجراء هذه التجربة الخاصة بتمثيل عملية الطاعة والإمتثال للأوامر ومقارنة حقائق إجراء التجربة والسلوك الواقعى للأفراد ، إن أوجه هذه المقارنة قد تشير بعض المخاوف حيث أن إطاعة الأوامر الصادرة من السلطات تعتبر واجبة النفاذ وضرورة حتمية للطاعة العمياء ، مثال ذلك أن ضباط هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية قد قاموا بتبرير موقفهم وسلوكهم وأفعالهم بالقول بأنهم كانوا ينفذون الأوامر .

وهكذا رأينا كيف يصبح الناس عرضة لتأثيرات الآخرين سواء كانت المؤثرات غير مباشرة نسبياً مثل الضغوط الذاتية المؤدية إلى الطاعة والإذعان والخضوع. وقد تكون التأثيرات مباشرة من خلال أوامر واضحة وكيف يمكن للشخص أن يحافظ على الإستقلالية فى مواجهة هذه النوعيات من الضغوط ؟ إن نظريات علم النفس الإجتماعى وبحوثه التى أجريت فى هذا المجال توحى إلينا بإمكانية إستخدام بعض الأساليب التى تساعد الفرد على المحافظة على درجة تمسكه بوجهة نظره الخاصة به . مثال ذلك « التطعيم » فالفرد قد يحصل على التطعيم تجنباً من الإصابة ببعض الأمراض حيث أن اللقاح يحتوي على جرعة بسيطة من الجراثيم التى تجعل الجسم يقوم بإفراز الأجسام المضادة التى تتصدى بدورها لأى غزو تقوم به الجراثيم مستقبلاً إذا ما تعرض الفرد لأى مرض وبائى وعلى نفس المنوال ، يمكن الحفاظ

على إستقلالية الأفراد فى آرائهم وإتجاهاتهم وحمايتهم من محاولات الإقناع المشبوهة والمغرضة التى تحدث لهم فيما بعد بتعرض هؤلاء الأفراد لعينة من المناقشات المضادة التى تصادفهم فى المستقبل بالإضافة إلى تزويد هؤلاء الأفراد بالمعلومات الضرورية لدحض هذه المناقشات الخاوية تجنباً ووقاية لهم من المخاطر والمحاذير .

وإذا كانت موضوعات الإقناع لأى فرد هامة بسبب التأثير الإجتماعى ووفرة المعلومات عن رسالة ما ، فإن مجرد إخباره بأن هذه الرسالة فى طريقها إليه فلاشك أن ذلك يؤدى به نحو الإقلال من إمكانية حدوث تغير فى الإتجاهات الفكرية لدى الفرد ، ويعزى ذلك إلى أن الناس عندما يتلقون معلومات مضادة لإتجاهاتهم الفكرية ، فإنهم يميلون عندئذ إلى تعديل وتطوير سلوكهم وتكوين مناقشات جديدة خاصة بهم بهدف تدعيم إتجاهاتهم الفكرية الأصلية .

الثبات على المبدأ .

إن عملية الثبات على المبدأ التى تتسم بالتناغم والتماسك مع الفرد وغيره من الأفراد تلعب دوراً مؤثراً فى الإقلال من قدرة الخصم على الإقناع بوجهة النظر المضادة وإحداث تغير فى الإتجاه الفكرى للفرد القائم بعملية الإقناع ، وفى مثل هذه الظروف نجد أن غالبية من الناس يصيح لها تأثيراً ونفوذاً على بعض الأقلية منهم بيد أن ثبات الأقلية على وجهة نظرها قد يؤدى فى واقع الأمر إلى إحداث تغير فى الإتجاهات الفكرية الخاصة بأعضاء الغالبية العظمى « كلارك Clark ، ماآز Maass ، ١٩٩٠ » وكلما قامت الأقلية بتكرار وجهة نظرها دون كلل أو ملل فإن الغالبية تعيد التفكير فى موقفها ، وقد يؤدى ذلك إلى غلبة وهيمنة الأقلية وتمكنها من إقناع الغالبية بأن الأقلية على حق ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة والله غالب على أمره .

هذا وفى عام ١٩٨٠ قام عالم النفس الإجتماعى « إدوين هولاندر Edwin Hollander » بوضع نفسه فى مثل المواقف التى يجد فيها ذاته فى مواجهة مجموعات تحاول فيها الأقلية المحافظة على الإستقلالية الخاصة بها فى مواجهة

الموقف الذى إتخذته الأغلبية ، ويرى « إدوين هولاند » أن الأفراد فى بداية الأمر يتعين عليهم أن يخضعوا ويمثلوا للأمر ويكيفوا أنفسهم إستعدادا للعمل طبقا لوجهات نظر الآخرين وبعد أن يحرزوا مكانة مرموقة فى الجماعة بكفاءة وإقتدار يشعرون فى إتخاذ سلوكيات مستقلة وإعتناق أفكار وآراء ووجهات نظر وإتجاهات فكرية مستقلة وطبقا لنظرية « إدوين هولاند » فإنه من الأفضل أن يقوم الأفراد بالإمتثال والخضوع لآراء الآخرين فى بداية الأمر بدلا من التمسك برأى خاص يختلف عن آراء الآخرين ويقوموا بعد ذلك بوضع إستراتيجية خاصة ذات منظومة يندرج تحت لواءها : الولاء والإخلاص والتصديق والإيمان ، ودفع الآراء الخاصة بالأقلية وعرضها علي الأغلبية .

الحب والتشابه : الجاذبية البيئشخصية وتنمية العلاقات الإنسانية .

كتبت الشاعرة الأمريكية فى القرن التاسع عشر « إليزابيث باريت براوننج Elizabeth Barrett Browning » كتبت تقول فى إحدى قصائدها : « كيف أحبك ؟ دعنى أحصى لك الوسائل والأسباب How do I love thee ? let me count the ways » كما أن نفس هذه المشاعر الجميلة والأحاسيس المرفهة قد صاغها شعرا بعض الشعراء والشاعرات المصريات والعرب من أمثال : أمير القوافى شوقى ورامى ، وعلى محمود طه شاعر الجندول والشاعرة الإسلامية عليّة الجعار وملك عبد العزيز والشاعرة العراقية المعاصرة نازك الملائكة ، إن أشعار أولاء وهؤلاء يعبر تماما عن المشاعر والأحاسيس المعبرة عن موضوعات أساسية بالنسبة لنا كبشر فى حياتنا اليومية ، ولقد إهتم علماء النفس بوجه عام وعلم النفس الإجتماعي بوجه خاص بمسألة المشاعر والأحاسيس وقدموا لنا أبحاثا فى مجال الحب والكراهية ويندرج هذا الموضوع تحت أنساق « الجاذبية البيئشخصية Interpersonal Attraction » التى تساعد على تكوين مشاعر إيجابية نحو الآخرين ، من ذلك مثلا : كيف يحدث « التجاذب » بين الغرباء برغم إختلاف اللغة والسلالة والموطن والإتجاهات ؟ يرى المشتغلون بعلم النفس الإجتماعى أن العلاقات الحميمة بين الناس بعامة وبين الغرباء بخاصة تعزى إلى : التقارب فى

الزمان والمكان ، فالأفراد الذين يعيشون فى مكان واحد مثل طلاب المدينة الجامعية يحدث بينهم « تجاذب » فى شكل صداقة أو مودة أو زمالة أو حب ، كما أن قرب مكان السكن من الآخرين يجعلنا نتفاعل معهم ونتصل بهم ونتواصل نحوهم .

هذا ومن العوامل الأخرى التى ترجع إليها « عملية التجاذب » عامل عرض الذات والتعرض للآخرين حيث إن عرض الشخص نفسه مرارا وتكرارا كفيل فى حد ذاته بحدوث حالات « التجاذب بين الأفراد » وقد يكون التعرض أو الكشف عن الذات فى شكل صورة فوتوغرافية أو شريط تسجيل أى فى شكل صوت أو صورة وعن الصوت نقول : يلعب الصوت دورا كبيرا فى عملية التجاذب بين الناس ولاسيما إذا كان على هيئة « مكالمات تليفونية » أو النغم الحالم فى أغنية عاطفية أو نبرات صوت محاضر فى محاضرة علمية ولاغرو فى ذلك فقد عبر عن ذلك أصدق تعبير « أبو العلاء المعرى » حين أنشد قائلا :

ياقومى أذننى لأهل الحى عاشقة . . والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وبالجملة فإن كل هذه العناصر التعبيرية تزيد من إثارة المشاعر الإيجابية بعكس المشاعر السلبية البغيفية التى تؤدى إلى التنافر والكرهية . والعامل الثالث الذى يؤدى إلى عملية التجاذب بين الناس هو عامل التشابه Similarity « وقديما قالوا « إن الطيور على أشكالها تقع » وليس هذا فقط فمن المعروف أيضا أن الأشياء المضادة لبعضها تنجذب لبعضها كالسالب والموجب فى عالم الكهرباء والفراشة تنجذب نحو الضوء الساطع فيحرقها ، وهذا فى علم الحشرات ، كما تزداد وتحدث ظاهرة المد والجزر كحالة جذب بين القمر والبحر فى الليالى القمرية وهذا بلغة « عالم البحار » فى الجغرافيا والطبيعة وغير ذلك من مظاهر الطبيعة فى هذا الكون الرحب الفسيح فإذا كان ذلك كذلك فما بالك بالإنسان خليفة الله على الأرض أليس هو أولى وأحق « بالجماذبية الشنائية » بينه وبين الآخر أو الآخرين وأحق بالحب والمودة والأنين ؟ إن معظمنا كبشر خلقه الله وسواه وجعله فى أحسن تقويم قد تجذبه « الكلمة الطيبة » أو « البسمة الساحرة » أو « النظرة الحانية » أو « نبرة الصوت المميزة » .

وجملة القول أننا نميل إلى من يتشابه معنا فى الاتجاهات الفكرية والقيم والآراء والمعتقدات وسمات الشخصية ، إن كل هذه العوامل تؤدى بالفرد نحو محبة

الشخص الآخر ، وكلما زاد التقارب ماديا ونفسيا بين فردين أو شخصين كلما تعمق الحب والإعزاز بينهما وأصبح الكل فى واحد « كارلى Carli ، جانلى Ganley ، بيريز أوتاي Pierce - Otay ، ١٩٩١ » إننا نميل إلى حب من يبادلنا الحب فتبادل الحب بين الحبيب والمحب ما هو إلا عملية إنصهار بين روحيين ، وحالة « وجد » بين إثنين وتجسيد التشابه فى قلبين لتتحقق إرادة حب الحياة والناس بالتواصل والتفاعل والتجاذب والتعارف طبقا لما جاء فى محكم التنزيل « يأيتها الناس إنا خلقناكم من ذكر وإنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

أما عن العامل الرابع والأخير المؤدى إلى عملية التجاذب فهو ما يعرف باسم « الحاجة إلى التكملة Need complementarity » وإستثناء للقاعدة التى تقول بأن التشابه يرتبط دائما بعملية التجاذب إلا أننا نجد بعض الأزواج المختلفين عن بعضهم البعض فى الإتجاهات الفكرية وسمات الشخصية والإهتمامات الإجتماعية ولكن الحب بينهما قائم لأن كلاهما يعتبر نفسه « مكمل » للشخص الآخر. ويرى علماء النفس الإجتماعى أن إنجذاب شخصية لشخصية أخرى مختلفة عنها تماما ، إنما يعزى ذلك إلى الوفاء بالمتطلبات أو الإحتياجات التى يلبيها الشريك الآخر ومن ثم فإن الشخصية المسيطرة قد تنجذب إلى الشخصية المطيعة الخاضعة ، وعلى النقيض من ذلك فقد تبحث الشخصية الواهنة الضعيفة عن شخصيه مسيطرة قوية بهدف الحاجة إلى التكملة ويكمل أحدهما الآخر .

وهناك فرض ينادى بأن الناس على إختلاف إتجاهاتهم وميولهم ينجذبون نحو الشخص الذى يفى بمطالبهم ويلبى إحتياجاتهم ، ويعرف هذا الفرض باسم « فرض الحاجة إلى التكملة Need - complementarity Hypothesis » وقصد ظهر هذا الفرض لأول مرة عام ١٩٥٠ من خلال الدراسات الكلاسيكية التى أجريت فى أواخر الخمسينات من هذا القرن واكتسب هذا الفرض مصداقية وقتذاك فى بعض النواحي والمجالات الأخرى ، مثال ذلك إن تلاميذ المدارس الإبتدائية المتفوقين أكاديميا يكونون صداقات حميمة مع التلاميذ ذوى المواهب الفنية كالرسم والتصوير والموسيقى لأن الفن يكمل العلم والأخلاق تكمل الدين والإعجاب يكمل الحب وهكذا ، بيد أن الإرتباط القائم بين عملية التجاذب وعملية إشباع الحاجات المكملة لبعضها يعتبر أقل بكثير من الإرتباط القائم بين عملية التجاذب والتشابه ، وهذا

يعنى أن الجاذبية البينشخصية تعتمد إلى حد كبير على أوجه التشابه بين الشخصيات ولا تعتمد كثيرا على مسألة الوفاء بالإحتياجات أو المتطلبات أو فكرة الشخصية المكتملة للآخرى .

الجاذبية الجسمية :

إن المعادلة القائلة بأن الشئ الجميل هو الشئ الحسن هى معادلة حقيقية بالنسبة لمعظم الناس ونتيجة لذلك فإن الأشخاص الذين يتمتعون بشكل جذاب هم أكثر شهرة من الذين لا يتمتعون بهذه الجاذبية فى الهيئة والشكل إذا تساوت جميع العوامل الأخرى .

والواقع أن الإرتباط بين جاذبية الشكل من ناحية والشهرة من ناحية أخرى يتناقض مع القيم الخاصة بمعظم الناس ويبدو ذلك واضحا جليا أثناء مرحلة الطفولة وفترة مدارس الحضانة والتعليم الإبتدائي حيث تعتمد شهرة الطفل على ما يميزه من جمال بدنى وجاذبية فى الشكل ، ويستمر هذا الإرتباط حتى مرحلة البلوغ ، وليس هنالك أدنى شك فى أن الجاذبية الجسمية من ناحية والملاحج الجمالية للشخص من ناحية أخرى تسهم بنصيب وافر فى تكوين الصداقات والعلاقات الطيبة فى الجامعات ، برغم أن أثر هذا العامل يقل تدريجيا بعد ذلك حينما يتعرف كل طرف على الطرف الآخر « هاتفيلد Hatfield ، سبرشر Sprecher ، ١٩٨٦ » .

ومن الأشياء الملاحظة المرتبطة بالجاذبية الجسمية هو إتفاق الناس جميعا على مكونات الجمال إنهم يتفقون بصورة واضحة على ما يفضلونه من ناحية طلعة الوجه البهية وأبعاد الهيئة الجمالية « كنجهام , Cunningham بارى -Bara , bee بايك pike ، ١٩٩٠ » .

وعموما فإن الجاذبية الجسمية تلعب دورا حيويا فى حياتنا المهنية مثال ذلك نقرأ كثيرا فى إعلانات الصحف والمجلات عن شروط بعض الوظائف والمهن ومنها سكرتيرة حسنة المظهر ، ضابط أمن بإحدى الشركات الكبرى ويشترط : أن يكون قوى البنية وفارع الطول حسن المظهر وهكذا ، وتبدأ عناصر التفضيل فى مرحلة مبكرة من العمر فى حياتنا النفسية وبرغم أن الجاذبية الجسمية تمنح صاحبها مميزات كبيرة إلا أن لها - أحيانا - بعض المساوئ وقد يراها البعض بأنها « منحة »

ويراها الآخرون « محنة » بمعنى أن الجمال قد يكون جنابة ووبالا على صاحبه وعقبة كثود فى علاقاته الإجتماعية وحياته المهنية. مثال ذلك أن الأفلام السينمائية المحلية والعالمية زاخرة بالعديد من قصص وروايات الفتيات الجميلات جمالا أخاذ وذات جاذبية أنثوية طاغية وجنى عليهن جمالهن جنابة فادحة ، وليس الأمر قاصرا فقط على النساء والفتيات ولكنه يمتد أيضا إلى الشباب والرجال ، مثال ذلك : جمال سيدنا يوسف بن يعقوب وما سببه له من صراع وعقبات ودخول السجن بسبب زوجة العزيز وجبها له وهيامها به لجمالها المدهش والمعروف، وليست قصة « نصر بن حجاج » فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب ببعيدة أو مجهولة حيث كان أحد الشباب الذى يتمتع بجمال الوجه وتناسق الجسم ، وغزارة شعره كرمز للرجولة ، مما أدى بنساء المدينة أن تفتتن به حبا وشغفا فما كان من عمر إلا أن نفاه خارج المدينة وقاية للنساء من شر هذه الفتنة وحفاظا عليهن. وقد صاغ هذه الحادثة شعرا حافظ إبراهيم شاعر النيل فقال :

جنى الجمال على «نصر» فغريه .: عن المدينة تبكيه ويبكيها
وكم رمت قسما الحسن صاحبها .: وأتعبت قصبت السبق حاويها
وزهرة الروض لولا حسن رونقها .: لما استطالت عليها كف جانيتها

إن المنظر الحسن عند الرجال قد يعطى إنطبعا إيجابيا ، فى مواقع العمل بعكس المرأة الجميلة فى مواقع العمل الإدارية فإن جمالها لايجلب إنطبعا إيجابيا. ويعزى ذلك إلى أن الناس يعتقدون بأن المرأة الجميلة قد أحرزت مكاسب مادية ، وحصلت على مكانها فى العمل عن طريق جاذبيتها الجسمية الأنثوية وجمالها المدهش . « هيلمان Heilman ، ستويك Stopeck ، ١٩٨٥ ، سيكل هارت Schellhardt ، ١٩٩١ » وخلاصة القول أن الجمال والجاذبية يلعبان دورا حيويا فى المواقف الإجتماعية كما يعتبران عنصرا قويا فعلا فى تحديد أنماط الأشخاص الذين نشعر بالتجاذب نحوهم وبالتالي فإن الجمال يؤثر بلا أدنى شك على نوع الحياة الإجتماعية التى يعيشها الناس وعلى تكوين علاقة الصداقة بوجه خاص ، هذا ومن الدراسات التى أجريت فى هذا المجال تلك الدراسة الخاصة بالصفات

الواجب توافرها فى الصديق فقدتم توجيه بعض الأسئلة وتطبيق إستبيان على حوال « ٤٠٠٠ » شخص « أربعون ألف شخص » لمعرفة شروط وأنواع الصداقة والأصدقاء .

وكانت أهم الصفات التى ذكرها المستجيبون لهذا الإستبيان تلك الصفات العشر الآتية مع بيان نسبتها المئوية :

- الثقة وتوفر المصادقية . ٩٠ ٪
- الإخلاص فى التعامل مع الأشخاص . ٨٨ ٪
- العطف والشعور بالناس . ٨٥ ٪
- المجاملة ومساعدة الناس فى المواقف الصعبة . ٨٠ ٪
- الوضوح والصراحة مع نفسه ومع الناس . ٧٨ ٪
- المرح وخفة الظل والإحساس بروح الفكاهة . ٧٦ ٪
- الرغبة فى قضاء وقت ممتع . ٦٥ ٪
- الإستقلالية . ٦٤ ٪
- الجودة فى الحوار المفيد . ٦٢ ٪
- الذكاء . ٥٨ ٪

وبرغم كثرة وتنوع المعلومات عن الوسائل التى تجعل الناس يحبون بعضهم بعضا إلا أن مانعرفه عن الحب يعتبر محدودا لدرجة كبيرة ويعتقد علماء النفس الإجتماعى أن ظاهرة الحب من الظواهر التى يصعب ملاحظتها ودراستها بالطرق العلمية الدقيقة ، ومن ثم حاول هؤلاء العلماء إجراء المزيد والكثير من الدراسات والبحوث فى هذا المجال ، وبدأوا يقارنون بين السمات المميزة للميل والهوى وبين الحب الناضج ، وكانت النتيجة أن الحب لا يعنى القدر الأكبر من درجة الميل ، وإنما يعكس دلالة نفسية وحالة وجدانية من ناحية النوعية والخصائص ، مثال ذلك أن الحب فى مراحله المبكرة يتضمن إستشارة مكثفة وإهتمام كبير متبادل بين الطرفين وخيال خصب وتقلب سريع فى العواطف وكما يقولون « ما سقى القلب قلبا إلا لأنه يتقلب » والتقارب والإعجاب والرغبات والرعاية والعناية والإهتمام .

ويظهر الحب واضحا جليا بين طرفين عند مجابهة الخوف من بعض الأخطار ، وقد يجد أحد الطرفين نفسه فى بعض المواقف التى تجلب له « الإثارة الفسيولوجية » وهنا يدرك الطرفان بأن ذلك يعزى إلى مشاعر الحب وأحاسيسه ، والواقع أن بحوث ودراسات علماء النفس ، قد أكدت أن هناك الكثير والمثير من أنماط وأشكال الحب « فehr ، راسل Russell ، ١٩٩١ » .

هذا وقد إهتدى الباحثون إلى أن هناك نوعين من أنواع الحب هما :
الحب العاطفى الرومانسى ، والحب العائلى الكبير ، ويثل النوع الأول العاطفة المحمومة وحالة من إستغراق وإنهماك الذات والذويان فى الطرف الآخر. وإثارة فسيولوجية عميقة ومكشفة فضلا عن الإهتمام النفسى مع الوفاء بمتطلبات الطرف الآخر

وعلى العكس من ذلك فإن معنى الحب العائلى الكبير ما هو إلا مجموعة عواطف وأحاسيس ومشاعر قوية نحس بها نحو الأشخاص الذين نرتبط بهم إرتباطا قويا أبديا مثل حب الوالدين والأخوة والأخوات والأصدقاء المقربين .

وفى عام ١٩٨٦ قام عالم النفس الإجتماعى « روبرت ستيرنبرج Robert Sternberg » بالفرقة بين أنواع الحب التى تقوم على تصنيف دقيق مؤده أن الحب الصادق يتكون من ثلاثة مكونات أو عناصر أساسية هي :

١ - العنصر الأول :

وهو عنصر الألفة والمودة ويحتوى على دوافع مختلفة مثل الجنس والتقارب الجسمى والرومانسية الحاملة .

٢ - العنصر الثانى :

هو عنصر الهوى والهيام ويتكون من الحوافز الدافعية المرتبطة بالجنس والتقارب الجسمى والإلتصاق الروحى والوجد المحموم وإنعدام الوزن والخيال الشفيف .

٣ - العنصر الثالث :

وهو عنصرا الإلتزام وإتخاذ القرار ، ويشتمل على الإدراك والمعرفة المبدئية من

جانب أحد الأطراف نحو الطرف الآخر ، وبالتالي يبدأ الإحساس بالحاجة إلى الالتزام والإرتباط الشرعى بالطرف الآخر علي المدى الطويل بهدف المحافظة على دوام هذا الحب .

الخصائص الواجب توافرها في الشريك .

قام علماء النفس الإجتماعى فى الآونة الأخيرة بإجراء دراسة بحثية على عشرة آلاف شخص فى أنحاء العالم بهدف تحديد الصفات المرغوبة فى شريك الحياة وأوجه التفضيل المختلفة ، وطبقت الدراسة على مجموعة من الأزواج والزوجات فى كل من : الولايات المتحدة الأمريكية ، والصين ، وجنوب أفريقيا ، وتمخضت الدراسة عن أن الاختلافات وأوجه التفضيل تعتمد كثيرا على الثقافة والجنس « النوع » .

ففى الولايات المتحدة الأمريكية كان الإهتمام يتركز كلية على « الجاذبية المتبادلة فى الحب » أما فى الصين فنجد أن الرجال يهتمون بوضع معايير هامة مرتبطة بالصحة الجيدة ، بينما يهتم النساء بالإستقرار العاطفى والنضج العام . وفى جنوب أفريقيا يهتم الذكور بالإستقرار العاطفى ، أما النساء هناك فتهتم بالشخصية المستقلة المعتمدة على نفسها ، وهناك الكثير من الخصائص الأخرى التى ورد ذكرها فى عينة البحث ومنها : التجاذب المتبادل والشخصية المرحية والميل نحو السرور والثقافة والذكاء و الصحة الجيدة و حب العشرة والإهتمام بالمنزل والأولاد والطموح والقدرة على إدارة المنزل والمكانة الإجتماعية المرموقة والعفة والطهارة ، وخلفيات سياسية مشتركة وخلفيات دينية متشابهة .

أسباب إضمحلال العلاقة الإجتماعية .

فى عام ١٩٨٣ قدم عالم النفس الإجتماعى « جورج ليفنجر George Levinger » نظرية تتعلق بالأسباب الكامنة وراء إنخفاض مستوى العلاقة الإجتماعية وإضمحلالها فوجد أن أهمها يرجع إلى : عدم الإلتزان الإنفعالى من أحد الأطراف أو فقدان السيطرة على الموقف ، وكذلك السلوك المستهجن الذى يعوزه

الدوق والكياسة فضلا عن كثرة النسيان من جانب أحد الأطراف حيث أن هذه الأسباب تعنى عدم المبالاه وضحالة الثقافة وإستخدام الألفاظ السوقية البدائية وعدم الإهتمام بالشريك الآخر. ومن ثم تضطرب العلاقة بين الشريكين وتصاب بالوهن والتشتت والضياح والإغتراب و يأتى بعد ذلك كل طرف فى مهيب العاصفة الزوجية ليبرر أفعاله وأعماله وأنه على حق ، ومن ثم يتدخل بعض الأشخاص الآخرين بين الشريكين لإصلاح ذات البين ولكن الفجوة تتسع والخلافات تتعمق ويحدث فى هذه المرحلة أن يقرر أحد الشريكين بأن الحياة الزوجية لايمكن أن تستمر، ويقول آخر بأن الحياة مستحيلة مع الشريك الثانى ، ويرد الأول قائلا : بأنه لا يستطيع أن يتسامح مع الطرف الآخر على ما حدث منه وفى هذا الموقف إما أن تعود العلاقة سيرتها الأولى ولكن بشئ من الفتور ، وإما أن تنتهي نهاية أخيرة بالإنفصال وينقض السامر ويسدل الستار إيذانا بنهاية الرواية الدرامية ، ولله فى خلقه شئون ! والواقع أن المجتمعات الغربية والأمريكية تتحول فيها العلاقات الزوجية بعد الانفصال الشرعى ، وبعد علاقات الحب تتحول إلى علاقة صداقة مع تبرير الأسباب والعلل الخاصة بأحداث مرحلة النهاية الدرامية وتضميد الجراح وبداية علاقة الصداقة المصحوبة بالإستقلال النفسى والمادى ، والحنين إلى الأيام والليالى الخوالى والبكاء على اللبن المسكوب ! !

العدوانية والسلوك الإجتماعى المرغوب معاملة الناس بين الضرر والمساعدة .

فرق كبير بين إيقاع الأذى والضرر بالناس ، وبين مساعدتهم ومد يد العون لهم فى شدتهم ومحتتهم ، إن حب الناس والحفاظ عليهم والدفاع عنهم وقت المحن أولى وأهم فى الشدائد عن مساعدتهم وقت الرخاء .
وهناك قاعدة فقهية تقول « درء المخاطر مقدم على جلب المنافع » وإذا كانت الطبيعة الإنسانية قائمة على العدوان والعنف والأثانية فما على الإنسان المؤمن ذو الخلق القويم والمحتد النبيل ، إلا أن يدفع الأذى والمضار عن الناس وقت الحاجة وأن يساعدهم فى شئونهم كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، وهناك من الدوافع النفسية

والإنسانية ما تجعل الإنسان يهب لمساعدة الآخرين ومن الدوافع ما يدفع إنسانا آخر إلى ضرر الناس ويهلك الحرث والنسل ويعيث في الأرض فسادا ، وهنا نتساءل : أيهما أنفع للناس ؟ وأيهما أولى بالإحترام والوقار والإجلال ؟ لا شك في أن الإنسان الحرص على أداء مصالح الغير الذى يعيش مشاكلهم ويحس بنفض أوجاعهم ويشاركهم في المسرة والمضرة هو خير لهم . وخير الناس أنفعهم للناس بعكس الإنسان الشرير الذى يتميز « بالسادية » وهى الولع والإحساس باللذة والسعادة في تعذيب الناس وإرهابهم .

إن تقديم يد المساعدة للناس في التكببات ما هو إلا الجانب المشرق للطبيعة الإنسانية ، كما أن إيقاع الضرر بالناس وقتلهم وسفك دمائهم ، هو الجانب الكئيب القاتم للطبيعة الإنسانية ، وقد حدث هذا كمشال حقيقى حتى في سقوط إحدى العمارات في الآونة الأخيرة ، فمن الناس من هب لنجدة المنكوبين ومساعدة الجرحى والبحث عن أطفال الأسر المفقودة وتقديم الأغذية والأدوية والإسعافات الأولية والباططين والملابس وهذا هو الوجه المشرق الجميل لطبيعة الإنسان الذى خلقه الله في أحسن تقويم ، وفي هذا الموقف كان هناك إنسان آخر يسرق أمتعة المفقودين وهذا هو الوجه الأسود القاتم القبيح لطبيعة الإنسان الآخر الذى قال فيه الحق في قرآنه العظيم : « ثم رددناه أسفل سافلين » .

هذا وقد نذر علماء النفس الإجتماعي أنفسهم من أجل دراسة وبحث حالات التشاؤم والسلبية والأناية والإتكالية والعدوانية في المجتمعات الإنسانية بعامة ، والجماعات السلالية والأقليات العرقية بخاصة، ووجدوا أن كل هذه الأمراض الإجتماعية التى إجتاحت الإنسانية جمعاء كوياء منتشرة ولهييب مستعر كان سببها إفرازات مجتمعية سامة أفرزتها النظم السياسية والإقتصادية المعاصرة التى تتغير كل بضعة أعوام تقريبا وأقصاها كل عشر سنوات وكانت النتيجة : الحروب المحلية والصراعات الأيدولوجية والنزاعات الحدودية بين بعض الدول وجيرانها ، المجاعات الإقليمية وموجات الهجرة الداخلية والخارجية وزيادة أعداد اللاجئين والأسرى والمفقودين وزيادة تصحر الأراضى الزراعية بسبب اضطراب الأحوال الجوية نتيجة إتساع فجوة في طبقة الأوزون وتلوث البيئة الطبيعية والأنهار والبحار نتيجة إلقاء ودفن النفايات النووية دون أدنى إعتبار لحساب حدود المياه الإقليمية للدول المضارة

والتلوث السمعى نتيجة الزحام والضجيج وأصوات مكبرات الصوت وهدير الآلات والمعدات فى الورش والمصانع وآلات تنبيه السيارات والإستخدام غير الأمثل لأجهزة الإعلام المسموعة ، وما حدث مؤخرا لأجهزة شبكات « الأنترنت » من خدش الحياء والفوضى الأخلاقية .

إن هذا قليل من كثير فلماذا لا تصاب المجتمعات الإنسانية بمثل هذه الأمراض الإجتماعية ؟ وأخرى عضوية معاصرة مثل :

الإيدز والفشل الكلوى واللوكميا « سرطان الدم » وأمراض الكبد الوبائى وسرطان الجلد وأمراض الجهاز الهضمى وثالثة نفسجسمية « سيكوسوماتية » مثل : قرحة الإثنى عشر والمعدة والصداع النصفى والإسهال والإمساك المزمن والأمراض الجلدية والذبحة الصدرية والأزمات القلبية والفئة الرابعة من الأمراض العصرية تكمن فى الإكتئاب والقلق والهوس والهستريا التحولية والهلاوس السمعية والبصرية وأخيرا إنفصام الشخصية ، وهناك نوع خامس من هذه الأمراض والإضطرابات هو « الإدمان » بكل صوره على مستوى العالم الحديث إدمان المسكرات والمخدرات على إختلاف أشكالها وهنا وقعت الواقعة وحدثت الطامة الكبرى فى معظم المجتمعات الإنسانية الصناعية والمتقدمة والنامية .

ويرى كاتب هذه السطور - حقا وصدقاً - أن فارس هذه اللعبة المدمرة للإنسان والإنسانية هو « مهرجان السيرك العالمى » « والمخرج السينمائى الدولى » من هو ؟ إنه « النظام العالمى الجديد » أو إن شئت فقل « الصراع الإيديولوجى الشديد » . ونعنى بمصطلح العدوان إلحاق الأذى بالغير لفظيا أو بدنيا عن إصرار وعمد ، فإذا قلنا بأن المغتصب شخص عدوانى فلا نعى مثلا الطبيب الذى يعالج مرضاه جراحيا مع إستخدام المخدر المطلوب ووجود الألم لدى المريض بعد إجراء العملية الجراحية ،

ويفسر علماء النفس والإجتماع العدوان من منظور المقاصد الكامنة وراء السلوك البشرى فإذا كانت المقاصد الكامنة وراء السلوك منطوية على إلحاق الأذى المتعمد بالآخرين ، فإن ذلك يعتبر عدوانا ومن ثم فالمغتصب عدوانى ، والطبيب يمنع الألم ويطبب ويداوى ! !

مسالك الغريزة: العدوان كعملية تنفيس .

إن نظريات الغرائز ترى بأن العدوانية كامنة في الإنسان ، حيث أن العدوان صفة متأصلة وفطرية فيه ويرى بعض علماء الحيوان الذين تخصصوا في دراسة طباع الحيوان إن الإنسان مثل بعض فصائل الحيوانات لديه غريزة القتال والتدمير الذي تدفعه إلى إشعال معارك وحروب بين بنى البشر ، وكانت هذه الغريزة تساعد الإنسان البدائي في الأزمنة السحيقة على المحافظة على مصادر الغذاء والتخلص من الأفراد الضعفاء .

والواقع أن نظرية « كونراد لورنز Konrad lorenz ، ١٩٧٤ » ترى أن الطاقة العدوانية تزداد يوما بعد يوم داخل الإنسان حتى يتم « التنفيس » عنها بإفراح المجال أمام العدوانية للتعبير عن نفسها من خلال هذا « التنفيس ca-tharsis » هذا وكلما زادت فترة كبت مشاعر العدوانية كلما زاد حجمها عند عملية التنفيس عن نفسها وترى هذه النظرية أيضا بأنه يتعين على المجتمع إطلاق العنان للغريزة العدوانية لتصريف شحنات العدوان بالمشاركة في الألعاب الرياضية والرحلات الخولية التي يتخللها الجري .

وبرغم أن نظرية « لورنز Lorenz » تنطوي على قدر من المنطق والعقلانية ، إلا أنه ليس هناك دليل علمي قاطع لإثبات صحتها نظرا لصعوبة التوصل إلى أدلة قوية تثبت وجود مستودع للمشاعر العدوانية المكبوتة داخل الإنسان .

كما أن هذه النظرية ترى في النهاية أن الإحباط أو الفشل يؤدي عادة إلى العدوان . وما الإحباط سوى السد المنيع الذي يحول دون تحقيق مآربنا أو أهدافنا أثناء أداء سلوك معين وهناك تعديل لهذه النظرية يرى بأن الإحباط يؤدي إلى ظهور الغضب ، والغضب بدوره يؤدي إلى حالة من الاستعداد للتعامل بعدوانية مع الأشخاص والأشياء كما أنه من المعلوم أن حالات الإحباط تؤدي إلى ظهور قدر محدود من العدوانية الذي يعتمد بدوره على كمية المشاعر السلبية الناجمة عن حالة الإحباط أو الفشل « بيركاوتز Berkowitz ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ » .

وهناك بعض دوافع الإثارة التي تعتبر بمثابة مفاتيح أو إشارات للعدوانية تبدو في شكل ظاهر للعيان مثل تواجد الأسلحة أو السكاكين ، وأحيانا لا توجد

مثل هذه الأسلحة ظاهرة ، حيث تبين من خلال إجراء بعض التجارب على الأفراد الذين فى حالات الغضب الشديد بأنهم يسلكون على نحو من العدوانية بدرجة أكبر عند تواجد سلاح أو بندقية على مقربة منهم بعكس الأفراد الذى يسلكون سلوكا أقل عدوانية وغضبا فى مواقف ومواقف ليس بها أسلحة على الإطلاق .

وفى تجربة أخرى تم عرض فيلم سينمائي على بعض الأفراد الذين يعانون من حالة إحباط ويحتوى الفيلم على مشاهد عديدة من العنف والعدوانية وتم إحضار أحد الأشخاص المشتركين فى التجربة وكان اسمه يتشابه كثيرا من اسم بطل فيلم العنف والعدوانية وتبين بعد ذلك أن الأفراد المصابين بحالات الإحباط وخيبة الأمل والذين كانوا قد شاهدوا فيلم العنف والعدوانية وقد تعاملوا بقدر أكبر من العدوانية نحو ذلك الشخص الذى يتشابه اسمه مع اسم بطل فيلم العنف والعدوان ثم أحضر المجرى بعد ذلك شخصا يختلف اسمه تماما مع بطل الفيلم ، وتعامل معه الأفراد المصابين بالإحباط الشديد بقدر أقل بكثير من العدوانية وذلك لأن اسمه لا يتشابه مع اسم بطل الفيلم السينمائي .

ومن هنا يتبين لنا أن حالة الإحباط تؤدي إلى ظهور العدوانية ولا سيما فى وجود بعض الإشارات التى تشعر الأفراد بإمكانية إتخاذهم المسلك العدوانى فى هذا الموقف «كارلسون Carlson ، ميلر Miller ، ١٩٩٠ » .

والآن مارأيك هل الأعمال والأفعال الآتية تمثل بعض أنماط العدوان أم لا ؟

- ١ - إلتهم العنكبوت ذبابة .
- ٢ - ذئبان يقتتلان بهدف الفوز بقيادة القطيع .
- ٣ - جندي أطلق النار على العدو على خط الجبهة .
- ٤ - حارس السجن ينفذ عقوبة الإعدام فى أحد المجرمين بعد إدانته .
- ٥ - عصابة من الأحداث المنحرفين تهاجم عصابة أخرى .
- ٦ - رجلان يقتتلان للحصول على رغيف خبز .
- ٧ - فتاة تضرب بقدمها صندوق القمامة .
- ٨ - رجل يمثل جريمة قتل ينوى القيام بها .
- ٩ - امرأة شابة تراودها فكرة الإنتقام من خصمها ومن الصعب تحقيق هدفها .
- ١٠ - عضو مجلس الشيوخ لا يعترض على إلقاء القنابل على الآمنين ،

ويدرك بأن ذلك محرم .

- ١١ - أحد المزارعين يذبح دجاجة إستعدادا لطعام الغذاء .
- ١٢ - نباح الكلب عند رؤيته ساعى البريد ولكنه لا يؤذيه .
- ١٣ - إعطاء الطبيب حقنة ضد الأنفلونزا لطفل صغير يصرخ .
- ١٤ - صياد يقتل حيوانا ثم يحتفظ به كغنيمة .
- ١٥ - ملاكم يضرب خصمه ضربة قاضية والدم يسيل من أنف الخصم .
- ١٦ - أحد اللصوص يصاب فى ظهره بطلق نارى أثناء هروبه .
- ١٧ - قطعة تقتل فأرا ثم تجبره على الأرض ثم تتخلص منه .
- ١٨ - أحد الأشخاص يقدم على الإنتحار .

طرق التعلم بالملاحظة وكيفية تعلم إيذاء الآخرين .

يمكننا أن نتعلم العدوانية بالملاحظة ويطلق على تعلم العدوان أو العدوانية بطريقة الملاحظة « عملية التعلم الإجتماعي » وكما أن عملية التعلم عملية مكتسبة فإن العدوانية - أيضا - مكتسبة وإن كان هذا يتعارض تماما مع النظرية القائلة بأن العدوانية من الحالات المتأصلة فى النفس البشرية والتي تعرف باسم « نظرية العدوان بالغريزة » .

إن النظرية القائلة بأن العدوان مكتسب ترجع ذلك الإكتساب إلى العوامل والظروف الإجتماعية والمؤثرات البيئية ومن ثم فإن العدوانية ليست من الأمور الحتمية فى النفس البشرية وإنما هى إستجابة أو رد فعل يتم تعلمه أو إكتسابه ، ومن ثم فإن الأسلوب العدوانى أسلوب إستجابى يخضع لفكرة الثواب والعقاب «باندورا Bandura ، زيلمان Zillman ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٨ » وعلى سبيل المثال قيام الطفلة بضرب أخيها الأصغر سنا بسبب تدمير لعبتها الجديدة .

ترى نظرية العدوان بالغريزة بأن العدوان كان مختزنا فى أعماق الفتاة وقيامها بضرب أخيها الصغير ما هو إلا عملية تنفيس عن العدوانية المختزنة داخلها ، أما نظرية العدوان كنتيجة للإحباط فت ترى هذه النظرية أن إقدام الطفلة بضرب أخيها الصغير إلى شعورها بالإحباط وعدم قدرتها على إستخدام اللعبة الجديدة المكسورة

بينما ترى نظرية « تعلم العدوان بالملاحظة » فى مثال الطفلة واللعبة أن الطفلة لديها بعض الدوافع القديية جعلتها تقبل على السلوك العدوانى نحو أخيها الصغير وقد تعلمت بطريقة الملاحظة أن قيامها بضرب أخيها يجعلها تحظى باهتمام الآخرين ولا سيما والدين وهذا من واقع خبرتها السابقة ، أى أن ضربها لأخيها سوف يعود عليها برعاية والديها من جهة أو إعتذار أخيها لها من جهة أخرى ، إنها نظرية تقوم على فكرة المكسب والخسارة التى توجد فى النموذج الأعلى المحتذى به « القدوة » .

وطبقا لنظرية تعلم العدوان بالملاحظة فإن الناس فى أى مجتمع إنسانى تلاحظ سلوك بعض النماذج وتقوم بدراسة عواقب السلوك العدوانى ، فإذا ما تبين أن عواقب هذا السلوك العدوانى إيجابية فإن بقية أفراد المجتمع يقومون بتقليد هذا المسلك العدوانى عندما يجدون أنفسهم فى وضع مشابه أى يتعلمون العدوانية بالتعلم والملاحظة وبالتالي فإن العدوانية تكتسب بالملاحظة وهذه الفكرة تؤدى بنا إلى الدخول فى مجال عملية « الإنطباعات الأولى » عن تأثير العدوانية على أفراد من خلال مشاهدتهم البرامج التليفزيونية المختلفة وباقى وسائل الإعلام الأخرى .

مظاهر العدوان فى وسائل الإعلام .

هل مشاهدة التليفزيون بكثرة من الأمور الضارة المؤذية ؟ للإجابة على هذا السؤال نقول :

يلعب التليفزيون دورا حيويا وخطيرا فى إنتشار العنف والعدوان بالنسبة لعالم وديا الأطفال الذين يشاهدون البرامج والحلقات التليفزيونية العادية والعنيفة مثل أفلام الكرتون والرسوم المتحركة التى تتسم بالعنف والعدوانية كما هو الحال فى حلقات « قراقير ، ويطوط ، والرجل الأخضر ، والمرأة الحديدية ، ومستتر إكس ، والرجل الوطوط Batman » وغيرها إن هذه البرامج وغيرها تقدم للأطفال جرعات مكثفة من الأفعال والسلوك العدوانى «جيرنبار وآخرون Gerbner et al ، ١٩٧٨ ، فريدمان Freedman ، ١٩٨٤ ، لايبيرت Liebert ، إسبرافكين Sprafkin ، ١٩٨٨ » .

٣٠١-

هذا وفي عالمنا المضطرب بالكثير والعديد من الأمواج المتلاطمة من المشاكل والأمراض والسلوك العدواني ، والقتال ، والحروب المدمرة أثبتت البحوث العلمية في مجال علم النفس الإجتماعي أن هناك ترابطا إيجابيا بين مشاهدة برامج التلفزيون العنيفة وبين السلوك المتسم بالعنف والعدوان « إيرون Eron ، هيرسمان Huesmann ، ١٩٨٦ » .

كما أضافت هذه البحوث بأن التلفزيون لا يعتبر المتهم الأول أو المسبب الأصلي لظهور العدوانية لدى الكبار البالغين ، بل إن هناك بعض العوامل الأخرى مثل المستوى الإجتماعي والإقتصادى والبطالة والفقر .

وقد أجمع العلماء على أن مشاهدة البرامج التلفزيونية المتسمة بالعنف قد تؤدي إلى زيادة درجة الإستعداد لدى الأشخاص وزيادة درجة تقبلهم للتعامل بالسلوك العدواني إن هذه البرامج التلفزيونية إما أن ترفع من درجة إستعدادهم لتقبل العنف وإما تدفعهم إلى التعامل بالسلوك العدواني بطريقة مباشرة وصريحة كما أنها ترفع من حالة اللامبالاة بمشاعر وأحاسيس ضحايا أعمال العنف « لينز Linz ، دونارستين Donerstein ، وينرود penrod ، ١٩٨٨ ، بوشمان Bushman ، جين Geen ، ١٩٩٠ » .

وهناك أسباب أخرى كثيرة تؤدي إلى إثارة العدوانية لدى مشاهدي التلفزيون تتمثل في بعض البرامج والمواقف التي يتخذها الناس قدوة أو مثلا يحتذى به ، وهنا يتعلم الأفراد بطريقة الإكتساب كما أن مشاهدة التلفزيون تقلل من درجة تأثير الموانع التي تكبح جماح العنف حيث أن مشاهدة برامج التلفزيون العنيفة تصور العنف كإستجابة أو رد فعل قانوني في بعض المواقف المعينة ، وعلاوة على ذلك فإن مشاهدة أعمال العنف قد تغير من مفهومنا لما هو عنيف وما هو غير عنيف وبالتالي فإن السلوك الذي كنا نعتبره غير عدواني قد يأخذ معانى العدوانية بعد المشاهدة أى أن الأفعال التي كنا نعتبرها غير عدوانية تصبح أفعالا عدوانية كنتيجة تأثرنا بمشاهدة التلفزيون .

إن المشاهدة المستمرة لأعمال العنف قد تؤدي إلى تبلد المشاعر فبعد أن كنا نشعر بالنفور من أعمال العنف فإن هذه الأعمال العنيفة بعد المشاهدة المستمرة قد لا تحدث لدينا مشاعر أو أحاسيس عاطفية كإستجابة ومن ثم فإننا نفتقد الإحساس

٣٠٢

بالألم والمعاناة الناتج عن العدوان وبالتالي فإننا نرى أنه من الأسهل علينا إتخاذ المسلك العدواني .

العلاقة بين الفن الإباحي والعدواني والعنف نحو النساء .

بداية نتساءل : هل تؤدي مشاهدة الأفلام الإباحية إلى زيادة معدلات العنف والميول الإجرامية والنزعات والعدوانية نحو المرأة؟ تشير الدلائل إلى أن هناك علاقة كبيرة بين الفن الأباحي أو الأدب « المكشوف Pornography » وبين ظهور بواذر العدوانية كما أثبتت التجارب العلمية الأخرى أن التعرض المستمر ولفترات طويلة لأفلام سينمائية عنيفة على المدى الطويل تحط من شأن المرأة وأنها ليست إلا وسيلة للمتعة ، تبين أن التعرض المستمر لمثل هذه الأفلام يؤدي بالشخص إلى تبدل الحس وقسوة القلب وخشونة الطبع .

خلاصة القول أن إدمان مشاهدة التلفزيون وبالذات برامجه وأفلامه الجنسية وحلقات مسلسلاته الإباحية والروايات العاطفية التي تجسد الجنس بشكل صريح واضح والصور الداعرة كل ذلك يؤدي إلى زيادة مشاعر وأحاسيس العنف الموجه نحو المرأة وهنا نتساءل : هل تمنع مثل هذه الأعمال الفنية من العرض السينمائي أو العرض التلفزيوني ؟ وإذا تم ذلك فإنه يعتبر تعديا على الحريات الشخصية وهنا يأتي دور « الرقابة على المصنفات الفنية » فتضع بعض المحاذير والضوابط والمعايير للأعمال السينمائية والفن الإباحي والأدب المكشوف فمثلا هناك أعمال فنية وأفلام سينمائية إباحية محظورة مشاهدتها بالنسبة للأحداث أقل من ١٧ سنة وهناك أفلام لا يشاهدها الأطفال إلا بصحبة الوالدين. كما أن هناك أفلام للأطفال فقط وأفلام للكبار فقط وهكذا، وهذا هو موقف « إدارة الرقابة الفنية » ووظيفتها .

مساعدة الآخرين : الجانب المشرق للطبيعة الإنسانية .

نتحدث الآن عن الوجه الآخر من حياتنا النفسية والاجتماعية عن الجانب المشرق لطبيعة الإنسان وهو الجانب القائم على مساعدة الناس كبيرهم وصغيرهم ،

— ٣٠٣ —

أقصاهم وأدناهم ، أقواهم وأضعفهم ، إنه جانب تقديم المساعدات للناس جميعا وهنا يتساءل علماء النفس الإجتماعى : ما هى العوامل التى تدفع أحد الأشخاص لتقديم يد المساعدة والمعونة لبعض الناس المتكويين والبائسين فى المواقف الطارئة ؟ من المعلوم أن وجود حشد من الناس أثناء حدوث كارثة أو حادث تصادم مثلا يجعل مسئولية الحادث موزعة على جميع الأفراد الموجودين وقت الحادث ، وهنا فى هذا الموقف يشعر المتواجدون بأن المسئولية مشتركة ، وبناء على ذلك أنه كلما كان عدد الأفراد المتواجدين كبيرا كلما قل نصيب كل منهم فى المسئولية والشعور بها وبالتالي تقل إمكانية تقديم المساعدة « لاتان Latane ، نيدا Nida ، ١٩٨١ » .

هذا وقد تبين أن عملية تقديم المساعدة تتضمن أربعة خطوات هى على الترتيب :

الخطوة الأولى : ملاحظة الشخص وموقع الحادث والوضع الطارئ الذى يتطلب تقديم يد المساعدة أو المعونة العاجلة .

الخطوة الثانية : تفسير الحادث الذى وقع على أساس أنه موقف يحتاج إلى تقديم المساعدة حيث قد تبين أن هذا الحادث الطارئ لا يتطلب أو يستدعى تقديم المساعدة بشكل سريع أو بصورة ملحة وبالتالي قد يترجم الحادث على أساس أنه حادث غير طارئ ، ومن ثم فإن تواجد الآخرين يؤثر على سلوك تقديم المساعدة بمعنى أن عدم قيام الناس المتواجدين بتقديم المساعدة قد يعطى إنطبعا للشخص الواقف بأن الحادثة لا تتطلب أو تحتاج تقديم يد المساعدة ، أما إذا كان ذلك الشخص وحيدا فإنه يسرع بتقديم المساعدة حيث أنه لا يستطيع أن يجزم بأن الموقف لا يحتاج للمساعدة .

الخطوة الثالثة : الشعور بالمسئولية فيما يتعلق بالأنفعال والأعمال التى تم إتخاذها عند هذه النقطة قد نجد أن المسئولية يمكن أن تتوزع على جميع الأفراد المتواجدين ، وعلاوة على ذلك فإنه عند تواجد طبيب فى موقع الحادثة فإن ذلك الطبيب يسارع فى تقديم يد المساعدة وعلاج وقريض المصابين وهنا تفتقر همة

المتواجدين فى الحادث وتقل رغبتهم وقدرتهم فى تقديم المساعدة طالما أن الطبيب يتواجد فهو المتخصص والأقدر على تقديم المساعدة المناسبة .

الخطوة الرابعة : إتخاذ قرار بشأن نوع المساعدة الواجب تقديمها فبعد أن يبدأ الفرد فى تحمل المسئولية ومساعدة الشخص المصاب فما عليه إلا إتخاذ قرار بشأن الطريقة المناسبة لتقديم المساعدة فى هذا الموقف ، ومن طرق تقديم المساعدة : إستدعاء شرطة النجدة أو القيام بعمل إسعافات أولية أو نقل المصاب إلى أقرب مستشفى بسيارته الخاصة أو نقل المصاب إلى مكان أمين تمهيدا للنقل إلى المستشفى .

وبعد تحديد طبيعة المساعدة يجب إتخاذ خطوة أخيرة هامة تتمثل فى عملية تنفيذ المساعدة الزهيدة فى التكلفة ، وفى بعض الحالات يظهر بصورة واضحة إتجاه أصيل هو «الإيثار وحب الغير» حيث توجد أنماط من البشر يؤثرون الآخرين على أنفسهم ، إن هذا النمط من الناس يفضل تقديم المساعدة مع إنكار ذاته والتضحية بنفسه ويوجد بحياته والوجود بالنفس أقصى غاية الجود .

ومن الناس من لا يتوفر لديه مبدأ « الإيثار وحب الغير » ولكن فى بعض المواقف العصبية كحادث طريق أو إحترق أحد المنازل تراه يسارع فى إطفاء الحريق بنفسه أو يطلب إدارة الدفاع المدنى والحريق أو ينتظر قدوم رجال الإطفاء ويحاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه طبقا لإمكانياته وليكن إنقاذ طفل صغير إن أمكن أو عدم إنقاذه « باتسون Batson ، ١٩٩٠ ، ١٩٩١ » .

وقد دلت الأبحاث فى هذا المجال ، على أن الشخص الذى يوجد بنفسه أو يقدم المساعدة وقت الشدة أو فى المواقف الصعبة يتمتع ببعض السمات الشخصية مثل : الثقة بالنفس ، والمشاركة الوجدانية ، والإندماج العاطفى ، كل هذه السمات الشخصية تؤدى بالفرد المحب للناس إلى مساعدتهم نظرا لإحساسه بنفس مشاعرهم فى مثل هذه الظروف « باتسون وآخرون ١٩٩١ » .

والواقع أن الغالبية العظمى من علماء النفس الإجتماعى ، قد أجمعوا على عدم وجود مجموعة عوامل أو معايير مشتركة لدى الأفراد الذين يقبلون على تقديم المساعدات والعون للآخرين كما إنه ليست هناك فروقا معيارية بين الأفراد الذين

يقدمون مساعدات للآخرين والذين لا يقدمون .
وقد تمخضت بعض الدراسات عن أن الحالة المزاجية الجيدة تشجع علي تقديم
المساعدة للآخرين « سالوفاي Salovey ، ماير Mayer ، روزنهان-Rosen- han ، ١٩٩١ » .
ومن الأمور غير المنطقية التي تحدث في حياتنا الواقعية هي أنه قد تبين أن
الحالة المزاجية السيئة قد تدفع الفرد إلى الإسراع بتقديم العون والمساعدة للآخرين
«إيزنبرج Eisenberg ، ١٩٩١ » .
ويرجع ذلك إلى إن الفرد الذي يشعر بحالة مزاجية حادة أو سيئة يدفعه هذا
المزاج الحاد إلى تقديم المساعدة ، وهذا يؤدي به إلى تغيير حالته الحالية أو الراهنة
إلى الحالة الإيجابية من خلال المعنويات المرتفعة التي تنتج من تقديم المساعدة ،
وهذا يعني أن التخلص من الحالة المزاجية السيئة عند تقديم المساعدة يؤدي إلى رفع
مستوى المعنويات لدى الفرد ويضفي عليه شعورا إيجابيا بالاهتمام بالآخرين .

الفصل الثانى عشر

سيكولوجية السلوك المنحرف .

- * الإضطرابات السلوكية المضادة للمجتمع .
- * السيكوباتية .
- * الإجرام .
- * إنحراف الأحداث .
- * التخلف العقلى .
- * تصنيف التخلف العقلى .
- * أسباب التخلف العقلى .
- * كيفية الوقاية من التخلف العقلى .
- * خصائص المتخلفين عقليا .
- * سيكولوجية الكفيف .

سيكولوجية السلوك المنحرف

الإضطرابات السلوكية المضادة للمجتمع .

ليست حياتنا إلا وعاء يحوى أنماطا سلوكية وأساليب توافقية لكل الأفراد ولكل فرد سلوكه الخاص بمعنى أن أفراد المجتمع الإنسانى غير متساوين كأسنان المشط فى أنماطهم السلوكية ، فمنهم من يمثل ويسير وفقا لمعايير المجتمع وأخلاقياته وعاداته وتقاليده ويتوافق معها وهؤلاء هم الأسوياء .

ومنهم من يعيش فى الأرض فسادا ويهلك الحرث والنسل ويقتل هنا ويسرق هناك بسبب إضطراب سلوكه وهؤلاء هم المنحرفون الضالون عن سواء السبيل ذوى النفوس المريضة « وتفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

والواقع أن سبب الإضطرابات السلوكية المضادة للمجتمع هو فشل لعملية التنشئة الإجتماعية والتى هى عبارة عن « أنسنة الإنسان » وتحويل الفرد من كائن بيولوجى إلى كائن إجتماعى ويشمل موضوع الإضطرابات السلوكية ثلاث مظاهر هى : « السيكوباتية - الإجرام - إنحراف الأحداث » .
ونتناول كل منها بشئ من التفصيل فنقول :

١ - السيكوباتية .

يتسم هذا الإضطراب الخاص بالشخصية السيكوباتية بمجموعة أعراض تلتنى جميعها فى حالة « قصور كبير فى التوافق الإجتماعى للفرد » يلزمه طوال حياته تقريبا ونعنى بالسيكوباتية « حالة مرضية تبدو فى سلوك إندفاعى مستمر يستهجنه المجتمع أو يعاقب عليه » ، وللسيكوباتية أعراض بسيطة وأخرى خطيرة

أ - أعراض السيكوباتية البسيطة :

(١) يسلك الفرد سلوكا غريبا شاذا .

٣٠٧

- (٢) يعتنق الفرد مذاهب إجتماعية وإقتصادية سخيقة .
 - (٣) يفشل فى عقد صلات إجتماعية .
 - (٤) يخفق كثيرا فى علاقاته مع الأصدقاء .
 - (٥) فشل متكرر فى الزواج والمهنة .
- ب - الأعراض الخطيرة :

- (١) الإختلاس والتزوير والنصب والإحتيال .
- (٢) إدمان الخمر والمخدرات .
- (٣) الأعتداءات الجنسية والقتل .
- (٤) إحتراف البغاء .

السمات الشخصية للفرد السيكوباتى .

- من أبرز سمات السيكوباتى ما يلى :
- عدم النضج الإنفعالى .
 - الحاجة إلى الإستقرار الإنفعالى .
 - الضحالة الإنفعالية .
 - الإندفاع والتهور والعجز عن ضبط النفس .
 - عدم تحمل الحرمان أو الإحباط .
 - التقلب الظاهر فى معاملة الناس .
 - العجز عن المثابرة وإتمام الأعمال أو المشروعات .
 - التنقل الكثير من عمل إلى عمل ومن زوجة إلى أخرى .
 - عدم الإفادة من التجارب السابقة .
 - يتميز الشخص السيكوباتى بذكاء رفيع « عالى » .
 - الشخص السيكوباتى لا يرتدع بالعقاب .
 - الشخص السيكوباتى لا ينتابه أى شعور بالحنج أو بتأنيب الضمير .

٢ - الإجرام .

ينظر علماء النفس إلى الجريمة على أنها « سلوك شاذ » وفى علم النفس

-٣٠٨-

ندرس الجريمة من حيث الدوافع الشعورية واللاشعورية التى تحفز على الإنحراف وارتكاب المجرمين لجرائمهم ، وفى هذا المجال يمكن القول بأن المجرمين أربعة :

« مجرم عارض - مجرم سوى - مجرم سيكوباتى - مجرم عائد » .

المجرم العارض :

هو من يتورط فى سلوك إجرامى نتيجة ظروف وضغوط خارجية طارئة مثل الجرائم العارضة التى يرتكبها بعض الناس أثناء البطالة أو الكساد الإقتصادى بسبب الفقر أو الحرمان الشديد .

المجرم السوى :

هو كل مجرم تشبع بالمعايير الخلقية للبيئة الإجرامية التى نشأ فيها فهو مجرم طبيعى والمجرم السوى يقوم بسلوكه الإجرامى عن تعمد وقصد وإختيار ويضع خطة لجرائمه ويعمل على إخفاء ملامح جريمته .

المجرم السيكوباتى :

يتميز المجرم السيكوباتى بأنه :

- مجرم يتورط فى الجريمة أكثر من مرة مهما كان عقابه .
- لايتخصص فى نوع معين من الجرائم بل يرتكب كل ما يصادفه من الجرائم .
- لا يهتم شئ ولا يكثر بما يسببه للناس من ألام .

المجرم العائد :

هو ذلك المجرم الذى يتورط فى الجريمة أكثر من مرة ولا يجدى معه العقاب . ومن خصائص هذا النوع من المجرمين أن المجرم يعود إلى الجريمة باستمرار والعودة هنا نتيجة عقدة الذنب التى تثقل كاهله ، وهذا المجرم العائد لا يتجنب العقاب بل يبحث عنه .

ومن المجرمين ما يعرف باسم « المجرم ذى الشخصية المعتلة » وهو الذى يمارس نشاطه الإجرامى بسبب إصابته ببعض الإضطرابات العضوية أو النفسية أو

- ٣٠٩ -

العقلية كأن يكون مصابا بضعف عقلى أو إنفصام فى الشخصية ، والمجرم ضعيف العقل هو مجرم بسيط الذكاء قليل الخيلة عاجز عن تدبير شئونه وما يرتكبه من جرائم تتناسب مع مستواه العقلى ، كما أن هناك « المجرم الذهانى » الذى تتميز جرائمه بطابع السخف والغرابة لأنه مريض عقليا ومن جرائمه مثلا الشروع فى القتل وإشعال النار فى المنازل وسرقة الأشياء التافهة .

هذا ويمكن القول فى هذا الصدد أن الجريمة قد تكون بمثابة التذير أو المؤثر نحو إندلاع المرض العقلى عند شخص لم تكن أعراض المرض بادية عليه .

٣ - إنحرافات الأحداث .

ينظر المشتغلون بالدراسات النفسية والاجتماعية إلى مشكلة الأحداث المنحرفين على أنها من أكثر المشكلات الاجتماعية تواترا وصعوبة فى كل المجتمعات الإنسانية والتي تحتاج إلى دراسة مستفيضة .

* تعريف الحدث المنحرف :

هو ذلك الشخص الذى :

- أ - تقع سنه ما بين سبع سنوات وإثنى عشر سنة .
- ب - يمارس التسول ويجمع أعقاب السجائر .
- ج - يعمل بالدعارة أو الفسق أو القمار .
- د - يعرف بسوء السلوك والخروج عن سلطة الأب أو الوصى .
- هـ - ليس له محل إقامة وينام فى الشوارع والطرق .
- د - ليس له عائل مؤتمن أو أمين .

* أسباب الانحراف :

- اضطرابات الشخصية والتوتر النفسى والصراع .
- هناك نسبة كبيرة من المجرمين الراشدين كانوا منحرفين صغارا .
- البيوت التى هدمتها الخلاقات الزوجية أو طلاق الأم .

- ٣١ -

- معاملة الآباء لأبنائهم بقسوة أو إهمال .
 - ترك المدرسة فى سن مبكرة وعدم الإستمرار فى التعليم .
 - البيئة التى ينتشر فيها الفقر والدعارة وتجارة المخدرات .
- هذا وهناك علاقة بين الانحراف والإضطرابات النفسية والعقلية ودليل ذلك أن فئة كبيرة من المنحرفين يرجع إنحرافها إلى إضطراب نفسى أو عقلى كما أن طائفة أخرى يعزى إنحرافها إلى عوامل إجتماعية والذى من أهمها أسلوب التنشئة الإجتماعية .

أنماط الأحداث المنحرفين .

١- حدث العصاة :

- هو ذلك الحدث الذى طبع إجتماعيا على الإتجاه الإنحرافى الشاذ وهو دائما على إستعداد للقيام بأى عمل من أجل الجماعة التى ينتمى إليها حيث أن معايير الجماعة عنده أهم من أى معايير أخرى . ويتميز هذا النمط بالخصائص التالية :
- الصداقة مع أمثاله من المنحرفين .
 - له صلة بعصابات المنحرفين .
 - يقوم بدور إيجابى فى الجماعة المنحرفة .
 - يقلد أفراد الجماعة فى أسلوبهم ومناشطهم .
 - يتردد على دور اللهو والفساد .

٢ - المنحرف المرضى :

- ينحرف هذا النمط ويقبض عليه لإرتكابه ما يخالف القانون نتيجة لسوء تقديره للموقف أو لمشاكل إعترضت طريق نموه السوى ويحاكى من حوله فى أساليب إنحرافاتهم .

٣ - المنحرف العصابى :

- وهذا النمط من المنحرفين يشكلون أبناء الطبقات المتأزاة إجتماعيا ولا يمكن

-٣١١-

إن يعزى إنحرافهم إلى الأسباب الإجتماعية المعروفة مثل الفقر أو الجيرة الفاسدة .

وهنا نتساءل : كيف السبيل لأسلوب التعامل مع المنحرفين ؟

لقد كان الأسلوب المتبع حتى أواخر القرن ١٨ هو وضع الأحداث المنحرفين مع المذنبين الكبار فى سجن واحد ، وكانت تضم مثل هذه السجون مجموعات كبيرة من المجرمين والمصابين بالإضطرابات النفسية والعقلية حتى جاء القرن التاسع عشر فاهتمت المؤسسات الإصلاحية فى إنجلترا بهذا الموضوع وقامت بإنشاء أول ملجأ للمنحرفين فى عام ١٧٨٨ م .

وفى أمريكا تم إنشاء أول مؤسسة للأحداث فى عام ١٨٢٥ م بنيويورك وبالنسبة لمصر فقد أنشأت أول محكمة للأحداث عام ١٩٠٥ م وصدرت تشريعات خاصة بالأحداث فى عام ١٨٨٢ وتعرضت هذه التشريعات للتطور فى أعوام ١٩٠٤ ، ١٩٣٧ ، ١٩٥٠ م ، وعند التعامل مع المنحرفين علينا بإتباع الأساليب الآتية :

أولا : العلاج دون الإيداع فى المؤسسات : حيث أن الأحداث الصغار نبذل لهم الكثير من الخدمات مثل تشغيل اللائقين منهم فى مهن مناسبة وتقديم العناية الطبية لهم وحمايتهم من قرناء السوء والمجرمين .

ثانيا : إنشاء المؤسسات الصغيرة فى الأحياء الحضرية لتحل محل المؤسسات الكبيرة وأن يكون عدد النزلاء فى حدود ١٥٠ فقط .

ثالثا : إتباع سياسة الباب المفتوح بين المؤسسة وبين البيئة التى جاء منها الحدث .

رابعا : توفير فرص التدريب المهنى مما يؤدى إلى إكتساب الأحداث المهارات الفنية والمهنية سواء داخل المؤسسة أو خارجها .

خامسا : حسن إختيار الأخصائيين الذين يتعاملون مع الحدث إذ أن المؤهلات العلمية وحدها لا تكفى بل يجب الأخذ فى الإعتبار السمات الشخصية اللازم توافرها عند العاملين فى هذا المجال .

التخلف العقلى -

مفهوم التخلف العقلى :

فى مستهل القرن العشرين ظهرت عدة مفاهيم وتعريفات للتخلف العقلى

-٣١٢-

وكان المفهوم أو التعريف يختلف باختلاف نوعية عمل الباحث سواء كان الباحث طبيباً نفسياً أو باحثاً تربوياً أو خبيراً تعليمياً أو أخصائياً نفسياً أو من المشتغلين بالطب الطبيعي .

وكان هناك تعريف شائع هو تعريف دول Doll الذى وضعه فى عام ١٩٤١م وجروسمان Grossman « الذى أخذت به الجمعية الأمريكية للضعف العقلى عام ١٩٧٣ م .

وفى رأى دول أن من نطلق عليه « متخلفاً عقلياً » لا بد وأن توجد لديه ستة عناصر تحدد خصائص التخلف وهى :

- ١ - يعانى الفرد من نقص شديد فى القدرة الإجتماعية .
- ٢ - يعانى الفرد من نقص شديد فى العقل .
- ٣ - تظهر لدى الفرد أمارات نقص فى مستوى النمو .
- ٤ - يرتكز التخلف على أساس بيولوجى .
- ٥ - يستمر التخلف حتى سن البلوغ .
- ٦ - لا يتم شفاء التخلف العقلى عادة .

أما عن تعريف الجمعية الأمريكية للضعف العقلى عام ١٩٧٣ م فهو يشير إلى أن التخلف العقلى تدهور ملموس فى أداء الفرد الذهنى مقترنا بقصور فى السلوك التكيفى الذى يبدو أثناء مرحلة النمو .

ويتضمن هذا التعريف شرطين أساسيين للتخلف العقلى هما :

- ١ - إنخفاض ظاهر فى مستوى الأداء الذهنى للفرد ويحكم هذا الإنخفاض نسبة الذكاء التى تقل بمقدار إنحرافين معيارين أو أكثر دون متوسط .
- ٢ - أن يكون ذكاء الفرد أقل من « ٧٠ » على مقياس « وكسلر - بيلفيو » وأقل من « ٦٨ » على مقياس « ستانفورد - بينيه » .

أما السلوك التكيفى Adaptive Behavior فنقصد به تلك الدرجة التى يقى بها الفرد بمعايير الإستقلال الذاتى والمسئولية الإجتماعية المتوقعة من مجموعة عمرية وثقافية ماثلة لحالته ، هذا وتعرف فترة النمو بأنها الأصل الزمنى بين سن ميلاد الطفل وبلوغه الثامنة عشر .

-٣١٣-

تصنيف التخلف العقلي .

هناك تصنيفان لحالات التخلف العقلي نعرضها كالتالى :

الأول : تصنيف يقوم على أسباب التخلف :

ويتضمن هذا التصنيف أسباب كثيرة من أهمها :

- ١ - العوامل الثقافية فى المجتمع .
- ٢ - أحوال التخلف الإجتماعى والإقتصادى .
- ٣ - عوامل البناء الإجتماعى للمجتمع .
- ٤ - الظروف الصحية لأفراد المجتمع .
- ٥ - العوامل الوراثية .
- ٦ - نوعية الرعاية الصحية .
- ٧ - حروب التحرير والصراعات المحلية .
- ٨ - الهيئة الخضرية والتسمدين .
- ٩ - التصنيع والتكنولوجيا المتقدمة .
- ١٠ - حوادث المرور والسيارات .

الثانى : تصنيف طبقا لدرجة التخلف :

ويعتبر هنا التصنيف أكثر شيوعا ويقوم على إعتبار التخلف العقلى سلسلة متصلة الحلقات لمستوى ذكاء الشخص ، على أن هذا التصنيف قد أخذت به الجمعية الأمريكية للضعف العقلى « جروسمان ١٩٧٣ » وفيه تقسم حالات التخلف العقلى إلى أربع درجات وفقا لما يقابلها من درجات ذكاء يوضحها الجدول الآتى :

نسبة الذكاء		درجة التخلف
علي مقياس وكسلر بلفيو (ع) ١٥	علي مقياس استانفورد بينيه (ع) ١٦	
٥٥ - ٦٩	٥٢ - ٦٧	تخلف بسيط .
٤٠ - ٥٤	٣٦ - ٥١	تخلف متوسط .
٢٥ - ٣٩	٢٠ - ٣٥	تخلف شديد .
٢٤ فأقل .	١٩ فأقل .	تخلف كامل .

هذا وقد كان هناك تقسيم يضع « المتخلفين عقليا » في ثلاث فئات هي على الترتيب : فئة المأفونين والبلهاء والمعتوهين . ولما كانت هذه المسميات تتم عن التحقير والسخرية نحو هذه الفئات وذويهم فقد هجر الباحثون والدارسون مثل هذه التقسيمات حفاظا على مشاعر المتخلفين وتكريما لهم .

ويرى العاملون في مجال التربية الخاصة ومنهم المدرسون والأطباء وأخصائيو التدريب أن تصنيفا إضافيا قد يؤخذ به ذلك التصنيف الذي يقسم فئات ضعاف العقول أو المتخلفين عقليا طبقا لناحية التعليم أو التدريب إلى ثلاث مجموعات هي :

١ - مجموعة ذات قابلية للتعليم .

٢ - مجموعة ذات قابلية للتدريب .

٣ - مجموعة تكون حالات الرعاية والإيداع بمؤسسات .

فالمجموعة الأولى هم هؤلاء الأفراد الذين يمكنهم تعليم المواد الأساسية بالمرحلة الابتدائية والمتوسطة « الإعدادية » وهم يقابلون فئة التخلف البسيط والجزء الأعلى من فئة التخلف الوسيط. أما المجموعة الثانية القابلون للتدريب فهم فئة التخلف المتوسط والشديد ويمكن مساعدتهم بالتدريب علي إكتساب عادات سلوكية جديدة يمارسونها في حياتهم اليومية وإستعدادا للإلتحاق بأعمال وحرف خاصة .

—٣١٥—

ويأتى بعد ذلك موقف المجموعة الثالثة وهى تلك الحالات كاملة التخلف
والتي لا يمكن لأفرادها الاستفادة من التعليم أو التدريب .

مدى إنتشار ظاهرة التخلف العقلى -

منذ قديم الزمان ومشكلة التخلف والإعاقة قد وجدت بوجود الإنسان وكانت
هذه الإعاقة إما جسدية أو عقلية لتؤدى فى النهاية إلى عجز جزئى أو كلى فى كل
مجتمعات الأرض ويعزى سببها إلى ظروف خلقية « بكسر الحاء » وتسكين اللام «
أو وراثية أو صحية أو إجتماعية .

وفى فجر التاريخ البشرى إتسمت النظرة إلى المتخلفين عقليا أو جسديا
بطابع غير إنسانى وكان ينظر إلى المتخلف عقليا على أنه مخلوق بشرى ناقص
يعيش فى المجتمع لياخذ ويستهلك دون عطاء أو إنتاج ومن ثم - لا غرابة - أن
تجد بعض المجتمعات قديما وحديثها تنادى بعزل المتخلفين والمعوقين حتى لا يشوهوا
إيجابية الحياة ، وقد وصل الأمر فى بعض الحالات إلى محاولة قتل وحرق هذه
الفئات وصولا إلى مجتمع فاضل أو مدينة فاضلة « يوتوبيا » وقد تزعم هذا الإتجاه
اليوتوبى Utopian Approach مدينة إسبرطة القديمة فى العهد الإغريقى .

ولم يعد الأمر قاصرا على المجتمعات القديمة بل تعداه إلى المجتمعات
المعاصرة التى تبنت بعض النزعات السلالية والنزعات القومية ولعل ألمانيا الهتلرية
كانت النموذج البارز حين نادى « أودلف هتلر » زعيمها يوما ما بإبادة وحرق كل
مشوه أو معتوه أو متخلف أو معاق ليصبح الشعب الألمانى شعبا نقيا مصفى
وتصير ألمانيا فوق الجميع .

وفى دورة تاريخية تالية لاح فى الأفق المنظور الأخلاقى الذى ينظر للمتخلف
عقليا نظرة ملوثة بالشفقة والعطف الإنسانى ولم لا وقد حثنا ديننا الإسلامى الحنيف
على حسن معاملة هذه الفئات وقد أكد على ذلك القرآن الكريم الذى عاتب رسول
الله ﷺ عندما « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » والأعمى هنا هو عبد الله بن
أم مكتوم الذى سأل رسول الله ﷺ أن يعلمه مما علمه الله ، وحين أعرض الرسول
ﷺ عن سائله عبد الله بسبب إنشغاله مع صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام نزلت

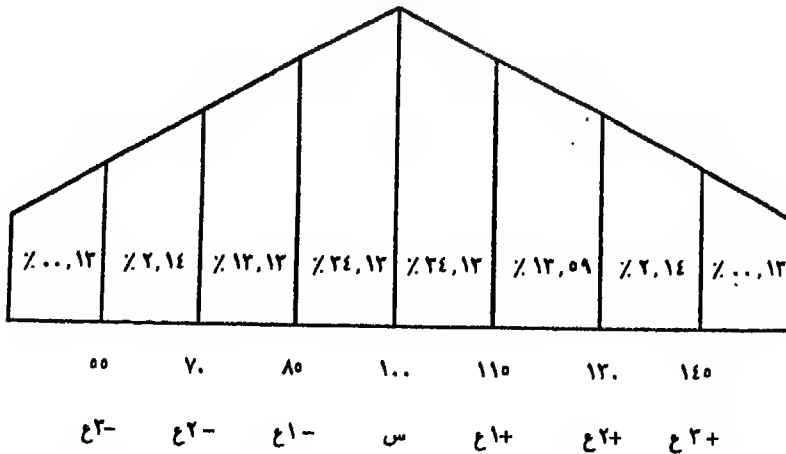
-٣١٦-

بعد ذلك هذه الآيات فى القرآن وكان « عبد الله بن أم مكتوم » إذا حضر مجلس النبى ﷺ قال له « مرجبا بمن عاتبنى فيه ربي ويبسط له ردا » .

وتأتى دورة تاريخية ثالثة ويصدر الكثير والمفيد من الإعلانات العالمية والنداءات الإنسانية الكثيرة ، ففى عام ١٩٤٨ م صدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان وفى عام ١٩٥٩ م صدر « إعلان حقوق الطفل » ثم صدر بعد ذلك إعلان حقوق الأشخاص المتخلفين عقليا عام ١٩٧١ م هذا إلى جانب تأكيد إستراتيجية العمل الإجتماعى فى الوطن العربى عام ١٩٧٩ وكذلك القرارات العديدة التى صدرت عن وكالات مثل اليونسكو واليونسيف .

قلنا أن التخلف العقلى ظاهرة قديمة قدم الإنسان ، وقد يكون من الصعب تقدير مدى إنتشارها فى المجتمعات إلا أن كثيرا من الباحثين قد إهتدوا إلى أنه بإفتراض أن المجتمعات البشرية تتوزع بالنسبة لمستوى ذكاء أفرادها طبقا للتوزيع الطبيعى بمتوسط ذكاء = ١٠٠ ، وإنحراف معيارى = ١٥ على مقياس « وكسلر » أو ١٦ على مقياس « بينيه » فإنه يمكننا معرفة نسبة التخلف العقلى بحوالى ٢,٢٧ ٪ .

وقد نتصور ضخامة عدد المتخلفين عقليا إذا أدركنا أن هذه النسبة تعادل ٤,٥٤٠,٠٠٠ فى الولايات المتحدة الأمريكية « عدد السكان ٢٠٠ مليون نسمة » وحوالى ١,٨٠٠,٠٠٠ فى المجتمع المصرى عدد السكان ٦٥ مليون نسمة ويوضح الشكل الآتى توزيع المجتمعات حسب نسبة الذكاء



-٣١٧-

وقد أثبتت البحوث العلمية على أن نسبة التخلف العقلى تصل إلى حوالي ٣ ٪ من جملة سكان أي مجتمع ومعظم هؤلاء (٩٥ ٪) يشكلون فئة التخلف البسيط (٧٠ - ٥٥) بينما ٥ ٪ فقط هم اللذين يقعون في فئات التخلف المتوسط والشديد والكامل .

أسباب التخلف العقلى .

يرجع التخلف العقلى إلى ثلاثة أسباب حسب العمر والزمن للفرد وهى :

- | | |
|---------------------------|-----------|
| ١ - أسباب قبل الولادة . | prenatal |
| ٢ - أسباب أثناء الولادة . | pernatal |
| ٣ - أسباب بعد الولادة . | postnatal |

أولاً : أسباب ما قبل الولادة .

وتشمل العوامل الوراثية Heredital والأسباب الخلقية والعوامل الوراثية هى تلك العوامل التى تنتقل من الآباء إلى الأبناء حيث تحمل الصفات على «جينات» تنوزع على كروموزومات وقد يولد الطفل المتخلف عقليا لأبوين ذكاؤهما عادى أو حتى فوق المتوسط ويرجع ذلك إلى قوانين الوراثة التى تنقل صفات من أجداد بيتعد تاريخهم عن الفرد الذى يرث الصفة ، كما أن كثيراً من الصفات الشاذة تنتقل عبر عوامل متنحية وهذه العوامل لا تظهر الصفة إلا إذا تجمعت مع بعضها من كل من الأبوين فى وقت لم تكن أحيانا ظاهرة لديها لكونها «متنحية» . ولهذا تزداد فرصة تجمع هذه العوامل المتنحية إذا زادت درجة القرابة بين الأبوين « قرابة الدم » .

أما عن الأسباب الخلقية فهى التى تؤثر على الجنين أثناء فترة الحمل ومن بينها الإصابات التى تحدث للأم وبعض الأمراض المزمنة مثل السكر وضغط الدم وكذلك بعض الأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية والأنفلونزا ، وكذلك وجود عامل « روسوس » وتعرض الأم للإشعاعات وكذلك تناولها بعض الأدوية أو حوادث

٣١٨-

التسمم وبالمثل الولادة المبكرة « الطفل المبستر » أى الولادة قبل أن يكمل الجنين فترة ٢٨ إسبوعا رحميا أو أن يكون وزنه أقل من ٢,٥ كيلو جرام .

ثانيا : أسباب أثناء الولادة .

ورغم أن فترة الولادة قدلا تستمر لأكثر من ساعات محدودة ، لكنها قد تكون بالغة التأثير فى مستقبل الطفل ، فقد يتعرض الطفل لضغط أثناء ولادة متعسرة تؤثر فى مخه وهى سبب رئيسى للتخلف العقلى ، وكذلك نقص الأوكسجين عند الولادة من شأنه أن يتلف خلايا المخ التى يصعب تعويضها بعد ذلك .

ثالثا : أسباب بعد الولادة .

وهي العوامل التى تؤثر فى الفرد أثناء مرحلة النمو وحتى بلوغه سن ١٨ سنة ومن هذه العوامل : أمراض الإلتهاب السحائى والحمى المخية الشوكية وكذلك اضطرابات التمثيل الغذائى الذى يصعب معه تمثيل نوع معين من الأحماض الأمينية وبالتالي تجمع المواد السامة داخل المخ وتؤدى إلى التخلف العقلى وحالات « الجلاكتوسيميا » التى تصعب معها تمثيل سكر اللبن والتعرض للحوادث التى تصيب الرأس والمخ وتأثير بعض المواد السامة مثل الرصاص وكذلك فإن سرعة إستكمال تصلب عظام الجمجمة يؤدى إلى أن يصبح حجم الرأس صغيرا ويتحدد نمو المخ وتعرف هذه الحالة باسم « ميكروسيفاليس » .

هذا وقد يحدث إنسداد فى نظام تصريف سوائل المخ فيزداد حجم الرأس بدرجة تؤثر على نمو المخ وتعرف هذه الحالة باسم « هيدروسيفاليس » .

بعض أنماط التخلف العقلى الشائعة .

توجد بعض النماذج التى يستحيل التعرف عليها من المظهر ومن هذه الحالات تلك الأنماط التالية :

- ١ - حالات المنغولية **Mangolism Head** وتعرف علميا باسم « زملة داون Down 's Syndrome وفى هذه الحالة يولد الطفل وبه شكل يشبه إلى حد كبير الجنس المغولى حيث العينان المتباعدتان الثنيات ، أفطس الأنف رأسه مستدق - شعر ناعم - لسانه قصير متشقق - يده قصيرتان - أصابعه قصيرة - وجهه مفلطح ، كل هذا سببه شذوذ يحدث فى أحد الكروموزومات .
وتوضح بعض الدراسات أن معظم هؤلاء الأطفال يولدون لأمهات فى أعمار تزيد عن الأربعين سنة أو تقل عن ٢٠ سنة .
- ٢ - حالات الرأس الصغير **Microcephalou** ويتميز الطفل برأس مستدق نتيجة سرعة نمو العظام فى منطقة « اليافوخ » قبل تمام إكمال نمو المخ وتكون الجبهة منحدرية بشكل واضح .
- ٣ - حالات استسقاء الدماغ **Hydrocephalou** وفيها يتميز الطفل برأس ضخم جدا قد يزيد علي وزن الجسم فى كثير من الأحيان .

كيفية الوقاية من التخلف العقلى .

إذا تتبعنا العرض السابق والخاص بأسباب التخلف العقلى فإنه يمكن القول بأن هناك طرقا للوقاية منه والتي من أهمها الإستشارات الوراثية قبل الزواج والفحص الوراثى أثناء الحمل والإهتمام بتغذية الأم الحامل وعدم تعرضها للأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية أو الحوادث والإشعاعات ورعايتها أثناء الحمل والإهتمام بالولادة فى المستشفيات التخصصية ووقاية الطفل من الحوادث وسرعة عرضه على الطبيب فى حالة المرض .

وقد تحدث مشكلة التخلف العقلى نتيجة لأسباب وراثية أو أسباب أثناء الحمل مما يجعل تلافى حدوث التخلف العقلى أو حتى إكتشافه بعد ولادة الطفل أمرا عسيرا .

وقد تقدمت وسائل مواجهة بعض الحالات مثل حالات التمثيل الغذائي حيث يمكن عن طريق تنظيم الغذاء لهذه الحالات تلافى ما يحدث من ضرر فى المخ ، ومن السهل فى الوقت الحاضر تشخيص هذه الحالات فى الأيام الأولى من ولادة الطفل .

- ٣٢٠ -

كذلك فإن حالات الإستسقاء إذا أكتشفت فى وقت مبكر فإنه يصبح من السهل مواجهتها جراحيا بتحويل مجرى سوائل المخ عن طريق أنبوية إلى الأوردة فى الرقبة أو إلى وريد خلف الأذن .

خصائص المتخلفين عقليا .

يجب أن نعرف - بادئ ذى بدء - أن المتخلفين عقليا ليسوا صورة متكررة بصورة نعرفها أو نتوقعها ، وإنما هم أفراد شأنهم شأن غيرهم لا يتطابقون أو يتكررون إلا نادرا فلكل فرد منهم فرديته الخاصة . وما نتناوله هنا من خصائص قد تتكرر فى بعضهم مجتمعة أو منفردة حتى نستطيع أن نخطط البرامج اللازمة له أما فى تنفيذ هذه البرامج فإن أهم ما نقدمه هو العمل مع كل فرد من واقع ما يتصف به من هذه الخصائص وما يحيط به من ظروف متنوعة .

أولا : الخصائص البدنية .

ليس هناك شك فى أن جانبا من أسباب التخلف العقلى يتصل بإصابات المخ وفى معظم الحالات تكون هذه الإصابات شديدة « تخلف كلى » حيث يضم المخ مراكز للإحساس والإدراك والحركة والكلام والتفكير والتذكر وغيرها .

ويترتب على إصابة المخ أن تتأثر كل هذه العمليات أو مجموعة منها مثل :

- ١ - عيوب فى الحركة وفى المشى والجرى .
- ٢ - عدم القدرة على صعود السلم أو هبوطه .
- ٣ - صعوبة استخدام الأصابع .
- ٤ - عدم القدرة فى تأزر اليدين أو القدمين .
- ٥ - صعوبة فى استخدام اليد والقبض على الأشياء .
- ٦ - تشوهات القوام الناتجة عن اضطراب المشى .
- ٧ - ضعف الإبصار لدى الطفل .
- ٨ - قصور فى السمع .

- ٣٢١ -

٩ - عدم التحكم فى وظائف الإخراج .

١٠ - صعوبة البلع وإغلاق الفم .

هذا ومن المظاهر البدنية الثابتة حالات المغولية المتميزة بصغر الرأس وقصر القامة وتباعد العينين وتشقق اللسان وصغر اليدين وكذلك حالات «الميكروسفالىس» صغر الدماغ وحالات «الهيدروسيفالىس» وإستسقاء الدماغ .

ثانياً : الخصائص النفسية .

من الصعب الحديث عن خصائص نفسية ثابتة فى عالم المتخلفين عقليا ، فالتخلف العقلى كله يعتبر حالة أو شذوذا نفسيا ، ذلك أن نمو الطفل وحركته وسلوكه الإجتماعى وعمليات التفكير الإجتماعى والتذكر والتخيل وكذلك اللغة كلها تتأثر من جراء التخلف ، وعموما يمكن عرض أهم الخصائص النفسية فى النقاط التالية :

١ - تأخر فى النمو بوجه عام .

٢ - تأثر عمليات الإدراك .

٣ - تأخر فى النمو اللغوى قد يصل إلى حد البكم .

٤ - نقص فى القدرة على التفكير والتذكر والتخيل .

٥ - بطء التعلم .

٦ - نقص واضح فى السلوك التكيفى .

٧ - حدوث اضطرابات إنفعالية كالنشاط الزائد والخمول والعدوانية .

٨ - إنحراف المتخلف عقليا نتيجة سهولة قيادته .

٩ - حدوث اضطرابات عصبية مثل حالات الصرع .

١٠ - نقص فى الأداء ذهنى والسلوك التكيفى .

١١ - يعانى المتخلف عقليا من اتجاهات إجتماعية سلبية نتيجة شعوره

برغبة الوالدين فى التخلص منه .

١٢ - الحاجة إلى برامج تربية وتأهيلية للمتخلف عقليا على أساس نفسى

وتربوى وكذلك التوجيه والإرشاد .

ثالثا : الخصائص التعليمية .

إن أهم ما يعوق المتخلف عقليا عن الحياة هو نقص الأداء الذهني عن متوسط الأداء سواء ما يتصل بعمليات التفكير أو التذكر أو التخيل أو القدرة على ربط الأشياء ببعضها وإيجاد العلاقات بين الأسباب والنتائج فإن الفرد المتخلف عقليا لا يمكنه أن يتعلم بالطريقة التي يتعلم بها غيره من الأطفال حيث يحتاج إلى فترة أطول وإلى تفتيت المقرر التعليمي وزيادة التعليم وتكراره بأجزائه الصغيرة حتى يتم تحصيلها ثم ربطها بالأجزاء التالية وهكذا .

إن أهم مضمون لعملية التعليم بالنسبة للمتخلف عقليا هو إهتمامنا بأن تكون فردية .

رابعا : الخصائص الاجتماعية .

يعانى المتخلف عقليا من التخلف فى السلوك الإجتماعى والقدرات الإجتماعية مالم يدرّب على ذلك فهو غير قادر على القيام بشئونه الخاصة والإهتمام بمأكله وملبسه والحفاظة على نفسه من الأخطار وإتخاذ القرارات السليمة والإنتماء إلى جماعات كما يحتاج المتخلف عقليا إلى تدريب خاص ومتواصل لكى يكتسب المهارات المتصلة بأنشطة الحياة اليومية حتى يستطيع أن يصل إلى مستوى من السلوك التكيفى يمكنه من العيش فى المجتمع كفرد نافع ومنتج .

وعموما فإن حالات التخلف البسيطة يمكن إعدادهم لدخول الحياة العادية وتكوين الأسرة .

خامسا : الخصائص المهنية .

يرتكز سلوك الفرد المهني على قدرته وطاقته على أداء هذا العمل وبما لديه من معلومات وما إكتسبه من مهارات عن المهنة ، ونلاحظ أن المتخلف عقليا قد يفقد القدرة البدنية على ممارسة بعض الأعمال كما قد تنقصه القدرة على المحافظة على نفسه فى بيئته المهنية « بيئة العمل » إذا كان فيها جوانب خطرة ، بل وقد يصعب عليه التنقل وحده من المنزل إلى مكان العمل إذا كان مصنعا أو متجرا أو

مصلحة حكومية ، هذا ويمكن لفئات التخلف العقلى بين الشديد والبسيط أن يدربرا
على عمل مفيد غير أنه يجب أن يراعى أن يكون التوظيف فى بيئة مناسبة .

خطة علاجية للمتخلفين عقليا .

يجب أن تتضمن هذه الخطة أربع جوانب رئيسية هى :

١ - برامج تعليمية : « تربية خاصة » وهى لحالات التخلف البسيط
والوسيط وبهذه البرامج يتعلم المتخلف عقليا مواد أكاديمية تتناسب مع قدراته
العقلية المحدودة .

٢ - برامج تأهيلية Rehabilitative Plans ونقصد بالتأهيل هنا
عملية تنمية قدرات الفرد المعوق إلى أبعد قدر ممكن بغية إدماج هذا الفرد فى
المجتمع ليصبح إنسانا منتجا نافعا .

٣ - إعداد البرنامج الفردي : يقوم فريق التأهيل المكون من الإخصائى
النفسى والأخصائى الإجتماعى المهنى وأخصائى التأهيل والطبيب بدراسة كل حالة
على حدة وذلك لإعداد برنامج فردي يناسب المتخلف بحيث يتناول كل جوانب
العلاج .

٤ - برامج الخدمات التأهيلية : ويتضمن هذا البرنامج عمليات الإعداد
البدنى والتدريب المهنى والإرشاد والتوظيف والمتابعة .

من هنا يمكن القول أن الرعاية الإجتماعية والعناية الصحية والإرشادات
النفسية والتوجيهات التعليمية للفرد المعاق حق من حقوق الأفراد فى أى مجتمع
من المجتمعات الإنسانية ويصبح هذا الحق حق مؤكد وضرورى إذا كان المجتمع
مجتمعا إسلاميا حيث التكافل والتقارب والتراحم والتواصى بالحق ، حيث أن
المجتمع المتكافل المتراحم أقرب المجتمعات إلى الله ، ومن ثم علينا معاملة طائفة
المعوقين معاملة حسنة علينا أن نقدم لهم كل العون والإهتمام لأنهم أفراد مثلنا
ولكنهم ذور طاقات محدودة وهذه هى إرادة الله حين نقرأ قوله سبحانه وتعالى « لا
يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وقوله أيضا
« رينا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وأعف عنا واغفر لنا وارحمنا » .

سيكولوجية الكفيف .

« كف البصر » تعنى « الإعاقة البصرية » من المنظور الفسيولوجى والتى فيها يفقد الشخص القدرة على الرؤية جزئيا أو كليا بسبب خارجى يتعلق بقدرة العين نفسها أو السبب داخلى يتعلق بالعصب البصرى الموصل والمراكز العصبية بالمخ ، ويطلق كثيرا على الكفيف لفظة « الأعمى » وهو الشخص الذى فقد بصره وتعنى هذه الكلمة « لغويا » الضلالة والتحيز فى منازعة أو طريق .
وقد يحدث « العمى » بسبب الضيق المستمر لمجال الرؤية البصرية وكذلك حالة تضاؤل العصب البصرى والجلوكوما والإنفصال الشبكي والعمى النصفى .

١ - أثر التنشئة التربوية فى حياة الكفيف :

بمعنى معاملة الأسرة لطفلها الكفيف كطفل عادى وليس كطفل كفيف حيث أن الطفل هنا كونه كفيفا إلا أنه ينمو نموا طبيعيا .

٢ - اتجاه تصرفات الوالدين :

لما كان الطفل الكفيف يولد ومعه كل مقومات الإنسان الكامل فهو يحس ويتأثر بالحياة وبالناس وبالأشياء حوله وينعكس أثر ذلك على حالته النفسية والصحية وعلى ذلك فمن واجب الأسرة أن تضع فى إعتبارها معاملة وليلها منذ الصغر معاملة خاصة .

٣ - إستمرار المعاملة الخاصة للطفل :

ويتطلب ذلك الملاحظة المباشرة لبيئة الكفيف الأسرية ويتطلب ذلك مهارة كبيرة .

٤ - مسئولية الأسرة نحو الكفيف :

وذلك لتحديد نوع ومظهر الضرر الذى أصابه وتغير صحته وضعف تكوين عضلاته والتطور المنحرف لخياله .

٥ - موقف الأسرة من تكوين شخصية الكفيف :

عندما لا يكون النمو المنحرف فى شخصية الكفيف نتيجة مباشرة لهذه الحالة فإنه يكون مرتبطا بتأثير البيئة لصفات مثل التعالى وحب الذات ، فهذه الصفات تحمل مضمون تأثير البيئة وتمثل التأثيرات الإجتماعية وفقا للمواقف السلوكية للكفيف .

٦ - الموقف السلبى للأسرة نحو الكفيف :

هناك مواقف من جانب الأسرة ينعكس آثارها على شخصية الكفيف وتعود بصفة عامة نموه فى مجالاته المتعددة وهذه المواقف قد تكون مواقف سلبية ولمواجهة هذه السلبيات يجب تحقيق أهداف التربية الإجتماعية وهى :

- يجب أن تكون الملاحظة الحسية هى القاعدة الأساسية للتربية للكفيف .
- يجب على الأسرة أن تساعد طفلها الكفيف على الإلمام بما يحيط به فى بيئته بمساعدة حواسه الباقية وعن طريق الإدراك بهذه الحواس .
- يجب أن تسعى الأسرة ليشتمتع طفلها الكفيف بحياة سعيدة عن طريق التحرك واللعب فى جماعة ، وذلك منعا للكآبة والإنعزال .
- تزويد الطفل الكفيف بالخبرات المتنوعة التى تساعد على الإعتماد على نفسه والإستقلال بذاته وتسهيل تكييفه النفسى والإجتماعى .
- مراعاة الأسرة العدالة فى معاملة طفلها الكفيف وإخوته دون تمييز .
- يجب أن تزيل الأسرة الموانع من طريق طفلها الكفيف وأن تزيل الأشياء التى تعترضه أثناء سيره فى حجرات المنزل وذلك حتى يمكنه إن يتحكم فى جسمه وتوازنه وأن يتحرك بحرية ويدون قلق أو تردد .
- يجب على الأسرة أن تتيح لطفلها الكفيف اللعب مع زملائه المكفوفين والمبصرين حتى يكتسب القدرة مع زملائه المكفوفين للتغلب على الذات والإضطرابات النفسية التى تواجهه فى مستقبل حياته .
- تدريب الكفيف على إكتساب الخبرة فى مجال اللمس باليد وتقدير المسافات لتناول الأشياء أو مقابلة الأشخاص .
- إثارة إنتباه الكفيف إلى التمييز بين التأثيرات الصوتية المختلفة التى

تصل سواء عند اللعب أو النزهة أو فى الشارع حتى يتيقظ لديه الشعور بالأمان والتكيف .

- العناية بتعليم الكفيف اللغة مبكرا باعتبارها عامل إثارة له وحاملة للثقافة ووسيلة للتفكير والعواطف وتكوينها للروابط الإجتماعية الوثيقة .

- تنمية القيم الخلقية لدى الكفيف وتأصيلها في سلوكه ليدرك ماهو جميل وما هو قبيح وما هو الحق وما هو الباطل وما هو خير وما هو شر .

- تعليم الكفيف القدرة على الإستقصاء وخاصة التمييز بين القيم الحقيقية للحياة عن غيرها الخاطئة لأن ذلك يمدده بالقوة الأدبية لتشكيل حياة نفسية مستقرة .

- على الأسرة أن تحمى الكفيف من العادات السيئة مثل حركة الإنحناء إلى الأمام أو إلى الخلف وذلك خشية الوقوع أو إلحاق الضرر بجسمه .

- على الأسرة أن تعمل على تأهيل الكفيف للحياة فى المجتمع تبعاً للقواعد المتبعة والنظم المرعية وذلك لتيسير عملية التكيف الإجتماعى .

الفصل الثالث عشر

الإجهاات والقيادة .

- * وظائف الإجهات النفسية الإجتماعية .
- * كيفية تكوين الإجهات .
- * الإجهات الجامدة .
- * قياس الإجهات .
- * نظريات القيادة .
- * أنواع القيادة والمناخ الإجتماعى .
- * أشكال القيادة .

الإتجاهات والقيادة

وظائف الإتجاهات النفسية والإجتماعية .

- من وظائف الإتجاهات تلك الوظائف الآتية :
- الإتجاه يحدد طريق السلوك ويفسره .
- ينظم الإتجاه العمليات الإنفعالية والإدراكية المعرفية حول بعض النواحي الموجودة فى المجال الذى يعيش فيه الفرد .
- يعكس الإتجاه سلوك الفرد من أقوال وأفعال .
- الإتجاهات تسهل للفرد القدرة على السلوك واتخاذ القرارات فى المواقف النفسية المتعددة .
- الإتجاهات توضح صورة العلاقة بين الفرد والبيئة الإجتماعية .
- الإتجاهات المعلنة تعبر عن مسايرة الفرد لما يسود مجتمعهم من معايير وقيم ومعتقدات .

كيف تتكون الإتجاهات النفسية الإجتماعية ؟

- للإجابة على هذا تتكون الإتجاهات من المصادر والمنابع الآتية :
- واقع الظروف الإجتماعية والإقتصادية والسياسية .
- تتكون من التنشئة الإجتماعية .
- تتكون خلال عملية التفاعل الإجتماعى .
- تتكون فى المواقف الإجتماعية المختلفة .
- تتكون من تأثير الأسرة على الفرد .
- تتكون من المؤثرات الثقافية والحضارية بما تشمله من النظم الدينية والأخلاقية والإقتصادية والسياسية .
- تتكون من التجارب الشخصية فى المواقف الإجتماعية .

- تتكون الإتجاهات النفسية الإجتماعية من عملية التوحد والإستدماج مع بعض الشخصيات والنماذج الإجتماعية .

الإتجاهات الجامدة .

هناك إتجاهات جامدة نمطية صعبة التغير شبه ثابتة ونسمع هذه الإتجاهات الجامدة من الأفراد والإذاعات ونقرؤها فى الصحف ونشاهدها فى السينما والتلفزيون وهى على حد قول المعلق التلفزيونى الأمريكى الشهير « ليبمان » ١٩٦٠ « أشبه برسوم داخل نفوسنا يصعب تعديلها » .

ومن أمثلة الإتجاهات الجامدة لدى طلاب المدارس الثانوية فى أمريكا مثلا :

- الألمان مجتهدون - أذكىاء - عدوانيون .
- الإنجليز محافظون - عمليون .
- الزوج كسالى - يعتقدون فى الخرافات - يحبون الموسيقى .
- الإيطاليون حادو الطبع - مرحون متدينون .
- اليهود ماكرون - ماديون - طماعون .
- الصينيون يحبون التقاليد متحفظون هادئون .

قياس الإتجاهات النفسية الإجتماعية .

إن قياس الإتجاهات له فوائد عملية فى ميادين عديدة نذكر منها ميادين الصحة النفسية والتربية والتعليم والخدمة الإجتماعية والصناعة والإنتاج والعلاقات العامة والإعلام والسياسة والإقتصاد والحياة العامة فى السلم والحرب والهدف من قياس الإتجاه معرفة الموافقة والمعارضة بشأن الإتجاه ومعرفة شدته ومدى ثباته ويجب أن نلاحظ الفرق بين الإتجاه اللفظى والسلوك الفعلى فالإتجاه اللفظى هو الإتجاه المقاس والذي نعرفه من نتيجة مقياس الإتجاهات أما السلوك الفعلى هو الإتجاه العملى .

وهناك دراسة سابقة مثل دراسة « زايف » سنة ١٩٣٩ حين قام بقياس

- ٣٣٠ -

الإتجاه اللفظى نحو عدد من الخرافات مثل اللعب بالمقص يجلب الشر أو النظر فى المرأة المكسورة يجلب الحظ السيئ لمن يرى نفسه فيها ، وحين قاس الإتجاه العملى أو السلوك العملى نحو هذه الخرافات أحضر عددا من المراهبا والمطارق والمقصات ليكسرها الأشخاص غير المؤمنين بصحة هذه الخرافة، فوجد أن اثنين فقط من بين ٣٢ مما عبروا لفظيا عن عدم إيمانهم بالخرافة هم اللذين كسروا المرأة فعلا، وهذا يدل على التفاوت الكبير بين الإتجاه اللفظى والسلوك الفعلى وهذا أيضا يذكرنا بسلوك الغش فى الإمتحانات وأن معظم من لا يؤمنون بالغش يقولون بإفواهم مالم يس فى قلوبهم.

كيف نقيس الإتجاهات النفسية الإجتماعية ؟

لقياس الإتجاهات النفسية الإجتماعية طرقا كثيرة نذكر منها :

أولا : طريقة بوجاردس « مقياس البعد الإجتماعى » تهدف هذه الطريقة لقياس المسافات الإجتماعية بين الجماعات ويتضمن مقياس البعد الإجتماعى أو المسافة الإجتماعية عبارات تمثل بعض مواقف الحياة الحقيقية للتعبير عن مدى البعد الإجتماعى أو المسافة الإجتماعية لقياس تسامح الفرد أو تعصبه وتقبله أو نفوره ومن المعروف أن مقياس « بو: جاردس » من أسهل المقاييس فى التطبيق إلا أنه لا يقيس الإتجاهات المتطرفة تطرفا كبيرا كما فى التعصب الشديد .

وقد طبق « بو: جاردس » مقياسه هذا سنة ١٩٢٦ على عينة تقدر بألفين من الأمريكين لقياس إتجاهاتهم نحو ٣٩ جماعة قومية وفى عام ١٩٣٦ أعاد القياس وقارن النتائج فى المرتين ليدرس التغير الذى طرأ على الإتجاهات .

ثانيا : طريقة « ثرستون » إقترح ثرستون طريقة لدراسة الإتجاهات نحو عدد من الموضوعات وأنشأ عدة مقاييس متساوية الأبعاد ويتكون المقياس من عدد من الوحدات أو العبارات لكل منها وزن خاص وقيمة معبرة عن وضعها بالنسبة للمقياس ككل .

أما فى طريقة إعداد المقياس وتقدير الوزن الخاص بكل عبارة فهي أن

الباحث يجمع عدد كبير من العبارات قد يزيد عن مائة يري أنها تقيس الإتجاه الذي يريد قياسه وتعطي مدي الموافقة أو الرفض أو التقبل أو النفور ثم يكتب كل عبارة عن ورقة منفصلة ويعرض العبارات علي مجموعة من المحكمين الخبراء في الميدان. ويطلب منهم أن يضع كل عبارة في خانة من ١١ خانة بحيث تكون أكثر العبارات الإيجابية في الخانة رقم ١ وأكثرها سلبية في الخانة رقم ١١ والمتوسطة في الخانة رقم ٦ وهكذا ، ثم يحسب متوسط الدرجة التي قدرت لكل عبارة من قبل كل المحكمين وتكون قيمة المتوسط هي الوزن الذي يعطى لهذه العبارة .

ويلاحظ هذا المقياس أنه يستغرق وقت وجهد في إعداده وأن الأوزان قد تتأثر بالتحيزات الشخصية للمحكمين ولقد أستخدمت طريقة ترستون في قياس الإتجاهات نحو الحرب ونحو الكنيسة ونحو تنظيم النسل ونحو الزواج والصينيين .

ثالثا : طريقة « ليكرت » إنتشرت هذه الطريقة لقياس الإتجاهات نحو شتى الموضوعات وغالبا ما يتكون هذا المقياس من خمسة سلالم كل سلم يعبر عنه بعبارة بالقبول أو الرفض أو القبول المطلق أو الرفض المطلق أو الحياد مثل :

غير موافق مطلقا - غير موافق - محايد - موافق - موافق جدا .

ويطلب من المفحوص أن يضع علامة (+) في المكان الذي يوافق إتجاهه بالنسبة لكل عبارة إبتداء من الموافقة التامة إلى عدم الموافقة ، والرقم الموضوع بين قوسين يبين تقدير درجة الإستجابة وعلى هذا فالدرجة المرتفعة تدل على الإتجاه الموجب والدرجة المنخفضة تدل على الإتجاه السلبي ، ويمكن جمع الدرجات التي يحصل عليها الفرد على كل عبارة المقياس لتوضيح الدرجة الكلية العامة التي تبين إتجاهه العام مثال ذلك إذا كان لدينا عشر عبارات في المقياس فإن أعلى درجة يحصل عليها الفرد هي ٥٠ وتدل على الموافقة التامة على الموضوع وأقل درجة يحصل عليها الفرد هي ١٠ وتدل على المعارضة التامة .

هذا ويجب أن تختار عبارات مقياس ليكرت من عدد كبير من العبارات التي يمكن جمعها من إختبارات أخرى وتختار العبارات بحيث تكون محددة المعنى وبحيث توضح نوع الإتجاه سواء كان موجبا أو سالبا ويفضل عدد متساوي من العبارات الموجبة والسالبة وتحتسب معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة وبين

الدرجة الكلية للمقياس .

رابعاً : طريقة « جتمان » فى عام ١٩٥٠ ظهر هذا المقياس وهو مقياس تجميعى متدرج يحقق فيه شرط هام هو أنه إذا وافق على عبارة معينة فيه فلا بد أن يعنى هذا أنه قد وافق على العبارات التى هي أدنى منها - يصح فقط لمقياس الاتجاهات التى يمكن فيها وضع عبارات يمكن تدرجها بحيث يتحقق الشرط الذى وضعه جتمان .

خامساً : إختيار تمايز معانى المفاهيم : وهو عبارة عن أداة موضوعية لمقياس دلالة ومضمون المفاهيم وقد بدأ « تشارلز أوسجود » وزملائه فى عام ١٩٥٢ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٢ هذه الطريقة أساساً فى دراستهم عن الإدراك والمعاني والاتجاهات وأصبحت هذه الطريقة الآن أداة عامة تستخدم فى دراسة الشخصية والدراسات الاجتماعية والسياسية ، ويتضمن إختيار تمايز معانى المفاهيم علي مكونين أساسيين هما :

١ - المفاهيم التى نبحث عن معناها ومضمونها ودلالاتها بالنسبة لأفراد عينة البحث

٢ - المقاييس التى يتحدد على أساسها معنى ومضمون ودلالة كل من المفاهيم ويعتمد كل من هذين المكونين على غرض البحث وهدفه وعلى هذا يمكن أن ينشئ الباحث إختباراً للحصول على معلومات كمية عن بعض المفاهيم الاجتماعية عند جماعة أو جماعات معينة مثل الأولاد والوالدين والمربين والعمال والجنود .

سادساً : الإختبارات الإسقاطية : تستخدم هذه الإختبارات فى قياس الاتجاهات حيث يعرض على المفحوص بعض المثيرات الاجتماعية الغامضة فى شكل صور أو لعب أو جمل أو قصص ناقصة .

وتتميز الإختبارات الإسقاطية فى قياس الاتجاهات بأنها إلى جانب قياس الاتجاهات تكشف عن بعض جوانب الشخصية المرتبطة بهذه الاتجاهات ومن أهم هذه الإختبارات الإسقاطية لدراسة الاتجاهات مايلي :

١ - الإختبارات المصورة وفيها تعرض علي المفحوص بعض الصور التي

تحتوي قائدا وجماعة ويطلب منه كتابة ما تعبر عنه كل صورة .

٢ - الأساليب اللفظية وفيها تداعي الكلمات وتكملة الجمل وتكملة القصص والأسئلة الإسقاطية .

٣ - أساليب اللعب وفيها تستخدم العرائس واللعب فى دراسة إتجاهات الأطفال نحو بعض الموضوعات الإجتماعية فمثلا تمثل الدمي الوالدين والمدرسين والأطفال الآخرين ويعبر الطفل أثناء اللعب عن إتجاهاته نحو هذه الشخصيات فى مواقف إجتماعية معينة .

٤ - تمثيل الأدوار الإجتماعية وهى المعروفة باسم السيودراما والسوسيودراما وقد إبتدع هذا الأسلوب « مورينو » حيث يمثل الفرد موقف إجتماعى بالإشتراك مع آخرين ، فقد يطلب من الطالب تمثيل دوره كطالب بالنسبة لأدوار أخرى كدور المدرس أو زميل من زملائه .

تغير الإتجاهات النفسية والإجتماعية .

إن عملية تغير الإتجاهات فى علم النفس أشبه ماتكون بعملية تغير الدم فى الطب ولاشك أن الإتجاهات قابلة للتغير رغم تميزها بالثبات النسبى وهناك فرق بين عملية تغير الإتجاهات المقصودة وعملية تغير الإتجاهات التلقائية نتيجة لما يؤثر عليها فى الحياة العادية مثل تأثير الأغلبية وتأثير الإيحاء .

ومن العوامل التى تجعل تغير الإتجاه سهلا تلك العوامل الآتية :

- ١ - ضعف الإتجاه وعدم رسوخه .
- ٢ - وجود إتجاهات متوازية أو متساوية فى وقتها .
- ٣ - عدم وضوح إتجاه الفرد أساسا نحو موضوع الإتجاه .
- ٤ - عدم وجود مؤثرات مضادة .
- ٥ - وجود إختبارات مباشرة تتصل بموضوع الإتجاه .
- ٦ - سطحية أو هامشية الإتجاه مثل الإتجاهات التى تتكون فى الجماعات الثانوية والأندية والنقابات والأحزاب السياسية .

—٣٣٤—

القيادة .

إذا تحدثنا عن القيادة فهي لن تخرج عن أنها دور إجتماعى رئيسى يقوم به فرد «القائد» أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة «الاتباع» ويتسم هذا الدور بأن من يقوم به يكون له القوة والقدرة على التأثير فى الآخرين وتوجيه سلوكهم فى سبيل بلوغ هدف الجماعة .

وتوجد القيادة من أجل الجماعة حينما تسمح معاييرها وبنائها للقدرات الخاصة لأحد أعضائها أن تستخدم لصالح الجماعة ولذا نرى أن القائد هو أى شخص يقود جماعة من الأفراد ويؤثر فى سلوكهم ويوجه عملهم .

عن القيادة والرئاسة .

هناك بعض الفروق بين القيادة والرئاسة نجملها فى النقاط التالية :

القيادة تنبع من داخل الجماعة وتظهر تلقائيا غالبا وتكون مسبقة بعملية تنافس عليها من قبل عدد من أعضاء الجماعة والجماعة هى التى تحدد هدفها وليس القائد كما أن سلطة القائد عليها تلقائيا أفراد الجماعة الذى يختارون ويصبحون أتباعا له .

أما الرئاسة فتقوم نتيجة لنظام وليس نتيجة لإعتراف تلقائى من جانب الأفراد بمساهمة الشخص فى تحقيق أهداف الجماعة ويختار الرئيس الهدف من دون الجماعة نفسها وتتميز الجماعة بمشاعر مشتركة قليلة أو عدد مشترك ضئيل وهى تسعى لتحقيق هدف الجماعة ويوجد تباعد إجتماعى أكبر بين الرئيس وأعضاء الجماعة .

والرئيس الناجح هو الذى يقترب فى سلوكه مع الجماعة من القائد أى أنه يجمع بين صفات الرئيس والقائد .

نظريات القيادة .

أولا : نظريات السمات : تهتم هذه النظرية بدراسة شخصية القائد وسماته

وخصائصه الجسمية والعقلية والإنفعالية والإجتماعية ، والواقع أن نتائج بعض البحوث والدراسات تشير إلى أنه ليست هناك سمة عامة أو دلائل موحدة تفسر القيادة على أساس سمات معينة فى كل المجالات .

ولقد ركز البعض على توافر بعض السمات الخاصة غير العادية فى القائد وكانت معظم هذه السمات تدور حول التدين والخيال والإلهام والإتيان بما يشبه المعجزات، ويلاحظ أن السمات والخصائص والقدرات التى تميز القائد تختلف من جماعة لأخرى حسب وظيفتها أو تغير هذه الوظيفة نتيجة للظروف الإجتماعية التى تمر بها الجماعة والقائد ليس شخصا يتصف بمجموعة محدودة وثابتة من سمات الشخصية، من المعروف أن الفرق بين القائد والأتباع فيما يتعلق بسمات القائد هو فرق فى الدرجة وليس النوع وأن الأهمية النسبية لهذه السمات تتوقف على طبيعة المواقف الإجتماعية التى توجد فيها الجماعة والأهداف التى تسعى لتحقيقها ولقد قمخضت نتائج البحوث والدراسات عن قوائم ومن سمات القائد الجيد ومن أهمها ما يلي :

- السمات الجسمية : وهنا نجد أن القادة يفضل أن يكونوا أطول من الأتباع وأقوى من أعضاء الجماعة وأكثر حيوية ونشاطا .

- السمات العقلية المعرفية : بمعنى أن القائد يجب أن يكون أكثر تفوقا من ناحية الذكاء العام وأن الفارق بينه وبين الأتباع واضحا فى الميول والقيم والاتجاهات كما لوحظ أن القائد يميل أن يكون أغنى ثقافة وأوسع أفقا وأبعد نظرا وأقدر على التنبؤ بالمفاجآت والإستعداد لها وأفضل من حيث الطلاقة اللفظية وأن يكون سريعا فى إتخاذ القرارات .

- السمات الإنفعالية : ومعناها أن القائد يجب أن يتصف بالثبات والنضج الإنفعالي والثقة بالنفس وقوة الإرادة .

- السمات الإجتماعية : يجب أن يتسم القائد بالتعاون مع الأتباع ويشجع روح التعاون بينهم كما أنه يجب أن يميل إلى الإنبساطية وروح الفكاهة والمرح بينهم

-٣٣٦-

وأن يكون أقدر على خلق روح معنوية عالية ، وأن يتمسك بالقيم الروحية والإنسانية والتواضع .

ثانيا: النظرية الوظيفية : وفى هذه النظرية ينظر إلى القيادة على أنها وظيفة تنظيمية أى كيف تتوزع الوظائف القيادية فى الجماعة ، وتتلخص أهم هذه الوظائف فى التخطيط للأهداف القريبة ووضع السياسة العامة للجماعة وكذلك السير على أيدولوجية معينة وأن يكون صاحب رأى فى الإدارة والتنفيذ وأن يتصف بالحكم والوساطة وأن يؤمن بفكرة الثواب والعقاب ويجب عليه أن يكون نموذجاً يحتذى ورمزا للجماعة ، صورة الأب .

ثالثا: النظرية الموقفية : وتنظر إلى الوظائف القيادية والسلوك التى يعبر عنها والتى يقوم بها الفرد فى موقف معين على أنها هى القيادة وتشير هذه النظرية إلى أن العضو فى الجماعة قد يصبح قائدها فى موقف يمكنه من القيام بالوظائف القيادية المناسبة لهذا الموقف ، وترى هذه النظرية بأن القائد لا يمكن أن يظهر إلا إذا تهيأت الظروف فى المواقف الاجتماعية لإستخدام إمكانياته القيادية .

رابعا: النظرية التفاعلية : تقوم هذه النظرية على أساس التكامل والتفاعل بين كل المتغيرات الرئيسية فى القيادة وهى القائد وشخصيته ونشاطه فى الجماعة والأتباع واتجاهاتهم ومشكلاتهم فى الجماعة نفسها من ناحية البناء والعلاقات بين أفرادها فى المواقف كما تحدد العواامل المادية وطبيعة العمل وظروفه ، وترتكز هذه النظرية على تفاعل القائد مع الأتباع وإدراكه لنفسه وأتباعه وهكذا تقوم النظرية فى أساسها على أن القيادة عملية تفاعل إجتماعى .

خامسا : نظرية الرجل العظيم : يؤكد أصحاب هذه النظرية أن بعض الرجال العظام يظهرون فى المجتمع ويبرزون فيه لما يتميزون به من قدرات ومواهب عظيمة وخصائص وعبقريّة غير عادية تجعل منهم قادة أى كما فى المواقف الاجتماعية التى يواجهونها .

-٣٣٧-

السلوك القيادي .

- يهتمنا هنا كمشتغلين بالبحث في علم النفس الإجتماعى أن ندرس السلوك القيادى الذى يتحدد فى النقاط الآتية :
- المبادأة والإبتكار والمثابرة والطموح .
 - التفاعل الإجتماعى .
 - السيطرة والزعامة .
 - التمثيل الخارجى للجماعة .
 - العلاقات العامة .
 - التكامل الإجتماعى .
 - التخطيط والنظام والتنظيم .
 - الإعلام والإحاطة وتوصيل المعلومات .
 - التقبل والإعتراف المتبادل بين القائد والجماعة .
 - التوافق النفسى الإجتماعى .

أثر الجماعة فى سلوك القائد الناجح .

- يتضح ذلك فى النقاط الآتية :
- تفاعل الجماعة مع القائد ومساعدته فى تنفيذ ما يخططه ويشير إليه مما يصل بالجماعة إلى هدفها المنشود .
 - إستخدام اللباقة فى إستثارة إهتمام القائد مما يساعد على نجاحه وتحقيق مصلحة الجماعة .
 - إدراك الجماعة أخطاء القائد ومواطن ضعفه حتى يمكن للجماعة توجيهه من أجل صلاحها .
 - على الجماعة تسوية المسائل البسيطة من تلقاء نفسها تخفيفا للعبء عن القائد .

أنواع القيادة والمناخ الإجتماعى .

أجريت دراسات كثيرة حول أنواع القيادة والمناخ الإجتماعى بصفة خاصة :

١ - القيادة الديمقراطية « الإقناعية » .

٢ - القيادة الديكتاتورية « الإرغامية » .

٣ - القيادة الفوضوية « الحرية المطلقة » .

وقد أجريت بعض الدراسات التى تثبت أثر سلوك الفرد والجماعة بمناخات إجتماعية ثلاثة ودراسة بعض الإستجابات التى تحدث عند الإنتقال من إحدى هذه المناخات إلى مناخ مغاير وهذه المناخات الإجتماعية الثلاث هى :

المناخ الديمقراطى - المناخ الديكتاتورى - المناخ الفوضى .

وقد أجريت تجربة عن هذه المناخات الثلاث وكانت عينة هذه التجربة تتكون من تلاميذ فى فرقة دراسية واحدة قسموا إلى أربع نواد بكل ناد خمسة أطفال . ولكل ناد إسم معين وقد حدث تجانس بين النوادى الأربعة من حيث الصفات الشخصية والجسمية والذكاء والميل إلى الطاعة ، وإستخدم فى ذلك إختبارات الذكاء وتقديرات المدرسين ومقياس العلاقات الإجتماعية ، وتوحدت أوجه النشاط فى الأندية وعمل فى هذه التجربة أربع رواد تعاقبوا مع كل ناد من النوادى الأربعة وتبادلوا العمل فى مناخ الجماعة فى المواقف المختلفة مرة كل ستة أسابيع ، وفيما يلى وصف المناخات الإجتماعية كما طبقت فى التجربة :

الديموقراطية:

- سياسة النادى وأوجه النشاط إتفق عليها نتيجة لمناقشة جماعية وقرار جماعى بأخذ الأصوات مع تشجيع القائد ومشاركته .
- الخطة الشاملة نوقشت بطريقة ديموقراطية .
- كان لكل طفل حرية إختيار رفاق العمل .
- كان الرائد يستخدم الثواب والعقاب بطريقة موضوعية .

الديكتاتورية :

- وضعت سياسة النادى بمعرفة الرائد وحده .

— ٣٣٩ —

- كانت أهداف النشاط غير معروفة .
- لم يكن للفرد حرية إختيار رفاق العمل .
- إستخدام الرائد الشواب والعقاب بطريقة شخصية .

الحرية المطلقة :

- كان هناك حرية تامة مطلقة .
- كان إختيار رفاق العمل والأصدقاء بحرية تامة .
- كان الرائد حيا ديا تماما في جميع تصرفاته .

وكان من أهم نتائج هذه التجربة الثقة المتبادلة بين الأفراد بعضهم وبعض وبينهم وبين الرائد قد ظهرت فى المناخ الديموقراطى الذى أشاع جوا من الثقة المتبادلة بعكس المناخ الديكتاتورى الذى يجعل الأفراد أكثر إعتما داً على الرائد وأكثر قملقا له. كما كان فى المناخ الديموقراطى صفات الإستقرار والراحة النفسية والمسالمة بعكس المناخ الديكتاتورى الذى ظهرت فيه مظاهر القلق وعدم الإستقرار وحدة الطبع وإنخفاض الروح المعنوية ومن ناحية مناخ الحرية المطلقة كانت الثقة المتبادلة فيه على درجة متوسطة بين المناخ الديموقراطى والديكتاتورى ، وفيما يختص بتعاقب بعض المناخات الإجتماعية كانت كالاتى :

الانتقال من الإستبدادية إلى الديمقراطية أو الحرية المطلقة يترتب عليه أول الأمر إنفجار عنيف ، هذا الإنفجار يدلنا على ما كان يشعر به الأفراد سابقا من كبت وتوتر شديدين إلا أن هذا السلوك لم يستمر طويلا بل تأقلم الأطفال مع المناخ الإجتماعى الجديد

الانتقال من الإستبدادية إلى الديمقراطية أو الحرية المطلقة ثم العودة مرة أخرى إلى المناخ الإستبدادى قد قوبل بمعارضة شديدة بعد تجربة مناخ الديموقراطية والتأقلم بها .

أشكال القيادة .

تتعدد أشكال القيادة حسب أنواع الجماعات وأسلوب القيادة ذاته وتتناول فيما يلى أشكال القيادة .

أولا: القيادة الجماعية :

- تتضمن توزيع المسئوليات القيادية بين أفراد الجماعة حسب قدرات كل منهم وليس هناك شئ فى طبيعة القيادة نفسها يتطلب تركيزها أو توزيعها .
- والقيادة الجماعية ضد تركيز القيادة فى يد فرد واحد بل ينتظم الأعضاء فى تنظيم يتبع فى تعاون المجموع فى تحقيق الأهداف والعمل للوصول إليها ، وهكذا نجد أنها تنبع من المبادئ الديمقراطية ، ومن مميزات القيادة الجماعية ما يلى :
- تؤدي إلى تنمية شخصية الفرد سواء كان قائدا أو عضوا .
 - تخفف العبء على القائد وتقلل اعتماد الأعضاء عليه .
 - تكفل للفرد حق تقرير مصيره .
 - تعبر بالطريق السليم لحل مشكلة توافق الفرد مع المجتمع .
 - تتسم بالديمقراطية وتنقى النفوس من النزعات الفردية .
 - تدفع القائد للتفاعل مع الجماعة والإنسجام معها .
 - تزيد من فاعلية الجماعة والعمل لصالحها .

ثانيا : القيادة الإدارية :

على القائد الإدارى أن يدرس جماعته من حيث الأدوار التى يقوم بها أفرادها و تماسك الجماعة و بناؤها وأهدافها وعليه أن يكون تأثيره فى سلوك أعضاء الجماعة وتوجيهه لهم فى سبيل تحقيق أهداف الجماعة بأسلوب ديمقراطى بعيدا عن الأوتوقراطية والتسلطية والبيروقراطية ، ومن أهم أسس القيادة الإدارية :

- إعطاء المرؤسين قدرا كسيرا من الحرية فى وضع خطة العمل وتحديد الأهداف .

- العمل على الحفاظ على تماسك الجماعة وتضامنها وقوة بنائها .
- القيادة المتمركزة حول الجماعة تؤدي لنتائج أفضل من أسلوب القيادة المتمركزة حول الإنتاج .

ثالثا : القيادة العسكرية .

القيادة العسكرية هي فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحو هدف معين بطريقة تضمن بها طاعاتهم وثقتهم واحترامهم وولاءهم وتعاونهم . والقائد العسكري الجيد هو الذي يتحلى بالسماات القيادية الديمقراطية والثقافية العامة والتدريب العملى والصحة النفسية .

ومن دلائل النجاح فى القيادة العسكرية إرتفاع الكفاءة القتالية للجماعة والإلتزام للأفراد بقواعد الضبط والربط وإرتفاع الروح المعنوية وسيادة روح الفريق .

ولا ينكر أحد أهمية وجود القائد الجيد وخاصة أن الجماعات فى القوات المسلحة واجبها مقدس وخطير ويعتمد على حسن أداء واجبها من أجل كرامة الوطن نفسه ويتصور الكثيرون أن العبء الأكبر يقع على القيادة نفسها ومن هنا قال « نابليون بونابرت » لا يوجد جندى ردى بل يوجد ضابط ردى » .

الفصل الرابع عشر

الصحة النفسية والسيكودراما والإدمان .

- * أهداف الصحة النفسية .
 - * التوافق والقدرات العقلية .
 - * سيكولوجية الشخصية .
 - * أنماط الشخصية .
 - * المظاهر الجانبية للشخصية .
 - * ميكانيزمات السيكودراما ومسرح مورينو .
 - * دور المسرح العلاجي .
 - * وظائف السيكودراما والسييسودراما
- والسسيومتري .
- * الرعاية الاجتماعية المطلوبة .
 - * المميزات المرغوبة في الأخصائي الإجتماعي .
 - * أساسيات النجاح في الإشراف والإدارة .
 - * حاجتنا إلى التوجيه المهني .
 - * إدمان الخمر والنحدرات .
 - * وسائل علاج الإدمان .
 - * الآثار النفسية لإدمان الحشيش .
 - * اتجاه جديد في علاج الإدمان .

الصحة النفسية والسيكودراما والإيدمان .

تعريف الصحة النفسية .

هي القدرة على توافق الفرد مع المواقف المختلفة وكذلك قدرته على مواجهة مشاكله الشخصية بدون توتر واضح بحيث يظل قادرا علي أن يكون شخصا بناء في المجتمع .

يقدم هذا الفصل وظائف الصحة النفسية وقيمتها في سلسلة التوافق الفردي وينحصر في :

- ١ - تقرير مختصر لمشاكل صغار السن والتي تظهر أثناء محاولتهم الوصول إلى مرحلة النضج .
- ٢ - وصف عوامل النمو البشري .
- ٣ - تقديم طرق الإرشاد في التوافق المستخدمة في المدارس .

مشاكل التوافق لدى الأشخاص .

لو درسنا جماعة من الناس في جيل معين ومن جميع الأعمار لوجدنا أعراضا خطيرة للإضطرابات والضغط النفسى لديهم . وفي أثناء فترة الأزمات القومية أو العالمية تزداد هذه المجموعة من الناس ويظهر التأثير الخطير على صغار السن خاصة .

وتقع المسئولية في ضغط الإضطرابات بين الشباب على المهتمين بسلامة صغار السن من الآباء والأمهات والمدرسين ورواد المجتمع الآخرين ، كما أن الحروب لها تأثيرها الشديد على صغار السن .

فقد زاد الإنتاج بتوسع كبير مع بدء الحرب العالمية الثانية وزاد الطلب على العمال زيادة كبيرة وقد زاد من تشجيع بعض صغار السن على التصرفات والمواقف المستهجنة ، فبحالهم في مجال العمل وهذه التصرفات ليست فقط تجاه مرءوسهم بل تجاه عائلاتهم أيضا « إعتماذ الشباب على نفسه وإستقلاله » فإستقام الشباب فوق سن ١٨ سنة لقوات الجيش قد أثر على تعليمهم ونموهم الإجتماعى لأن نقل هؤلاء الشباب من بيئتهم التي تعودوا عليها إلي معسكرات الجيش وتغيير طبيعة

حياتهم كان عاملا مساعدا علي إضطراباتهم جميعا ما عدا القلة منهم حيث أن بقاءهم في الحياة مقترن بتجارب الحرب والتدمير « الخوف من الموت » كذلك وجود الشباب والرجال بزي واحد أثناء فترة الحرب في بعض المدن وسط الفتيات والسيدات أدى إلى إتجاهات وتصرفات جنسية غير طبيعية .

كما أثرت الحروب أيضا على مستوى الصداقات والعلاقات حيث أصبحت تتم بسرعة وقبل أن يجد الناس الغرض من معرفة بعضهم البعض وقد أسفر ذلك عن خيبة الأمل في العلاقات الزوجية والصداقات مما أدى إلي التدمير النفسي والعقلي . أما الفترة التي تلت الحرب والتي تركزت فيها عملية البناء والتغيير جعلت الأغلبية تمر بتجارب عديدة وأسفرت أيضا عن الكثير من المشاكل التي كانت لها خطورتها على التوافق ، وكان الإنتقال من الحرب إلى مرحلة السلام في حاجة إلى أنشطة مختلفة لتتناسب وأوضاع العمل وإعادة بناء النظام الإقتصادي ، كما أدى ذلك إلى الإضطرابات النفسية وعدم التوافق وتغيير السلوك وعلى الأخص في مرحلة المراهقة وظهر هذا التوتر أيضا على الأطفال المولودين في هذه الفترة وظهر ذلك في سلوكهم وتصرفاتهم ، وقد كان من الطبيعي أن يظهر ذلك في الأطفال بسبب وجود آبائهم في محيط المشاكل الاقتصادية الإجتماعية حيث فقد جو الأمان الذي كان يجب أن يتوافر لنمو هؤلاء الأطفال .

الحاجة للصحة النفسية ووظائفها :

وللحفاظ على الإستقرار المعنوي للمواطنين يجب أن نبدأ بتقييم :

أولا : طاقة صغار السن وتقاس بطريقة غير مباشرة عن طريق الوراثة .

ثانيا : المؤثرات العلمية والبيئية التي توجه الطموح وكذلك الإتجاهات

والمناشط في مرحلة الطفولة والمراهقة مع وجود الصحة البدنية والنفسية للفرد ، فالشخص الذي يفقد الشقة بنفسه وبالآخرين هو الذي يسمح لنفسه أن يظل قلقا بدون سبب بشئون الحياة اليومية . والذي يتفاعل مع الآخرين بطريقة عدوانية لتحقيق ذاته ، يصبح عبئا على نفسه وعلى المجتمع .

ولقد أثبتت التجارب العلمية تأثير هذه الحالات على نمو الإضطرابات العقلية فوجد أن هناك أكثر من ٨ مليون أمريكي متأثرون بدرجة معينة بالأمراض

٣٤٥-

العقلية ، ويجب أن يواجه هؤلاء الأشخاص الذين يندرون بمرض عقلى إلى محللين نفسيين أو أخصائيين فى الأمراض العقلية .
وتعتبر الوظيفة الأولى لأولياء أمور صغار السن هى المحافظة على الصحة العقلية لهؤلاء الأشخاص فى مجالات عملهم .

أهداف الصحة النفسية .

- ١ - المحافظة على سلامة النفس للفرد والجماعة .
- ٢ - فهم العلاقة بين تجارب الحياة ونمو الشخصية .
- ٣- الإكتشافات والبحث العلمى الذى يمكن من خلالهما تقديم المساعدة لمرضى النفوس ويعتبر كل من يعمل مع صغار السن مسئولاً عن تركيز الجهود والوقاية من المرض النفسى والمحافظة على سلامتها . فالآباء والأمهات ورجال الدين والباحثون الإجتماعيون وأصحاب الأعمال والمسئولون بالمدرسة ، كل هؤلاء فى حاجة إلى معرفة الخطورة على الصحة النفسية فى الحالات المتوارثة فى البيئة على مر الزمن وبناء على ذلك يجب أن يوفقوا بين صغار السن وهذه الحالات أو يساعدوهم على التوافق مع العوامل التى يصعب تغييرها ، وبهذا تكون نسبة حدوث الأمراض العقلية أقل .

التوافق أثناء الطفولة والمراهقة .

التكوين الجسمانى :

قد يكون تكوين الفرد الجسمانى أهم العوامل الواضحة فى شخصيته حيث نجد كل من يتعاملون معه مستجيباً لتكوينه البنىانى ، لجاذبية مظهره ، ولقوته ونشاطه ، إن بعضاً من هذه الصفات يمكن تكييفها بالممارسة ، ولذلك يجب على الآباء والمدرسين أن يعرفوا ويطبقوا مبادئ الحفاظ على الصحة حتى يستطيع الأطفال تكوين عادات شخصية محبوبة منذ حياتهم الأولى مثل عاداتى الغذاء الصحى والنوم وهما أساسيتان للصحة الجيدة ، فليس من السهل التعود على النظام فى الطعام وليس كل فرد يعرف أهميته بالنسبة لنمو الطفل .

-٣٤٦-

إن فترة فطام الطفل لابد أن تكون تدريجية ومحدودة ويجب أن يقدم الطعام للطفل الصغير قبل تناول بقية أفراد الأسرة غذائهم .
وكثيرا ما يجلس الطفل إلى مائدة الطعام ويمنع الكبار من الإستمتاع بالأكل أو الإنتظار حتى ينتهوا من الطعام أو الكلام ويجب تدريبه على عادات الطعام الجيدة وعلى آداب المائدة .

إن عادات النوم هى مسئولية الأبوين ، فالنوم الكافى والمريح هو عادة صحية ، ومن هنا يجب أن تنظم ساعات النوم منذ الطفولة المبكرة ، ولابد أن يدرّب على الذهاب إلى فراشه لينام دون إهتمام من الأم أو أفراد الأسرة الآخرين .
إن تكوين عادات منتظمة للنوم أثناء فترة الطفولة التى تستمر أثناء حياته لها فائدتها وتأثيرها الصحى الممتاز على الكبار البالغين كما أن لها أثرها على الأفراد الصغار .

وتنمو مقدرة الطفل على المشى تدريجيا مع نموه الجسمانى وعلى الوالدين ألا يصمما أن يبدأ الطفل المشى مبكرا جدا إذ لابد من الإنتظار حتى يتم النضج الكافى كما يمكن للطفل أن يتدرب على المشى برشاقة مع بسط قامته .
إن عادات الكلام التى تتكون أثناء فترة الطفولة تميل إلى البقاء لذلك فإنه يجب على الأبوين والكبار أن يهتموا بطريقتهم فى الكلام واختيار الكلمات والألفاظ بوضوح وبطريقة مميزة كما يجب تشجيع الأطفال على ذلك ، فأثناء فترة الطفولة يحصل الفرد على المفاهيم الأولى لقيمة العادات الصحية السليمة بالنسبة لنفسه ولقيمة العناية المنتظمة لجسمه .

وعموما فإنه أثناء تكوين عادات النظافة مثل تجنب العدوى أو الملامسة والعناية بالأسنان أو تجنب المؤثرات الناتجة من البرد يجب أن تكون جزء من عادات الطفل التى يعطيها له الأبوان عن طريق إرشادات مناسبة فى هذه الأمور ، ويميل المراهقون لإنتهاز الفرص المؤدية إلى بناء جسمانى ضعيف ، وفى نفس الوقت يصبحون أكثر إنتباها لمظهرهم الجسمانى وقد يذهبون للتطرف حتى يحصلوا على الإنتباه ولفت الأنظار .

ليس هناك من وقت يحتاج فيه لفرد للإعتدال أكثر من هذه الفترة من ناحية نوعية الطعام الذى يأكله وأنواع النشاط التى يزاولها ونظام وعادات النوم والعناية

-٣٤٧-

يظهره كل ذلك يكون القواعد للإهتمام المتزايد لتدريبات فترة المراهقة ، وهنا يبدأ الإستقلال النامى للشباب أثناء هذه الفترة ، لذلك يجب تدخل الأبوين والمدارس فى هذه الشئون بطريقة غير مباشرة ولكنها محدودة .

أهمية التوافق العاطفى :

تتأثر شخصية الطفل عامة بالبيئة المحيطة به والتي نما فيها وكذلك التأثير على التحكم فى عواطفه ، فمن السهل معرفة بعض الحالات مثل الكبت والفشل فى تحقيق هدف معين وعدم القدرة على إشباع إحدى الرغبات الداخلية للشخص وكل ذلك يؤدى إلى إختلاف فى التوازن العاطفى للشخص وهناك عدة تأثيرات بيئية على الطفل تؤدى إلى حدوث ضغط عليه بالرغم من أنها غير موجهة لشخصه مباشرة ، إن مثل هذه المؤثرات قد يتوافق معها الطفل وقد لا يتوافق ، وقد يضطرب الطفل أثناء مشاجرات الأبوين أو نتيجة العطف الزائد ، وكذلك قلقه على الناحية المادية أو حالات مرض أحد أفراد الأسرة ونتيجة لذلك قد يصاب الطفل بالقلق النفسى .

إن أثر بيئة المنزل على الطفل ينتج عنها إحتياجات تساعد أو تعرقله من الناحية الدراسية بالمدرسة ، ويعتبر الآباء مسئولين عن التوافق العاطفى للطفل ، ويتقاسم الآباء والمسئولون بالمدرسة مسئولية سلوك وعادات حديثى السن والمراهقين. هذا وقد تساعد البيئة المنزلية السليمة على تعليم ومزاولة الطفل لمبادئ ضبط النفس وعندما ينتقل الطفل إلى المجتمع الأكبر وهو المدرسة يجد نفسه وسط زملاء كثيرين كل يختلف عن الآخر ، فيجد نفسه حائرا فى مواقف لا يستطيع فيها تطبيق مبادئه التى تعلمها بالمنزل .

لذلك يحتاج الطفل إلى توجيه إضافى لمقابلة تطور العادات الأخرى بالمجتمع المرغوب فيها توجيهه إلى أوجه النشاط المختلفة بالفصل لتساعده على تفهم موقفه هو وزملاءه فى حقهم للوصول إلى النجاح عن طريق التعلم ، ولابد للطفل أن يفهم مبكرا حقيقة هامة وهى حاجة المدرس إلى تعاون جميع التلاميذ فى الفصل وأن عدم تعاون أى تلميذ غير مسموح به فى الفصل للتأثير على عملية التعلم والتعليم .

٣٤٨-

وهنا لا نستطيع إفتراض أن الشخص الذى لم يوجه مبكرا يكون قادرا على ضبط سلوكه بتصرفات مرضية خلال فترة تعليمه المختلفتويناء علي ذلك فإن وظيفة المدرس ابتداء من فترة الحضانة حتى أعلى المستويات لابد وأن توجه نحو توافق السلوك المرغوب فيه للتلاميذ وذلك بإستخدام المقاييس التربوية التى يراها المعلم مناسبة لتحقيق هذا الغرض. كما يجب تطبيق هذه الوسائل بطريقة مفهومة وموضوعية وعليه أن يعلم التلاميذ مفهوم التعاون السليم للعمل على إصلاح سلوكهم الشخصى ويعتبر أهم شئ فى ذلك أن تتبع هذه المقاييس الخلقية من الإحساس الداخلى للتلميذ ولا يكون هذا التحكم فى الفصل فقط بل لابد أن يتعداه إلى مختلف المناشط للتحكم وضبط النفس عن مزاوله أى سلوك ضار فى أى مجال آخر. وعادة ما يعتبر المراهق نفسه قد أتى بتصرفات مندفعة وتظهر هذه التصرفات إما معبرة عن قلقه أو مقبولة بالنسبة له ، وقد تؤدي إلى :

صراعات عاطفية - اضطرابات جنسية - حماس - غيرة - تعاطف - مرح .
ومن أهم وظائف التوافق فى سن المراهق تعليم الفرد تدريجيا التحكم فى ضبط العواطف الحادة والظاهرة ، وعلى المراهق ألا يلجأ إلى أخذ العواطف بطريقة حادة جدا حتى يصل إلى التضج العاطفي السليم حيث أن عدم التضج العاطفى لا يؤدي إلى تعاسة الفرد المراهق فقط وإنما يؤدي إلى تعاسة الآخرين المحيطين به فإذا تعود المراهق على ممارسة العادات الصحية السليمة التى تعود عليها فى الصغر مثل النوم - الغذاء - عمل الواجبات - الترفيه . فستكون قدرته على توجيه عواطفه التوجيه الصحيح أكبر وأفضل . وعلاوة على ذلك فتقديم هذه المؤثرات يكون تدريجيا حتى نعطي المراهق فرصة لتكييف نفسه لمؤثر تلو الآخر حتي لا يصاب بأى مرض عقلى .

التوافق والقدرات العقلية :

يمكن للطفل أن يظهر علامات مبكرة للتألق ، وتشير إلى قدرة لا تزيد عن المتوسط ، وهنا يبالغ الأبوان أحيانا فى تقدير الطفل ويأملون أن يصلوا به إلى الكمال حيث يجعلون حياة الطفل بائسة بإتهامه بالكسل والتراخى أو التقصير فى تقدير ما يفعلونه من أجله ، كما يجعلونه دائما يشعر بأنه مسئول شخصيا عن

-٣٤٩-

التقصير فى التحصيل المتوقع نتيجة لذلك يقل إهتمامه لزيادة التعليم .
 هذا وقد يحدث الصراع العقلى عندما يحاول الفرد أن يفهم الأنماط المختلفة
 للسلوك وأن يرسم سلوكه الشخصى على الأنماط التى تتراءى له ليكون القيمة
 القصوى للتقليد ، فإذا تمكن الشاب من المساعدة على التعرف على الأسباب
 التقليدية والبيئية وإختلاف المستويات واستطاع بذلك أن يحصل على تقدير قيم
 لأكثر الطرق المقبولة للتفكير والأفعال وأن يخرج بمشاليات وأنماط سلوكية شخصية
 خاصة به والتى ستحل هذه الصراعات ، فإن ذلك يؤدى إلى التكيف النفسى لوسطه
 الذى يعيش فيه .

التوافق الجنسى:

يهدف التعليم إلى التوافق الأسرى وقد أصبح للعلاقات بين الجنسين مفهوم
 من جانب الوالدين والمؤسسات التعليمية الأخرى وهنا نتساءل : ما هى المعلومات
 التى يجب أن تعلم للطفل عن الجنس ؟ وفى أى وقت يجب أن تعطى ؟ وفى أى
 إطار ؟ .

هذا هو السؤال الذى يقابل كل من حاول الإهتمام بهذه المشكلة .
 إن كثيرا من الآباء والأمهات يترددون فى المبادرة فى الحديث عن الجنس
 ليس لشئ ولكن لقلّة تدريبهم وتبعاً لذلك يميلون إلى الإمتناع عن الحديث ويتركون
 للطفل أن يتعلمها كيفما شاء وفى المجتمع الحالى يعلم الأطفال بعضهم بعضاً
 الكثير عن بعض أجزاء الجسم ووظيفة كل عضو فى وقت مبكر عما يتوقعه الآباء .
 لذلك أصبح من المهم أن يتعلم الطفل المعلومات السليمة عن فهم عملية
 الولادة وأجزاء الجسم ووظائفها والبلوغ بالنسبة لجنسه والجنس الآخر قبل أن ينه
 لذلك بمعلومات خاطئة من الآخرين .

إن توجيه الأطفال للعادات الصحية السليمة المرغوبة مثل التبول والتبرز
 ونظافة أعضاء الجسم يعتبر طريقة غير مباشرة فى التعليم الجنسى كما أن حب
 الإستطلاع عند الأطفال يزيد عند الأشياء التى يحاول الكبار أن يخفوها عنه ، لذا
 يجب أن يتعود الطفل أن يرى أجساد الأطفال من الجنسين عارياً ، ويجب أن يلاحظ

الإختلافات العضوية بين الذكر والأنثى ويتقبلها حتى يقل عند الطفل حب الإستطلاع للفرقة بين الجنسين كما يجب على الأم والأب ألا يشعرا الطفل بحبهم لأحد الأطفال فى الأسرة عن الآخر حتى يشعر الطفل بالحب والطمأنينة ، ولا بد لممارسة الحب أن يرتبط بالتضحية بالرغبات الشخصية والأفعال الطيبة من شخص لآخر حتى يتعلم الطفل الحب بمفاهيمه الكبيرة ويعتبر كل ما يتعلق بجسم الطفل وحياته من أهم الأشياء بالنسبة له .

ولذلك إذا لم ينهر من والديه فسوف يلقي عليهم جميع الأسئلة التى يريد لها أجوبة عن نفسه سوف يسأل من أين يأتى الأطفال ولماذا تختلف أخته عن أخيه ؟ وعليه يجب أن يلم بالأسماء الصحيحة لجميع أجزاء الجسم مثل : المستقيم - الأرداف - الشرج - القضيب - الخصيتين - المهبل ، ولابد للطفل أن يعلم أن الرضيع كان فى جسم أمه وأن للأب دورا فى خلق هذا الرضيع ، إن معلومات من هذا القبيل لابد أن تعطى للطفل بطريقة لبقة حتى يستطيع أن يفهمها وإذا لم يكن هناك إتجاه لإحترام النفس والوالدين وأفراد الجنس الآخر أثناء إعطاء معلومات جنسية فسوف تنشأ وتشجع عادات غير صحيحة .

لذا لابد لتعليم الطفل من الصغر ضبط النفس وإحترام الآخرين فى جميع علاقاته الإنسانية .

وعلاوة على ذلك هناك طريقة مثلى لصرف النظر عن أى علاقة جنسية غير مرغوب فيها وهى إيجاد القرص لبذل الطاقة مثل : الألعاب والأعمال الصحية حتى لا ينصرف الشخص إلى عادات غير مرغوب فيها .

وحين يقترب الطفل من سن البلوغ فهو بحاجة للتهيئة إلى التغيرات الجديدة التى ستحدث له فقد تشعره التغيرات الجديدة بالرغبة فى ممارستها مع نفسه أو مع بعض الأولاد والبنات ، وتتأثر الحياة الجنسية للمراهق عند بداية حياته كبالغ بكيفية إعدادة جنسيا ممن يكبروه هذه التغيرات التى تحدث للصغار سواء كان مهينا لها أو غير مهين ، وعادة ما إقترن بصدمة كبيرة وبالرغم من أن الصبى عادة لا يشعر بنفس الإضطرابات النفسية التى تصاحب الفتاة عند سن البلوغ خاصة إذا كانت لم تهيأ نفسيا لإستقبال أول عادة شهرية فقد تصاب بالقلق النفسى عند رؤية الدم لأول مرة .

إن إعطاء المعلومات الصحيحة عن الظواهر الطبيعية فى سن البلوغ قد يمنع حدوث صراعات نفسية للصبى البالغ .

كما أن إتجاه الفتاة نحو الوظيفة الطبيعية لبلوغها تعتمد كثيرا على إتجاه والدتها ، فقد تحدث العادة الشهرية مبكرا وبانتظام وقد تكون مؤلمة وفى كل الحالات يجب أن تفهم الفتاة العلاقة بين هذه التغيرات مستقبلا مع الزواج وعلاقتها بالأمومة ومسئولياتها .

وأثناء السن المبكرة للمراهقة قد يجد الصبى أو الفتاة جاذبية غير متوقعة من الجنس الآخر كزميل بالمدرسة أو جار للطفولة الذى كان بالأمس لا يعنى أى شئ وقد أصبح فجأة له مميزات رائعة تجعل منه إنسانا مرغوبا .

إن وجود هذه الدوافع الجديدة فى حياة الشخص قد تعود بتغيير كامل للعادات والإتجاهات والأنشطة المختلفة ، كما أن الأعمال الروتينية قد تصبح غير محتملة ، أما المظهر الخارجى للشخص فله أهمية عظمى .

وبالنظر إلى سلوك الأفراد فى سن المراهقة نجد هناك متناقضات فقد يصبح الفرد عدوانيا أو فى معظم الحالات يميل إلى الخجل أو عدم الكلام بدون داع ولا يعلم المراهق فى هذه السن إن حبه للطرف الآخر ليس حبا حقيقيا .

وإذا كان الفرد مهيتا نفسيا قبل بلوغه سن المراهقة عن الجنس ، وأتيحت له الفرص للإرتباط بالجنس الآخر ولم يتعرض إلى تشويه إتجاهات الجنس من هن أكبر سنا فسيكون قادرا على تحقيق توافق جنسى معقول .

التوافق الإجتماعى :

بعد أن يصبح الطفل مدركا للأشخاص الآخرين الذين يكونون بيئته الإجتماعية فإنه يميل لأن يعتبرهم الوسائل التى يمكن عن طريقها أن يحصل على الرضا الشخصى ، إنه يحتاج لتدريب لكى يعدل إهتماماته الذاتية البحتة وأن يتعاون من أجل مصلحة الآخرين فى جميع الأنشطة .

يقلد الطفل مبكرا عادات أسرته فى الحديث والطعام ويعكس تدريجيا إتجاهاته التى تعلمها بمنزله نحو المجتمع الأكبر من الأصدقاء والمعارف والآخرين الذين يتعامل معهم من ناحية الإتجاهات فى الشك والثقة والإسراف والإقتصاد

والمشاجرات والسلام والسلوك الإجتماعى أو غير الإجتماعى .
لذا نرى للبيئة إعتبارا هاما فى التكيف الإجتماعى للشباب فيبدأ الفرد فى التكيفات الإجتماعية الجديدة والمختلفة مع سن المراهقة فهو قد ينمى ميول عقائدية ودينية ، كما قد يعتقد مثلا أنه يستطيع أن يصلح العالم « الكون » وأن يصبح شهيدا للمواجب والصالح العام .
إن معرفة المراهق بتقدم العالم ومشاكله قد تثيره إلى التضحية بنفسه وإلى التبعية الذاتية لينافس أعمال رواد التقدم الإجتماعى الذين درس عنهم أو قد يكون تقديرا عظيما لنفسه وأهميته .
وتبعاً لذلك فقد يصل إلى مرحلة أكثر مما يعطى وربما يصل لدرجة ينظر فيها لنفسه كصاحب الحق الكامل لمصالحه المبالغه وبذلك لا يهتم إتجاهاته نحو الآخرين مع شعوره بالاستقلال .
ولكى تنخفض حدة الصراعات المراهقة فإن الشباب يحتاج إلى الفرص الكثيرة للتدخل فى دراسة الصراعات المشيرة أو الإندماج فى الأعمال أو بعض النشاط الترويحية .

سيكولوجية الشخصية .

إن مصطلح الشخصية - كأي مصطلح فى علم النفس - له إستعمالات كثيرة ويجب أن نولى هذا المصطلح عنايتنا حتى يمكننا تحديد المعنى العلمى الدقيق عند إستخدامه فى علم النفس ، وكثيرا ما نصادف أناسا يقولون أن « نادرا » ذو شخصية فذة و« ماجدة » لا شخصية لها ، كما أن القليل من الأشخاص سعداء الحظ للغاية لأنهم ذوو شخصية مؤثرة فى الآخرين . بينما البعض الآخر يعيش عيشة هامشية ولا شخصية لهم بالمرة ، ومن ثم يمكننا القول بأن الشخصية ليست مقدرة بعض الأفراد على إكتساب الإهتمام والمنفعة ، ولاشك أن كل التعبيرات السابقة تتضمن تقييما وتأثيرا لبعض الأفراد على البعض الآخر ولذا فهناك الشخصيات القوية والشخصيات الضعيفة والمنبسطة والمرحة والمكتئبة والمنشجرة وليست المسألة مسألة شخصية ضعيفة أو قوية ولكن لب الموضوع كله قد يكمن فى تأثير الفرد على الآخرين وأثره عليهم .

-٣٥٣-

إن كل الأفراد يختلفون كثيرا فى شخصياتهم وليست هناك شخصيتان متشابهتان أبدا مثلها فى ذلك كمثلى البصمات التى لاتتشترك إثنان منهما فى سمات واحدة .

وهنا نقول إن الفرد مجموعة من الصفات والخصال مجتمعة بعضها البعض لتكون نمطا متكاملا عندما ننظر إليه ككل وبذا تعرف الشخصية على أنها نمط متكامل من الصفات أو السمات .

سمات الشخصية :

ليست هناك سمة أو خاصية معزولة وحدها أو أنها تخص فردا واحدا وحده مما يجعل مفهوم الشخصية أكثر شمولاً ولسوف يتضمن ذلك المميزات الطبيعية والخصال السلوكية والقدرات العقلية ونوع المزاج . إن إهتمامنا الأول - من وجهة نظر علم النفس - ستركز على التباين فى السلوك ، وكذلك الاختلاف فى القدرات ، وهنا نتساءل : كيف يختلف الناس فى سلوكهم ؟ وليس هناك مصطلحا وأقيا يشمل كل الصفات السلوكية التى لم ترد فى القدرات العقلية .

المزاج .

يستخدم هذا الإصطلاح ليشمل كل الصفات الإنفعالية أو العاطفية للأفراد ولكن لا يأخذ كل الصفات السلوكية التى لا تصنف تحت القدرات .

الخلق .

هذا المصطلح له أهمية أخلاقية ويمكننا القول أن الصفات السلوكية هى الصفات التى نضفى عليها تقييما أخلاقيا ، إن صفة كالعصبية أو التألف أو المرونة من الصعب أن تكون صفة صحيحة صحة مطلقة . فالناس لا يمكن أن نمدحهم أو نلومهم طبقا لمثل هذه الصفات السابقة فى ثقافتنا الحاضرة ولكن صفات مثل الخوف والجبن والقسوة والأمانة لها وجهة نظر أخلاقية تحت قوانين علم الأخلاق إن مثل هذه الصفات الشخصية تمثل الطرق التى يختلف فيها الناس .

مشكلات الشخصية .

إن المشكلات السيكولوجية للشخصية كثيرة ومتعددة وذلك من وجهة النظر البحتة وهنا يتطلب الأمر أن نعرف ما هي الصفات الهامة وكيف أنها تتجمع لتكون النمط الذي نسميه شخصية الفرد كما نحتاج أيضا أن نعرف كيف تنمو الشخصية وكيف يصبح الفرد ذا شخصية ؟ وإن حاولنا تغيير شخصية الفرد فإن إهتمامتنا سوف تنحصر فى طرق دراسة الأشخاص والوسائل التى يمكننا بها أن نحدث التغير المطلوب نحو الأكمل والأفضل .

أبعاد الشخصية .

إن كل سمات الشخصية تتضمن إختلافا بين الناس وكل إختلاف أو تباين يتضمن بدوره الإتجاه نحو « التواكل » أو البعد عن أو نحو « الإندفاع » أو « سرعة التأثير » أو نحو « التحذير » نحو الدقة أو عدم الدقة .
خذ على سبيل المثال أن الإختلاف الذى يتضمن الكسل أو البعد عنه هذه الصفة السلوكية لها نقيضها والنقيضان يمكن أن يمثلا عند طرفى خط مستقيم هذا الخط يحتوى على تقسيمات لمسافات محددة مع أوضاع متوسطة على طولها وهذه المسافات وظيفتها التعبير عن البعد .

خلاصة القول : أننا إذا تحدثنا عن الشخصيات الإندفاعية فإننا لا نعنى أبدا أنها متساوية فى الإندفاع وهكذا يمكن ترتيب الأشخاص على طول الخط الذى يمتد من مجرد التحذير إلى مجرد الإندفاع أو سرعة التأثير أو التأثير نوعا ما .
وطالما يوجد بين الطرفين نقط مختلفة أو مسافات مختلفة حيث نرتب كثيرا من الأفراد فإننا لا نستطيع أن نطلق عليهم أنهم حذرون بوجه عام أو مندفعون بوجه عام أو أنهم سريعوا التأثير ومقياس مثل هذا يرتب عليه الأفراد فإننا نطلق عليه « أبعاد الشخصية » وهى فكرة مجردة لأن « بعد الشخصية » ما هو إلا نسق رمزى يساعدنا فى الحصول على فهم علمي للشخصية .

إن عدد الأبعاد التى يمكن أن يستخدمها الفرد مع الصفات العكسية أو المتناقضة عند نهاية المقياس ستكون كبيرة جدا والكثير منا متشابه وغير متشابه

مثال ذلك : الشجاعة - الجبن - الجرأة يمكن أن تكون صورة معتدلة أو واضحة عن الشخصية إذا عرفنا تماما أين تقع من الخط المستقيم أو نعرف ترتيبها بين هذه الأعداد الكبيرة من الأبعاد .

ومن المشكلات الهامة والرئيسية فى علم النفس هى تقليل عدد الأبعاد المطلوبة لوصف الشخصية إلى عدد قليل جداً ليساعدنا على البحث والدراسة وهنا وفى هذا المجال نهتم بترتيب الأفراد على الأبعاد المختلفة .

ويهمنا أن نبدأ بإختيار الأبعاد التى تبدو من الملاحظات العامة ، ومن ثم يمكننا تصميم يحدد أى وضع يشغله كل فرد على طول الخط كما يمكن أن تقسم طرق القياس لمعظم الأجزاء الثلاثة أقسام رئيسية هى :

١ - مقياس المدى .

٢ - الاختبارات .

٣ - الأسئلة .

مقياس المدى .

هناك ملاحظات جديرة بالاهتمام عن الأشخاص الناضجين نضجا طبيعيا كان نأخذ بعض الأفكار عن أين يقفون من الأبعاد الشخصية المختلفة وهنا نصوغ ونشكل عادة عدة ملاحظات عقلية مثل :

١ - إن كلا من الناس لديه ضمير نوعا ما .

٢ - إنه جرى مقدام .

٣ - إنه يميل أحيانا للإلتحاط .

٤ - غير متقلب الرأي ولكنه ثابت على مبادئه .

إن لحظة حكمنا على الناس قد لاتسجل تماما درجة حبنا لهم أو كرهنا لهم أو عدم إستلطاقهم مثلا ، وإنما نحتفظ فى عقولنا بالنوعيات أو النوعية الخاصة وذلك لتكوين مدى ثابتا أو نعطي المدى فكرة واضحة من معنى الأبعاد .

إن المشكلة هنا والعقبة الكبرى هى تكوين أو معرفة الصفتين المتناقضتين بوضوح تام .

-٣٥٦-

مقياس مدى الثبات .

إن الثبات أو الإصرار هو أن نستمر فى المحاولة للحصول على عمل أو وظيفة بالرغم من الصعوبات أو التعلق بالفرص بالرغم من المؤثرات الحاكمة والمعارضة والخوف وعدم الشجاعة ، وهذا هو ما ينطبق على كل الأعمال اليومية .
وإليك مثالا لمقياس ويمكنك إن تضع علامة على الصفة التى تناسبك وهى كالآتى :

ثابت نوعا .	يميل لترك	عادة ما ينتهى	نادرا ما ينتج	يعجز أمام
مواظب بالرغم	الأعمال	عمله قبل	فى المواقف	العقبات
من الصعوبات .	الصعبة .	تركه .	الصعبة .	إلى حد ما .

بعض الأخطاء الشائعة فى إستعمال مقياس المدى .

توجد بعض الأخطاء الشائعة فى إستعمال مقياس المدى وهى :
أثر الهالة : Halo Effect وخطأ التحذير Error of Caution
وخطأ التساهل .

معدلات الأحكام الجيدة للشخصية .

ليست كل الملاحظات لديها معدلات جيدة للصفات ويمكننا أن نضبط أى معدل بمقارنة معدلاته بالمعدلات المتوسطة المأخوذة من عدد من الأحكام الأخرى ، وتوضح مثل هذه الإختبارات شكلا معيناً للعوامل التى تكون معدلات جيدة وفى هذه الحالة لابد من توفر عدة أمور أهمها :

- ١ - وجود خلفية فنية للخبرة الإنسانية فى وجهات النظر المختلفة .
- ٢ - توفير الذكاء العالى للقائم بالحكم على الشخصية .

-٣٥٧-

- ٣ - تنوع وجهات النظر الكثيرة .
٤ - معدلات واضحة لا بد من توفرها فى معدلات الشخص نفسه .

بناء الشخصية .

لما كان السلوك البشرى سلوكا معقدا فإننا عند وصفنا لفرد ما بأنه « أمين » فليست الأمانة هنا صفة مطلقة أو أنها أمانة ١٠٠ ٪ ويرجع ذلك لأن الإنسان الفرد يبدي درجات من التعقيد فى أفعاله فقد يكون آمينا دائما أو أحيانا أو نادرا ما يكون آمينا ، إذا كانت صفة الأمانة لديه صفة دائمة فإننا نصفه بالأمانة لأنه أحرز نسبة مئوية كبيرة عن فرد آخر فى نفس الوقت .

التماسك والإتساق فى إختبار السلوك .

عند دراسة الأفراد بعناية وتنسيق فى مواقف الإختبار فقد يمكننا ملاحظة درجات التعقيد بشكل أفضل وأسهل ، ففى دراسة الأمانة فى عدد كبير من مدارس الأطفال حيث السماح وإباحة الغش فى الإختبارات فإن درجة طفيفة من التعقيد قد عملت على إيجاد إرتباط بين تسجيل الإختبارات المختلفة وبعضها الآخر وقد أوضح تسجيل هذه الإختبارات إنخفاضا بلغ متوسطه + ٣ ، ٠ ومن ذلك يتضح لنا أن الطفل إذا أظهر أنه أمين فى إحدى الحالات فإنه لا يمكن أن ندرك تماما عما إذا كان سيصبح آمينا فى حالة أخرى أم لا .

إن نوعية السلوك تعتمد على الحالة المباشرة إلى حد ما بالنسبة لبعض الصفات المحتملة أو الحالات العقلية من التقسيم وهذا يحدو بنا إلى القول بأنه ليست هناك صفة عامة « ككل » من العادات النوعية وإذا كان الطفل آمينا للغاية فإن ذلك مرجعه لممارسة الأمانة والتدريب عليها وتعامله بطريقة أمينة .

على أن هناك أخطاء كثيرة فى التعميم منها تجاهل حقيقة الصفات الأخرى غير الأمانة وكذلك هناك نقطة أخرى تبين ضعف هذا التعميم وهى أنه إذا كانت حالة عامة للأمانة يمكن تطويرها فى كل تقسيم فإنها تنمو مثل أى مفهوم فقد

يتعلم الطفل أن يصبح أمينا فى الحالات النوعية الواحدة تلو الأخرى ، ولكنه يتعلم أكثر منها حين يعمم ما تعلمه فى الحالات المتشابهة وينتقل تدريجه إلى الحالات المناظرة ويربط بين نوع من أنواع الأمانة والآخر ، حين يتكون المفهوم العقلى للأمانة ويكون هذا الطفل قد تعلم الأمانة كمبدأ ، كما يتطلب أى مفهوم مجرد مثل الأمانة أو الفضيلة بلوغ حد معين قبل ظهوره .

إختلاف سمات التعميم .

تختلف سمات السلوك كثيرا فى مجالاتها Scope حيث أن كل إستجابة متعلمة وكذلك الإستجابة البسيطة المعدلة تصبح معممة لدى معين وليس هناك شك فى أن الإستجابة المعدلة سمة من السمات ، فمفهوم معين « لديه كراهية معدلة » إمتدت إلى كل أنواع الجبن فهل يمكننا القول بأن لديه سمة كراهية الجبن ؟ إن ذلك يعزى لسببين :

أحدهما : وجود خاصية مميزة فى مجال الفعل تؤثر تأثيرا طفيفا فى السلوك ثانيهما : إختلاف هذا الفرد عن الآخرين فى هذا الشأن بسبب كراهيته للجبن كطعام يحبه معظم الأفراد إن لم يكن كل الناس .

هذا وإذا كانت الإستجابات المعدلة بعناية وحذر فقد أصبح من الضرورى أن نتعرف على سمة جديدة حيث أن العديد والكثير من العادات المعممة تنفذ حقيقة إلى سلوك الناس بعمق ، وعلى العموم فإن تقسيم سمات الشخصية سوف تفوق خواص السلوك التى تختلف فى كل الطرق من الإستجابات النوعية المعدلة إلى ذات الأغراض والأهداف البعيدة لكى تشمل كل هذه الأفعال وعندما تصبح السمات الشخصية ذات تعميم كاف وشائع فإن التعرف عليها تماما فى الأفراد يمكن أن نسميها سمات أو صفات أساسية .

التحليل الإحصائي للشخصية.

هناك ما يقرب من ثمانية عشر ألف تعبير يمكن أن يستخدم فى وصف الناس. إنها ملكة ذهنية لهؤلاء اللذين لديهم موهبة أدبية وبأخذون فى وصف

الشخصيات بطريقة واقعية كافية فالواقع عندما تقاس الشخصيات فإنها سوف توضع في أمكنة محددة في وإحد أو أكثر من أبعاد الشخصية. وقد لعبت تقديرات الإستفتاءات دورا كبيرا في قيام مثل هذه الأبعاد ففي حالة القدرة العقلية وجدنا أن العدد المحدد من القدرات الأولية والتي يمكن إكتشافها بالطريقة المعروفة باسم التحليل العملي. تساعدنا كثيرا علي وصف الأوضاع الأخرى للشخصية الإنسانية.

أنماط الشخصية .

الإنطوائيون والانبساطيون:

من أهم الأنماط المتفق عليها تلك التي أتى بها « يونج » والمعروفة باسم « إنبساطية - إنطوائية » فيقترح عالمنا يونج أن :

الإنطوائيين هم هؤلاء الأفراد الذين يتحول إنتباههم داخليا أو نحو أنفسهم ونحو معتقداتهم بينما يري أن :

الانبساطيين هم هؤلاء الأفراد الذين يتحول كل إنتباههم خارجيا نحو البيئة ومن ثم فإن الشخص الإنطوائي قد يتجنب إقامة علاقات إجتماعية ويميل دائما إلي الإنطواء . بينما يقوم الشخص الإجتماعي بعمل علاقات إجتماعية وبحث عن الإحتكاك الإجتماعي ويتمتع به كما أن الفرد الإجتماعي يمتاز بإستجاباته العاطفية المميزة بعكس الإنطوائي الذي يحاول جاهدا ألا تبدو مثل هذه الإستجابات .

وهناك فروق يمكن أن نقدمها بين الإثنين نعني بين النمطين وهي كالآتي :

وقبل أن نقارن بين الأشخاص الإنبساطيين والإنطوائيين يمكن القول بأن الإنبساط والإنطواء طبقا لرؤية كل من (يونج وإيزنك) ، بعد من أبعاد الشخصية ، وبينهما يمكن تقسيم أو تصنيف الناس إلي أنماط ، والإنبساطية تقابل المزاج الحاد الغاضب الدموي بينما الإنطوائية تماثل المزاج الإكتسابي البلغمي السوداوي . ويرى « إيزنك » أن الإنبساطيين أكثر الناس إستهدافا وإصابة بالهستيريا التحويلية ، وأن أعراض القلق والإكتئاب تبدو بوضوح كبير لدى الإنطوائيين ، فضلا عن أن هؤلاء الإنطوائيين تميزهم الميول الحوازية وعدم الإستقرار ، هذا وهناك نماذج وأنماط للإنبساطية منها :

النمط الإنبساطي الوجداني ، وهو الذي يغلب عليه سلوك العواطف والإتفاعلات ، وكذلك النمط الإنبساطي الحدسي ويغلب علي شخصيته الظن والتخمين ، كما أن هناك النمط الإنبساطي الحسي وتتسم شخصيته بالأحاسيس والمشاعر الرقيقة ، والنمط الأخير هو ما يعرف بالنمط الإنبساطي المفكر ، وتتميز شخصيته بالتفكير والتأمل والتردد في إتخاذ القرارات ، وأول من أستخدم مصطلح «الإنطوائية» هو عالم النفس « يونج » وكان يقصد بهذا المصطلح أن الشخص الإنطوائي ينزع دائما نحو توجيه إهتماماته نحو الداخل بدلا من توجيهها إلي الخارج أي إلا العالم الخارجي من الناس والأشياء ، إن الإنطوائيين - كما يري يونج - نمط من المزاج أو الشخصية ، يميز الأفراد الذين ينحصر إهتمامهم بأفكارهم أو بمشاعرهم أو أحاسيسهم أو حدسهم الشخصي أكثر من إهتمامهم بالعالم المحيط بهم ، وإليك مقارنة بين النمطين الإنبساطي والإنطوائي :

الفرق بين الإنبساطي والإنطوائي

الشخص الإنبساطي.	الشخص الإنطوائي.
نشيط في بيئته - محب للعشرة .	خامل في بيئته - محب للعزلة .
معتدل المزاج - مرن - عواطفه	حاد في مزاجه - متشدد - عواطفه
بادية للعيان - واقعي في عمله	ليست ظاهرة - خيالي في عمله
يحب التغيير - سريع الإختيار .	يكره التغيير - بطيء في إختياره .

إن فكرة التصنيف المنظم للأفراد تعتمد على القوانين العامة للفرق في التقسيم وعندما إستخدمت الإختبارات والمقاييس لقياس الإنطوائية والإنبساطية نراها قد أخفقت في وضع الأفراد في نمطين فقط من التقسيمات الإنسانية إذا أن ما يقرب من نصف الأفراد سوف يكون معدلهم ليس في الإنطوائي أو الإنبساطي ، بل سيكون بين الإثنين ويمكن أن نطلق عليهم « الأشخاص المتساوون كالمتكافئين في الإنبساط والإنطواء » أي الشخص الذي يجمع في ذات نفسه خصائص المنبسط والمنطوي « Ambiverts » .

كما أن الاعتراض الثانى الذى يوجه إلى هذه النظرية نظرية الأنواع »
الإنطوائى - الإنبساطى « يشير هذا السؤال هل تمثل هذه النظرية « بعدا أوليا » أو
« نموذجا معتقدا » من الصفات الكثيرة للشخصية ؟ والواقع أن الإجابة على هذه
التساؤلات يمكن أن توضح التحليل العاملى الذى يبدأ بالإرتباط بين الاختبارات
والمقاييس .

إن معامل الإرتباط بين نمطين أو طريقتين من السلوك معناه قياس لدرجة
التعقيد لدى الشخص النموذجى ولهذا ففى التحليل العاملى نجد تعقيدا حقيقيا فى
السلوك يمكن إثباته أو تحقيقه إحصائيا إلى حد ما .
ونتساءل الآن متى يكون لدينا ما نطلق عليه حقيقة « إنبساطية إنطوائية »
والتي تشكل الكثير من الأبعاد الأولية مثل الذكاء وبعض القدرات الأولية ؟
للإجابة على ذلك نسوق مجموعة من السمات الشخصية التي تحدد تلك الأبعاد :

١ - المييل .

إنه سمة رئيسية وبعد قوى يمثل فى معظم الاستفتاءات والتي تمثل بعض
الخواص الهامة مثل :

- الميل لعدم الظهور فى المناسبات الإجتماعية .
 - الميل إلى مصاحبة عدد محدود جدا من الأصدقاء .
 - عدم مصاحبة معظم الناس .
 - الميل إلى الصمت والسكون فى حضور جماعة من الناس .
 - الميل لعدم التحدث فى المجتمعات أو المناسبات المختلفة .
 - الميل إلى الهروب من الإضطلاع بالمراكز القيادية .
 - الميل لعدم الكلام مع الغرباء .
- ويمكن وصف الجانب الآخر لهذا البعد Dimention بعكس الصفات
الشخصية المعطاه لنا كما يمكننا وصف هذا البعد كمدخل أو بعد إجتماعى .

٢ - التفكير الإجتراوى .

هناك بعض العادات العامة الخاصة بالتفكير الخيالى « الإنعكاس » ويمكن

- ٣٦٢ -

إجمالها فى العناصر الآتية :

- ميل الشخص لبحث أفكاره وتحليل نفسه .
- ميل الشخص للخيال الخصب والتأملات الجامحة .
- ميل الشخص لتحليل وتفسير حركات الآخرين .
- ميل الشخص لمناقشة المسائل الهامة فى الحياة مع أصدقائه .

٣ - الاكتئاب . Depression .

ومن أبعاد هذه السمة :

- ميل الشخص إلى الإنطواء .
- إنخفاض روح الشخص المعنوية .
- الإثارة السريعة .
- التشاؤم من سوء الحظ .
- الخيال الجامح فى أحيان كثيرة .
- الشعور بالتجهم فى أغلب الأحيان .
- الاعتقاد فى التفاؤل والتشاؤم .

٤ - الإضطراب الإنفعالى . Emotoional Intstability .

ويحمل هذا البعد الصفات التالية :

- تحول الفرد من السعادة إلى الحزن بدون سبب واضح .
- تذبذب الحالة المزاجية بين الحدة والإنخفاض .
- التعبير عن العاطفة بشدة وتطرف .
- الإستشارة بسهولة .
- التشاؤم من سوء الحظ .
- الإنغماس غالبا فى أحلام اليقظة .

٥ - التناغم . Rythmia .

ومن سمات هذا البعد :

-٣٦٣-

- الإعتقاد بأن الفرد السعيد هو الفرد المحظوظ .
- الإعتقاد بأن الإبتهاج والفرح عادة فى الإنسان .
- ميل الفرد لعدم الإنتظار قبل الحكم على الأشياء .
- التأثر السريع والإندفاع المفاجئ .
- الإستشارة بسهولة .

٦ - النشاط العام .

- ومن دلالات هذه الصفة ما يلى :
- سرعة الفرد فى حركاته وأفعاله .
- ميل الفرد نحو التحول إلى الأعمال الكثيرة فى وقت قصير .
- ميل الفرد للإندفاع من نشاط إلى آخر دون توقف .
- ميل الفرد للثروة .
- ميل الفرد لإنتهاز الفرصة عندما تسنح الظروف .

٧ - العصبية .

- وتحمل هذه السمة الصفات الشخصية التالية :
- سهولة التشتت الفكرى أثناء أداء العمل ذهنى .
- صعوبة خلود الشخص للراحة أثناء النوم أو الجلوس .
- المعاناة من الأرق .
- الحصول على الحاجيات برغبة وطاقة زائدة عن الفرد العادى .
- ميل الفرد لبعض العادات العصبية مثل قضم الأظافر .

المظاهر الجانبية للشخصية .

يمكننا الحصول على صور جانبية للشخصية Profile بواسطة خط عام لكل الاختلاف فى الإتجاهات العادية مثل ذلك : قد نستنتج أن محمدا شاب شجاع وإجتماعى للغاية ولايتأى كثيرا عن التأمل والتفكير بالإضافة إلى الفرح والمرح

-٣٦٤-

والسرور وأنه سعيد الحظ وكل هذه الحقائق تعطينا وتمدنا بوصف لمحمد على إعتبار أن هذه الصفات أو المميزات منفردة وأنها وقف عليه كما تساعدنا على ملاحظة هذا النسق في جوانب الشخصية لدى محمد .

إن بعضاً من هذه الخصائص قد تفسر عدد الصفات المعزولة عن تلك الصفات الأخرى طبقاً لزيادتها أو تقليلها في حالة التحليل الإحصائي . والواقع أنه لا يوجد سبب واحد أو منفرد للمخجل أو العصبية أو خاصية أخرى من خصائص الشخصية فقد يكون لدينا أحد الأشخاص الذين يعانون خوفاً من الاجتماعات والناس نتيجة لبعض الإستعدادات الفطرية الموروثة والتي تتفاعل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كعامل محدد .

وقد يكتسب بعض الأطفال مثل هذه الخاصية في عمر مبكر بدون ظهور حاجة لها أي بدون تدريب أو تعلم في هذا الإتجاه في الوقت الذي لا يكتسب البعض الآخر مثل هذه الخاصية ويتوقف - أولاً وقبل كل شيء على توافق الطفل في أسرته ومع مجموعة من الأصدقاء ، ورفاق الطفولة وتعلمه قيمة مصاحبة الناس صغيرهم وكبيرهم .

لنفرض أننا نعامل طفلين متشابهين معاملة واحدة على قدر الإمكان فسوف نرى أن أحدهما يسلك سلوكاً إيجابياً والآخر يتسم سلوكه بالسلبية ، وذلك وفقاً لما لدى كل منهما من خصائص قبل تطبيق المعاملة ، إن العقاب والثواب يؤدي بالطفل إلى إمتصاص أسلوب خاص بتحديد سلوكه كأن يصبح متمرداً أو ثائراً على السلطة الأبوية أو الأسرية أو شرائع المجتمع بأسره ، وهذا يذكرنا بالقول « إن الحرارة التي تشوى البيض هي نفس الحرارة التي تصهر الزيد » .

الشخصية وبناء الجسم .

عندما نصف الشخصية بأنها تشمل تغيرات طبيعية واسعة تؤثر على خصائص السلوك . فإننا ولاشك نركز إنتباهنا على بناء الجسم ، ومن ثم سوف يتعين علينا فحص الفروق الطبيعية المؤدية لخصائص سلوكية معينة ومحاولة إكتشاف إرتباط سببي بين الجسم والخصائص السلوكية .

ميكانيزمات السيسيومترى والسيكودراما .

يضم علم النفس الإجتماعي ضمن موضوعاته الجديدة موضوعا شيقا هو المقاييس السيسيومترية وهى تعنى بقياس المسافات والعلاقات الإجتماعية بين الفرد والجماعة من ناحية وبين مجموعة أفراد بعضهم البعض من ناحية أخرى ، وقد قام « مورينو » بوضع هذه المقاييس بعد أن مر بتجربة مرضية فى شخصه وأخذ يعانى منها معاناته قاسية حتى حدا به ذلك إلى التفكير فى دراسة ووضع السيسيومترى والسيكودراما والسيكودراما ، وهذا الموقف يذكرنا تماما بموقف فرويد عند وضعه لمبادئ التحليل النفسى فقد بدأ بنفسه أولا بأن مارس تحليل نفسه بنفسه فكان كأنه ملاحظ وملاحظ وشاهد ومشهود وطبيب ومتطبب .

والواقع أن السيسيومترى والسيكودراما شقان من المناهج العلمية العلاجية الشخصية والتي يعتد بهما إلى حد كبير جدا كمناهج موضوعية فى ميدان العلوم الإنسانية وسوف نركز الإلتباه هنا على « ميكانيزمات السيكودراما » لأنها شديدة الصلة بطبيعة دراستنا فمن المعلوم أن السيكودراما طريقة إبتكرها وقام بدراستها « مورينو » واستخدمها فى طرق العلاج النفسى والأصل فيها أن الجماعة تعتبر أساسا متينا يستخدم كوسيلة لإيجاد بعض التغيرات السلوكية أو إحداث عمق فى تلك التغيرات الخاصة بسيكولوجية المريض للوصول به إلى سلوك معدل ومرغوب فيه ويختلف تماما العلاج النفسى بالسيكودراما عن العلاج بالتحليل النفسى الفردى حيث أن الأول يعتمد أصلا على العلاقة بين الفرد والجماعة بينما يعتمد الثانى على العلاقة بين الفرد والمحلل النفسى فقط ، بالإضافة إلى ذلك فإن السيكودراما تستخدم أيضا كطريقة للعلاج النفسى كما ذكرنا آنفا وتكتيكيا ناجحا متقدما فى الأبحاث العلمية الموضوعية التى تتناول بالبحث والدراسة الوصول والكشف عن علاقة الشخص بزملائه الآخرين فى محيط عمله أو بين أسرته أو ربط جماعته سواء كانت هذه الجماعة تختلف فى تصنيفها من ناحية « المضمون » مثل جماعة النادى أو الأسرة أو الحجم مثل عدد أفرادها أو العمر مثل الجماعات المؤقتة أو الدائمة.أو من ناحية « النمو » أو تأخره.أو من ناحية درجة التششت بمعنى تباين أبعاد الجماعة واختلافها أو من ناحية « التكوين » مثل الجماعات الواقعية

أو القهرية وأخيرا من ناحية « الوظائف » مثل جماعة الأخوة أو السكن .
كل هذه الجماعات السابقة والتي تختلف فى طبيعتها وتركيبها ووظائفها
تقوم وسيلة السيكدوراما فى المحل الأول بتحديد الأدوار التى يلعبها الفرد أو
الأفراد معه مثل هذه الجماعات وحقيقة علاقة كل فرد مع الأفراد الآخرين .
وصحيح أن مورينو بدأ الإهتمام بالسيكدوراما لحاجته الشديدة والملحة
للعلاج والتغيير النفسى بطريقة المسرح ووظيفته النفسية من خلال الصورة المسرحية .
يعتقد مورينو أن المسرح خير وسيلة ناجحة للتعبير النفسى تلقائيا وذلك لأن
المسرح يقدم لنا صورتين إثنين .
أولهما : صورة تقليدية : وهى تعتمد على تعيين دور الممثل يقوم بحفظه .
على شرط أن يكون الدور مستقلا تماما عن هذا الممثل .

ثانيهما : صورة تلقائية : وهى تعتمد على فكرة الإرتجال والإجتراح للأفكار
وإطلاق العنان للأحداث والذكريات والأفكار الطليقة الحرة .
وهذه الوظيفة المسرحية هى الركن الهام للتعبير المسرحى .
هذا وقد نلمح هنا فى هذا المجال أن هناك تشابها كبيرا وملامح مشتركة بين
« تلقائية » مورينو وتصوف المتصوفين حيث أن كليهما يعتمد أولا وأخيرا على
مناجاة النفس أو مناجاة الخالق والتحرق شوقا لتحقيق المطالب والحاجات بالتمنى أو
الدعاء ، وعلاوة على ذلك كان مورينو يعتقد تماما أن دنيانا مسرح تعرف بمسرح
الحياة وأدوار هذا المسرح من إنتاج وإخراج وتوزيع الإنسانية ، والإنسانية هى التى
تصقل وتهذب شخصية الفرد الإنسان ومن ثم يشير مورينو إلى دلالة صوفية بحتة
إذ يقول « يستمر الخالق فى خلق الإنسان على مسرح الحياة الدنيا وبذلك فالإنسان
هو ممثل الله الأوجد على مسرح الكون » .

وشيئا فشيئا شرع « مورينو » فى إعتناق فكرة علمية هامة بعد تجريب
ودراسة مستفيضة مضنية وكانت هذه الفكرة هى إقامة مسرح أساسه التلقائية
لإستخدامها فى النواحي التشخيصية العلاجية على أنه يجب أن نعلم تماما أن هذه
الفكرة الناجحة قد تحققت بعد أن أنجز مورينو دراساته الطبية، ويميز مسرح مورينو
هذا بأن دور الممثل ليس للممثل نفسه أى أن هناك تناقضا بين الممثل وسلوكه وهذا

-٣٦٧-

هو الذى يحدد رأى أن مسرح مورينو مصدره هو حرية الممثل وكفاءته على خلق الدور وفصول المسرحية هنا وليست جامدة أبدا بل أنها ضارية فى إطناب الواقع الحى المستمد أساسا من الظروف الحالية .

ماهية مسرح مورينو .

إن المسرح عنده إرتجالي ويقوم على الخلق والإبتكار وخشبة هذا المسرح ما هى إلا دائرة فى المنتصف يحيط بها الجمهور والأدوار مبتكرة والديكور إرتجالي وعملية الخلق والإبتكار هنا ما هى إلا تعبير عن إحساس الممثل ، وهناك ما يعرف باسم عملية التسخين Warming up والتي مؤداها أنه كلما إبتكر المؤلف شيئا يقوم الممثلون بتمثيله حتى تأتى حالة من التناسق والتناغم Harmony بين مبتكرات المؤلف والمسرحية التى يقوم بتمثيلها الممثلون ومن ثم يصبح الممثل هو نفسه المخرج والمؤلف والممثل فى ذات الوقت .

والواقع أن جوهر المسرح لدى مورينو فكرته القائلة بأن الواقع قد يكافئ الخيال ويمكن أن يمتزجا فى شئ واحد أو موضوع واحد ، هذا وقد لاحظ هو بنفسه ذات ليلة وبالصدفة العجيبة فتاة تسمى باربارا تتردد على مسرحه وتمشى على إستحياء وتتقدم نحوه لتسأله بصوت ملائكى خفيض عن بعض مسائل فى دراسة المسرح حيث كانت تدرس هذا الفن واشتركت فى مسرح مورينو فيما بعد باسم « الجريدة المصورة » وهى تعنى بتمثيل حوادث واقعية حية وهنا قامت « باربارا » بتمثيل دور فتاة طاهرة بريئة ذات شفافية ونقاء عاطفى وكان هناك رجل يتردد هو الآخر على المسرح ويدعى « جورج » فوقع فى حب هذه الممثلة الصاعدة « باربارا » وتزوجها بعد ذلك .

وذات يوم قابل الزوج « جورج » مورينو وأخبره بأن باربارا تلك الإنسانية الوديدة الهادئة البريئة الجميلة تسلك معه سلوك المتوحشين وإن المثل الإنجليزى القائل « تحت السواهى دواهى » ينطبق عليها .

وهنا شرع مورينو فى إسناد دور خليع مبتذل لباربارا وكان هذا الدور لإحدى البغايا العاهرات فقامت به باربارا خير قيام وعلى الوجه الأكمل وبنجاح ساحق ،

وحدث بعد ذلك تحويل وتغيير ملموس فى سلوك باربارا مع زوجها فبدأت مشاقتها العنيفة وشجارها المستمر يقل رويدا بعد أن دخل مورينو لإصلاح ذات البين بين الزوجين الحبيين ، وأصبح الزوجان يقومان بالتمثيل سويا تمثيل مجريات الأحداث فى منزلها وحياتها الزوجية الواقعية وخرج مورينو بنتيجة هامة مؤداها أن ما يعرف بالواقع ما هو إلا مجموعة أدوار جامدة يؤديها الشخص أثناء علاقته بالآخرين ، ومن هنا فبدلا من أن تلعب باربارا دور الفتاة الفاجرة المبتذلة مع زوجها فى الحياة الواقعية فأولى بها أن تلعبه فى مسرح مورينو وبالتالي فهى تهيمن تماما على سلوكها الحقيقى خارج المسرح مع زوجها فى منزلها .

دور المسرح العلاجى .

كم هو مفيد المسرح إنه وسيلة فعالة لكى ينفس بها الجمهور عن نفسه والمتفرج عن كبرته والمكبوت عن إنفعالاته كل هذا عن طريق مشاركة الفرد مشاركة قوية فى أحداث المسرحية فالشباب يجد مشكلته العاطفية تعرض على خشبة المسرح وقد اقتربت من الحل والرجل السكير يعيش فى جو المسرحية ليدرك تماما أن سلوكه سلوكا خاطئا والمرأة المحطمة ترى نفسها فى عرض مسرحى جذاب فتحاول أن تغير من سلوكها وجو منزلها الإجتماعى والنفسى والفتاة الجميلة تسلك المسلك المناسب لها بعد أن تعيش أحداث مسرحية ناجحة تمس حياتها مسامرا ، وهكذا فكان المسرح يخاطب كل أولئك وهؤلاء لهذا كله أخذ مورينو فى تطوير وتعديل وتحوير هذه الفكرة الأصلية ووصل إلى إكتشاف السيسيومترى الذى يهدف لتحقيق الطرق الموضوعية لقياس العلاقات بين الأفراد والجماعات فى السيكودراما واعتمدت الفكرة أصلا على أن السيكودراما ما هى إلا عملية تجسيد الخيال بتحويله إلى واقع حى ولذلك فالسيكودراما هى الواقع والخيال فى نفس الوقت وبالإمكان أن ندمج الأصل فى الصورة أو العكس بهدف تعديل السلوك الواقعى ليتمشى مع متطلبات العلاج الهادف من المسرح .

أساليب وميكانيزمات السيكودراما .

هناك من الأساليب والميكانيزمات خمس طرق نستخدمها فى تبيان وتطبيق

عملية السيكودراما :

١ - طريقة عرض الذات .

ونعنى بها تقديم الشخص لنفسه فى ظروف ومواقف محددة سواء كان ذلك فى الحاضر أم الماضى أو فى حياته الخاصة وأوجه الصراع الكائنة فى حياته الشخصية والعائلية والزوجية وقد يكون هناك أكثر من شخص يقدم نفسه بنفسه ويمثل الدور المناسب له ، وأحيانا قد لا يكون هناك من الأشخاص الكثير للقيام بالدور أو الأدوار وهنا يمكننا أن ندرك أن الشخص يطلب من الجمهور له فردا ما قريب الشبه للشخص المطلوب ليقوم بتمثيل وأداء الدور وبذا تصبح هذه الطريقة مناسبة ولاتقة لتقديم وعرض الأدوار الإجتماعية .

٢ - طريقة مناجاة النفس .

وفحواها أن يقوم الشخص بدور معين بالنسبة لآخر لتكون له حرية التعبير الذاتى والإنطلاق الحر لأفكاره وعادة ما يكون حديثه ومخاطبته لنفسه حديثا يشوبه الهمس والصوت المنخفض عن كل ما يجيش فى نفسه من أحاسيس ومشاعر مكبوتة لبث المشاكل الحادة لدى الفرد ولن تخرج هذه المشاعر إلا فى هذا الموقف ليعبر عن ذاته وهمومه .

ولنضرب مثالا حيا فقد ترى الشخص الغيور على زوجته يتحدث حديث المناجاة ليترجم شعوره نحو غريمه أو نحو الشخص الذى يحب زوجته القائم بتمثيل الدور ومناجاة النفس هنا هى تعبير عن المقاومة والإنفعالات الحبيسة التى سببتها الغيرة غيرة الشخص على زوجته من غريمه ، والواقع أنه كلما إنسابت التلقائية إنسيابا شديدا كلما إنكسرت حدة الحاجة إلي مناجاة النفس . وجدير بالذكر أن كل من يقرأ روايات وليم شكسبير سوف يلمح بوضوح وجلاء فكرة مناجاة النفس وحديثها المنخفض القياض خذ علي سبيل المثال - لا الحصر - رواية عطيل المغربى وزوجته « ديدمونه » حينما شك فى حبها له وإنها تحب رجلا آخر غيره أخذ يناجى نفسه بعارته المشهورة المشهودة : « إننى أدرك تماما أن زوجتى ديدمونه زوجة جميلة جمالا أذا وأنها تحب المناسبات الإجتماعية السارة وتعرف كرم الضيافة حق المعرفة كما أنها تتحدث بحرية وطلاقة بعيدة عن التكلف والتعصب وتشاركنا اللعب والرقص بحرية وهذا حسن جدا ولكن أين الفضيلة ؟ من يدلنى عليها إذا

- ٣٧٠ -

كانت هذه الصفات هي الفضائل المثلى لابد أن يكون لدي برهان قاطع قبل أن أفكر في خيانتها لي ، يا إلهي كيف أفكر الآن » ويستمر عطيل في مناجاته حتي يعجز تماما عن الإقتناع بأن زوجته بريئة براءة الذنب من دم ابن يعقوب وهنا يدخل عليها علي ديدمونة زوجته وهي مستغرقة في نومها ويخفقها حتي تموت وبعد أن يعرف براءتها الواضحة يبكي بكاء مرا ولكن بعد أن فات الأوان ولا ينفع الندم يأخذ في البكاء المر الحار ويصور الكاتب لحظة البكاء بقوله إن دموع عطيل كانت تتساقط بسرعة فائقة كما لو كانت قطعاً تتلألأ من الصمغ العربي إبان سقوطها من أشجارها إنها الغيرة المحمومة التي جعلت عطيل يعيش في مناجاته هذه .

٣ - طريقة الدور المقلوب .

وتنحصر هذه الطريقة في تمثيل الشخص للدور المعاكس والمغاير لدوره قبل ذلك وهذا من شأنه إحداث تغيرات هامة في حياة الشخص المؤدي للدور ومثال ذلك أن يكون هناك صراع بين ولد ووالده ويطلب المريض تمثيل هذه الأدوار حيث أن الإبن يريد الزواج من فتاة ما والوالد يعارضه ويعدنذ يقوم أحد النظارة والمشاهدون بتمثيل دور الأب القاسي علي إبنه بسبب هذه الزيجة يأخذ المريض « الإبن » دور الأب يمثله بنفسه في المرة الثانية وهنا نلمح عملية إسقاطية لجزء من الشخصية لأن تغيير الدور والموقف المقلوب يسمح للمريض أن يضع نفسه في موقف آخر ويسمح بنوع من الإستبصار وإكتساب جزء من شخصية الشخص الآخر .

٤ - طريقة المرأة .

يقوم أحد الأشخاص بتمثيل شخصية المريض علي المسرح ويبدو في تمثيله كيف يسلك ويتصرف في مواقف حية في الحياة الواقعية وكيف يري الآخرون المريض الذي نصوره بحيث يكون موجودا بين الجمهور المتفرج ولانذكر للمريض أننا نجهزه لشخصيته في شكل امرأة علي المسرح فجأة أمام الصورة التي يعرفها عن نفسه للآخرين .

٥ - طريقة القرين .

هي فكرة هامة في المريض العقلي وهي تشبه فكرة « الكا » لدي القرائنة

والموجودة عند كل ميت والقرين أحد الأشخاص الذي يتفق مع المريض علي أن بصير أحد جوانب شخصيته بحيث يكون لهذا المريض جانبان أي أن يمثل في صورتين أو أكثر : شخص كما هو أصلا وجانب آخر من شخصية شخص ثان وبذلك يمكن لهذا الشخص أن يقابل أحد قرائنه ونقارن الدور الذي يقوم به بالفعل والدور الذي يقوم به القرين وأثناء تمثيل هذه الأدوار لابد إن يكون هناك مدير المسرح ومهمته مساعدة المريض علي القيام بالأدوار المكملة أي يقوم بدور « الأنا أو الأنوات المساعدة » .
ومن أهم الصعوبات التي تقابل المدير « عملية التسخين - Warming up » أي مساعدة الأفراد علي الإنطلاق تلقائيا للإندماج فى الدور بالتدرج .
والأصل فى السيكودراما أنها مبنية على المناقشة الجماعية بمعنى أن الأفراد فى بعض المسائل أثناء إجتماعهم لحل مشكلة معينة كل فرد فى الجماعة له وجهة نظر خاصة لحل هذه المشكلة .

وظائف السيكودراما والسيويودراما والسييومترى .

- من وظائف ومهام السيكودراما تحقيق الأهداف التالية :
 - ١ - دراسة الفرد وعلاقته بالجماعة .
 - ٢ - تطويع الأدوار الجامدة التي يقوم بها الإنسان فى واقعه إلى أدوار مزوجة بالخيال والتلقائية بقصد الوصول إلى تشخيص مشاكل الفرد ودراستها جيدا عن طريق التمثيل العلاجي .
 - ٣ - مساعدة الفرد علي إبراز وإظهار مآلديه من قدرات علي الخلق والإبتكار والتلقائية .
 - ٤ - الربط بين قدرات الفرد الإبتكارية والقيام بالأدوار التلقائية نتيجة زيادة عملية التسخين .
 - ٥ - إثارة قدرات وإنفعالات الشخص التلقائية بهدف إحداث وتغيير الأدوار الجامدة إلى أدوار جديدة .
 - ٦ - قيام الفرد بالأدور الجديدة المعدلة طبقا لقدرته علي الإبتكار والتجديد .
- أما عن وظائف ومهام السيكودراما فتكمن فى دراسة الجماعة وتحديد

علاقتها بعلاقات الجماعات الأخرى ، ومن وظائف السيسيومتري تلك الوظائف والمهام التالية :

- ١ - دراسة موضوع يتعلق بتحديد المقاييس والأبعاد الاجتماعية .
- ٢ - يعتبر كوسيلة لقياس العلاقات داخل المجموعة .
- ٣ - تحديد نوع تركيب الجماعة وبناءها الحقيقي .
- ٤ - إمكانية تعديل البناء الاجتماعي بهدف دراسة تماسك الجماعة أو تفككها .

وظائف الاختبار السيسيومتري .

- ١ - يعتبر أداة لدراسة أنواع البناء الاجتماعي علي ضوء أنماط التجاذب والتنافر في جماعة ما .
- ٢ - يعتبر وسيلة تستخدم في قياس مدى التنظيم الذي يظهر في الجماعات .

والواقع أن الجماعات في مظهرها الخارجي لا تعتبر بالضرورة خير مؤثر ومعبر عن بناء الجماعة الحقيقي إذا كانت هناك الفرصة السانحة لتعبير الأفراد تلقائياً عن تفضيلاتهم بمعنى أن هناك تفاوتاً بين التنظيم الظاهري والحقيقي للجماعة ومن ثم فالاختبار السيسيومتري أداة لإكتشاف ما هو البناء الحقيقي للجماعة كما أنه وسيلة وأسلوب من مناهج السيسيومتري أو السيكو دراما والتي تهدف في جملتها إلي مناهج عمل ومعرفة وقياس لبناء الجماعات الحقيقية .

فكرة التلقائية في الاختبار السيسيومتري .

من المعلوم أن الاختبار السيسيومتري يقوم علي حرية الاختيار مثل السيكو دراما وعلي قدرة الفرد داخل الجماعة مع إستخدام تلقائية في تعديل الجماعة ولا بد قبل تطبيق الاختبار السيسيومتري من التأكد من تقبل الجماعة وإبداء رأيها واختبارها على نحو تلقائي بمعنى أن يشترط الآتي :

- ١ - يجب أن يكون الاختبار مقبولا من الجماعة .

-٣٧٣-

- ٢ - يجب أن يكون للباحث مكانة مرموقة في الجماعة .
 - ٣ - يجب أن يكون للجماعة بناء وتنظيم معين محدد .
 - ٤ - يجب أن يكون الاختيار محدد بمعيار معين أي لهدف معين واضح .
- بمعنى أن يكون المعيار هاما في نظر الجماعة من أجل إستشارة التلقائية لدي أفراد الجماعة كأن يكون المعيار مثل من تحب أن يكون جارك؟ وفي حالة عدم وجود إختبارات محددة فإن الإختبار هنا لن يقيس «الإتساع الوجداني» وهو ذلك الإتساع الخاص بعلاقة الفرد بالآخرين فهناك مثلاً حالات إنكماش لدي بعض الناس . فالشخص الذي يختار نفسه يعاني من إنكماش وجداني ولا بد أن يكون الشخص قادرا علي الشعور بمشاعر الآخرين لأن هذه القدرة تعتبر أساسا للمعرفة الوجدانية . والتي هي في الوقت نفسه عبارة عن عاطفة يسقطها الفرد علي العالم الباطني لفرد آخر ، وهناك ما يسمى بالمكانات السيومترية وهي عبارة عن ترتيب معين يعطينا فكرة عن توزيع الأصوات حيث أنه عند توزيع الأفراد يكون لدينا فكرة عن ترتيب الذين نالوا أكثر الأصوات أو أقل الأصوات .

السيويجرام .

وظيفته الرئيسية هي التحليل الكيفي للنتائج ويحصل عليه بالرسم العادي عن طريق توصيل علاقات الجذب والتنافر الموجودة داخل الجماعة وبذلك يصير شكلا يوضح لنا نوع العلاقات الموجودة بين الأفراد وهنا نستخلص بناء الجماعة السيومترية وخصائصه ويساعدنا ذلك في الكشف عن تصوير معرفة بناء الجماعة وتحديد المكانة السيومترية للأفراد داخل هذا البناء وبالتالي يرسم شكل مركز الأفراد داخل الجماعة .

أنماط العلاقات داخل السيويجرام .

هناك تركيبات غمطية للجماعات توضح لنا قراءة السيويجرام بسهولة ويسر

هي :

-٣٧٤-

- ١ - الزوج الأحمر : ويدل على إنجذاب متبادل بين فردين إثنين .
 - ٢ - الزوج الأسود : ويدل على تافر متبادل بين فردين إثنين .
 - ٣ - السلسلة الحمراء : وتدل على علاقات تجاذب متبادلة بين مجموعة أفراد .
 - ٤ - السلسلة السوداء : وتدل على علاقات تنافر متبادلة بين مجموعة أفراد .
 - ٥ - المثلث الأحمر : ويدل على علاقات تجاذب متبادلة بين أشخاص ثلاثة فقط .
 - ٦ - المثلث الأسود : ويدل على علاقات تنافر بين أشخاص ثلاثة فقط .
 - ٧ - المربع الأسود : ويدل على علاقات تنافر متبادلة بين أربعة أفراد فقط .
 - ٨ - الدائرة الحمراء : وتدل على أن مجموعة أفراد إختار بعضهم بعضا في شكل دائري .
 - ٩ - الزوج الغير المتناسق : ويدل على شخصين مختلفين تماما في جذب وتنافر لكل منهما .
 - ١٠ - النجمة الحمراء : وتدل على أن شخصا بالذات قد وقع عليه إختيار عدد معين من الأفراد .
- أنماط العزلة داخل الجماعة .**

- ١ - نمط العزلة البسيط وهو عبارة عن فرد بالذات معزول داخل الجماعة .
 - ٢ - فرد معين إختيار عدد معين من الأفراد ولم يختار واحدا منهم .
 - ٣ - المثلث المعزل ويدل على أن ٣ أفراد بينهم علاقات إختيار موجهة متبادلة في جماعة ترفضهم .
 - ٤ - زوج معزول بنفس الطريقة السابقة قد يأخذ مكانه في مثل هذه الأنماط .
- خلاصة القول ومجمله أن الأفراد الذين يقبلون على إختيار أفراد لا يختاروهم بدورهم تكون لهم القدرة على التعبير الإنفعالي مصحوبة بنقص في إدراكهم بمشاعر الغير وتتسم شخصية هؤلاء الأفراد بوجود تباين وإختلاف كبيرين في قدرتهم

٣٧٥

المتأزة علي الإندماج في الدور الإجماعى الذى يقدمون به قدرتهم الضئيلة علي إدراك الدور الذى يقوم به الآخرون .

مفهوم التلى تجريبيا عند مورينو .

إن وظيفة مفهوم «التلى Telepathy» هي تفسير أنماط التجاذب والتنافر الذى يكشف عنها السيسوجرام ، ونعني بالتلى التخاطر أو الرؤية عن بعد وتبادل الأحاسيس والمشاعر عن بعد وهو أيضا عملية إجتماعية موضوعية من الممكن ترجمة دينامياتها فى نطاق علم النفس المرضى بمفهوم التحويل وفى نطاق علم الجمال بمفهوم المعرفة الوجدانية .

هذا وقد قام مورينو بتجربة على جماعة مكونة من ٢٦ شخصا طلب منهم أن يحددوا الأفراد الذين يرغبون فى السكن معهم وطلب فقط ٣ أشخاص وكتب أسماء ٢٦١١ شخصا وتم خلطهم ومزجهم ببعض ليكون الاختيار والسحب عشوائيا ، وقام بعد ذلك بإجراء نفس التجربة على ٢٦ شخص وهما واختار لكل شخص ٣ أشخاص آخرين وقارن أنواع الاختيارات فى الجماعة الفعلية بأنواع الاختيارات فى الجماعة الوهمية التى تمت بشكل عشوائي من حيث بناء الجماعة فى كل منهم كما قارن أيضا بناء الجماعة الحقيقى بالبناء العشوائى فوجد أن الخلاف الكبير والفرق الشاسع داخل الجماعة لا يرجع إلى الصدفة بل يرجع إلى وجود عامل « التلى أو التخاطر » .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما كان يخطب فى المسلمين ذات يوم فرأى نفسه يتحدث : إلي الجبل ياسارية الجبل فتعجب المستمعون وظنوا أن الخطيب قد خرج عن موضوع الخطبة . ولكنه بعد مدة من الزمن قابل أحد المسلمين وهو «سارية» أحد قواد المسلمين وشكر عمر بن الخطاب علي نصيحته إذ أن القاروق عمر رضى الله عنه قد رأى عن بعد وهو يخطب أن أحد قواد المسلمين يحارب ضد الكفار وعلي وشك أن يهزم فنصحته بأن يعتلي الجبل هو وجيشه وتم ذلك فعلا فتم النصر بعد نصيحة عمر بن الخطاب هذه النصيحة التى يوجهها عن بعد يزيد عن آلاف الأميال وهذا هو ما يعرف باسم

-٣٧٦-

التخاطر والشعور والرؤية عن بعد ، ويدخل هذا الموضوع في نطاق ما نسميه «بالباراسيكولوجي» علم النفس غير الحسي ، هذا وانتقل الآن إلي موضوع خاص بخصائص عمل الأخصائي الإجتماعي ألا وهو الرعاية الإجتماعية كمدخل إلي دوره الهام في المجتمع بعامة ومجتمع الشباب بخاصة مع التركيز علي مشكلة نفسية إجتماعية خطيرة وهي مشكلة الإدمان .

الرعاية الإجتماعية التي نريدها .

المقصود بالرعاية الإجتماعية أنها « مجموعة الخدمات الإجتماعية التي تقدم وتنفذ لمجموعة من الناس بقصد الوصول إلي الترقى والشعور بالتكيف والتوافق في المجال الذي يعمل فيه هؤلاء الناس » والرعاية الإجتماعية السليمة التي نطلبها لها مبادئ وأصول منها :

أولا : دراسة مشاكل المجال أو البيئة التي تعمل فيها الجماعة .

ثانيا : تصنيف هذه المشاكل تبعا لأهمية تنفيذها والبدء بحل أهم مشكلة .

ثالثا : إشعار المجموعة بخطورة المشكلة وزيادة الشحنة العاطفية لإثارة هذا الشعور .

رابعا : وضع وإختيار الحلول للمشكلة والعمل علي حلها .

خامسا : تقديم الرعاية الإجتماعية المطلوبة في جو إجتماعي تتوفر فيه وسائل التعاون المتبادل .

نوع الرعاية المطلوبة .

- ١ - معرفة مدي التكيف في الدراسة نظريا وعمليا بالمركز والورشة الرئيسية .
- ٢ - الوقوف علي مدي التجاوب بين الطلبة والمدرسين والمدرسين .
- ٣ - وضع برامج توجيه وإرشاد إجتماعي بقصد الوصول إلي التكيف والتوافق في الدراسة .
- ٤ - دراسة الحالات الضرورية الشاذة والوصول إلي علاج لها بعد تشخيصها .

- ٥ - العمل علي إيجاد الشقة بالنفس في العمل والمهارة والدقة لزيادة الإنتاجية .
- ٦ - متابعة الخدمات الإجتماعية بعد تخرج الطلاب وتعيينهم خارج المركز أو المؤسسة التعليمية .

الأخصائى الإجتماعى والرعاية الإجتماعية .

إن تقديم أي خدمات يتوقف علي الأخصائى لمعرفته بظروف الحالة وكيفية تقبلها وفق أساليب مدروسة ومن ثم يتسني للأخصائى خدمة الجماعة وتقديم الرعاية المطلوبة لهم يجب أن يتم ذلك خلال جو من الطمأنينة الإجتماعية والإستقرار النفسي لكي يسير العمل وتتحدد شخصية كل من العميل ويتبلور العمل وبذلك نصل إلي هدفنا المنشود ألا وهو بناء البشر وهو عملية صعبة البناء فهي أهم وأصعب من بناء المصانع لأن البشر هم العامل الحاسم في بناء التاريخ والوطن .

الباحث عن المتاعب .

كيف نواجه المشاكل الموجودة هنا بالمؤسسة التعليمية ؟

لابد أن لكل شركة أو مدرسة أو مؤسسة صناعية أو وحدة إجتماعية أو مركز تدريب مهني متاعبه ومشاكله ويحسن المركز صنعا لو أنه أعد أخصائيا إجتماعيا مهمته تقصي أسباب المتاعب ودراستها ومعرفة أسبابها ودوافعها ووضع الحلول لها ومهمة الباحث عن المتاعب تنحصر في :

- ١ - أن يعرف المركز أولا المميزات المطلوبة في الشخص الصالح لهذا العمل .
- ٢ - الإرشاد فيما يجب عمله وما لا يجب في مجال العمل .
- ٣ - القدرة علي تقييم العمل بعد إتمامه .

المميزات المطلوبة فى الأخصائى .

أولا : تفتح الذهن .

بمعني أن يكون متيقظا ويتناول المشكلة بجدية ليتعرف تماما علي النظم

—٣٧٨—

والعمليات المتعلقة بها وأن يتجنب أي قرارات أو آراء سابقة للموقف والفرقة أو القسم الذي حدثت فيه الإضطرابات .

ثانيا : وعي بالإدارة .

بمعني أن يكون علي معرفة تامة بأهداف المركز أو الوحدة التي يعمل فيها وسياستها وخططها وطرق المراقبة بها وأن يعرف آراء الإدارة فيها ويختص بالمشكلة وحلها .

ثالثا : بعد النظر .

بمعني أن يكون لديه المقدرة علي الأحساس بالمواقف تماما وقياس مدي تعقدها وأن يعرف ما إذا كانت المشكلة في طريقها إلي الحل بالتدرج أم أنها تتفاقم وأن يستطيع الملاءمة بين أهداف المؤسسة وأهداف القسم وأن يتفهم التداخل بين الوحدات التنظيمية .

رابعا : القدرة علي حساب الخطوات .

بمعني أن يكون لديه القدرة علي معرفة كيف يحل المشكلة ومتي يتقدم فيها .

خامسا : الشجاعة الأدبية .

يجب أن تكون لديه الشجاعة الأدبية ليصرح بما توصل إليه مهما كان مضمونه فقد يدعو إلي التمشي مع الموصفات وحذف بعض أشياء ذات قيمة معينة وحذف بعض المعلومات التي أعدت منذ سنين وإعطاء برامج سريعة لبعض الأفراد .

سادسا : القدرة علي الإتصالات .

أن تكون لديه القدرة علي التشاور وتبادل وجهات النظر وطرح الأسئلة وأن يجعل باب الإتصالات مفتوحا بينه وبين الأخصائيين والمسؤولين .

سابعا : الأخلاق .

بمعني أن يكون علي أخلاق عالية كأن يحترم التقارير السرية وأن يتجنب

-٣٧٩-

الذم في الآخرين والنيل منهم وأن يعطي كل ذي حق حقه .

ثامنا : القدرة علي التشخيص .

بعد بحث الموقف وجمع الحقائق يجب أن يرتب بيانات في وحدات ذات معني وعليه بعد ذلك أن يستعين بقدرته علي التشخيص والتحليل في إستخلاص المشكلة وأسبابها الحقيقية ، وعلي كل باحث عن المتاعب أو أخصائي جماعة أن يراعي ما يلي :

- ١ - أن يكون علي علم تام بحدود إختصاصاته وسلطاته ومسئوليته .
- ٢ - أن يحترم الجداول التخطيطية والميزانيات .
- ٣ - أن يكون صبورا فالمشكلة ليست وليدة لحظة ولن تحل بين يوم وليلة .
- ٤ - أن يخطط سير عمله مقدما .
- علي الأخصائي الإجتماعي أن يتجنب ما يلي :
- ١ - ألا يتدخل في عمل غيره من المسؤولين .
- ٢ - ألا يعطي سلطات أكثر مما يملك .
- ٣ - ألا يخلق مشاكل جديدة وهو يحاول حل المشكلة التي يعالجها .
- ٤ - ألا يستحوذ علي عمل جميع الأشخاص الداخلين في الموضوع .
- ٥ - ألا يؤدب أو يوبخ الأفراد الذين يعملون معه .

تخطيط التدريب المهني .

ليس هناك أدني شك في أن الإنسان يتجه دائما في حياته نحو الأحسن والأفضل في ميدان حياته الإجتماعية ولاسيما ونحن الآن نعيش فترة من حياتنا أشد ما تكون تعقيدا وتركيبا بعد أن وصلنا إلي عصر الذرة وغزو الفضاء . ولكي نعرف أهمية التدريب المهني يمكننا أن نعود بذاكرتنا إلي ما كانت عليه ألمانيا بعد الحرب عندما دكت القنابل مدنها دكا ونقل ما تبقي من موانعها إلي الدول المنتصرة ودمرت مرافقها ولكن شيئا واحدا لم يدمر ألا وهو القدرة والخبرة المكتسبة ولذا فقد نهضت سريعا إلي مصاف الدول العظمي في الإنتاج .

ومن السهل إستيراد أو شراء آلات أومصانع وقد يتوافر لكل بلد عقول نابغة ممتازة وعلماء أفذاذ ولكن الصعوبة في تكوين العمال المهرة والخبراء المتحسين لأن ذلك يحتاج إلي جيل لتكوين المدربين والعلمين والتكوين المهني والآن يلزم التنويه بفاهيم مهنية كثيرة الشيع منها مثلاً الآتي :

١ - التدريب المهني : وهو يقوم علي أساس إيجاد المهارة والدقة والسرعة والوصول إلي أفضل إنتاج ممكن بأقل مجهود ممكن في أسرع وقت ممكن .

٢ - التأهيل المهني : وهو خاص بالعجزة ويهدف إلي التعليم والترقي في العمل بغية الوصول إلي عدم الشعور بالعجز والقصور .

٣ - الإرشاد المهني : ويهدف إلي الإرشاد عن طريق إسداء النصح بالحلول المناسبة إزاء مشكلة خاصة .

٤ - التوجيه المهني : وهو يهدف إلي وضع الكفاءات المناسبة في المكان المناسب بعد إجراء ملاحظات واختبارات مهنية سليمة .

٥ - الإختيار المهني : ويهدف إلي تحديد مهنة أو عمل من عدة مهن أو أعمال لشخص ما بعد عمل تحليل الوظيفة وتحليل الفرد .

٦ - التخطيط المهني : ويقصد به حصر الكفاءات الإنتاجية في جميع المهن خلال قطاعات الدولة الإقتصادية بشقيها الريفي والحضري والتنبيؤ بمعرفة ما يلزم من العمال والفنيين لأعمال أو مهن جديدة وحشد الجهود ورصد المال وتحديد الوقت اللازم نحو خطة إنتاجية كاملة شاملة وذلك كما هو الحال في التنمية الإقتصادية ومشروع السنوات الخمس .

ويجب أن يبدأ التدريب المهني بالتوجيه المهني حيث يوجه النشئ ويشار إهتمامه في المدارس بكافة الوسائل الإتصالية مثل زيارات المصانع والمعامل والمحاضرات - أقلام سنيمائية - مصابيح سحرية - مسارح - تليفزيون وغيرها . ولا بد أن يراعي في النواحي المهنية بث روح الإعزاز بالصناعة وكرامة المهنة كما يشمل التوجيه المهني للأفراد أساليب الإختبارات وذلك لتحديد الإستعدادات الفطرية والنفسية والإجتماعية .

وهنا يكمن دور الأخصائي الإجتماعي بما في ذلك وضع خطط ومشاريع للتدريب والأهم من ذلك أن الأخصائي ماهو إلا مهندس بشري يبني الرجال وبناء الرجال مساهمة منه في بناء التاريخ .

الصفات الست الأساسية للنجاح في الإشراف والإدارة .

لكي تكون حازما وناجحا في إدارة أي جماعة من الناس إتبع هذه الصفات الآتية وكل منها لها وزنها وقيمتها التي لا بد أن توضع موضع الإعتبار .
أولا : الإحاطة الشاملة .

بمعني أن يكون المشرف علي علم بدقائق الموضوع الذي يريد أن يناقش فيه ويتأكد من صحة البيانات وأن يدرس كل ناحية من النواحي التي يمكن للمعارضة أن تنفذ منها إليه ولعل أحسن وسيلة لتكوين عادة الإحاطة والشمول هو أن تعتد النية علي أننا سوف نداوم علي أن نسأل أنفسنا عند عرض أي مهمة الأسئلة التالية :

- ١ - هل أحطت علما بالذقائق والتفاصيل ؟

- ٢ - هل حصلت علي جميع المعلومات التي أحتاج إليها ؟

- ٣ - هل وجهت عنايتي إلي كل التفاصيل الضرورية ؟ وفي إستطاعتنا جميعا أن نحقق الإحاطة والشمول في عملنا لأن كل مجهود يبذل في هذا السبيل يؤتي ثماره .

ثانيا : العدالة والإنصاف .

بمعني أن تكون هذه الصفة هي الأساس الوحيد الأيمن لكل نجاح في الإشراف علي الغير والتمسك بالعدالة أمر مقرر ولا محل للنقاش فيه فإننا مثلا لن نكذب عامدين لتنتهم موظف كي نخلص أنفسنا. ولن ننسب الفخر عن أعمال قام بها بعض الذين يعملون تحت إشرافنا. ولا نظلم أحدا عن عمد ظلما كبيرا. وإنها صفات الأمور هي التي قد لا تكون واثقين من عدالة تصرفاتنا فيها ومع ذلك لها أهميتها فيجب مثلا ألا نصدر حكما بكفاءة شخص ما دون رؤيته ودون أن تكون الأحكام قائمة علي تحليل دقيق لحقائق الأمور مما يجعل هذا الشخص موثوقا رغبة عند الآخرين .

-٣٨٢-

والحقيقة الأكيدة أن الإنسان منا في إمكانه أن يحوز درجة عالية من العدالة اللازمة عند اللزوم للنجاح في الإشراف إذا كان متيقظا تماما وأن يكون عادلا في الأشياء الصغيرة التي تبدو تافهة فليس هناك أمر وسط في هذه العدالة .

ثالثا : الإبتكار والمبادأة .

وهي القدرة علي تحمل المسؤولية وعلي الأقدام علي عمل الأشياء والقدرة علي السير في العمل دون حاجة إلي إشراف إنها تتطلب إجتماع الصفات الثلاثة : « الشجاعة - الثقة بالنفس - حسم الأمور » .

والشجاعة هي الصفة التي تمكن المؤمن مواجهة الأخطاء والأخطار والشدائد بعزم وبدون تردد إنها ليست التهور والإندفاع . والثقة هي الإيمان في قوة المرء وقدرته وهي الاعتقاد في مقدرة المرء علي تنفيذ غرض من الأغراض وعلي القيام بالمهمة التي ألقيت علي عاتقه بنجاح .

أما حسم الأمور فهي صفة البت في المسائل المعروضة دون تذبذب، والرئيس يجب ألا يكون حاسما فحسب بل عليه أن ينقل هذا الإحساس وهذه الصفة إلي مرءوسيه .

رابعا : اللباقة والكياسة .

والمقصود بها القدرة علي كسب ولاء ومعونة الأشخاص المحيطين بالأخصائي وذلك بأن يجعلهم يشعرون بأنه يلعب دورا هاما وكبيرا في كل ما يتم من عمل وهذا هو لب اللباقة والكياسة فهي تعتبر بحق العامل المؤدي إلي النجاح في الحياة وخير ضمان في الأوقات العصيبة وإنكماش الأعمال ، والتعامل بلباقة مع الرؤساء يؤدي إلي المحبة المتبادلة وهي علي جانب كبير من الأهمية للنجاح في الإشراف والإدارة .

خامسا : التحمس .

هو إهتمام شديد وولاء في سبيل غرض من الأغراض أو مطلب أو مثل أعلي والحقيقة أنه حالة عقلية من شأنها ألا تجعل المرء يستسلم بسهولة للشدائد ولكن تغلب عليها ، ويكاد التحمس يكون الصفة المشتركة بين جميع المشرفين الناجحين

-٣٨٣-

ويجب أن تكون الحماسة الحقيقية عليه أن يحاول علي الدوام إن يزيد من معرفته بالناس ويكمل وجهه من أوجه عمله ولا بد أن يشعر الإنسان أنه قد وصل إلي نتيجة أو هدف لأن هدف الإهتمام والدراسة بالعمل تولد ثقة المرء بمقدرته وإبتهاجه بنجاح عمله ويعقب ذلك الحماسة الحقيقية كنتيجة طبيعية ويجب أن تكون الحماسة متبادلة بين المشرف والجماعة وأن تقوم علي أسس ثلاثة: الإهتمام - المعرفة - بلوغ الهدف .

سادسا : ضبط النفس .

هذه الصفة إذا توفرت في المرء عاونته علي حسن إستغلال سائر الصفات الأخرى وكثيرا ما يفسد الشئ أو الموضوع بسبب بعض ألقاظ نقولها في لحظات الإجهاد والتعب أو بالسماح للتكبر الأعمي أو الميل والهوي أن يؤثر في قرار هام . وليس معني ضبط النفس أن نتجرد من مشاعرنا تجردا تاما ، ف ضبط النفس معناه التمرين علي كبح جماح النفس وضبط العواطف لا يقاس بشعور المرء نحو موضوع من الموضوعات ولكن بالطريقة التي يتصرف فيها ويمدّي كبح جماح مشاعره وتوجيهها بحيث تكون مسيرة بالعقل المسيطر علي العاطفة بالقدر الذي يمنع همومه ومشاغله من التدخل في كفايته في تأدية العمل وتقبله عن طيب خاطر النقد الذي يوجه إليه عن حسن قصد . كل هذا يساعدنا علي التحكم في عواطفنا بحيث لا تكون السبب المباشر في أن نقول أو نفعل شيئا غير حق أو غير لائق يمزق هيكل النجاح في الإشراف الذي نعمل علي تشييده .

ومن هنا فيجب أن ندعم في أنفسنا أهمية ضبط النفس بالنسبة لنجاحنا وسعادتنا في كل وجه من أوجه الحياة وأن نتعود التسهل في إصدار أحكامنا علي أي موضوع أو شخص والألتشور بسرعة لأتفه الأشياء مثلا ونتحمل المتاعب ونواجهها بإبتسامة ساخرة وصدر رحب كل هذا من شأنه يجعلنا نكتسب صفة ضبط النفس وهي صفة هامة ورئيسية في الإشراف علي إدارة الناس .

كيف نفهم طبيعة البشرية ؟

نحن كمشرفين علي إدارة الناس بهمنا أن نستطيع الإهتمام بالذين نشرف

—٣٨٤—

عليهم والوصول إلي أهدافنا وبهذا فأري أن الناس جميعا صغيرهم وكبيرهم لا يحتاجون في هذه الدنيا إلا لخمسة أشياء فقط .
كل الناس علي إختلاف ميولهم وإتجاهاتهم ورغباتهم وعقائدهم في حاجة إلي خمسة أشياء فقط هي :

١ - الشعور بإزدىاد الأهمية والجدارة .

فما من شخص إلا ويحتاج إلي أن يشعر بأهميته وإحترامه الذاتي ويتقديره لنفسه وأنه يستطيع أن يقارن بزملائه لأن المظهر العام للحاجة الأساسية بالمكانة هو رغبة كل شخص في أن يكون موضع حديث الناس .

٢ - العيش في أمان .

والمقصود بها هو حب البقاء ، فإذا إقتنع شخص مثلا أن عملا يؤديه سوف يزيد من إطمئنانه علي معيشتة فأغلب الظن أنه سوف يؤدي هذا العمل ويتصل هذا أيضا بالميل إلي حفظ الذات والرغبة في الشعور بالراحة والرفاهية .

٣ - الشعور علي الزوجة الصالحة وتكوين الأسرة .

هذه صفة أو حاجة أقوى أثرا من الرغبة في الحياة للأخصائي الماهر إذا إستعملها في موضعها كأن يسأل من يشرف عليهم عن ابنه المريض أو إبنته الذكية في الدراسة مدلا بذلك علي أنه يذكر أن الشخص له أسرته فهذا مهم في تكوين الولاء .

٤ - الكشف عن المجهول .

الإنسان منا مولع بحب الإستطلاع لأنها غريزة في الإنسان فيجب أن يستغل الأخصائي هذه الحاجة من حين لآخر فهو بذلك يثير إهتمامه مستغلا حب الإستطلاع وحب الذات .

٥ - الفرار من الحقائق غير السارة .

فالتفكير المبني علي الإعتقاد بأن الأمور مهما ساءت وأن الحمل مهما ثقل

-٣٨٥-

لابد أن ينتهي إلي فرج وخروج من الأزمات هذا التفكير بديع يمكن الإنسان من مواجهة المشاكل والمصاعب بشجاعة متجددة .

حاجتنا إلي التوجيه المهني .

إن قصة الحياة الاجتماعية مليئة بالمتناقضات فنحن نجد الآن آلافا من المهن الخطيرة يقوم بها أفراد بلا قدرات ولا إستعدادات كما أننا نعثر علي قدرات عظيمة خصبة تقوم بهمهن صغيرة بسيطة ولاشك في أن هذا الوضع الشاذ ينتج عنه خطر مزدوج :

١ - خطر فردي .

٢ - خطر اجتماعي .

أما عن الأول فهو إهدار للإستعداد والقدرات الفردية بوصفها في موضع غير ملائم وهذا ليس إضاعة فقط لهذه القدرات والمواهب ولكن أيضا عوامل مسببة لكثير من الانحرافات والإضطرابات النفسية فمقدار تكيف الإنسان لمهنته عامل من عوامل التكامل والتوازن النفسي والإجتماعي وهذا هو الخطر الأول خطر الفرد .

أما الخطر الثاني فيرجع إلي سوء التوجيه المهني للنشاط الإنساني وهو في الواقع من الأزمات الخطيرة التي تعانيها حضارتنا الصناعية الحاضرة والتي ينتج عنها المشاكل الإجتماعية الكبرى . وقد كان من المتوقع في أوائل هذا القرن إن وجود الآلة في الميدان الصناعي سيحل محل الإنسان وبالتالي يلغي ضرورة وجوده وإنما حدث العكس فإن الآلة إستلزمت فيه صفات وقدرات أكبر وأعلي من ذي قبل ومن هنا أصبح للعامل النفسي أهميته الكبرى لذلك كان علم النفس الصناعي يهدف إلي تحقيق أفضل تكيف بين الإنسان ومهنته وبهذا نستطيع أن نحصل علي أفضل إنتاج ممكن بأقل مجهود ممكن في أسرع وقت ممكن .

كيفية تحليل الفرد .

لاشك أن تقييم وتحليل قدرات وإستعدادات الأفراد والحكم عليهم حكما

-٣٨٦-

موضوعيا يتضمن جمع وتنظيم وتفسير المعلومات والبيانات التي تميز كل فرد عن الآخرين وأهم المناهج الحديثة هي :

- ١ - الملاحظة .
- ٢ - تاريخ الحياة .
- ٣ - البيانات المسجلة .
- ٤ - الاختبارات الفنية .

أولا : الملاحظة .

ونراعي فيها تقييم وتقدير سلوك الفرد عن طريق أقواله وأفعاله وتسجيل البيانات الملحوظة وقت حدوثها وملاحظة السلوك في موقف الجماعة بالنسبة للفرد .

ثانيا : تاريخ الحياة .

وهي تفيدنا في الحصول علي بيانات عن سمات سلوك الفرد وإتجاهاته وميوله وهي تمدنا بالنظرة الداخلية للفرد فهي أداة مجدية للتشخيص الإكلينيكي إلا أن هناك صعوبات فقد يخطئ الشخص حين يكتب وقد لا يفرق بين الخيال والحقيقة .

ثالثا : دراسة الحالة .

ويقصد بها وصف بيئة الفرد وظروفه العائلية وثقافته وكل ما له أثر علي نموه وشخصيته ويعتمد في أثناء دراسة الحالة علي مصادر أخرى خلاف العمل نفسه كالأولاد والمدرسين والمشرفين علي العمل أو الرئيس المباشر. وهناك طريقة البيانات المسجلة وهي أيضا تسجيل المهن من المعلومات بشكل عملي يوضح عملية الدراسة كسجل دائم يستطيع الرجوع إليه في أي وقت في المستقبل .

رابعا : الاختبارات النفسية .

إن تحليل الفرد وتوجيهه يتضمن جمع وتفسير الجوانب الهامة من شخصيته كميوله وإتجاهاته وقدراته وسماته الإنفعالية وحالته الفسيولوجية. والأدلة توضح علي أن الاختبارات النفسية تمثل طريقة النجاح وهذا ينطبق علي الاختبارات الثابتة

الصادقة وهناك إختبارات كثيرة منها إختبارات الميول وإختبارات الشخصية والإختبارات المهنية .

مفاهيم مهنية .

آراء في التوجيه المهني .

إن الحاجة إلي التوجيه المهني في المدرسة لازمة وضرورية فليست مهمة المدارس قاصرة فقط علي تنمية الشخصيات للأفراد ومنحهم قسطا كبيرا من الثقافة والتوافق الشخصي بل مهمة المدارس أيضا هي تعليم الجيل أنواعا خاصة من المعارف والمهارات التي تؤهلهم إلي تولي بعض المهن الخاصة بإختيار الطلاب لأنواع معينة من الكليات الجامعية والمعاهد العليا سيؤهلهم بعد تخرجهم إلي مهن خاصة وهذا الإختيار يتم طبعاً علي أساس التوجيه المهني السليم الذي يقدر حقيقة الأفراد وقدراتهم وإستعداداتهم وهذا يوضح أن الحاجة ماسة إلي التوجيه المهني السليم في المدرسة .

الحاجة إلي التوجيه المهني بعد ترك المدرسة .

كثير من الشباب يقضون فترة من البطالة بعد تخرجهم ويحاولون أن يبحثوا عن أي عمل بصرف النظر عن ميدان تخصصهم وفضلاً عن ذلك فإن التغيرات السريعة التي تحدث من وقت لآخر في ميدان الأعمال الصناعية وخاصة بعد حدوث بعض الإكتشافات أو الإختراعات العملية أو في أثناء النهضة القومية قد يؤدي إلي حدوث تغيرات أساسية في نظام المهن السابقة فتنشأ مهن جديدة وقد يحدث في أوقات الكساد الإقتصادي أن يفقد كثير من الأفراد أعمالهم ويضطرون للبحث عن أعمال أخرى من هنا كان لزاماً علي الفرد أن يتخصص في المهنة الملائمة له .

والواقع أن تعقيد الحياة والتغيرات السريعة تقتضي ضرورة الإهتمام بالتوجيه المهني للشباب أثناء المدرسة وبعدها وبالمثل لا بد من التوجيه المهني وحاجة الفرد إليه من وجهة النظر الإقتصادية بمعنى أن الفرد يقضي سنوات طويلة في التدريب مثلاً علي عمل وهذا يكلفه أموالاً طائلة فلو كان مثلاً لديه التوجيه المهني السليم منذ نشأته لما أضاع هذه الفترة من حياته في التدريب والبحث عن عمل .

التوجيه المهني ضرورة هامة بالنسبة للتوافق الشخصي .

قد لا تقارن الأضرار الإقتصادية والصحية بالأضرار النفسية التي تصيب الفرد إذا أساء إختيار مهنته فإن ذلك يؤدي إلي شعوره بالنقص وعدم الأمن والقلق ثم شعور الفرد بأنه عضو غير نافع للمجتمع قد يحطم معنويته ويجعله كثير الضيق بنفسه وبالناس . ويؤدي ذلك إلي الإساءة بعلاقاته الإجتماعية بوجه عام فسعادة العامل الحقيقية إنما تتحقق من حبه لعمله ورضائه عنه لأنه في الواقع إذا أحببت عملك أحببت الحياة .

وفي بعض الأحيان يكون من المهم أن يوجه الفرد بعيدا عن مهن معينة لأمل له في النجاح فيها . فالفرد الذي ترتعش مثلا بداء لا يمكنه أن ينجح في المهن التي تتطلب مهارة يدوية فائقة مثل صناعات الساعات أو الجراحة . والفرد الذي تبين الإختبارات أن نصيبه ضئيل في القدرة الميكانيكية فإنه ينصح عادة بالإبتعاد عن المهن الميكانيكية والفرد الذي يكون قليل الذكاء لا يحتمل نجاحه في المهن الفنية .

الإختيار المهني .

بهدف الإختيار المهني إلي إختيار أحسن الأفراد لمهنة معينة بحيث يستطيع أن ينتج مقدارا معيناً من الإنتاج مع بذل أقل قدر ممكن من الطاقة بحيث يكون أقل عرضة لسوء التوافق .

ويختلف الإختيار المهني عن التوجيه المهني من حيث أهدافهما المباشرة فالتوجيه المهني يهدف للكشف عن أحسن مهنة تلائم شخصا معيناً بينما يهدف الإختيار المهني إلي إختيار أحسن شخص لمهنة معينة فالتوجيه المهني يتناول فرداً واحداً وعدة مهن ممكنة له أما الإختيار فيتناول مهنة واحدة يتقدم لها أفراد كثيرون وكل هذا في الواقع يؤدي إلي تحسين العنصر البشري الذي يتولي إدارة الآلات ويشرف عليها وقد تنفق المؤسسات الصناعية الأموال الكثيرة في سبيل الآلات ولكنها تظن بالأموال القليلة التي يمكن أن تنفق علي تحسين الأفراد ويؤدي تحسين الأفراد وإستخدامهم في المهن المناسبة إلي حسن القوة البشرية وإلي زيادة الكفاية الإنتاجية .

دور الأخصائى الإجتماعى فى التوجيه .

يقول جورج هالس فى كتابه « إدارة الناس فن » إن الأخصائى الإجتماعى بمثابة صديق ويجب أن يظل كذلك دائما كما يجب أن يكون على دراية تامة بسياسة الوحدة أو المجال الذى يعمل فيه وبالحخدمات التى تؤديها وأن يكون على تمام الأهبة للتقدم بأي مساعدة أو نصيحة تطلب منه ولكن لايجوز أن تكون له أي سلطة من سلطات الإشراف وعندما تتوافر فى الأخصائى مثل هذه الشروط فإنه يكون عوناً كبيراً لمن يعمل معهم .

وهذه هي وظيفته الأساسية . وما الوظيفة إلا مجموعة أعمال ومسئوليات تسند لها السلطة إلى أي شخص ما للقيام بها بعض الوقت أو كل الوقت . قلنا أن التدريب المهني يهدف إلى أفضل إنتاج ممكن في أسرع وقت ممكن بأقل مجهود ممكن بخلاف التوجيه المهني الذي يعمل على توجيه كل فرد والوظيفة التي تتفق مع إمكانياته بخلاف دور التأهيل المهني الذي هو في الوقت نفسه يعتبر توجيهها مهنيا لفئة معينة من الناس .

ومن أهم واجبات الأخصائى أن يعمل على إشباع حاجات الفرد العاجز - الحاجات النفسية - وخصوصا الحاجة إلى الأمن والطمأنينة كأن يختار له العمل الذي يوفر له فرص الحياة المتوفرة .

ويقول أدلر بأن الشعور بالقصور الذي يوحى به إلى الفرد إلى أحد أعضاء بدنه يصير على الدوام عاملاً فعالاً في نموه النفسي ويؤدي ذلك إلى تعويض مباشر يؤدي بالشخص الأعمى مثلاً « طه حسين » إلى النبوغ في الأدب والأصم « بيتهوفن » إلى الإبداع في الموسيقى والأعرج « تيمور لنك » إلى الإمتياز في السباحة . والتعويض غير المباشر ربما يكون في نواح خلقية أو في صراع الشخصية عموماً فتجد الرجل القبيح يتميز بالتفوق العقلي والروحي . والسمين خفيف الدم والظل ومعنى ذلك مساعدة الفرد من جانب الأخصائى على أن يتقبل العجز الجزئى أو الكلي .

- ٣٩٠ -

إدمان الخمر والمخدرات .

أولا إدمان الخمر .

تعريف الخمر .

هي عصير العنب إذا إختمر أو كل مسكر مخامر للعقل والخمر من أقدم العقاقير التي تؤثر علي المخ والتي عرفها الإنسان ويقال إن إنسان العصر الحجري عرف الخمر بتخمير التوت من ٦٤٠٠ سنة قبل الميلاد . كما يقال ان نبيذ العسل كان معروفا من ٨٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، هذا وكانت الخمر منتشرة في شبه الجزيرة العربية أيام الجاهلية ومدحها الشعراء تلك الأيام إلي أن جاء الإسلام وحرمها .

وتنقسم المشروبات الكحولية إلي قسمين :

١ - مشروبات غير مقطرة مثل : البيرة والنبيذ .

٢ - مشروبات مقطرة وهي المشروبات الروحية مثل الويسكي والفودكا .

ويتم تشييل ٩٠ ٪ من الكحول في الكبد أما الباقي فيفرز كما هو في العرق والبول والنفس ، والخمر بصورة عامة سم خلوي يضر بخلايا الجسم ويعطل وظائفها إذا أخذت بجرعات كبيرة والمعروف أن الخمر يعطل الجهاز العصبي ويخدره بتعطيل التركيب الشبكي المنشط الذي يتكون من نوايا منتشرة في ساق المخ ومع زيادة الجرعة تخدر الخمر المخيخ فيفقد المتعاطي سيطرته علي التوازن والكلام .

تعريف المدمن .

هو كل فرد يتعاطي أي مخدر بصورة معاودة وجبرية هذا ومن أعراض تعاطي الخمر الخلط والهذيان واختلال التوازن وثقل الكلام والغشيان والقيء والسلوك العدواني والإستهتار .

الآثار النفسية والعقلية لمدمن الخمر .

١ - الهذيان الرعاش .

وهو من أخطر مضاعفات الإدمان ويصاب به ٥ ٪ من المدمنين عند

إمتناعهم عن الخمر فجأة فيشعر المدمن بعد حوالي ٧٢ ساعة من الإمتناع عن الخمر برعشة اليدين والإعياء وسرعة الآثار والغثيان والقيئ والأرق الشديد المصحوب بالقلق وعدم الإستقرار واختلال الوعي بالزمان والمكان .

٢ - إلتهاب المخ .

وتبدو أعراضه فجأة علي صورة الخلط الذهني الحاد وشلل أعصاب العينين وإلتهاب أعصاب الساقين .

٣ - ذهان كورساكوف .

وهو ضعف الذاكرة للأحداث القريبة التي يتعرض لها المريض أكثر من دقيقتين بالإضافة إلي تبدل المشاعر وعدم الإستبصار وذهان كورساكوف حالة مزمنة يتحسن منها قليل من المصابين بها ، ويحدث إلتهاب المخ . وذهان كورساكوف يسبب النقص الشديد في فيتامين (ب) الموجود في بعض الأطعمة والذي يؤدي بدوره إلي تحلل في بعض خلايا الجسم وليس هناك علاج لذهان كورساكوف إلا الإمتناع عن شرب الخمر .

٤ - إضطرابات الذاكرة .

فمن مضاعفات الإدمان المبكرة ضعف الذاكرة التي من أشهرها نوبات التعتيم وينسي أثناءها المدمن كل أحداث الأمسية السابقة التي تعاطي خلالها الخمر .

٥ - الهزيان الكحولي « التخريف » .

يؤدي إدمان الخمر إلي ضمور خلايا المخ في منطقتي القفص الجبهي والجداري ومن أعراضه النسيان وضعف التركيز والإنتباه وضحالة الإنفعالات وإهمال المظهر والنظافة وعدم السيطرة علي التبول والتبرز وتدهور الشخصية .

٦ - الهلوسة الكحولية .

ويصاب بهذه الحالة ٦٪ من المدمنين حيث تبدأ الهلوس الكحولية بعد ٤٨ ساعة من الإمتناع وتستمر لمدة أسبوع وقد تستمر عدة سنوات ويسمع

- ٣٩٢ -

المصاب بالهلوسات أزيًا أوطينيًا أو أصواتًا محدثة أو تنبيهه أو تأمره أو تسخر منه ولا يعاني من الخلط أو الهزيان ولكنه قد يعاني من المعتقدات الوهمية الإضطهادية التي تشبه مرض القسام .

٧ - الغيرة المرضية «مرض عطيل» .

ومن أهم أعراضها المعتقدات الوهمية الباطلة التي تصيب المدمن وتجعله يتوهم بأن زوجته تخونه ويتهمها بذلك صراحة ويتجسس عليها ويعتدي عليها بالضرب ويفسر المصاب أي حدث يصدر من زوجته علي ضوء معتقداته الباطلة ومن أسباب تلك الحالة الضعف الجنسي الذي يعاني منه المدمن وإشتمزاز زوجته منه أثناء السكر .

٨ - حالة التجوال الكحولي .

يسافر المدمن أو يتجول من مكان لآخر وهو تحت تأثير الخمر ليفيق في بيئة غير مألوفة وهو فاقد الذاكرة لكل ما وقع له أثناء تجواله .

٩ - حالات الإنتحار وتعاطي الخمر .

تؤدي الخمر إلي الإنتحار عن طريقتين :

- أ - يسبب شرب الخمر ضعف الضوابط والموانع فيقدم معتل الشخصية والمكتئب عصائيا علي الإنتحار وهو مخمور .
- ب - نسبة الإنتحار بين مدمني الخمر أعلي منها بين غيرهم من الناس . هذا وهناك مضاعفات جسمية لمدمن الخمر هي كالآتي :

- إلتهاب المعدة .
- قرحة المعدة والإثني عشر .
- أمراض الكبد .
- أمراض القلب .
- نوبات الصرع .
- ضمور خلايا المخيخ .
- إلتهاب الأعصاب .

- ٣٩٣ -

- الضعف الجنسي .
- رعشة اليدين .
- السل الرئوي .
- أمراض العضلات .
- أمراض الدم .
- العمى الكحولي .

وسائل علاج الإدمان .

أولاً : العلاج الطبي .

١ - استخدام أقراص الأنثايبور « Anthapure » مرة أو مرتين في اليوم ووظيفته تراكم الخمر في الدم وتسبب للمدمن الإختناق وإحتقان الوجه والغثيان الشديد والقيء والدوخة والصداع وهبوط ضغط الدم وسرعة النبض وبعد ذلك يشعر المدمن بكل هذه المتاعب فيحاول الإقلاع عن الخمر ويستمر مفعول هذا الدواء مدة ٦ شهور .

ب - « الأبهستم Absteem » وتأثيره مثل الدواء السابق إلا أنه أقل فاعلية من الدواء السابق وأقل خطراً في الوقت نفسه وتؤخذ علي شكل أقراص .

ج - « الفلاجيل Flageel » علاج جديد عبارة عن أقراص وإكتشفه الأطباء عن طريق الصدفة ووجدوا أنه يسبب مرارة في الفم إذا شرب الإنسان الخمر .

د - « الأپومورفين Apomorphine » هو دواء مقيئ في جرعات معينة واتضح من إستعماله في جرعات صغيرة أنه يعالج أعراض الإمتناع والرغبة الملحة في التعاطي والرجفة التي يشعر بها المدمن ومازالت نتائج العلاج تحت الدراسة .

ثانياً : العلاج النفسي .

يعتبر العلاج النفسي من الوسائل الأساسية المساعدة في علاج الإدمان وينقسم إلي :

١ - علاج نفسي فردي .

- يؤدي إلي تحسن إلي حد كبير ومن خواص العلاج النفسي الفردي مايلي :
- أ - الشعور الصحيح مع المريض وتفهم مشاكله بدقة وتوفير الدفء الإنفعالي .
- ب - توجيه المريض ومساندته ومصارحته بأنه مدمن وتشجيعه علي الاعتراف بذلك .
- ج - مواجهة المشاكل الحالية يوما بيوم وتعليم المريض الأساليب الصحيحة لمواجهة هذه المشاكل .
- د - الإيجابية في الموقف العلاجي وتصحيح فكرة المدمن عن نفسه .
- هـ - تعليم المدمن مواجهة الواقع وتحمل المسئوليات والفشل ووسائل السلوك البديلة عن الخمر .

٢ - العلاج النفسي الجماعي .

- هو أكثر أنواع العلاجات فاعلية للأسباب الآتية :
- أ - إن الجماعة تزود المدمن بالمساندة وتعلمه مواجهة نفسه .
- ب - يتعلم المدمن من خلال تفاعل الجماعة أساليب الحياة والمهارات اللازمة لحل المشاكل .
- ج - تصحيح مفاهيم المدمنين الخاطئة عن الخمر والإدمان .
- د - توفير المناخ الإنفعالي الدافئ والمتفهم عن النقد والتشديد من خلال الجماعة .
- هـ - تحديد الأهداف المطلوبة للوصول إليها بوضوح وصياغتها بأسلوب بسيط .
- و - دور المعالج الإيجابي عندما يوجه النقاش وتفاعلات أفراد الجماعة .

٣ - العلاج الأسري .

- من الاتجاهات الجديدة والهامة في الطب النفسي إعتبار أعراض الأمراض محصلة تفاعلات أسرية مرضية لأن المريض في واقع الأمر مثل النبات تري ساقه

وأوراقه ولا تري جذوره التي تغذيه وتمتد إلي الأرض فالمرضى هو النبات الذي نراه والأسرة العليلة هي الجذور التي تغذي المرض ولا نراها ونجاح العلاج النفسي يعتمد علي الوصول إلي هذه الجذور أي إلي كل أفراد الأسرة .

٤ - العلاج السلوكي .

ويقوم علي تعديل السلوك وتعليم المدمن كراهية الخمر وتعلم الوسائل الصحية التي تؤدي إلي زوال التوتر وطرق تأكيد الذات وإثبات الوجود .

ثانيا : إدمان المخدرات .

تعريف المخدر .

هو كل مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم .

أنواع المخدرات ومشتقاتها .

١ - الأفيون الخام : وهو يستخرج من نبات الخشخاش الذي ينمو في إيران وتركيا وبعض بلدان الشرق الأوسط وثمره الخشخاش بيضية الشكل ينساب منها عند شقها سائل حليبي اللون يتجمد عند تعرضه للهواء .

ومن مشتقات الأفيون : مشتقات خام مثل المورفين والكوكايين وهناك مشتقات نصف مصنعة مثل الهيروين وهو عبارة عن مسحوق رمادي أو أبيض ناعم الملمس له رائحة تشبه رائحة الخل ، كما إن هناك أيضا مركبات مصنعة وهي التي تستحضر في المختبرات بدون إستخدام الأفيون الخام .

٢ - المنومات والمهدئات : هي مجموعة مواد كيميائية مصنعة تسبب الهدوء والسكينة أو النعاس ، أما المهدئات فتأثيرها أكثر نوعية من المنومات حيث أنها لا تؤثر علي المخ ككل بل يقتصر تأثيرها في الجرعات العلاجية علي أجزاء معينة من المخ .

٣٩٦-

٣ - المنشطات : هي عقاقير تسبب النشاط الزائد وكثرة الحركة وعدم الشعور بالتعب والجوع وتسبب الأرق .

٤ - الكوكايين : هو عقار علي شكل مسحوق ناعم أبيض يسبب الشعور بالخفة والنشاط وزيادة الحركة والسلوك العدواني .

٥ - القنب : تحتوي أنثي نبات القنب علي مادة الحشيش وهي مادة صمغية تستخرج من ثمرة أو ساق النبات ويسبب الحشيش الشعور بالدوخة وعدم إدراك الزمن وإختلال الحواس وتقلب الإنفعالات وإنخفاض القدرة علي القيام بالحركات العضلية التي تحتاج إلي مهارة .

٦ - عقاقير الهلوسة : هي مجموعة من المواد التي تسبب الهلوسات والحداد البصري والسمعي وإختلال الحواس والإنفعالات ومن هذه العقاقير الميساكلين والسرنييل ويزور نبات مجد الصباح .

٧ - القات : ينمو هذا النبات في اليمن والحبشة والصومال ويمضغ المتعاطي أوراق النبات ويستحلبها بوضعها بين الخد والفكين « التخزين » وقد أدرج القات مؤخرًا ضمن قائمة المخدرات بواسطة هيئة الصحة العالمية عام ١٩٧٣ .

٨ - مسكنات الألم غير المخدرة : « الإسبرين والبراسيمامول » وهي مسكنات شائعة . ويحتوي الحاء شجرة الصفصاف علي هذه المواد وكان الإغريق يستخدمون اللحاء في علاج الألم والنقرس وأمراض أخرى وفي سنة ١٨٩٩ قامت شركة باير الألمانية بصناعة إسبرين .

تأثير الأفيون ومشتقاته .

يسبب الإسترخاء والهدوء والشعور بالنشوة أحيانا والإكتئاب أحيانا أخرى والغثيان والتشنجات في بعض الأحوال وفقدان الشهية والهزال والضعف الجنسي

واضطرابات العادة الشهرية وتسمم الدم والتهاب الكبد أو غشاء القلب والتسمم والوفاة والإنتحار وحوادث الطرق وإرتكاب جرائم السرقة للحصول علي النقود اللازمة لشراء المخدر .

طرق العلاج : يمكن علاج مدمنوا الأفيون ومشتقاته في مصحات خاصة بالإدمان بعد تقويم كل حالة من الناحية النفسية والاجتماعية والعضوية ، وتري مدرسة التحليل النفسي أن المدمن مصاب بالانرجسية حيث أن ذاته تعتمد علي نفسها في الحصول علي اللذة بدلا من إعتماها علي الآخرين وتزوده العقاقير والمخدرات بالنشوة التي يبحث عنها لتخفيف الإكتئاب والتوتر الدائم الذي يشعر به نتيجة للغرائز العدوانية اللاشعورية التي يتعرض لها بالذات .

لذلك يعالج المريض في جلسات بالتحليل النفسي المعدل أو العلاج النفسي الجماعي الذي يساعد المدمن علي إدراك صورته علي حقيقتها والتغلب علي إزدرائه لنفسه وتحقيق السعادة من خلال تفاعله مع الآخرين ومع الواقع .

إدمان الحشيش .

يستخرج الحشيش من أنثي نبات القنب الهندي وينمو في الهند وتركيا وشمال غرب آسيا وإيران وجنوب أفريقيا والمكسيك ويحتاج إلي جو بارد وتربة رطبة مشبعة بالمياه .

نبذة تاريخية عن الحشيش .

أول إشارة عن الحشيش كانت في كتاب صيدلة ألفه الإمبراطور الصيني «شانج نانج» عام ٢٧٣٧ ق.م وكانت له في رأيه فوائد طبية متعددة ويعرف «باسم Canabees» وكلمة « كانابيس » يونانية الأصل ومعناها « الضوضاء » ولعلها إشارة إلي الأصوات المرتفعة التي يصدرها المتعاطون لهذه المخدرات .

أما كلمة حشيش باللغة العربية فتعني « العشب » وقد أطلقت علي المادة المخدرة الموجودة في نبات القنب ، ولعل المسلمين عرفوه نباتا برياً فسموه الحشيش .

إنطلقت الكلمة بعد ذلك إلي اللغات الأوروبية لتصبح « Assasine » الحشاشين وأطلقت الكلمة بعد ذلك أصلا علي طائفة من الإسماعلية عاشت مع

—٣٩٨—

زعيمها حسن بن صباح في قلعة « الموت » بين أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر في الجبال الكائنة في شمال إيران .

الآثار النفسية للإدمان الحشيش .

تتلخص هذه الآثار في النقاط التالية :

- ١ - دورات متوالية من الهلوسة .
- ٢ - إختلال الحواس واضطرب الإنفعال ليعود إلي حالته الطبيعية بعد فترة
- ٣ - فقدان السيطرة عي النفس وإنعدام الزمن .
- ٤ - شعور المدمن بالقلق الشديد .
- ٥ - سرعة النبض .
- ٦ - الكسل والبلادة وبطء الإنتاج .
- ٧ - فقدان الطموح والإنزواء وتبلد الإنفعال وسوء الحكم علي الأمور

علاج إدمان الحشيش .

- ١ - طمأننة الشخص وعزله في غرفة ضعيفة الإضاءة .
- ٢ - عدم تركه منفردا .
- ٣ - التحدث إلي المدمن بصوت هادئ حتي يظل علي صلة بالواقع .
- ٤ - حقن المدمن بالمهدئات .

إتجاه جديد في علاج الإدمان .

في جمهورية مصر العربية ظهر إتجاه جديد لعلاج الإدمان في شكل تجربة جديدة لمدة عشر سنوات وكان قوام هذه التجربة خمسة الاف مدمن وقمت بأسلوب حفظ المدمن المريض علي كرامته وشخصيته ، ولنجاح التجربة إشتراك الحكومة الأمريكية في المرحلة الأخيرة من هذا العمل الفريد الذي خضع له ٢١٨ مدمنا تم

علاجهم في عيادة طبية ومسجد بأساليب علاجية جديدة ، وكان طبيعيا أن تتطرق التجربة المصرية لآثار الإدمان وأسبابه وهنا ظهر لفريق البحث أن الأفيون يؤثر بطريقة مدمرة علي وظائف الجسم الحيوية وأن خطره يتركز علي كبد الإنسان الذي يحاول عن طريق مادة خاصة يفرزها أن تحمي المدمن من نفسه . كما ثبت أن الأفيون يؤثر علي الجهاز المناعي للجسم مما يجعل المدمن عرضة للإصابة بالميكروبات ولاسيما ميكروب السل ومن الجدير بالذكر أن الدكتور / جمال ماضي أبو العزايم - هو الذي أشرف علي التجربة واستخدم في علاجه أسلوب العلاج المفتوح بإرادة المدمن نفسه علي أساس السرية التامة وبعبدا عن تدخل أي إنسان أو أي جهاز واعتمدت سياسة العلاج علي أسس ثلاثة هي :

- ١ - علاج بدني .
- ٢ - علاج نفسي .
- ٣ - علاج إجتماعي .

هذا وقد ضم فريق البحث والعلاج الطبيب المتخصص والباحث الإجتماعي ورجل الدين صاحب الخبرة بالناحية النفسية بدأت التجربة منذ عام ١٩٦٨ م ووصلت الحالات إلي ٣٠٥ وفي عام ١٩٧٠ كان عدد الحالات ١٥٤٢ وقد بلغت الحالات جميعها في عام ١٩٨١ م ما يقرب من خمسة آلاف حالة وبالتحديد ٥١٣٢ وقد تحسن منهم مئات الحالات الذين رجعوا إلي حياتهم الطبيعية بعيدا عن الغياب والهروب من المسئولية والضعف والهزال والإكتئاب والقلق والتوتر والإضطراب العصبي والنفسي الملازم للإدمان .

ولقد أثار هذا النجاح إهتمام منظمة الصحة العالمية والتي أشاد خبيرها في تقريره وطالب بضرورة وضع بروتوكول للبحث العلمي المستفيض لمقارنة هذا العلاج بالعلاجات الأخرى التي تستخدم لعلاج الإدمان ، وكانت الخطوة التالية هي إتفاق بين حكومتي مصر وأمريكا لمتابعة الخطة العلمية التي تضمن إختيار عيادة طبية ومسجد أبو العزايم لتقديم العلاج الطبي جنباً إلي جنب مع العلاج النفسي والإجتماعي والديني . ولقد تم في هذه المرحلة إختيار ٢١٨ من مدمني الأفيون وكلهم من مدمني الأفيون بالقاهرة الذكور تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٥٥ سنة وقسمت كل مجموعة إلي ثلاثة

أقسام وأعطي علاج خاص لكل مجموعة بطريقة لا يعلم الطبيب أو المريض نوع العلاج الذي تم تنفيذه .

ولقد أظهرت نتائج البحث أن نسبة كبيرة من المدمنين لا يعرفون القراءة أو الكتابة ووصلت نسبتهم إلي ٤٩ ٪ من حجم العينة كما أن ٣٨ ٪ منهم إما شبه أميين أو أنهم أكملوا التعليم الابتدائي فقط ، كما وجد أن ٢٥ ٪ من المدمنين ممن التحقوا بالمدارس وكانوا يهربون منها وأن ١٢ ٪ منهم كانوا مشاغبين وذوي ميول عدوانية بل إن ٣ ٪ منهم إعترفوا بأنهم كانوا يتعاطون المخدرات وهم في مرحلة الدراسة والمهم إن هذه الأرقام تلقي الضوء علي المستوى التعليمي للمدمنين وتدل علي أن معظمهم كانوا من أصحاب المشاكل في فترة الدراسة .

وقد ذكرت نتائج البحث أيضا أن هناك إعتقادا راسخا في أذهان الناس الكثيرين من المصريين بأن تعاطي المواد المخدرة لا يتنافي مع أحكام الدين وهي معتقدات باطلة يرفضها الدين ذاته غير أن التوعية الإجتماعية والتربوية والدينية ليست كافية أو ليست منظمة بطريقة كافية للإقناع بأن المواد المخدرة كالمواد المسكرة كلاهما إثم يحرمه الدين ، كما أن النتائج توضح بأن الأفيون أكثر إنتشارا بين الفئات الآتية :

سائقوا سيارات النقل - صانعوا الأحذية - صانعوا الملابس - الخراطين - البرادون - عمال النسيج - عمال البناء - بعض التجار - بعض رجال المال . ويعتقد الكثير من هؤلاء أنهم لا يستطيعون العمل بدون تعاطي المخدر وأن نشاطهم وقدراتهم البدنية والنفسية تنهار تماما بغير المخدر حتي أنهم قد يتعاطونه خلال ساعات اليوم الواحد أكثر من خمس مرات . والواقع أن المخدرات قادرة علي إنهك البدن والنفس والعقل كما أن الإدمان يقود صاحبه نحو الجنون ، وإذا منعت المخدرات عن المدمن بعد أن تتكون عنده عادة الإدمان بصورة معاودة وجبرية تبدأ الخلايا العصبية في التشنج الذي يظهر علي المدمن في شكل آلام مختلفة بالجسم وقلق ورعب وأعراض مرضية كالإسهال وسيلان اللعاب وإدراك الدموع من العينين وتضطرب شهية المدمن كما تضطرب وظيفة الكبد ونقص وزن المدمن كثيرا عن الحد المألوف . ومن المعروف علميا أن مصل دم الإنسان يحتوي علي خمسة أنواع من البروتينات يفرزها الكبد ، وقد كشفت الأبحاث العلمية التي أجريت علي مدمني

-٤٠١-

الأفيون أن كبد المدمن يفرز نوعا سادسا من البروتينات لم تكشف الأبحاث عنه من قبل ولا يعرف العلماء حتي الآن سببا لظهوره في جسم المدمن أو تأثيره الفسيولوجي علي الجسم ولكن نفس الأبحاث أثبتت أن هذا البروتين الغريب يختفي بعد العلاج للمدمن ويندر وجوده مع تحسين حالته ، ومعني هذا أن كبد الإنسان ربما يقوم بإفراز هذا البروتين السادس ليقى المدمن من شر نفسه .

الفصل الخامس عشر

تأصيل علم النفس فى القرآن الكريم .

- * مفهوم النفس فى القرآن الكريم .
- * مفهوم الروح فى القرآن الكريم .
- * آراء فى الروح والنفس .
- * أنواع النفوس فى القرآن الكريم .
- * نفوس مريضة فى القرآن الكريم .
- * شفاء النفس قرآنيا وعلميا .
- * التنشئة الاجتماعية للطفل المسلم .
- * التنشئة الاجتماعية وسيكولوجية نمو الذات .
- * التنشئة الاجتماعية والتكيف الاجتماعى .

تأصيل علم النفس فى القرآن الكريم .

١ - مفهوم النفس فى القرآن الكريم .

ما النفس وما الروح وما الجسد ؟ سؤال طرحه على أنفسنا كثيرا علنا نجد إجابة كافية شافية لأننا نجد بين هذه المفاهيم الثلاثة خلطا يؤدي بنا إلى التحريف والخطأ والتشويه مما يسبب عقم المعرفة وجمودها ، وعدم تطورها وإنسياها بطريقة صحيحة بين الناس ، وهنا نود أن ندرك وضع « النفس » فى القرآن وعلم النفس ، إن تعريف القرآن للنفس وإشاراته إليها يتسم بالنظرة الشمولية المتكاملة ، والتي ندرجها فى التنوع والترميزات والصياغة التي بلغت حد الإعجاب والإعجاز .

وكلمة النفس ومشتقاتها فى القرآن الكريم قد تواترت وتكررت بأشكال مختلفة كانت فى مجملها ثلاث عشرة صورة مابين مفردة وجمع تذكير وتأنيث ، هذا وقد تكررت لفظة « نفس » وهى الاسم مجردا ٦١ مرة ولفظة « نفسا » ١٤ مرة و « نفسك » عشر مرات و « نفسه » ٤٠ مرة و « نفسها » مرتين و « نفسى » ١٣ مرة و « النفوس » مرة واحدة و « نفوسكم » مرة واحدة أيضا و « الأنفس » ٦ مرات و « أنفسكم » ٤٩ مرة و « أنفسنا » ثلاث مرات و « أنفسهم » ٩١ مرة و « أنفسهن » أربع مرات ومن ثم وردت لفظة نفس ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٢٩٥ مرة « خمسا وتسعين ومائتين » .

نعود لسؤالنا الأول ما النفس ؟ النفس الإنسانية هى ذلك الكل المركب من الجسد والروح والذى نطلق عليه أحيانا : إسم الذات أو الأنا بلغة علم النفس بهذا المعنى تحمل سمات كل من الجسم والروح لأن صفات الجسم وخصائصه الأساسية تشكل جزءا من سلوك الإنسان الفرد ، إن صفات الطول والقصر والسواد والبياض والسرعة والبطء والنحافة والسمنة والبلادة والنشاط ، كل هذه الصفات الأساسية للجسم البشرى ، تجعلنا نطلق فى كثير من الأحيان أن فلانا هذا : أهوج أو أرعن أو مندفع ، أو إنه كسول أو لطيف الطبع أو ماكر خبيث « كل قصير مكبر » كما يقولون ، أو إتق شر من قرب من الأرض ! ! أو كل سمين ظريف خفيف الظل أو بارد الطبع .

بينما إذا أردنا أن نعرف صفات الروح وقفنا عاجزين أمام هذا المفهوم ويعزى ذلك إلي قول ربنا سبحانه وتعالى في سورة الإسراء « ويسئلوئك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » نحن لانعرف إلا القليل أو أقل عن الروح ، كقولنا مثلا « الروح المعنوية Morale والتي نعنى بها في العلوم النفسية » تلك القوة المعنوية أو الحالة السيكلولوجية التي تدفعنا نحو الإقدام أو الإحجام لتشير فينا حب العمل وحب الحياة ، أو التحمس لهما أو العكس بقصد إنجاز هدف أو أكثر من هدف ، ليصل الإنسان الفرد في نهاية المطاف إلى مرحلة من حالات الرضا الذاتي Satisfaction Self ، وقولنا « أظهر محمد روحا طيبة للغاية نحو إخوانه » كما قد نجد إنسجاما بين مجموعة من الأرواح أو تنافرا وبعدا بين بعض هذه الأرواح ويؤكد ذلك ويعززه الحديث الشريف « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وهكذا نرى أننا بسبيل تعريف الروح لم نؤت من العلم إلا قليلا في هذا الصدد. أن الروح سر من أسرار الخالق جل وعلا وأودعها مخلوقاته لأنها مصدر الخلق وأساس الحياة والوجود ويترائى لنا ذلك واضحا جليا في سورة مريم حين نقرأ قول الحق تبارك وتعالى « فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » (١) وفي سورة النبأ « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » (٢) وفي سورة التحريم « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » (٣) .

ومن ثم ندرك تماما أن النفس وهي مجموع سمات الجسد والروح تختلف كلية عن الجسد والروح لأن صفات الكل شئ وصفات الأجزاء المكون منه هذا الكل شئ آخر فضلا عن أن الكل « كوحدة » غير المجموع عناصره وأجزائه. وهكذا ينظر القرآن الكريم إلى النفس البشرية نظرة كاملة شاملة ومتكاملة في الوقت الذي نرى فيه أن أقسام الجهاز النفسى كما يراها علماء النفس المحدثون تتكون من :
أولا : اللاشعور : وهو ذلك الجزء الذى يشمل الدوافع والرغبات الجنسية كما أنه يشمل جانبين أولهما « الهو ID » وثانيهما الإستجابات المكبوتة Re-pressed Responses .

ثانها : الشعور وهو كل ما يمكننا تذكره من أفكار وأحداث ووقائع وهو يمثل الذات المدركة E G O أو الأنا .

ثالثا : الأنا العليا « E G O - supper أو الضمير ويظهر أثناء مرحلة الطفولة وبالذات عندما يبدأ الطفل فى تعليم ضبط إخراجِه .

ولسنا نرى فى هذا الصدد أى خلاف أو تباين بين ما ينادى به علماء النفس المحدثون وما يشير إليه القرآن العظيم ألم يقصد باللاشعور « النفس الأمانة بالسوء » ؟ أليس المقصود بمنطقة الشعور « النفس المطمئنة » ؟ كما أن « الأنا العليا » ما هي إلا النفس اللوامة ؟ ليس هناك تعارض إذا بين القرآن الكريم وعلم النفس فى نظرة كل منهما إلى « النفس البشرية » وإن كان الأول ذو نظرة فاحصة دقيقة تمتاز بالعمومية والتكاملية والشمول عن الثانى « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحئن أقرب إليه من حبل الوريد » (١) .

إن مركبا يتكون من الجسد والروح هو الذى يكسب الحياة حيوية ونشاطا وبهجة ، إن النفس البشرية هي صانعة الحضارات وهي التى تعمل على تعمير الأرض وإقامة الوجود الإنسانى حتى أبد الأبدى .

نأتى إلى الشق الثانى من سؤالنا : ما الروح ؟ وقد تحدثنا عنها سافا عندما كنا نقارن بين مكونات النفس الإنسانية ، وضرينا لذلك الكثير من الأمثلة بعد تعريف الروح وتحديد كنهها ، هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى لفظة «الروح» ومشتقاتها ٢١ مرة فقط على أن الروح توجد داخلنا وليس لها مكان معين فى الإنسان الفرد إنها كما ذكرنا سر من أسرار الخالق الأعظم تظل بداخلنا أمانة مجهولة إلى أن يشاء الله لها الصعود فتصعد إلى بارئها عز وجل وعندما ينادى القرآن فى سورة آل عمران « كل نفس ذائقة الموت » (٢) فإنما يعنى هذا أن الروح لا بد صاعدة إلى خالقها وأن الجسد فان فى النهاية .

الشق الثالث من سؤالنا : ما الجسد ؟ هو الصورة أو الهيكل الذى يجسد Enbody الشخص ويكسبه الجانب المادى الملموس والمحسوس ، وقد تعرض القرآن

الكريم للفظ الجسد أو الجسم ست مرات فقط وهذا يؤكد أن الجسد ليس له نفس قيمة النفس أو الروح ويتمشى ذلك إلى حد كبير جدا مع نظريات العلم الحديث من الناحية التشريحية والفسيولوجية والتي تقدر أن الجسد بعد الموت قد يساوى بضعة قروش زهيدة ثمننا لمجموعة عظام نخرة وبعض المواد الكيميائية التي تحللت من هذا الجسم الميت ! ! ومن ثم فالفرق كبير والبون شاسع بين النفس والجسد وما أجمل قول الإمام « البوصيري » فى تهذيب النفس حين يقول :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على . حب الرضاع وإن تطفمه ينقطع إلى أن يقول :

وراعها وهى فى الأعمال سائمة . وإن هى إستحلت المرعى فلا تسم
مجمل القول أن هناك تزاوجا بين الجسد والنفس ، وآية ذلك وجود الأمراض السيكوسوماتية « النفسجسمية » أى الأمراض الجسمية ذات المنشأ النفسى مثل : قرحة المعدة والذبحة الصدرية وأمراض الحساسية وغيرها مما سنتكلم عنه فيما بعد ، إن متاعبنا الجسدية تنعكس بالضرورة على نفوسنا فتترك ندوبا تشكل فى النهاية مجموعة الإضطرابات والأمراض النفسية والسيكوسوماتية .

٢ - مفهوم الروح فى القرآن الكريم .

ينظر القرآن إلى الروح نظرة كاملة شاملة ويتناولها تناولا محددا يضى عليها فهما صحيحا ، إن القرآن الكريم يعالج « الروح » من جنبات متعددة ومن أكثر من منظور إذ ينظر إليها من :

أولا : منظور الوحي : كقوله تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » (١) وقوله « يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده » (٢) ، وهنا يدرك أن المقصود بالروح هو الوحي طبقا لما يحدثه بين أرواح الناس وقلوبهم .
ثانيا : منظور البطش والشدة والغلبة : وهو القوة التى يعزز الله بها من يشاء من عباده ويكتب لهم النصر ويبدو ذلك فى قوله « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » (٣) .

ثالثا : منظور ملك الوحي جبريل : كما فى قوله « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » (١) وقوله تعالى « من كان عدوا لجبريل فإنه نزل به على قلبك بإذن الله » (٢) وقوله تعالى أيضا « قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » (٣)

رابعا : منظور إستفهام اليهود من النبى محمد ﷺ عن الروح وذلك حينما أجابهم النبى ﷺ بأنها من أمر الله وأنها أيضا الروح المذكورة فى قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا » (٤) .

وأنها تلك الروح المذكورة فى قوله : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم » (٥) .

خامسا : من منظور المسيح عيسى بن مريم « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (٦) .

سادسا : ومن منظور تشغيل طاقة الكائن الحى وهو قول ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه (٧) قال : مر رسول الله ﷺ بتفر من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه عسى أن يخبركم بشئ تكرهونه وقال بعضهم نسأله فقام رجل فقال يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ فعلمت أنه يوحى إليه فقامت فلما تجلّى عنه قال « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (٨) .

سابعا : من منظور النفس الإنسانية حيث لا يستدل عن مفهوم الروح الآدمية فى القرآن الكريم إلا بالنفس ، قال تعالى « يا أيها النفس المطمئنة » (٩)

-
- | | | |
|---|------------------|------------------|
| (١) الشعراء : ١٩٣-١٩٤ | (٢) البقرة : ٩٧ | (٣) النحل : ١٠٢ |
| (٤) النبأ : ٣٨ | (٥) القدر : ٤ | (٦) النساء : ١٧١ |
| (٧) محمد مسلم الغنيمي : ابن قيم الجوزية المكتب الإسلامى دمشق ١٩٧٧ ص : ٢٧٩ | (٨) الإسراء : ٨٥ | (٩) الفجر : ٢٧ |

وقوله « ولا أقسم بالنتفس اللوامة » (١) وقال تعالى « إن النفس
 لأمارة بالسوء » (٢) وقوله « إخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون »
 (٣)
 وقال « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » (٤) وقال « كل
 نفس ذائقة الموت » (٥) .

٣ - آراء في الروح والنفس .

علاقة الجسم بالروح .

ليس من الممكن ولا من المستساغ أن ننكر علاقة الجسم بالروح أو أثر
 النواحي البيولوجية والجسدية والبشرية والفسولوجية في روحانية الإنسان حيث
 نلاحظ الضعف والخلل والإرهاق والكسل في جهد الإنسان ومعنويته إذا كان مريضاً
 مما يؤثر على ملكاته الذهنية ومن ثم يمكن القول بأن أساس الذات البشرية هو
 « الروح » .

وقد يكون من المفيد تصوير علاقة الجسم بالروح في المثال الآتي « الطائرة »
 في أدائها وتشغيلها وإرتفاعها في الجو تقلع من مطار وتهبط في آخر ، هذا العمل
 أشبه شئ بوظيفة الإنسان الأساسية ، ولعل « قائد الطائرة » أشبه شئ بالروح
 وجسم الطائرة هو الجانب المادى البدنى للإنسان ، ومحركها هو القلب ومساعدوا
 قائد الطائرة هم بعض السمات الروحية ووقود الطائرة من بنزين أو أى طاقة أخرى
 هو طعام الإنسان وطبقات الجو العليا هى بيئة الإنسان والأحوال الجوية من أعاصير
 أو الرؤية المتعذرة والعواصف الرعدية كل ذلك أشبه شئ بالقدر .

وهنا نذكر إذا كان الجسم خاوياً ، والمحرك بالياً والبنزين « الطاقة » غير كاف
 والأحوال الجوية مرتبكة سيئة فلا يمكن القيام « بالوظيفة » برغم أن المسئولية هنا
 هى مسئولية « قائد الطائرة » وحده . ولعل قائل يقول إن كل التجهيزات والظروف
 الجوية السيئة كافية بأن تكون عذراً شديداً ، ومبرراً قوياً فلا تظلموا قائد الطائرة

(٣) الأنعام : ٩٣

(٢) يوسف : ٥٣

(١) القيامة : ٢

(٥) آل عمران : ١٨٥

(٤) الشمس : ٧ - ٨

إلا أن المسئول الأول والأخير عن سوء إستخدام طائرة سليمة هو الطيار وحده وليس غيره .

هذا وقد أثبت القرآن الكريم وجود الروح بآيات كثيرة وطبقا للصراحة القرآنية بأنها من أمر الله وجب الإعتراف بأبديتها ولاشك .

بيد أن هناك بعضا من حكماء الغرب - ما عدا بعضهم المشهورين بحرية الرأي والمجمع على فضلهم وعبقريتهم قد أقروا بوجود الروح وأبديتها (١) . فيكتور هوجو : يقول فى الروح قوله :

Je dis que le tombeau qui sur les morts. se ferme
ouvre firmament ? et que ce qu , ici bas nous prenons
Pour les termes est le commencement .

أقول أن هذا الرمس الذى ينطبق على الموتى يفتح باب السماء وما نظنه فى هذه الدنيا نهاية إنما هو بداية .

يقول كميل فلما ريون : الأشباح ليست الأرواح تمضى وتتغير وتبلى وتندثر والروح باقية .

يقول جوته : إنى معتقد واثق بأن أرواحنا جوهر لايفنى مؤثر منذ الأزل إلى الأبد ، فالروح مع أنها تتراعى آفلة لأمثالنا الأرضيين تشبه الشمس التى تنشر الضوء دائما .

لقد توصل فلما ريون بجهوده التى زادت عن نصف قرن من الزمان إلي النتائج الآتية :

- ١ - توجد الروح فى صورة حقيقية منفصلة عن الجسد .
- ٢ - للروح خصائص لم يكتشفها العلم بعد .
- ٣ - للروح القدرة على التأثير عن بعد دون توسط الحواس .
- ٤ - للعناصر الروحية فى الطبيعة أثر كبير برغم أن حقيقتها مجهولة .
- ٥ - تستمر الروح بعد الجسم المادى ويمكنها القيام ببعض المظاهر عقب الموت .

(١) أحمد عزت وآخرون : الدين والعلم - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر -

وقد يكون هناك بعض القصور والعجز عن إيجاد مادة عضوية ذات حياة برغم أن أجسام الحيوان والنبات الظاهرية مركبة من مواد عضوية ، كما يمكن تحليل المادة وتركيبها كيميائيا ، وهنا يلزم الإعتراف بوجود قوة خفية من أسرار الخلق فى الحيوان والنبات ما لم يقدر العلم على كشفها على الأقل أولا وهى الروح .

رأى ابن سينا فى الروح : يرى ابن سينا أن الروح هى النفس ولا يفرق بينهما ، ومن ثم فالنفس عنده تنضوى تحت قسمين أحدهما يدخل تحت قسم العلوم الطبيعية والطب وثانيهما يدخل تحت « علم النفس » ويعالج القسم الثانى من علم النفس النفس المختلفة من غذاء ونماء وولادة وحس وسمع وبصر وأعصاب .

ويرى ابن سينا أن النفس هى التى تهب الأجسام حياتها العقلية ثم يتسائل بعد ذلك عن مصدر النفس ومصيرها وإلى أين تذهب بعد الموت ؟ أى بعد موت الجسد وكان جواب ابن سينا متفقاً مع جواب الفلاسفة ولا سيما « أفلاطون » الذى كان يرى أن النفوس تكون قبل أن تتصل بالأجسام فى الملأ الأعلى ثم ترتكب هناك ذنبا فتسقط « بالبنا للمجهول » إلى الأرض لتتصل بجسد مادمى جزء لها على خطيئتها ، ويدعم هذا رأى « أفلوطين » مؤسس المذهب الإسكندراني « الأفلاطونية الحديثة » والذى يزعم أن النفس البشرية إذا أخطأت فى الملأ الأعلى سقطت إلى عالم المادة ، فاتصلت بجسم تقضى فيه عمرها الأرضى ثم تعود إلى الملأ الأعلى .

ويتأمل ابن سينا مشهد النفوس فى الملأ الأعلى تحوم حول عرش الله سبحانه وتعالى ثم إنها تخطئ فيمتلئ الله منها غيظا وغضباً فيضرب بها وجه الأرض ليدخلها فى جسد آدمى قصاصاً لها على ذنب لاندري نحن ماهو ، وكذلك لم يفهم الباحثون كيف يمكن لنفس مجردة من جميع علائق المادة محفوفة ببهاء الألوهية وجلالها أن تخطئ ١١ .

ثم تخيل بعد ذلك ابن سينا هذه النفوس التى يضرب الله بها كل يوم وجه الأرض فإذا هى بعشرات الألوف تتسائل عن الحكمة من ذلك ولكن ذكاءه أنار له الطريق ... طريق الحرية ، فاعتقد أن مثل هذه النظرية الفطرية فى الأمور لا تحتاج إلى معالجة جديدة فعالجها بشئ من اليسر والسهولة فى قصيدة من عيون الشعر العربى قال فيها عن النفس البشرية :

فلأى شئ أهبطت من شامخ	∴	سام إلى حفر الحضيض الأوضع
إن كان أرسلها الإله لحكمة	∴	طويت عن الفتن اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازم	∴	لتكون سامعة لما لم يسمع
وتعود عالمة بكل خفية	∴	فى العالمين فخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها	∴	حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحصى	∴	ثم انطوى فكأنه لم يلمع

هذا وقد إنتقد ابن سينا رأى أفلاطون فى النفس واعتبره على غير حق لأن الهدف الذى هبطت النفس من أجله إلى الأرض ليست له قيمة بالمرة إذا ما الذى تعرفه النفس عند هبوطها إلى الأرض من أحوال أهل الأرض ؟ هل تهبط النفس لتدرك وتعرف وتتعلم مثلاً ؟ إذا كان ذلك كذلك فكيف نفس موت كثير من الأفراد قبل ولادتهم وعيشهم على كوكبنا الأرض ؟ إن هذا التفسير قاصر لأنه يقوم أصلاً على الأوهام وشطحات الفلاسفة الإغريق .

ومجمل القول أن رأى ابن سينا فى النفس « الروح » ما هو إلا رأى ماذى وذلك لإعتقاده أن النفوس كثيرة ومتعددة تعدل الأبدان ، إذ حين يوجد فى الأرض جسد فإنه فى حاجة إلى حياة تدب فيه وهذه الحياة لاوجود لها إلا فى النفس أى « الروح » .

الروح عند ابن قيم الجوزية : يرى ابن قيم الجوزية أن الروح «جسم نورانى متحرك من العالم العلوى مخالف بطبعه لهذا الجسم المحسوس ، سار فيه سريان الماء فى الورد والدهن فى الزيتون لا يقبل التبديل والتفريق والتمزيق يفيد الجسم المحسوس بالحياة وتوابعها مادام صالحاً لقبول الفيض وعدم حدوث ما يمنع السريان وإلا حدث الموت (١) ، هنا ينظر ابن قيم الجوزية إلى الروح نظرة شفافة كالنسيم فهى موجودة ، هى أصل وجود الكائن الحى بمعنى أنها المحرك للجسم المحسوس وأنها الروح ليست كتلة هلامية كالعن المتفوش ، إن هذه النظرة نظرة مجردة بحتة بعيدة تماماً عن النظرة المادية التى يأخذ بها بعض الفلاسفة والمفكرين .

جميل جدا أن يرى ابن القيم الروح وكأنها الماء في الورد ولم لا ؟ والماء هو الذي منح الحياة لكل شئ على هذه الأرض ... « وجعلنا من الماء كل شئ حي » (١) ، إن الروح في نظر ابن القيم كل لا يتجزأ تمنع التحوير والتبديل وتمنح القوة والإرادة والتمكين كما أن الروح عند ابن القيم هي النفس حيث يشير إلى ذلك بقوله « سميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا إما من الشئ النفس لنفاسها وشرفها وإما من تنفس الشئ إذا خرج ولكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا ومنه النفس بالتحريك فإن العبد كلما نام خرجت منه فإذا إستيقظ رجعت إليه فإذا مات خرجت خروجا كليا فإذا دفن عادت إليه فإذا سئل خرجت فإذا بعث رجعت إليه (٢) .

هذا ويربط ابن القيم بين الروح وفكرة الفيض حين يذكر أن النفس البشرية إذا فاضت أى خرجت وفارقت الجسم فإن الجسم يموت ويفنى أى أن خروج الروح هو فراق الجسد ، أما الفيض فيعنى عنده « الإندفاع وهلة واحدة » ومنه الإفاضة وهي الإندفاع بكثرة وسرعة. لكن أفاض إذا دفع بإختياره وإرادته وفاض إذا إندفع قسرا وقهرا فالله سبحانه وتعالى هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي (٣) .

رأى الإمام ابن حزم في الروح في كتابه الممتع « الفصل في الملل والنحل » يذكر الإمام ابن حزم قوله « وذهب سائر أهل الإسلام والملل المقررة بالمعاد إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكانة عاقلة مميزة مصدقة للجسد قال وبهذا نقول : النفس والروح إسمان لمسمى واحد ومعناها واحد ثم قال وأما من ذهب إلى أن النفس ليست جسما فقول يبطل بالقرآن والسنة والإجماع (٤) .

وبهذا نرى أن الإمام ابن حزم يتفق إلى حد كبير مع ابن قيم الجوزية في نظرة كل منهما إلى الروح والنفس .

(١) الأنبياء : ٣٠

(٢) ابن قيم الجوزية : الروح تحقيق محمد أنيس عباده والسرجاني مكتبة نصير القاهرة

١٩٧٩ ص ٣٤٩

(٣) ابن القيم : مرجع سابق ص ٣٥٠

(٤) محمد مسلم الغنيمي : ابن قيم الجوزية - مرجع سابق ص ٢٧١

وخلاصة القول أن الحديث عن الروح كثير ومثير وكل باحث أو عالم أو مفكر ينظر إليها نظرة تتسم بثقافة العصر الذي واكبه ، وهذا ما شهدناه لدى السلفيين أو الفلاسفة أو المحدثين ،

والواقع أن وصف الشيء غير المحسوس صعب للغاية وليس هذا يعنى عدم وجود هذا الشيء فالروح مثلاً موجودة فى الجسم الآدمى فإذا خرجت منه بسبب الوفاة إنتقلت إلى العالم الآخر ، إن الروح حقيقة ثابتة ومؤكدة برغم عدم رؤيانا لها لأن أبصارنا ليست مجهزة لهذه الرؤية أو المشاهدة ، إننا لانستطيع رؤية « الميكروبات » أو « الفيروسات » وليس هذا دليل على عدم وجودها سابحة فى الجو أو كامنة فى جسم الإنسان إن « الميكروسكوب » جعلنا نشاهد بوضوح مثل هذه الميكروبات والفيروسات وبالمثل فإن فكرة الإستماع والرؤية فى وقت واحد وعلى بعد آلاف الأميال قد تحققت بفضل إختراع جهاز « التليفزيون » ، وهكذا نرى أن الناس إذا لم يروا للشيء نظيراً صعب عليهم التعبير .

٤ - أنواع النفوس فى القرآن الكريم .

أشار القرآن الكريم إلى النفس البشرية إشارات كثيرة وسلط عليها ومضات من نور ليست بالقليلة ، ولاغرو فى ذلك فالقرآن يتعامل مع كل شيء معاملات يقينية تنبع من خصائص الصدق والثبات والديمومة والإستمرار هذا ونستعرض فى هذا المجال أنماط من النفوس البشرية ذكرها القرآن فنقف أمامها نتأملها لنذكر أى نوع وأى نمط تكون ؟

أولاً : النفس الأمارة .

هذا النمط من النفوس يميل إلى الشر والعدوان والتفكير السئ الذى يغرى صاحبه بإرتكاب المعاصى والآثام بعد أن كان فى طريق الهداية والإستقامة والرشاد . أن النفس الأمارة بالسوء تأخذ موقعها فى علم النفس عند أحد جوانب اللا شعور والمعروف باسم « الهو » أو « الهى » وهو المنطقة المنزوعة السلاح والتى تحوى الأفكار التسلطية والغرائز العدوانية والدوافع اللاشعورية والتخيلات الصببانية .

إن منطقة « الهو » هذه مفعمة بالمتفجرات التي تحاول الظهور دائما متى سنحت لها الفرصة ، ولكنها تكبت Repressed بصمام أمن وأمان هو الضمير أو كما نسميه - بلغة علم النفس - « الأنا الأعلى » الذي يكسب الإنسان منا إنسانيته وتطبيعته الإجتماعى هذا وليست فكرة « النفس الأمارة » قاصرة فقط على عامة الناس ، بل عاشها وخبرها بعض الأنبياء ومنهم سيدنا يوسف عليه السلام ويتجلى ذلك حين نقرأ قول الحق سبحانه وتعالى « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي » (١) .

ثانيا : النفس اللوامة .

يقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم « إن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله » (٢) وفى موضع آخر « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » (٣) وفى موضع ثالث « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » (٤) ، وعندما تتحسر النفس على صاحبها وتلوم نفسها بنفسها فمعنى ذلك أنها قد أحست بذنب كبير ، وتبغى رأب الصدع والعودة إلى سيرتها الأولى التى كانت تسير على منوالها ، تريد النفس أن تعود إلى سكنتها . تريد النفس أن تقلل من التوتر الذى حدث لها فعلى سبيل المثال لا الحصر يبكى طفل الخامسة كثيرا إذا كسر كوبا أو لعبة أو أتلف شيئا بالمنزل فإذا وقع عليه عقاب من أمه أو أبيه ، زال ما أصابه من توتر وقل إحساسه بالذنب بعد أن أخذ نصيبه من العقاب وقل مثل ذلك فى حالات من يرتكب جريمة لدى الكبار لأن تنفيذ العقوبة هنا بمثابة التكفير عن الذنوب والآثام وبذا يحدث خفض التوتر Tension Reduction فى الأعم الأغلب ونقرر هنا فى هذا المجال - من الوجهة التربوية - أن مسألة الشواب والعقاب Reward and Punishment يجب أن تتسم بسمة السرعة والفورية Instancy بمعنى أن زيدا أخطأ فنوقع عليه العقاب فوراً وإذا أجاد وأصاب فمنحه الجزاء الحسن بعد عمله المجيد مباشرة .

(٢) الزمر : ٥٦

(٤) القيامة : ١ - ٢

(١) يوسف : ٥٣

(٣) فاطر : ٨

ويؤلفنا كثيرا أن نرى فى مجتمعنا المعاصر تراخيا وإهمالا فى تطبيق القوانين
لأشئ سوى أن بعض القوانين تطبق على مجموعة من الناس دون البعض الآخر فهل
مثل هذه القوانين «مقاسات» أو درجات أو لجميع المقاسات والأحجام All Size ؟
فالقانون قانون وهو سيد على الوزير والغفير ، وسيادة القانون يجب أن
تكون شيئا مقدسا من جانب الأفراد والجماعات لأن قوانين الشريعة الإسلامية
الغراء لم تفرق بين عمر بن الخطاب أو جيلة بن الأيهم أو رجل الشارع أو أحد
السوقة والغوغاء ، حيث أن الإسلام قد سوى بين الجميع هذا وإلا فالهلاك والفناء
على موعد معنا كما قالها رسولنا محمد ﷺ « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم
كانوا إذا سرق الكبير تركوه وإذا سرق الصغير أقاموا عليه الحد » .

إن التهورين فى إقامة حدود المولى عز وجل ظلم وتقدم وعصيان « ومن
يعصى الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها » (١) وبالمثل
« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (٢) وكذلك « ومن يتعد حدود
الله فأولئك هم الظالمون » (٣) .

والحق نقول أن خالق الإنسان أعلم به وما يصلح له من قوانين وتشريعات
وكفانا قوانين مستوردة تارة و « مرقعة » تارة أخرى كفانا بقايا من القرارات
العثمانية ! ! علينا أن نعود إلى شريعة الله المنزل من لدن حكيم خبير لنحكم بما
أنزل الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٤) « ومن
لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » (٥) « ومن لم يحكم بما
أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (٦) .

فهل بعد هذا يود أى مسلم حق مؤمن إيمانا راسخا أن يكون فاسقا أو كافرا
أو ظالما ؟ بالطبع كلا إن النظريات التربوية والنفسية الحديثة تحض على فورية إنزال
العقاب بالمسئ ومنح المحسن الجزاء الأوفى لأن فى ذلك فائدتين :

الأولى : خاصة بالفرد وذلك لأن السرعة فى العقاص أو العقاب تؤدي إلى

(١) النساء : ١٤	(٢) الطلاق : ١	(٣) البقرة : ٢٢٩
(٤) المائدة : ٤٧	(٥) المائدة : ٤٤	(٦) المائدة : ٤٥

خفض التوتر ... التوتر الذى يسبب الإضطرابات النفسية وزيادة تدهور الروح المعنوية والشعور بالذنب والإصابة بالقلق والخوف والتهديد وما ينتاب الفرد من صراعات نفسية

الثانية : خاصة بالمجتمع وما المجتمع إلا مجموعة من الأفراد وحينما يرى هؤلاء الأفراد عقابا وقع على أحدهم أو ثوابا وخيرا ناله فرد منهم فليسوف يكون ذلك بمثابة العبرة أو القدرة مما يجسد الإتجاهات المرغوبة Desired Attitude أمام أعين أفراد الأمة جمعاء فيقل معدل حدوث الجريمة ويعيش الناس فى أمن وأمان ، وبذلك يستقيم الوضع وتسير الحياة فى رتابة وإنسياب « ولكم فى القصص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » (١) .

ثالثا : النفس المطمئنة .

هى النفس المؤمنة الخاشعة الراضية « الأمانة من الخوف » لا تتكالب على ماديات الحياة لا تتصارع على عرض زائل لا تغضب من الخلق أو الحق لا تحزن على ما فات لا تحمل هما لما هوأت لا تحقد على أحد لا تحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله هى النفس « التى تمشى على الأرض هونا » إنها نفس صابرة ظافرة تعيش الحياة كما هى أقبلت هذه الحياة أم أدبرت هى نفس يقول لسان حالها :
يادنيا غرى غيرى إن زادك لحقير . ومن ثم فهذه النفس خالية من العقد والإضطرابات والأمراض النفسية مثل القلق والإكتئاب والحصر « الحواذ » والفصام والهوس والهستريا والبرانويا والفوبيات « المخاوف المرضية » وغيرها .
إن النفس المطمئنة لا تعرف السخط وكيف تعرفه وهى تحب الله راضية بقدره وقضائه ، إن طمأنينة النفس قد نراها فى أبهى صورها وأجمل أشكالها لدى ذلك « الصوفى » الذى أصيب بوابل من المصائب أشكالا وألوانا مصائب تخر لها الجبال ولكنه كان يقابل ذلك كله بالبشر والسرور ويناغى ربه وخالقه قائلا :
ليس لى فى سواك حظ .: كيفما شئت فإختبرنى .

-٤١٧-

« يا أيتهما النفس المطمئنة إرجعي إلي ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » (١) .

رابعاً : النفس الزكية .

يقصد بالنفس الزكية « النفس الطاهرة » فيقال مثلاً زكا الشيء يزكو زكاء أى تطهر وفى صورة الكهف من القرآن نقرأ الآية « فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا فكرا » (٢) وفى صورة مريم نقرأ « قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » (٣) ، كما نقرأ أيضا « ذلكم أزكى وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (٤) . وفى موضع آخر من كتاب الله نقرأ « فالينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه » ومن ثم ندرك أن النفس الزكية التى تسمو بنفسها وتعرف حق قدرها طبقاً لأبعادها التى وضعها الخالق سبحانه وتعالى لها .

خامساً : النفس الحوازية - (٥)

يحدد علم النفس مفهوم النفس الحوازية بأنها تلك النفس التى تعانى من حصر نفسها فى حيز ضيق أو وضع محصور عليها فقط ، وأحيانا يطلق على هذه الحالة « حواز » أى فكرة أو دعوة إستبدت بصاحبها . فالشخص الذى تستهويه فكرة سخيفة أو تطغى على عقله آراء غريبة ، أو من يحصر نفسه أسيراً لخواطر معينة فهو يعانى من أعراض وإمارات لمرض نفسى يعرف باسم « الحصر أو الحواز أو النواب » بتشديد النون وضمها وفتح الواو Compulsive obsessive neurosis ومن الناس من يحمي طوال عمره يعانى

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠ (٢) الكهف : ٧٤

(٣) مريم : ١٩ (٤) البقرة : ٢٣٢

(٥) يقصد بهذا المفهوم النفس التى تستحوذ على الإنسان فتدفعه بأن يكرر أنماطا سلوكية رتيبة بصورة مرضية لا يوجد ما يبررها من الناحية المنطقية

من هذا المرض الذى يعتمد - فى المحل الأول - على الوسوسة المستمرة القاتلة والأفكار التسلطية المهلكة ، فقد نرى أحدهم مستغرقا فى عد أعمدة التليفون أثناء سفره بالقطار ، وآخر تراه وهو يسير على إفريز الشارع بأن يضع قدم على نوع معين من البلاط ، فهو يتخطى البلاط المكسور ولا يضع قدميه إلا على البلاط السليم ، وثالث وقف ينتظر صديقا تأخر عن مواعده فطفق صاحبا بعد من رقم واحد حتى المائة ، وحالة رابعة أخذ صاحبها عهدا على نفسه ألا يدخل البيت إلا بقدمه اليمنى بعد أن يدق الأرض ثلاث مرات .

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى ملامح هذه النفوس فى أكثر من موضع إذ يقول الحق تبارك وتعالى « إستحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله » (١) « فوسوس إليه الشيطان قال يأدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » (٢) وهكذا نقرأ فى سورة الناس « قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوساوس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » (٣) .

سادسا : النفس الظالمة .

ترى ما النفس الظالمة ؟ إنها ولا شك تلك النفس المدفوعة إلى ظلم الغير لإستكانة هذا الغير أو إهماله فى حق نفسه أو التفریط فيها وعدم معرفته قدرها ، والنفس الظالمة إذًا هى تلك النفس التى تظلم نفسها بنفسها لأن سمة الظلم أساسها ومهادها ، فالظلم هو أحد ميكانيزمات سلوكها ، ووقود نارها ، فمنذ بدء الخلق وقد عم الظلم الأرض لأن هذه سنة الكون لكى يتحقق قول الله سبحانه وتعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » (٤) وكذلك « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع » (٥) ولما كان الظلم من شيم معظم النفوس البشرية وطبائعها فقد أدركناه تجارة لا تبور بين الناس فى كل زمان ومكان ولدى كل البشر على إختلاف مللهم ونحلهم وألوانهم ونظمهم

(٣) الناس : ١ - ٦

(٢) طه : ١٣٠

(١) المجادلة : ١٩

(٥) الحج : ٤٠

(٤) البقرة : ٢٥١

المعيشية وعاداتهم ، ولذا ذكر القرآن الكريم لفظ « الظلم » ومشتقاته ٢٨٩ مرة ، ولا عجب أن نرى حدوث الظلم بين الظالم والمظلوم كالديالوج الداخلي Internal Dialogue نغماته هي « شكوى المظلوم » الحزينة وألحانه « نشوى الظالم » .
إن نفسا من النفوس قد تميل إلى ممارسة الظلم لاشعوريا دون نفس أخرى وكأن « النفس الظالمة » مثلها مثل الشخص الذى يوقع بنفسه الضرر ويميل للإستهداف للحوادث ، وإن كانت تلك مسألة نسبية بين كل الناس طبقا لما يطلق عليه علماء النفس « الفروق الفردية » والتي نعنى بها دراسة التباين بين الأفراد أو بين الجماعات بقصد تفسير السلوك البشرى وما يؤثر فيه من عوامل ومتغيرات كثيرة أهمها : العوامل الفيزيائية مثل البيئة الإجتماعية والعوامل البيولوجية كالعمر والسلالة والجنس والعوامل الثقافية مثل الإتجاهات والمعايير والقيم ، وهناك أيضا العوامل الإجتماعية مثل كثافة السكان والمستوى الإقتصادى والطبقى وهكذا . (١) .

قلنا إن معظم أنواع الظلم تقع على نفوس أصحابها وآية ذلك حديث القرآن الكريم فى قوله تعالى :

- « ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » (البقرة - ٢٣١)
« قال ربى انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له » (القصص - ١٦)
« يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل » (البقرة - ٨٤)
« قالوا ربنا ظلمنا انفسنا ... » (الأعراف - ٢٣)
« وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » (النحل - ١١٨)
« وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون » (آل عمران - ١١٧)
« والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله » (آل عمران - ١٣٨)
« ولو انهم اذا ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله » (النساء - ٦٤)
« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا » (الأنبياء - ٤٧)
« اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم » . (غانر - ١٧)

(1) J . P Guilford , General Psychology . Reinhold Com ,

3rd New york . 1971 . pp . 524 - 25 .

- « إن اللذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » (النساء - ٩٧)
« ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » (الجاثية - ٢٢)
« فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتدر ومنهم سابق بالخيرات » (فاطر - ٣٢)
« ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (آل عمران - ٢٨)
« ومن ذرياتهما محسن وظالم لنفسه مبين » (الصفات - ١١٣)
« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (الطلاق - ١)
« أن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » . (يونس - ٤٤)

سابعا : النفس المجاهدة .

نقصد بالنفس المجاهدة التى تنهى عن المنكر وتأمّر بالمعروف وتؤمن بالله .
« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله » (١) ومن هنا ومن هذا المنطلق جاء الإسلام يحضنا على الجهاد
بالنفس فى أفق الأرض لإعلاء كلمة الله وهذه هى غاية الجهاد « وجاهدوا فى
الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبىكم
إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم
وتكونوا شهداء على الناس » (٢) .

والجهاد فى الإسلام عنصر أصيل ومعروف لأنه هو الوسيلة الفعالة لكف
الأذى وسحق الشر ومنعه سواء كان نابعا من النفس أو آتيا من فرد آخر ومن ثم
نقول إذا كان الخير والشر متلازمين فى دنيا الأفراد وفى أعماقنا جميعا وإذا كان
الإسلام هو الخير والحق فإن النفس المجاهدة لن تهدأ أبدا ولن يخمد أوارها لأنها
نفس ثائرة باستمرار فى خضم ثورة عارمة بين الخير والشر ، ولذلك جاء فى الحديث
الشريف : « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » .

وأول صورة من صور الجهاد « جهاد النفس » وتربيتها تربية سليمة قوية
بعيدا عن الصغائر والدنايا وأخذها بالصبر على المكار والذى والإضطهاد والحرمان

والإساءة والبهتان ، إن جهاد النفس عبادة فى حد ذاته لأن كل صور العبادات نوع من المجاهدة ، فأنت حين تصوم فإنك تقاوم إغراء الشهوات وتكف عن النظر إلى مغريات ألوان الطعام وتبتعد عن فحش القول وتدريب نفسك على مجابهة الصعوبات والعقبات فتتعلم النفس الصبر على المكاره لأن عملية التعلم ما هى إلا إحلال عادة مرغوبة مطلوبة محل عادة مرفوضة مردولة إنها تسير وفق مراحل ست هي (١) :

المرحلة الأولى : إحساس الإنسان الفرد بالضيق والتبرم والملل وعدم الرضا Dissatisfaction من جراء إحساسه بأن شيئا ما يحتاجه أو ينقصه ويريد هذا الشئ أولا ولا يستطيع الحصول عليه .

المرحلة الثانية : إختيار وانتقاء سلوكيات جديدة - Selection new behavior تتمشى مع متطلبات واحتياجات الموضوع المراد تعلمه ، وفى هذه المرحلة على الفرد أن يعدل من سلوكه ليقترب من تحقيق ما يصبو إليه من تعلم أو تدريب

المرحلة الثالثة : ممارسة السلوكيات الجديدة - Practicing new behavior وفى هذه المرحلة يدخل الفرد فى مجال إعداد نفسه وتحضير ذاته لتقبل الجديد من ممارسة السلوك الذى يصبح بعدئذ عادة جديدة مرغوبة مقبولة .

المرحلة الرابعة : إحراز أدلة على النتائج - Getting evidence on results وهنا يتسائل الفرد : هل هو على حق ؟ وما الدليل على أن أداءه سليم صحيح ؟ وكيف السبيل للوصول إلى صحة نتائجه فيما يعمل أو يتعلمه ؟ إذا لابد من ربط الأدلة بالنتائج الجديدة ، ومدى مطابقتها وتماثلها مع بعض فكلما كان التطابق والتماثل كبيرا بين الأدلة والنتائج كلما كان الأداء سليما ومقبولا وصحيحا .

(1) Richard Hacon , Personal and organisational effectiveness , Mc Graw - Hill Book Co (U K) ltd . England, 1972 , pp , 95 - 103 .

المرحلة الخامسة : وتعرف باسم مرحلة التعميم والتكامل والتطبيق -Gener-
alization Integration and appliction وفيها يجاهد الإنسان الفرد في
تشكيل سلوكه وفقا للسلوك المرغوب ذلك السلوك المكتسب الذي يتضمن عمومية
وتكاملا وتطبيقا لما تعلمه أو إكتسبه ، وكأن هذه المرحلة بمثابة تثبيت وترسيخ «
لبناء سيكولوجى Psychological Structure جديد ، قام الإنسان الفرد
بتخطيطه الشبكي Network Planning المعقد وتكامله المستفيض .

أما المرحلة السادسة : والأخيرة فهي مرحلة مجابهة المشاكل الجديدة -Fac-
ing New problems ونقصد بها أن الإنسان الفرد سوف يمر بنفس المراحل
الخمس السابقة عندما يريد أن يتعلم شيئا جديدا آخر. مثال ذلك أن فردا يجيد
السباحة وقد مر بنفس المراحل الخمس التى ذكرناها سلفا فإذا أراد أن يتعلم لغة
أجنبية أو الضرب على الآلة الكاتبة ، كان لزاما عليه أن يمر بنفس المراحل وهذا ما
تهدف إليه المرحلة السادسة من مصادفة مشاكل جديدة يتغلب عليها الإنسان الفرد
ويطوعها لنفسه بنفسه وهذا جهاد دائم مستمر إلى الأبد للفرد والجماعات مما يفسر
معنى الحديث الشريف « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » ،

وليس الجهاد قاصرا على التعلم والتدريب والممارسة لفن من فنون أو علم أو
معرفة أو عمل أو هواية ، ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، مثال ذلك أن حب الخير
جهاد. وقول الحق جهاد. وتطهير النفس من الأدران والأحقاد جهاد. وكبح جماح
شهوات النفس جهاد ، ويحضر هنا قول النبى ﷺ .

« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، وهذا هو أسمى أنواع الجهاد »
كما أننا حينما ننادى بتطبيق الشريعة الإسلامية فى مجتمعنا الإسلامى كله معاملة
وعبادة وحدودًا وتعزيرًا ، فإن هذا الجهاد كبير لإزالة الفساد ومنع الانحراف والإجرام
، وضرب قوى البغى والإنحلال والاستغلال .

ولقد ورد لفظة « الجهاد » ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٣٨ مرة ومعظمها
يحض على الجهاد بالنفس « ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن
العالمين » (١)

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » (١) ونقرأ كذلك قوله تعالى : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم » (٢) وفي قوله تعالى أيضا « إنضروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » (٣) ثم نقرأ قوله عز وجل « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » (٤) وهكذا تصبح النفس المجاهدة نفس لا تخشى في الحق لومة لائم. نفس تحب الخير والحق والجمال وتمتق الحقد والغل والفساد. نفس تحرض على الموت وتتمناه لكي توهب لها الحياة. نفس غير آبهة بالحياة الزائلة لايهمها هذه الدنيا أقبلت أم أدبرت ولا غرو في ذلك إنها نفس إنسانية مجاهدة .

٥ - نفوس مريضة في القرآن الكريم .

ما هي النفس المريضة ؟ هي تلك التي تعمى عن رؤية الحقيقة ولدى صاحبها عقل غير أنه لا يمكنه الإدراك أو الفهم ، وله قلب عاجز عن الإنفعال لخفقات الحب والخير والجمال ، إن هذه النفس المريضة نفس معطلة الحواس لا تستقبل الخير نشطة في إرسال موجات الشر والفتنة والفساد والضلال والغواية ، إنها نفس شريرة لعل خير مثال لهذه النفس ما أشار إليه القرآن العظيم في سورة البقرة ابتداء من الآية السادسة إلى الآية العشرين « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكسبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ، وإذا لقوا

(٢) التوبة : ٨٨

(١) التوبة : ٢٠

(٤) النساء : ٦٥

(٣) التوبة : ٤١

الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ، الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير .

من المعلوم أن معظم الأفراد فى أى مجتمع من المجتمعات الإنسانية قد يصاب ببعض الإضطرابات السيكولوجية في أعقاب الحروب أو إبان الأزمات الاقتصادية الطاحنة أو خلال إنتشار وباء من الأوبئة أو أثناء فترات القحط والمجاعات أو نتيجة لبعض التغيرات الحضارية السريعة أو التغير التكنولوجى السريع نقول إنه في خضم هذه المتغيرات يصاب الإنسان الفرد بمس من القلق ولاغرو في ذلك فنحن فى عصر القلق النفسى القاتل كما قد يصاب الإنسان بنوبة من الإكتئاب النفسى الحاد ولايستطيع منه شفاء إلا بعد حين .

هذا وهناك الفرصة مواتية للمعاناة من نوبات من الهستيريا أو البرانويا أو بعض المخاوف الشاذة أو مرض الفصام ، فضلا عن هيمنة النزعات العدوانية بين الأفراد وانتشار موجات العنف والإهمال والانحراف والإنحلال والإستغلال وتقديس الجنس والتطلعات الطبقية والتي تحدو بنا فى النهاية إلى العيش فى صراع وإحباط وبالتالى إلى الإصابة بمرض سيكوسوماتى « نفسىجسمى » مثل : قرحة المعدة أو الإثنى عشر أو الذبحة الصدرية أو الصداع المزمن أو بعض أمراض الحساسية وكأن هذه المجموعة من الأمراض هى « ضربة ملاهى جسدية » - إن صح هذا التعبير - يقوم بتحصيلها وجبايتها أحد المتغيرات السالفة الذكر وليكن متغير التقدم الحضارى أو التغير التكنولوجى السريع أو تقلبات العصر الإقتصادية والمالية . فى هذا الصدد يشير القرآن الكريم إلى بعض هذه الإضطرابات التى تنتاب الإنسان من حقد وندم ونزعات تدميرية تخريبية من الفرد نحو أخيه ومن الفرد نحو

نفسه لنقرأ الآيات من الآية السابعة والعشرين إلى الآية الواحد والثلاثين من سورة المائدة .

« وأتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين، لنئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين » .

ندم وأي ندم ١١ على قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وما أكثر ما تقتل نفوس وتسفك دماء وتهدر أرواح في أيامنا هذه لا لشيء إلا من أجل المال والشهوة والجنس وإقتناء كل جديد في عالمنا المعاصر والمسمى عصر النور (١) لكن الإنسان الواعي - في نظري - هو ذلك الذي لا تبهره مثل هذه الأضواء البراقة والأصوات الجوفاء هو ذلك الذي لايسير في موكب القطعان الضالة التي تبحث عن طريقها فلا تجده ، كما تتلفت يمين ويسرة في فزع ورعب وتنادى وما من مجيب إنها تدور وتدور في حلقة مفرغة لأنها تعاني من الفراغ والفقدان والضياع من تصورات مشوهة ونظم إجتماعية وإقتصادية عفنة بالية عفا عليها الزمن . إذ أنها في حاجة دائما إلى دفعات قوية ودم جديد وترقيع مستمر لكي يكتب لها البقاء ولكن هيهات هيهات أن تصلح مثل هذه التصورات والنظم والتي هي من وضع إنسان ليسير على هداها أخوه الإنسان لذا كان الفرد دائما عرضة للتخبط والضلال في سلوكه العشوائي.ألست معي أخى الإنسان في أن إنسان العصر الحديث أصبح يغير فكره ومعتقدده ومبادئه واتجاهاته كما يغير ملابسه لا لشيء إلا باسم التغير الإجتماعي Social change ومواكبة العصر وإلا فلا مدنية أو عصرية أو

(1) Jon H . Brenneche & Robert G . Amick , Psychology : understanding yourself , Benzigar Bruce . London 1975 , p . 121 .

تحضر أو إنسانية، إن من يرفض التغيير ومسيرة المودات بدائي يعيش في كهوف مظلمة لم يرى النور بعد وحياته كلها ظلام في ظلام (١) .

في كثير من البلدان الأوربية رأيت (٢) معظم الناس يسرون في شوارع المدن صباحا إلى أعمالهم وقد جذبتهم الحياة المادية الرهيبة نحو الضياع والضلال دون إعتبار للقيم المعنوية والأخلاقية ، وفي المساء والناس عائدون من العمل كسالى حيارى وقد هدهم التعب والنصب والإعياء وأخذوا يبحثون عن أماكنهم في حانات الخمر والعريضة جريا وراء المتعة الرخيصة لاهثين حول طاحونة الحياة حياة العمل المستمر نهارا وحياة اللهو الدائم ليلا وعاما بعد عام ويوما إثر يوم يقع الفرد صريع المادية البشعة اللعينة حيث صار بعيدا عن الإنسانية الحانية وبعيدا عن الدين والإيمان والأمان ، وهنا نقول أن هؤلاء الناس هاربون من نفوسهم - لاشك - هم غرباء في منازلهم قلقون للغاية على مصائرهم حائرون في معيشتهم وكأن الفرد منهم قشرة تافهة أو قشة في مهب الريح ١١ .

« لهم قلوب لا يضقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (٣) وفي هذا المجال نقول : ليس كل العاملين في المصانع والمزارع والمتاجر والمؤسسات والشركات والمدارس والمعاهد والجامعات يتسمون بالحيرة والكسل أو السطحية والانحراف سواء كان ذلك في أوربا أو في عالمنا العربي أو الإسلامى ، وإنما يرجع ذلك كله إلى نوع تنشئة الفرد ونمط تربيته وثقافته وعقيدته والعوامل البيئية والوراثية والحضارية التي تؤثر في الفرد .

خذ على سبيل المثال لا الحصر : فرد نشأ في مجتمع إسلامى لم يتأثر بمتغيرات أو عوامل البيئة والوراثة أو الحضارة وشب منذ حدثته يمارس كل أنواع

(١) محمد قطب : دراسات في النفس البشرية - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة

١٩٦٢ ص ٣٥٩ .

(٢) كان ذلك في الفترة ما بين ١٩٧٠ : ١٩٧٤ ونحن نطلب العلم هناك وقد زرت يوغوسلافيا ، إيطاليا ، بلغاريا ، رومانيا ، المجر ، اليونان .

(٣) الأعراف : ١٧٩

الإنحراف والضللال فى الوقت الذى نرى زميله فى إحدى البلدان الأوربية وقد نشأ منذ صغره متمسكا بعقيدته مهذبا فى تربيته متوافقا مع بيئته الاجتماعية متكيفا مع عمله وزملائه .

مجمل القول أن الإنسان الفرد يتشكل سلوكه وفقا لمجموعة عوامل كثيرة تؤثر فيه ومن هذه العوامل : البيئة - الوراثة - الثقافة - الحضارة - التربية - التنشئة الاجتماعية وغيرها ، وهنا يقول الحق تبارك وتعالى « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك تصرف الآيات لقوم يشكرون » (١) وصحيح أن الحلال واضح جلى وكذلك الحرام واضح وجلى وضوح الشمس فى الأفق الشرقى ولكن الإنسان غالبا ما ينزع بعد الإدراك والوجدان نحو السهل والشر لأن مغريات هذا الشر جذابة براقية فى نظر الإنسان الفرد بينما مقومات الخير صعبة خافتة باهتة لاتساوي شيئا لدى مثل هذا الفرد إنها كريهة منفرة أما مغريات الشر فتشكل دافعا قويا يخوض به الفرد نحو الشر جزاء لذة عابرة وقد تكون هذه اللذة فى صورة تقدير إجتماعى Social Praise هابط أو صيت ذائع لفترة محدودة أو خلاف فى رأى « خالف تعرف » أو أن يحيط مرتكب الجرم نفسه بهالة كاذبة صنعها له رفاق السوء وزملاء الشر الذين يزينون له عمله فى صورة البطولة وما أكثرهم فى كل زمان ومكان يتلونون كالحرباء فيغشون مجالس أولى الأمر وعلية القوم ، وكبار المسئولين ليأكلوا فئات الموائد ويقايا الولائم لقاء مايدفعون من أجر يتمثل فى المدح الكاذب والمداهنة الرخيصة وإذلال النفس وتحقيرها ، يحيطون بالفرد المسئول حتى يرى الأبيض أسودا والأسود أبيضاً وهكذا تكون « الهالة الكاذبة » .

يعجبني قول شوقي أمير القوافى حين يقول فى قصيدة له :

يولد السيد المتوج غضا	∴	ظهرته فى مهدها النعماء
فإذا ما المملقون تولوه	∴	تولى طباعه الخيلاء
فإذا يبيض الهديل غراب	∴	وإذا أبلج الصباح مساء

لكن الإنسان المؤمن الحق صاحب النفس النقية السوية هو الذى ينطبق عليه قول المولى سبحانه وتعالى :

« وإما يئزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين إتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » (١) .
إن النفس السوية حينما تصيبها وسوسة الشيطان تستعذ بالله وتلجأ إليه لأنه المعين والملاذ وهو السميع العليم ، إن المتقين من عباد الله إذا وسوس لهم الشيطان تذكروا أوامر الله ونواهيه فكشف الله عن بصيرتهم فأبصروا ألاعيب وجائل الشيطان فابتعدوا عنها فنجوا منها بفضل الله .

بيد أن هناك نفوسا قامت على البخل والشح والتقتير وأدركت أنها قادرة على المنح أو المنع ، والأمر والنهى فكفرت بأنعم الله ولم تساعد الفقير أو تعطى المحتاج من مال الله أو بما أفاء الله عليها من رزق وخيرات ومن ثم فهى تخرج من حدود الله ولا تعترف بالزكاة المشروعة للفقراء والمساكين والعاملين عليها فراحوا يتخبطون في سعيهم في الحياة خبط عشواء ويشعرون بذنبهم جزاء تفريطهم في حق الله سبحانه وتعالى ولذلك كان الأمر الإلهى الحاسم البتار « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » (٢) ، الصدقة هنا هدفها طهارة وتزكية النفس المريضة كما أن الدعاء والصلاة تجلب السكينة والهدوء لكل نفس مضطربة هذا وترى هنا أن اضطراب النفوس قد يعزى إلى الشعور بالذنب فضلا عن الشعور بالوحدة القاتلة التى تؤدى بدورها إلى الضيق والتبرم Disstisfaction بالحياة ومن هنا لا يشعر الإنسان الفرد بمباهج الحياة فهى فى نظره لا فائدة منها ولا طعم لها ولذا كان على الإنسان أن يعيش فى جماعات لأنه كائن إجتماعى أولا وقبل كل شئ فهذه جماعة الأسرة التى ينشأ فيها الفرد ثم جماعة النادى أو رفاق اللعب ثم جماعة المدرسة أو المعهد ومنها تنبثق الجماعات الثقافية والترفيهية والدينية والسياسية وغيرها .
وليس بعجيب - والحال هكذا - أن تكون شعائر ديننا الإسلامى الخفيف شعائر جماعية ، فهناك على سبيل المثال لا الحصر : الصلاة فى جماعة وصلاة

الجمعة وأداء الحج فى موسم الحجيج ، والجهاد فى سبيل الله فى الحروب والغزوات لإعلاء كلمة الله كل ذلك يتسم بسمه الجماعة لأن يد الله مع الجماعة كما ينادى القرآن الكريم .

« وجعلناكم شعوبا وقبائل - » ومن ثم فالمجتمعات الإنسانية من عهد هابيل وقابيل حتى عصرنا هذا تعيش فى مجموعات لتشبع حاجات عديدة للأفراد . إن الجماعة هى التى تجلب الأمان والأمن للفرد . هى التى تشكله وتطبعه بطبعها وتجعله يحس بوجوده وكيونته ولا عجب أن يبتهل سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام إلى مولاه وخالقه سبحانه وتعالى أن يجعل جماعة من الناس تعيش فى استقرار مع إمرأته هاجر وابنه إسماعيل فى مكة تحوطهم بالرعاية والعناية بقلوبهم الرحيمة وأن يرزقهم من ثمرات الأرض وخيراتها . أو إن شئت فقل دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه أن يحفظ أسرته الوافدة إلى أرض قاحلة جرداء لاء فيها ولا زرع دعا ربه أن « يطعمهم من الجوع ويؤمنهم من الخوف » وهنا نقرأ آيات من سورة إبراهيم من الآية ٣٥ حتى نهاية الآية ٣٩ .

« وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن اتبعني فإنه مني ومن عصاني فإنه لن يكون مني أضللك حضور رحيم ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى علي الكبرأسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء » .

ومن النفوس المريضة التى يتعرض لها قرآنا الكريم تلك الحالات الخاصة بالتخلف العقلى Mental Retardation والتى تنحصر فى الضعف العقلى كأن يكون الشخص أبكم أو أصم أو معتوه وفى هذه الحالة يرى عالم النفس الفرنسى بينيه Beint أن ضعاف العقول ينقسمون حسب درجة الذكاء إلى ثلاثة هى: المعتوه Idiot والأبله Imbecile والمأفون Moron فالشخص المعتوه هو الذى لاتزيد درجة ذكائه - مهما كان - عن ذكاء طفل عادى عمره ثلاث سنوات ولا يمكنه أن يعبر عما يريد كما لا يستطيع أن يغسل جسمه أو يصلح من شأن نفسه أو أن يقوم

بعمل نافع وتقدر درجة ذكاؤه بأقل من ٢٥ درجة ، أما الفرد الأبله فتتخصص درجة ذكائه من ٢٥ - ٥٠ درجة ولا يمكن أن يتحدث جملا مفيدة ولا يزيد عن ذكاء طفل عمره ثمانى سنوات ، وإذا أردنا معرفة خصائص الشخص المأفون فلسوف نرى أن درجة ذكاؤه تنحصر ما بين ٥٠ - ٧٠ درجة وهو قابل للتعليم تعلمًا محدودًا يوائم ويناسب قدراته العقلية .

ولقد نزل القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ليشير إلى طبقة ضعاف العقول فى قوله تعالى « وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » (١) .

وهناك نفوس مريضة أخرى نراها ماثلة كل يوم أمام ناظرينا إن مرضها ينحصر فى العقوق - التمرد على الوالدين - إدمان المكيفات والمخدرات - الانحراف بوجه عام وكل هذا وذاك نتيجة سوء التربية وعدم التوجيه والإرشاد والتراخى فى رقابة الأبناء وإهمال التربية الدينية وفقدان القدوة الحسنة والمثل الأعلى مما ينتج عنه أسرا مفككة محطمة فيكون رب البيت هو أحد الأبناء المنحرفين وقد توارى الوالدان فى زوايا الإهمال بعد أن قاسا الكثير من الشتائم حينما والضرب والجوع أحيانا أخرى. والواقع أن السينما المصرية تذخر بالكثير من الأفلام التى تعالج هذه المواقف (٢) ، إلا أنها تأتى فى النهاية لتحض على التمرد والعقوق والسفاهة ولنا فى « مدرسة المشاغبين » خير دليل على ذلك هنا يضع الحق تبارك وتعالى معايير ثابتة وآداب راسخة وتعاليم مقننة وتربية أخلاقية صادقة حينما يقول « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا . » (٣) .

(٢) ومنها الفيلم المصري : وبالوالدين إحسانا.

(١) النحل : ٧٦

(٣) الإسراء : ٢٣ - ٢٥

٦ - شفاء النفوس قرآنيا وعلميا .

يجدر بنا هنا أن نقدم « وصايا عشر » لشفاء النفوس المضطربة تلك النفوس التي عانت الكثير من الصراع والإحباط والخوف والقلق والإكتئاب والهوس والهستيريا كما نركز على المعرفة السيكلوجية والنظرة القرآنية وذلك من منطلق « المعرفة نصف الشفاء » نفسيا ومن مدلول الآية القائلة « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » قرآنيا .

لقد كان لمتغيرات كثيرة وحديثة ، الأسباب الأولى فى تكوين أعراض معظم الإضطرابات والأمراض النفسية للكثير من الناس ومن هذه المتغيرات التقدم الحضارى والثقافى مما جعل الإنسان الفرد يتطلع إلى إقتناء الأدوات العصرية مجارة لتكنولوجيا العصر فإذا نجح فى إقتناء وشراء ما يريد كان بها وإن أخفق كان الإضطراب النفسى الذى لا مفر منه .

إن التغير الإجتماعى السريع وعدم ثبات النظم الإقتصادية من رأسمالية وإشتراكية وشيوعية فضلا عن التقلبات النقدية العالمية والحروب الطاحنة بين الدول والتفرقة العنصرية والخلافات المذهبية وطغيان المادة على عقول ونفوس الناس كل ذلك قد ساهم بنصيب وافر فى إنتشار الأمراض والإضطرابات النفسية على أوسع مدى ، هذا وإليك والوصايا العشر نسوقها لك لكى تتجنب الكثير من مثل هذه الإضطرابات وإن شئت فقل الوقاية منها فالوقاية خير وأفضل وأسهل من العلاج .

أولا : تجنب الحقد .

النفس الحاقدة كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله والإنسان الحاقد يرتد حقه إليه لأن من يضرب فإنما يضرب نفسه مسكين ذلك الإنسان الحاقد لاهم له إلا الفضول والتأمل فى نعم الله التى أسبغها على عباده ، تلك النعم التى يتمنى زوالها وإيقاع الضرر بصاحبها والتشفى فيه ، إذا أصابه مكروه لأن ذلك يعتبر بردا وسلاما على قلبه الحقود ، فلماذا الحقد والحسد والحظوظ مقسمة ، والأرزاق مضمونة والمعيشة مكفولة ؟ لنستمع سويا إلى كتاب الله حين يقول :

« الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له » (١) .
 « له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » (٢) .
 « وفي السماء رزقكم وما توعدون » (٣) .
 « وجعلنا لكم فيها معايش و من لستم له برازقين » (٤) .
 « ليرزقهم الله رزقا حسنا وأن الله لهو خير الرازقين » (٥) .

تأتى بعض النظم الإقتصادية لتحل محل نظام قديم فيتغير البناء الاجتماعي Social Structure والإقتصادى للمجتمع ، ويصاب أفراد المجتمع بهزات نفسية واجتماعية نتيجة صراع الطبقات الاجتماعية وتناحرها ولم لا ؟ ولقد رأينا ألوانا من الحراسات والتأميم والرقابة والتجسس والشعارات الجوفاء ، ووضع مصائر الناس ومقدراتهم فى أيدي عابثة كل مؤهلاتهم وكفاءاتهم أنهم من « أهل الثقة » ، وليذهب الشباب النابه من أهل الخبرة إلى الجحيم ! وهنا تنقلب الأوضاع ويصبح المستأجر مالكا والمالك مستأجرا والقزم عملاقا والعامل قزما والجاهل عالما والعالم جاهلا والأمين لصا واللص آمينا وشريفا ، فقل لى بالله العظيم (٦) هل هذه عدالة إجتماعية ؟ .

فلماذا لا يصاب الأفراد فى مجتمع هذا شأنه بالخوف والتهديد والحقق والإكتئاب والقلق الشديد ؟ لكن الإيمان القوى بالله عز وجل والإعتقاد بأن دوام الحال من المحال هو البلسم الشافى والحصن الواقى من الظلم والظالمين والحقق والمحاquدين .

ثانيا : لا تتحسر على ما فات .

وعلام التحسر والبعض على بنان الندم ؟ لتأخذ على نفسك عهدا أن تلغى كلمة « ليت أو ياليت » من قاموس حياتك إن هذه الكلمة وأخواتها مثل « لو أو لو كان » تجلب اللوم والتحسر وبالتالي تجلب الهم والغم والحزن علينا أن نؤمن بأن

(١) الجنكبت : ٦٢ (٢) الشوري : ١٢ (٣) الذاريات : ٢٢

(٤) الحجر : ٢٠ (٥) الحج : ٥٨

(٦) أبو الأعلى المودودي « العدالة الإجتماعية » حقيقتها وسبل تحقيقها مكتبة دار

البيان الكويت « بدون تاريخ » ص ١٢

-٤٣٣-

لكل إنسان منا ظروفه وإمكانياته ومقدراته وكفاءاته وإستعداداته الفطرى الخاص به وأن كلا ميسر لما خلق له .

لقد كان يحلم كاتب هذه السطور أن يكون « مهندسا زراعيا » ولكن شاء الحظ أن يغير مسار دراسته ليدرس الآداب والعلوم الإنسانية بعيدا كل البعد عن أحلام الطفولة وما أرادته من العلوم الزراعية ، وكان الخير كل الخير فيما رسمه القدر وما شاء به الحظ ، فلو أن إصبع القدر خط شيئا فى مستقبلك فلا صلواتك ولا دعواتك ولا ذكاؤك بمستطيع أن يغير سطرًا واحدًا مما خطه القدر لك . كلنا يعلم بقصة قارون القصة التى يقصها علينا القرآن الكريم فى هذا الشأن حين نقرأ قوله تعالى : « فخرج على قومه فى زينته فقال الذين يريدون الحياة الدنيا ، يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لندو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ، فحسبنا به ويداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (١) .

ثالثا : ساهم فى سعادة معارفك وأصدقائك .

السعادة كلمة تغنى بها الشعراء والأدباء والمفكرون كلمة قلما خلا منها مؤلف أو كتاب كلمة تجدها دائما فى الأهازيج والأغاني والمواويل والدراما والميلودراما والتراجيديا كلمة سهلة الإستعمال ولكنها بعيدة المحال عن التحقيق إلا بعد جهد وتعب وكفاح سنين .

فالسعادة فى - نظرى - هى إسعاد الآخرين من الزملاء والأصدقاء والأقارب والأهل . إن خبرا جميلا سارا تزقه إلى قلب صديق هو مشاركة منك فى سعادته كما أن الإصلاح بين الناس سعادة . التعاون فى البر والخير مع الناس يجلب

السعادة. اليسر سعادة الكلمة الطيبة سعادة: الإبتسامة الصافية سعادة. مشاركة الناس في أفراحهم سعادة. خلاصة القول إن السعادة تنتشر بأشعتها هنا وهناك لتضفي علينا بشرا وسرورا مما يجعلنا نحيا فى « صحة نفسية » مقبولة وعيشة راضية ، كان من الممكن أن نشير إلى أن منح الهدايا والعطايا يجلب السعادة ولكن ربما كان العكس ، فالفرجة بهدية قيمة لا تستمر إلا ساعات أو أيام ولكن موقفا نلقه بشهامة ومروءة وشرف مع صديق قد تستمر آثاره العمر كله ومن ثم فالماديات لا تدوم بينما المعنويات والإنسانيات تدوم كثيرا وكثيرا ، إن فكرة الثواب والعقاب قد تصبح مجدية ومؤثر فى المجال التطبيقى إذا إتسمت بالسرعة والفورية ، كما أن إثابة الطفل على كل عمل يجيده يجعله يتعود أن يقدم الهدايا له فى كل مناسبة ويعتقد بعد ذلك أن هذا حق مكتسب بينما كلمة التشجيع أهم بكثير من مثل هذه الماديات .

رابعاً : احبب عملك مهما كان .

حياتنا بلا عمل عبء لا يحتمل ، ومهما كان العمل صعبا إلا أنه يجعل للحياة قيمة وطعما لأن قيمة المرء بعمله وما ينتجه أو يصنعه ، ومنذ قديم الزمان والإنسان الفرد لا يقدر إلا بعمله خذ على سبيل المثال قول سيدنا عمر بن الخطاب : « أرى الرجل فيعجبني فإذا قيل لا عمل له سقط من عيني » هذا بالإضافة إلى أن كل الأنبياء والرسل كانوا يعملون أعمالا مهنية أو حرفية بسيطة كان سيدنا داود عليه السلام يعمل حدادا ، وكان كليم الله موسى عليه السلام يعمل أجيرا لدى سيدنا شعيب فى أرض مدين كما أن سيدنا نوح عليها السلام كان يعمل نجارا. وكان سيدنا عيسى عليه السلام يعمل بالرعى كما كان خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ يعمل بالرعى والتجارة .

نعود ونقول أنه مع تعقد الحياة وتشابكها تعددت الأعمال والمهن وامتنع العمل جل وقت العاملين فيه ، ومن ثم تسرب الملل والسأم إلى نفوس الأفراد فضلا عن تعنت الرؤساء والمديرين ، فكثرت التعقيدات المكتبية والإدارية والفنية ، وكان الضحية هنا هو العامل برغم المناداة باستخدام العلاقات الإجتماعية والإنسانية وإقامة النوادى والرحلات والأخذ بنظام الحوافز المادية .

وهنا نقول لا تجعل الملل يتسرب إلى نفسك فعملك الحالى ربما كان أسهل وأفضل بكثير من أعمال أخرى ، فضلا عن أن كثير من الأفراد لا يجدون عملا بالمرة . نظرا للبطالة حيناً أو عدم كفاءتهم فى أى عمل مثلك أحيانا أخرى ، إن متاعب العمل ومسئولياته قد تجعل الفرد ينفر منه بسرعة ، ولكن الواجب يقتضى منا أن نحب عملنا وأن نتعود على متاعبه ومسئولياته ، وهنا نتوقع أن نصل إلى التعود على الصعب فيصبح سهلا يسيرا ويكتسب الفرد مناخ عمله القديم أو الحديث مهما كان .

خامسا : الرضا والقناعة .

أن المصدر الأول للسعادة هو إحساسنا بالرضا والقناعة ، فكم من أفراد كثيرين يعيشون فى قصور عالية ويقتنون كل ما أبدعته التكنولوجيا الحديثة وما وصلت إليه الحضارة من سيجار هاثانا النادر إلى السيارات الأمريكية الفاخرة ولا يعرفون للسعادة طعما لماذا ؟

الجواب : إنهم غير قانعين بما لديهم ويحسبون أن أشياء كثيرة ما زالت تنقصهم ولا ينقصهم إلا الرضا والقناعة لو كانوا يعلمون مثال ذلك تلك الدول المتقدمة حضاريا وعلى رأسها السويد التى تتزايد معدلات الإنتحار فيها عام إثر عام ، حيث لم يعد الفرد راضيا عن حياته رغم قمة الرفاهية التى يحياها .
ويؤدى عدم الرضا فى نهاية الأمر إلى الملل والضجر والسأم فتصبح حياة الفرد لا معنى لها ، كما يعتقد الفرد جازما بأن حياته لا معنى لها وليست جديرة بالعيش وشيئا فشيئا تضعف صلاته وعلاقاته الإجتماعية بالناس والمجتمع ، يميل إلى العزوف عن الحياة بكل مباهجها وتراوده فكرة الإنتحار فيسقط صريع الدمار والدوار والفرغ الإنساني . لأنه لم يشعر بإنسانيته يوما ما ، لقد أفسدته تكنولوجيا العصر وطغت عليه المادة وأعمته النظرة المادية لكل جوانب حياته « قتل الإنسان ما أكفره » (١) يجحد دائما بنعمة خالقه ولا يرضى بما آفاه الله عليه من أرزاق وسعة العيش « إن الإنسان لربيه لكتنود » (٢) ولله فى خلقه شؤون .

سادسا : إبتسم للناس والحياة .

« إبتسم من فضلك » عنوان نقرأه كثيرا فى الصحف والمجلات كما تهدف معظم الأفلام الكوميدية إلي إضحاك الناس ورسم الإبتسامات على وجوههم وتعمل معظم الصحف اليومية على إبراز الرسوم الكاريكاتورية ليتأملها الناس أثناء القراءة ويضحكون أو يسخرون من نقد إجتماعى لاذع أو هجوم على روتين عمل حكومى وهكذا ، ثم يأتى دور المسرح ليسهم هو الآخر فى علاج أمراضنا الإجتماعية بطريقة الإبتساماقتل الساخرة أو النقد البناء .

والواقع أن الإبتساماة تغير خلايا الجسم البشرى ، مما يؤدى إلى التفكير السليم ومواجهة متاعب الحياة بصدر أرحب وأوسع ، ومنذ قديم الزمان كان هناك من يطلقون عليه « مضحك الملك » ووظيفته كوظيفة مثير سار يؤدى إلى إستجابة الراحة والإبتسام ، وإنعاش الملك وتجديد نشاطه لكى يحسن إدارة أحوال الرعية والشعب ولذلك فالإبتساماة ضرورة لتسير الحياة حلوة سهلة .

يروى أنه كان عند اليونان فيلسوفان يلقب أحدهما الفيلسوف الضاحك والآخر الفيلسوف الباكي . كان أولهما يضحك بجدية أحيانا وضحك سخريه أحيانا أخرى ، ويضحك من سخف الناس ومن وضاعتهم وحقارتهم ويبكى الثانى مما يضحك منه الأول .

وقرأت مرة قصة لطيفة أن بئرا ركب عليها دلوان ينزل أحدهما فارغا ويطلع الآخر ملآن ، فلما تقابلا فى منتصف البئر سأل الفارغ الملآن مما تبكى ؟ فقال ومالى لا أبكى أخذ الرجل مائى وسيعيدنى إلى قاع البئر المظلم وأنت مما تضحك وترقص فقال الفارغ ، ومالى لا أضحك ؟ سأنزل البئر وأمتلئ ماء صاقيا وأطلع بعد إلى النور والضياء .

وقد أراد مؤلف القصة أن يصور نفس الموقفين اللذين وقفهما الفيلسوف الضاحك والفيلسوف الباكي وأن الحياة مليئة بأشخاص يتولون عملا واحدا غير أن هذا ينظر إليه من الجانب السار الفرح وذلك ينظر إليه من الجانب الحزين القابض . فكن الفيلسوف الضاحك ولا تكن الفيلسوف الباكي وجرب أن تلقى الحياة

باسما ضاحكا أحيانا ولأجرب معك (١) .

سابعاً : لا تغضب .

كلنا يعلم أن الغضب آفة مذمومة مكروهة ، إلا أننا نغضب لأتفه الأسباب حيناً وللحق حيناً ، ونوع الغضب الأول مذموم والنوع الثانى مرغوب محبوب لأننا إذا غضبنا للحق فإننا نغضب لله ، والله هو الحق المبين .

والغضب من الشيطان وخلق الشيطان من نار وبذا فالغضب من النار « فمن إستنفذته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال « خلقتنى من نار وخلقته من طين » وشأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظى والإستمرار ، والحركة والإضطرابات (٢) ، وقد ذكر الغضب فى القرآن حين نقرأ قوله تعالى : « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » (٣) .

وروى أبو هريرة أن رجلاً قال يارسول الله مرنى بعمل وأقلل قال « لا تغضب » ثم أعاد عليه فقال لا تغضب كما قال النبى ﷺ « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » ، على أنه من علامات وإمارات المسلم الحق « قوة فى دين وحزم فى لين وإيمان فى يقين وعلم فى حلم وكيس فى وفق وإعطاء فى حق وقصد فى غنى وتجميل فى فاقة وإحسان فى قدرة وتحمل فى رفاقة وصبر فى شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمع به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بظنة ولا يستخفه حرص ولا تقصر به نية فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا ييخل ولا ييذر ولا يسرف ولا يقتدر ، يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه فى عناء والناس منه فى رخاء (٤) ، ومن مشيرات الغضب المزاج والفخار والغدر والبخل والمكر وعن علاج الغضب يحدثنا معلم البشرية الأول محمد ﷺ فيقول : إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار .

(١) أحمد أمين - فيض الخاطر ج ١ ، ط ٤ - مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ ص ٧٦

(٢) الأمام الغزالي - كتاب أحياء علوم الدين - الجزء التاسع ص ٣٦

(٤) المرجع السابق .

(٣) الفتح : ٢٦

ثامنا ، لا تقلق .

يعرف القلق Anxiety سيكولوجيا بأنه حالة من التوتر يشعر بها الفرد حين يعجز عن عمل شيء تجاه موقف رهيب سواء كان هذا الموقف داخليا أو خارجيا و فرّق كبير ويون شاسع بين الخوف والقلق فالأول « الخوف » مصدره معروف ومحدود وقد يسلك الفرد نحوه سلوكا غائبا في النهاية ، بينما الثاني وهو أخطر أنواع القلق المرضية (١) على أن هناك نوعا آخر يعرف باسم القلق الشائع ، وهو قلق مؤقت لاخوف منه كقلق الأم على وحيدها حين يتأخر عن حضوره إلى المنزل وقلق الطالب على نتيجة الإمتحان ، وكذلك قلق المسافر حين يتأخر القطار عن الميعاد ، أو قلق الزوجة المخلصة حين يتأخر زوجها عن موعد حضوره إلى المنزل وهكذا .

والقلق نوع من الإضطرابات النفسية يجلب الهم للإنسان الفرد وعلينا أن نتغلب بالإنهماك في العمل المشمر المقيد والصبر على ضغوط الحياة ومتاعبها وهمومها ، ويكفى أن نقنع بما عندنا وأن نعيش في سلام ووثام مع نفوسنا ومع الناس ، وأن نكون من الذين يألّفون ويؤلفون تحقيقا للحديث القدسي « إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال « هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إن خاف الناس لا يحزنون إذا حزن الناس » .

تاسعا ، تأمل في دنيا الله .

إذا كان التأمل من سمات الفلاسفة والمفكرين فما أحق العابدين المؤمنين بهذه السمة التي تربطهم بخالق هذا الكون من أرض وسماء وقمر ونجوم وشمس وبحار ورياح وسحاب وجبال ووديان ونبات وحيوان وملاك وشيطان وجن وإنسان ،

(1) Clarence j . Rowe An outline of psychiarty , six ed W M C Brown C . Puplishers , U . S . A 1967 , pp . 32 - 48 .

ما أحقهم بالتأمل والنظر إلى مخلوقات الله سبحانه وتعالى يحضنا ويعلمنا القرآن الكريم كيف ولماذا ننظر ونتأمل في الكون والعالم فقد ورد الفعل « نظر » بمختلف مشتقاته حوالى مائة مرة فى القرآن الكريم لنقرأ معا .

- « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » . (الأعراف ١٨٨)
 « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين إتقوا » . (يوسف ١٠٩)
 « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها » . (ق ٦)
 « أنظر كيف نبين لهم الآيات » . (المائدة ٧٨)
 « أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون » . (الأنعام ٦٨)
 « أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض » . (الإسراء ٢١)
 « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » . (العنكبوت ٢٠)

هذا قليل من كثير وغيض من فيض قد أشار إليه القرآن بشأن « التأمل » مما يحدو بنا إلى الوقوف أمام عظمة الله وجبروته خاشعين مستضعفين إذ حينما تدرك النفس البشرية مركزها من هذا الكون الفسيح فإنها تزداد إيمانا هذا إذا كانت تلك النفس نفسا مجاهدة تبحث عن الحق ليزيدها إيمانا وطاعة وحبا وتعظيما .

عاشرا : كن مؤمنا حقا .

« اللهم إنى أسألك إيمانا كإيمان العجائز » دعوة دعاها عمر بن الخطاب فتقبلها الله منه ولم لا ؟ وقد كان الفاروق عمر ثانى الخلفاء الراشدين وأكثر قومه فى زمانه عدلا . وأقواهم إيمانا . وأرهبهم جانبا . وأعلامهم شأنا . وأشرفهم نسبا . وأوفرهم حصافة وبصيرة .

أخى القارئ كن مؤمنا بربك وبنفسك وبعملك وبوطنك إيمانا قويا كإيمان عمر الذى لم يتزعزع ، فكمن من عقبات كئود زالت بفضل الإيمان وكم من مشكلة محيرة حلت بفضل قوة الإيمان ، وكم من طامة كبرى تحولت إلى مسألة يسيرة الحل بفضل

الإيمان الحق نقول إن إيمانك بالنجاح هو نصف النجاح وإيمانك بالشفاء هو نصف الشفاء .

لقد وردت لفظة الإيمان ومشتقاتها ٨٤٢ مرة في القرآن الكريم وهذا يدل على أهمية « الإيمان والمؤمنين » الإيمان الصادق والمؤمن الحق الذي لا تزحزحه عواصف الحياة قيد أنمله

وهناك الكثير من مشتقات « الإيمان » والمؤمن » التي وردت في آيات كتاب الله الكريم نأخذ منها بعض الآيات البينات :

« ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا » (الشورى ٨٢)
 « ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم » (الحجرات ٧)
 « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » (المجادلة ٢٢)
 « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة » (النساء ١٢٤)
 « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه » (الأنبياء ٩٤)
 « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا » (غافر ٢٨)
 « الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (التغابن ١٣)
 هذا ويمكننا القول بأن معظم « الوصايا العشر » السابقة ما هي إلا وقائع موقفية مكتسبة مثال ذلك أن الوصية « لا تغضب » توضح لنا أن إنفعال الغضب خاصية رئيسية لدى معظم البشر ، إن الغضب واقعة نفسية معينة في موقف معين محدود بزمان ومكان ، إن بعض الأفراد يمكنهم التحكم في إنفعالاتهم وكظم غيظهم عن طريق « التعلم » وما التعلم إلا عملية إكتساب عادات ومهارات ومعارف جديدة كما أن معظم مخاوفنا المرضية - أساسا - مرجعها إلى عمليات تعلم خاطئة تحتاج إلى تعديل وتحوير في سلوك الفرد .

٧ - التنشئة الاجتماعية للطفل المسلم .

هناك قول علمي يقول « إن دراسة طفل واحد وتحليل شخصيته أمر بالغ الصعوبة والتعقيد إذ قد يفوق الجهود التي تتطلبها دراسة قارة بأسرها من الناحية

الجيولوجية .

الطفل بين الإسلام وعلم النفس

قطع علم النفس الحديث شوطا كبيرا فى عالم تربية الطفل ونموه وفتح آفاقا جديدة ليدخل فى دهاليز الدوافع والإنفعالات والإحساس والإدراك والتعلم والذكاء ، وسار بعض المشتغلين بعلم النفس فى ركاب المهتمين « بتربية النشء فى الإسلام » للوقوف على ما جاء به الإسلام وعنايته بالأسرة والطفولة ورعايته بالطفل والأمومة وطريق التغذية والرضاعة ، وحق الطفل على أبيه وكيفية تعلم الطفل وأثر اللعبة فى حياته ، هذا هو موقف الإسلام من الطفولة إنه دين الفطرة « فطرة الله التى فطر الناس عليها » (١) ولم لا ؟ وللطفولة فى الإسلام عالم رحب فسيح يضم فى طياته البراءة والخيال والحب والوثام ، ويندرج تحت لوائه النبيل والود والتوجيه والإلتزام ولا عجب إذا رأينا فى القرآن الكريم قسما بالطفولة « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد » (٢) .

ودراسة الطفل بين الإسلام وعلم النفس - كما أراها - عبارة عن منظومة ديناميكية أساسها ومهادها جانبان : الأول : الجانب الروحى وما يتضمنه من نظرة إيمانية حانية هادية .

الثانى : يكمن فى الجانب المادى وما يحويه من نظرة حياتية معاشة تكتنفها الصعوبات والصراعات بهدف الحفاظ على حياة الكائن الحى الطفل « لقد خلقنا الإنسان فى كبد » (٣) .

وتبدو أهمية الجانب الثانى فى ضبط السلوك الإنسانى وتفسيره والتنبؤ به فضلا عن سبر غور النفس البشرية ودراسة سلوك الطفل فى جميع مراحل نموه بشتى أشكاله من النمو الحسى والحركى والفسولوجى إلى النمو الإنفعالى والاجتماعى والعقلى ، وهنا يطل علينا دور « التنشئة الاجتماعية » ونعنى بها أساسا عملية بناء ونمو اجتماعى ، وتنمية عادات ومهارات الطفل فضلا عن أنها عملية إرتقاء اجتماعى يتطور خلالها الأداء السلوكى للفرد ، من سلبية مجردة إلى إيجابية

موجهة مطلوبة فعلا وسلوكا وقولا وعملا ، وغرس قيم ومعايير مثل وإتجاهات جديدة يتشربها الطفل ويتمثلها ويستدمجها لتساعده على إمتصاص السلوك السائد والمرغوب فى المجتمع الذى يعيش فيه ، إن البيئة الإجتماعية السائدة فى أى مجتمع تؤثر تأثيرا مباشرا وقويا على تشكيل شخصية أفراده وفى تحديد أنماطهم السلوكية (محمود عمر ١٩٨٨ : ١٠٠) (١) .

إذا كان هذا ماحققة علم النفس فى عالم الطفل والطفولة فإن الإسلام كان له قصب السبق كدين رائد يسبق كل فكرة تنهض بالفرد فى مراحل نموه المختلفة ويسير قدما بخطى واسعة ثابتة موليا وجهه شطر آفاق بناء الإنسان وعمارة الكون ، إن إهتمام الإسلام بالطفل لم يكن وليد مجهودات علماء النفس الغربيين بل كان ثمرة من ثمار التعاليم القرآنية الكريمة والإحاديث النبوية الشريفة وإجتهادات السلف الصالح وإنجازات الدراسات النفسية عند المسلمين الأوائل ، ومن ثم حاز الإسلام على المعرفة السيكلوجية الصادقة الثابتة .

الطفل المسلم دينيا وإجتماعيا .

هناك بعض الخصائص المرتبطة بالنمو الدينى لدى الطفل خلال مراحل طفولته ومن هذه الخصائص :

-- التجسيم والواقعية : بمعنى أن الطفل يضىف تجسيدا وتشكيلا على كل الموضوعات الدينية فالملائكة فى نظرة أشخاص بيض البشرة يرتدون ملابس بيضاء ويطيرون فى الجو بأجنحتهم يجلبون الهدايا ويعملون دائما لخير الأطفال وصالحهم . بينما الشياطين عبارة عن ملائكة الشر يتميزون بطول قامتهم وعيونهم النارية - ولكل شيطان - كما يتخيل الطفل - ذيل طويل وقرنان فوق رأسه .

- الصورى والسطحية : فالطفل - أى طفل - لا يدرك حقيقة أو معنى الدين أو أساسيات طقوسه فهو يرى فى الدين أدااء حركيا أو لفظيا مكررا يقوم به كل الناس وعليه أن يقلدهم ويتشرب هذه الطقوس ويتمثلها فيما بعد .

- **الفائدة المنفعة :** يعتقد الطفل أنه إذا مارس أحد الطقوس الدينية فقد يشفى إذا كان مريضاً أو ينجح فى إمتحان أو يحصل على جائزة من المسجد أو المدرسة فضلاً عن حب والديه له فالدين هنا - طبقاً لمفهوم الطفل - يتسم بالنفعية والفائدة المباشرة .

- **الملاحع الإجتماعية :** يتسم ديننا الإسلامى الحنيف فى شعائره التعبدية بسمة التجمع أو الإجتماعية فأفضل الصلاة فى جماعة ، وصلاة الجمعة جماعة ، والصيام فريضة على جميع المسلمين المكلفين ، وحج البيت أساسه وهدفه تجمع بشرى هائل ليذكر الناس بيوم الحشر ويلتقى المسلمون جماعات من كل فج عميق لماذا ؟ « **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله** » (١) .

وإذا كانت بيئة الطفل متدينة شب الطفل إجتماعياً ونشأ على حب العلاقات الإجتماعية التى غرسها فيه والده وهذا ما يتمشى مع قول الشاعر القديم :

وينشأ ناشئ الفتيان منا . على ما كان عوده أبوه

ومن ثم يصبح الدين وسيلة من وسائل التوافق الإجتماعى (حامد زهران ١٩٧٧: ٢٦٢)

إن العبادات الإسلامية مزيج من الجوانب التعبدية والجوانب العملية سواء كانت إدراكية أو وجدانية أو نزوعية أو تطوعية ، وتقوم هذه الجوانب التعبدية - أساساً - على المظاهر الإجتماعية ، حيث أن التربية الدينية وثيقة الصلة إلى حد كبير بالتربية الإجتماعية ، ولا عجب فى ذلك فعملية التنشئة الإجتماعية هي تربية إجتماعية. إن نوع تربية الطفل فى أثناء عملية التنشئة الإجتماعية وتعاليم الآباء والأمهات وإمتصاص معايير وإتجاهات وقيم وأعراف الكبار فى الأسرة والمدرسة وجماعة اللعب وزمرة الأصدقاء والجماعات الأخرى فى المجتمع كل ذلك يحدد أسلوب حياة الطفل مستقبلاً ، إن خليطاً من مؤثرات البيئة والوراثة وتفاعلها سويًا

هو الذى يشكل ويصوغ شخصية الطفل بعد أن يجتاز مراحل نمو الطفولة المبكرة ،
وهى كلها مراحل يستمد الطفل منها ذاته والتي تؤدى به فى النهاية إلى الشعور
بكيانه ليصبح فى نهاية المطاف ذلك الإنسان الذى خلقه الله وسواه. (عزت عابد
العظيم الطويل ١٩٨٣ - ١٢٧) .

« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد
خاب من دساها » (١) .

هذا ويتأثر الشعور الدينى لدى الطفل الصغير بالتفكير الراغب والتخيل
الخصيب والتصور البدائى ، فكلمة الجن والعفريت تعنى عنده وقوع الأذى والشر
وكلمة النبى أو الرسول تعنى البهجة والخير والحب الكثير ، إن مجرى تيار الفكر
لدى كل من الطفل والإنسان البدائى والشخص الذهانى يسير طبقاً للمقولة
السيكولوجية التى تقول بأن النية عند كل منهم تساوى الفعل والخيال يكافئ
الواقع .

ويرتبط الشعور الدينى - بوجه عام - بالخوف والرهبة من جانب الطفل حيث
يخاف من الأصوات الفجائية العالية كصوت الرعد والمطر أو إفتقاده للسند والوقوف
على وجهه أو ظهوره كما أنه يخاف من الأفراد الغرباء أو الوجوه غير المألوفة، على
أن الأطفال الإناث - من وجهة نظر علم النفس - أكثر خوفاً من الأبطال الذكور .
ويختلف الأطفال فى خوفهم طبقاً لدرجة تخيل الطفل فأكثر الأطفال تخيلاً
وتصوراً أكثرهم هلعاً وخوفاً ، ومن أسباب الخوف عند الأطفال طريقة التربية
الخاطئة من جانب الأسرة كالحض على العزلة وتقييد الإنطوائية وعدم اللعب مع
الأطفال وتدليل الأم لطفلها وقلقها الزائد عليه ، وحساسيتها الشديدة نحوه (عابد
الله ناصح علوان ١٩٨١ - ٣٠٨) .

وفى معرض الحديث عن إرهاب الأطفال ومخاوفهم ينسب إلى أحد الصوفيين
المتأخرين وهو « ابن قفل » هذه العبارة « إذا أردت أن تصبح ولياً إعتنق بعض
خصال الأطفال فإن لديهم خمس خصال إذا وجدت فى الكبار فسوف تجعل منهم
أولياء :

- ١ - فهم لا يباليون برزقهم ولا يشكون من الخالق إذا مرضوا .
- ٢ - ويتقاسمون قوتهم مع الغير .
- ٣ - عندما يتشاجرون فهم لا يحملون الحقد .
- ٤ - وهم تواقون إلى المصالحة .
- ٥ - وعندما يخافون تنهمر الدموع من عيونهم (ف . روزنتال ١٩٨٩ - ٢٩) .

كما لاحظ صوفى أطفال ييكون فى المدرسة وعندما سألهم عن سبب بكائهم أجابوا اليوم الخميس وهو اليوم الذى تسلم فيه التمرينات المكتوبة للمدرس لتصحيحها ونحن الآن خائفون لأنه سوف يضرنا . وعندما سمع الصوفى هذا بدأ هو نفسه فى البكاء وقال يا أيتها الروح كيف يكون اليوم الذى يسلم فيه الكتاب إلى الله سبحانه وتعالى لتصحيحه (١) .

ومعلوم أن الفرد الذى شب على تنشئة إجتماعية أساسها الإيمان بالله والعبادة له والتسليم لرحمته فى كل أحواله لا يخاف إذا ابتلى ولا يهلع إذا أصيب . « إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » (٢) .

إن تربية الطفل تربية إسلامية صحيحة في أثناء عملية التنشئة الإجتماعية تحده نحو إستدماج مبادئ الفتوة والفروسية وبناء قوته الجسدية والروحية أثناء مراحل نموه المختلفة .

هذا ومن تعاليم ديننا الإسلامى الخفيف تربية الطفل جسديا ونفسيا وهنا تطالعنا وصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه « علموا أولادكم الرماية والسباحة وروهم فليثبوا على الخيل وثبا » فالرماية لها مظهران : مظهر رياضى وآخر جهادى فهى كرياضة تتطلب فى تعلمها الخفة والرشاقة وحدة البصر والسواعد القوية والعضلات المفتولة ورباطة الجأش والشعور والثقة بالنفس والشعور بالرضا عن الإنجاز وبالتالي « تحقيق الذات » . ويعتبر تحقيق الذات من أهم الحاجات النفسية الضرورية لشخصية الطفل السوى .

أما عن الرماية كمظهر من مظاهر الجهاد فهي تحتاج إلى القوى النفسية والروحية التي تتميز بالإيثار والقداء وحب القتال في سبيل الله في تناسق ونظام والتحام كالبنيان المرصوص أثناء قتال العدو والرمى بشدة وسرعة « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي » (١) . « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (٢) .

وعن السباحة فهي لا تقل أهمية عن الرماية وتعتمد على سرعة الحركة والدراية بنوع المياه سواء كانت عذبا فراتا أو ملحا أجاجا، على أن السباحة عموما تنشط الدورة الدموية وتقوى الأذرع والأرجل وتشد عضلات البطن وتفيد فقرات الرقبة في ليونة وسهولة .

وعن ركوب الخيل ففيه خير كثير لأن الخيل - كما جاء في الأثر - معقود بنواصيها الخير. إن تعليم الأولاد لهذه الرياضة الأصلية تفيدهم في معرفة طباع الحيوان ، ومتى عرف الراكب الصغير حصانه سهل عليه التعامل معه أثناء السرعة في الجري أو تقديم الطعام له ومدى حبه أو نفوره منه وهنا يصبح الولد فارسا مغيرا، حقا أصاب عمر بن الخطاب في وصيته هذه الخاصة بتعليم الأولاد الرماية والسباحة وركوب الخيل وذلك وصولا للهدف السامي من تربية الأولاد وهو القوة البدنية والطاقة النفسية والإيمانية وفي هذا المجال يقول نبينا الكريم ﷺ « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » (٣) .

ننتقل بعد ذلك من تنمية الطفل جسديا إلى الإهتمام بنموه العقلي وإكتسابه للمعارف والمهارات والدرايات المتجددة ، ومساعدته على عمليات التحصيل الجيد والأداء السليم أثناء العام الدراسي ثم إبان فترة الإمتحانات والتقييم . ولا نقصد هنا مشاركة الأسرة في نجاح طفلها التلميذ بطريقة صناعية مفتعلة كما يحدث في الدروس الخصوصية ، بل نحن نرمي إلى الفهم والهضم والإقتناع والتمثيل بحيث يرتفع المستوى الحقيقي لتحصيل التلميذ بطريقة تراكمية تبدأ من بداية العام وليس قبل الإمتحان ، إن مثل هذه البرامج يجب أن يشترك في

أعدادها وتخطيطها وتقويمها خبراء نفسيون وتربويون متخصصون فى :
سيكولوجية الطفولة والإرشاد النفسى والتعليم وذلك بهدف تغطية مجالات
ومستويات متعددة فى سلوك الآباء والأمهات والتلاميذ والمعلمين .

وإذا أردنا إنجاح هذه البرامج فى مجتمعاتنا الإسلامية والعربية فيجب أن
تسبقها دراسات جادة عميقة مرتبطة بكيفية تربية أولادنا فى المنزل والمدرسة
وأنسب الدوافع والوسائل التى نستخدمها للإستشارة والحفز وكذلك أنواع الثواب
والعقاب ومتى وأين نستخدم كل منهما ؟ بل إننا نذهب أبعد من ذلك فنتساءل :
كيف يتوزع بناء القوة بين الأب والأم ؟ وفى أى المواقف يظهر تأثير الأب أكثر ؟
وفى أى المراحل يظهر تأثير الأم أكثر وأكبر ؟ وما أنواع العواطف والإتجاهات
الوالدية نحو الأبناء ؟ وما هى أنسب مرحلة لمقارنة الطفل نفسه بأقرانه من جهة ثم
مقارنة نفسه بالكبار من جهة أخرى ومتى يسلك سلوك الكبار ؟ وهنا نؤكد أن مثل
هذه الأسئلة يجب أن تكون نابعة من ذواتنا وفطرتنا الإسلامية ومجتمعنا العربى ،
بعيدا بعيدا عن النزعات التغريبية والمفاهيم الأجنبية والرؤى الهامشية . (حسان
محمد حسان ١٩٨٩ - ١٩٦٦) .

وتعتبر عملية التعلم لدى الطفل أثناء سنوات ما قبل المدرسة وفى فترة
الحضانة بالذات هى ذاتها عملية تعلم إجتماعى أو بمعنى آخر هى عملية التنشئة
الإجتماعية لأن سنوات الحضانة المحصورة فى الفئة العمرية من ٣ - ٥ هى أهم سن
لتشرب مائريد أن نعمله للطفل وذلك لما لها من أثر مدسوظ على صحة الطفل
وجوانب نموه المختلفة ، على أن الأذى والضرر الذى يلحق ببح الطفل فى هذه المرحلة
وعوقه عن نموه العقلى هو تزامن وإستحداث بعض الظروف الأسرية السيئة فى
سنوات الطفولة مثل إنفصال أحد الوالدين عن الآخر بالطلاق أو الهجر أو الموت أو
المستوى الإقتصادى السيئ للأسرة أو إصابة أحد الوالدين بعاهة مستديمة أو مرض
مزمن إن مرونة مخ الطفل ومدى إستعداده ووضع فى قالب معين تقع على كاهل
الوالدين والمربين بما يتحملونه من مسئولية إتاحة الفرصة والخبرة والمواقف العابرة
لكي يتعلم الأطفال من خلالها فضلا عن تحمل مسئولية إمدادهم بالنماذج الطيبة
والقدوة الصالحة التى يسيرون على منوالها وينهلون من رضابها أثناء عملية
التنشئة الإجتماعية جون بريل (١٩٨٩ - ١٣٢) .

٨ - التنشئة الاجتماعية وسيكولوجية نمو الذات .

وتركز النظريات التطورية للمعرفة العقلية بشكل خاص ، على دور التفاعل الإيجابى بين الأطفال الصغار وبين الثقافة السائدة فى المجتمع فى تدعيم التنشئة الاجتماعية التى تحدد الأنماط السلوكية لأدوار الرجال منهم ولأدوار النساء ، إن نظريات التعلم الاجتماعى التى أسهمت بتفسيرات هامة حول مفهوم التنشئة الاجتماعية لم تغفل دور الثقافة فى تشكيل شخصية الفرد وفى تحديد نمطه السلوكى للدور الذى يقوم به .

وفى الكتاب الشهير « الطفولة والمجتمع » الذى ألفه عام ١٩٥٠ « أريك أريكسون » يعرض لنا فرضين أساسيين تندرج تحتها مراحل نمو الذات فى الطفولة أن هذين الفرضين هما :

١ - نمو الشخصية الإنسانية طبقا لنمو قدرة الشخص على التفاعل مع البيئة .

٢ - يحض المجتمع على هذا التفاعل وهذه المحاولات لتشجيع ووقاية المراحل المتتالية

وفى مرحلة الطفولة المبكرة يصبح الأطفال أكثر حركة وإنطلاقا وأقوى شعورا لضبط سلوكهم ، إنهم يميزون عالمهم بـ « أنا » و « أنت » و « ممتلكاتى » وإذا لى الوالدان مطالب الأطفال لتحقيق السيادة على البيئة فإن شعور الإستقلال الذاتى سوف ينمو ويتطور .

إن أساس الشعور بالإستقلال الذاتى هو قوة الإرادة التى يعتقد أريكسون بأنها تأتى من ضبط الذات المتزايد بدون فقدان إحترام هذه الذات ، إنها فترة صعبة حرجة للوالدين حيث أن التقييد المفرط يدمر الإستقلال الذاتى ، والحرية الزائدة قد تصبح خطرا كبيرا ولكن الحل الوحيد فى هذه الحالة هو البحث عن توازن موفق وسليم بين طرفين .

هذا ومن نافلة القول أن الوالدين فى مرحلة أريكسون الثالثة والمعروفة باسم « مرحلة المبادأة فى مقابل الذنب » يسهمون بدور حيوى فى إرتقاء هذه المهارات سواء كانت تلك المهارات لغوية أو إجتماعية أو حركية ، فالوالدان اللذان يشجعان

أطفالهم على عمل الأشياء واللعب والمساعدة فى الأعمال المنزلية إنهما بذلك يغرسان فيهم شعور المبادأة بينما الوالدان اللذان يسخران من أفكار أطفالهم ومجهوداتهم فإنما يغرسان فيهم الإحساس بالذنب ، إن الغرض هنا هو أساس الشعور بالمبادأة طالما أن هذا الغرض يدفع الأطفال بل ويعددهم لمتطلبات الرشد ، ومن هذه المتطلبات تفاعل الطفل مع الآخرين كما أن عملية التفاعل تلعب بدورها دورا حيويا هاما في طريقة الإنسان فى الحياة أو مانسميه بأسلوب الحياة فهي تمد الفرد بأنماط من السلوك تسمح له بالعمل داخل المجتمع. ولما كانت عملية التنشئة الاجتماعية عملية تعلم إجتماعى أصلا كما ذكرنا من قبل ، فإن هذه العملية لا تتم إلا عن طريق مبادئ أربعة هي : الدافع - الإشارة - الإستجابة - التدعيم ولكي يتعلم الطفل يتطلب الأمر أن يكون لديه « دافع » لعملية التعلم ثم يجب أن يرى « إشارة » يستجيب لها إستجابة صحيحة مقبولة ويدون تلك الإستجابة يصعب على الطفل أن يتعلم وفي النهاية تؤدي هذه الإستجابة إلى خفض الدافع أى التدعيم ، إن توطيد العلاقة أو تدعيمها بين الإشارات والإستجابات هي أساس عملية التعلم وبداية التكيف الإجتماعى (عزت عبد العظيم الطويل ١٩٨٨ - ٨) .

٩ - التنشئة الاجتماعية والتكيف الإجتماعى .

يكمن مفهوم التنشئة الاجتماعية من جهة ومفهوم التكيف الإجتماعى من جهة أخرى فى طريقة تعليم الفرد وتدريبه على وسائل التواصل الجيد والتفاعل الإجتماعى الإيجابى مع غيره من الناس ومواءمته مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها وبها منذ ميلاده وحتى نهايته ومن المهد إلى اللحد بما يشبع حاجات الطفل من المحبة والمودة والإحترام والتقبل والأمن والإطمئنان والإستقرار والانتماء وتأكيد الذات بما يرضى الله ورسوله والمؤمنين .

وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ لتؤكد مدى أهمية عملية التنشئة الاجتماعية السليمة للفرد وتكوين الشخصية الإنسانية وتحديد أنماطها السلوكية وأن الإنسان يولد على الفطرة السليمة فطرة التوحيد بالله عز وجل والتسبيح بحمده سبحانه وتعالى . وبأتى بعد ذلك دور الوالدين والمربين فى تدعيم هذه الفطرة الخيرة فى

الإنسان ، ومن ثم فإن الإسلام يضع المسؤولية الأولى على الآباء فى تنشئة أطفالهم التنشئة الإجتماعية السليمة حيث ورد عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها ولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١) وما أجمل أن تكون تنشئة الولد تنشئة إجتماعية دينية تتسم بالأبوة الحانية تجاه بنوة بارّة مطيعة عابدة للخالق الأعظم عن علم وعمل ، وهنا نقف وقفة متأنية أمام التنشئة الإجتماعية الإسلامية الفاضلة التى نادى بها الإمام ابن الجوزى « أعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين ، ثم الفضائل تتفاوت فمن الناس من يرى الفضائل الزهد فى الدنيا ومنهم من يراها التشاغل بالعبادة ، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل ، فإذا حصل دفعاً صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى وحركاه إلى محبته والشوق إليه فتلك الغاية القصوى. وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم (الإمام ابن الجوزى ١٩٧٩-٢٠) على أن التنشئة الإجتماعية الإسلامية عملية متصلة الحلقات متعددة الجنبات يحكمها تواصل الأجيال وبلورها تغيير الظروف والأحوال فهي إما تترد وعقوق أو وفاء بالحقوق ، إن التنشئة الإجتماعية الناجحة المؤثرة هى التى تتسم بالعلاقات الطيبة بين الوالدين وأطفالهم علاقات الوجود والحضور والتفاعل والاتصال المستمر ، ويدعم هذا الرأى ما جاء فى القول المأثور بشأن تنشئة الأولاد وتربيتهم « لا عبوهم سبعا وأدبوهم سبعا وصاحبوهم سبعا » فاللعب حاجة من الحاجات النفسية الضرورية للطفل ويحتاج لمرشد يوجه الصغار فى اللعب المناسب والمفيد كما يحتاج لجماعة تحت الطفل على اللعب ذاته .

هذا ويعتبر اللعب لغة الطفل الرمزية للتعبير عن الذات ليكشف عن نفسه وعن مشاعره بالنسبة لنفسه وللأشخاص المهمين فى حياته والأحداث التى مرت به . إن اللعب نشاط يميز الطفل من خلال الحركات التى يقومون بها لتحقيق المتعة والتسلية (فياض سكيكر ١٩٨٩ - ٦٥) .

ومن أثر وأهمية اللعبة فى حياة الطفل قال رسولنا الكريم ﷺ « من دخل

السوق واشترى تحفة « لعبة » فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاييج ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور (١) .

هذه النظرة الإنسانية الحانية نظرة الإسلام إلى اللعبة قد يراها البعض على أنها شئ بسيط إلا أن رسول الله ﷺ ينظر إليها على أنها كبيرة وعظيمة لها وزنها وقدرها وأجرها كأنها صدقة وكأن صاحبها يحمل هذه الصدقة إلى قوم محاييج ثم يبدأ بتوزيع هذه اللعبة على البنات قبل الذكور لأن ذلك يجبر خاطرن ويدفن مشاعرهن ويدخل عليهن البهجة والسعادة لأنهن ضعاف .

« وأدبهم سبعا » ويقصد بها : التربية والتهديب والتدريب والتعلم وما يتأدب به المتعلم أن يتسم بالتملق والتذلل لمن يعلمه ، فإن إستعملها غنم وإن تركها حرم لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه ، والتذلل له سبب لإدامة صبره وقد روى « معاذ بن جبل » الأنصارى عن النبى ﷺ أنه قال « ليس من أخلاق المؤمن الملقى إلا فى طلب العلم (المواردى ١٩٧٣ - ٧٥) .

والسنة المطهرة تحض على إتباع القدوة الحسنة والتمسك بالأدب والتهديب والتعليم ومنها على سبيل المثال لا الحصر الأحاديث النبوية الشريفة الآتية :

« لأن يؤدب أحدكم ولده خير من أن يتصدق » .

« أحبوا الصبيان فإذا وعدتموهم فوفوا لهم ، فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم » « إلزموا أولادكم » (٢) .

هذا ومن الآثار الأدبية الرائعة فى أدبنا العربى ومعاملتنا الإسلامية ما كتبه عقبة بن أبى سفيان إلى عبد الصمد مؤدب أولاده حين قال له « الحسن عندهم ما إستحسنست والقبح عندهم ما إستقبحت إلى أن يقول : هدهم بى وأدبهم دونى وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء وروهم سير الحكماء وزد فى تأديبهم أزد لك فى برى إن شاء الله » وهكذا يكون التأدب والتعلم لا كما يحدث فى زماننا هذا من أهمال ولا مبالاة لبعض الأسر نحو أبنائها وتكون النتيجة الحتمية أسرة مفككة منهارة وإضطراب وفساد فى المنزل والشارع والحارة وإغتراب نفسى فى المدرسة وتلوث أخلاقى لدى زمرة الأقران .

أما عن الشق الثالث من القول المأثور « وصاحبهم سبعا » فهذا يعنى أن الصداقة والصحبة تتطلب الشقة والصدق والإخلاص بين الأصدقاء والأصحاب وعندما يشب الطفل ويكبر ويتعامل مع والده كصديق ، فإن هذا يعد بمثابة نجاح أكيد لعملية التنشئة الاجتماعية ووصولها إلى بر الأمان والسلامة .

إن معاملة الوالدين لأولادهم كأصدقاء تغرس فى الطفل نوازع كريمة وتطبعه بطابع إنسانى سام نبيل ، وتقوم طبيعه وخلقه وتنشئه وتنشئة صالحة ، يقول رسول الله ﷺ « إلزموا أولادكم » يريد الرسول بذلك ألا تتركوهم هملا دون راع أو تتركوهم وتدعوهم لغيرهم فذلك حرى بإهتزاز معايير الأخلاق بذواتهم ويبدؤ بدور الشر فى نفوسهم وقد روى ابن خلدون أن الرشيد قال لمعلم ولده الأمين : « يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع لك مهجة نفسه وثمرة قلبه فاجعل يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة ، فكأن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرنه القرآن وعرفه الأخيار ورواه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته إلى أن يقول : وقومه ما إستطعت بالقرب والملاينة (الحسينى عبد المجيد هاشم وآخرون ١٩٨٥ - ٢٦) .

ويعجبني قول بعض الحكماء « ابنك ربحانك سبعا وخادمك سبعا ووزيرك سبعا » (١) فالربحان برائحته الزكية وعطره المفيد نحافظ عليه ونتقرب منه وإليه « والخادم يلازمنا دائما ويقدم لنا ما نحتاجه من خدمات ومتطلبات المعيشة فى المنزل إن الخادم الأمين يتحمل عنا الكثير ويجلب لنا الخير الوفير وأما عن « الوزير » فهو فى موقع الإستشارة والإستشارة والتبصير والتوقيع .

إن كل هذه الأقوال المأثورة وأحاديث رسول الله ﷺ الشريفة تحض على تفاعل الوالدين مع أطفالهم وتواجههم معهم معظم الوقت لما فى ذلك من أثر كبير على التنشئة الاجتماعية والتحصيل الدراسى بالمدرسة والتكيف الاجتماعى .
ومما يدعم هذه النظرة بحث ميدانى أجراه أحد الباحثين (٢) بولاية نورث كارولينا الأمريكية ونشر عام ١٩٨٥ ، فقد إختار الباحث عينة من الأطفال تتراوح

(١) مرجع سابق : ١٥٣

(٢) الباحث الدكتور / حسان محمد حسان ، إستاذ بكلية التربية - جامعة عين شمس .

أعمارهم ٤ : ١٤ سنة وأجرى عليهم بحثه هم ووالديهم أيضا ، وخلال هذه الدراسة كان الآباء يحضرون إجتماعا خاصا بالتوجيه والإرشاد النفسى لمدة ساعتين أسبوعيا ، وفى نفس الوقت كان الأبناء « الأطفال » يحضرون إجتماعا مماثلا فى نفس المكان الذى أجرى فيه البحث وطبق الباحث على الأبناء مقياسا سلوكيا معنا قبل وبعد الإجتماعات ، وحاول الباحث الوصول إلى إدراك العلاقة الإحصائية بين عدد مرات حضور الوالدين لهذه الإجتماعات من جهة ومعدل إستجابة أبنائهم الأطفال علي هذا المقياس من جهة أخرى وتوصل فى نهاية بحثه إلى أن الأطفال الذين حضر آباؤهم ما يزيد عن ٥٠ ٪ من إجتماعات الوالدين حصلوا علي معدل ٧,٩٨ فى هذا المقياس ، بينما الأطفال الذين حضر آباؤهم أقل من ٥٠ ٪ من الإجتماعات حصلوا على معدل ٤,٦١ فقط فى هذا المقياس . ويرى الباحث أن للتربية دورا فعالا فى عملية التنشئة الإجتماعية حيث أن التربية تتناول تنمية الفرد من جميع جوانبه المتصلة بالنواحي الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والعقائدية والخلقية والإجتماعية ، مما ينعكس مباشرة على مظاهر السلوكية فى جميع مراحل العمرية من المهد إلى اللحد ويقتصر دور التعليم على نقل التراث الفكرى عبر الأجيال المتعاقبة من جيل إلى جيل ونقل المعلومات المتضمنة للحقائق والمفاهيم المجردة والمتصلة بجوانب المعرفة المختلفة سواء كانت معرفة عقلية أو معرفة طبيعية أو معرفة إنسانية من مصادرها الأساسية إلى عقول الناس عن طريق الكتاب والعلم أو المعهد خلال فترة زمنية معينة .

وفى نهاية هذا الفصل لا يسعنا إلا أن نقول : هذا غيض من فيض تعاليم الإسلام الغراء . ترشدنا دائما إلى ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا نحو أطفالنا فلذات أكبادنا . وقرة أعيننا . وثمرة من ثمار حياتنا الدنيا . وأمل من آمال الغد المشرق الباسم . وصدق رسولنا الكريم ﷺ حين قال « الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة » وكما يقول عمر بن الخطاب من لم يؤدبه الشرع فلا أدبه الله « وفقنا الله إلى تربية أولادنا التربية القويمة وهدانا من فضله ورحمته إلى تنشئتهم التنشئة الإجتماعية السليمة ، إنه من وراء القصد وهو الحكيم العليم .

محتويات الكتاب

رقم الصفحة

٢٥ - ١	الفصل الأول : أساسيات تفهم علم النفس .
٧	ما يربط علماء النفس من مسائل علمهم .
٩	الأسس البيولوجية والاجتماعية لعلم النفس .
١١	آفاق سيكولوجية جديدة .
١٧	جذور علم النفس وتطوره قديما وحديثا .
١٨	إسهامات المرأة فى علم النفس .
١٩	نماذج علم النفس المعاصر : البيولوجى - السيكدينامى
	المعرفى - السلوكى - الإنسانى .
٢١	علم النفس والإيدز .
٢٢	الاتجاهات المستقبلية لعلم النفس .
٢٣	مناهج البحث فى علم النفس : الملاحظة على الطبيعة
	البحوث المسحية - دراسة الحالة - البحوث الارتباطية
	البحوث التجريبية - البحوث الأرشيفية .
٣١	أخلاقيات البحث العلمى .
٣٣ -	معوقات التجريب فى علم النفس .
٥٤ - ٣٦	الفصل الثانى : الأسس البيولوجية لسلوك الإنسانى .
٣٨	الأصول التعميمية فى العلوم البيولوجية .
٣٩	المخ البشرى عالم عجيب غريب .
٤١	مركز السيطرة فى المخ ... الأيمن والأيسر .
٤٢	وظائف المخ .
٤٤	أنماط الموجات الكهربائية المخية .
٤٧	جهاز اتصالات شبكية .

-٤٥٥-

٤٨	وظيفة الأجهزة العصبية .
٤٩	طرائق ضبط السلوك بيولوجيا وكيمائيا .
٦٨-٥٥	الفصل الثالث : الإنتباه والإدراك الحسى .
٥٦	مؤثرات الإنتباه .
٥٨	الإدراك الحسى كعملية عقلية تحليلية .
٦٢	عوامل تنظيم عملية الإدراك الحسى .
٦٥	العوامل الذاتية المؤثرة في الإدراك الحسى .
١٤٨-٦٩	الفصل الرابع : سيكولوجية التعلم .
٧٢	أسس عملية التعلم .
٧٣	معوقات عملية التعلم .
٧٨	الإستظهار والتحول فى عملية التعلم .
٨٤	حول التعلم والتدريب .
٩٤	وسائل عملية التدريس .
١٠٩	أثر النضج فى عملية التعلم .
١١٨	مدخل فى نظريات التعلم .
١١٩	النظريات الترابطية .
١٢٠	التشريط الكلاسيكى .
١٢٤	السلوكية الوصفية .
١٢٨	النظريات المعرفية .
١٢٨	سيكولوجية الجشطات .
١٣١	سيكولوجية المجال .
١٣٧	سيكولوجية نمو الذات وتطبيقاتها التربوية .
١٦٣-١٤٩	الفصل الخامس : الذاكرة والتذكر .
١٥٥	الذاكرة المؤقتة والذاكرة الدائمة .

٤٥٦-

١٦١	إضطراب الذاكرة .
١٦٢	الذاكرة الإجتماعية .
١٦٢	الذاكرة الفصامية
١٨٥.١٦٤	الفصل السادس : دوافع السلوك الإنساني .
١٦٧	فكرة الهيموستازي في الجسم البشرى .
١٦٨	الدوافع الفسيولوجية (البيولوجية) .
١٧٢	الدوافع الإجتماعية .
١٧٧	الدوافع اللاشعورية .
١٧٩	مدلول التخيل في حياتنا النفسية والإجتماعية .
١٧٩	بين الكبت والقمع .
١٨٠	علامات الدوافع اللاشعورية .
٢١٠-١٨٦	الفصل السابع : دافعية العمل والرضا المهنى .
١٨٨	نظرية الحاجات .
١٩٤	نظرية الوجود والانتماء والنمو .
١٩٦	نظرية الحاجات عند ماكليتلاند .
١٩٧	نظرية ذات العاملين عند «هيرزبرج» .
٢٠٢	النظريات الإدراكية « المعرفية » .
٢٠٤	النظريات السلوكية .
٢٠٧	مبدأ « بريماك » .
٢٠٧	نظرية التعلم الإجتماعى .
٢٠٨	نظرية الفسروق الفردية .
٢١٠	قياس الرضا المهنى .
٢٢٣-٢١١	الفصل الثامن : سيكولوجية الإنفعالات .
٢١٣	جوانب الإنفعال .

-٤٥٧-

٢١٦	نظريات الإنفعال .
٢١٨	الإنفعالات النفسجسمية .
٢٢٠	الإنفعالات وسيكولوجية الجماعات .
٢٢٤	نظرية التحليل النفسي في الجماعات .
٢٢٨	الأنماط العشرة لنظرية « ردل » في الإنفعالات .
٢٢٥-٢٣٤	الفصل التاسع : الفروق الفردية والذكاء .
٢٣٨	أنواع الفروق الفردية .
٢٤٠	جوهر الذكاء وتعريفه .
٢٤٣	قياس الذكاء .
٢٤٥	العوامل المؤثرة في السلوك الذكي .
٢٤٦	تأثير البيئة على الذكاء .
٢٤٧	توزيع القدرة العقلية .
٢٧٦-٢٥٣	الفصل العاشر : ديناميات الجماعة .
٢٥٤	ماهيتها وآفاقها وعلاقتها بعلم النفس الاجتماعي .
٢٥٧	الإتجاهات والسلوك والإقناع .
٢٥٩	تكوين الإتجاهات والتمسك بها .
٢٦١	الإقناع والإتجاهات المتغيرة .
٢٦٣	العلاقة بين الإتجاهات والسلوك .
٢٦٧	الإدراك الاجتماعي وفهم الآخرين .
٢٦٩	عملية تكوين الإنطباع .
٢٧٠	عمليات العزو وفهم أسباب السلوك .
٢٧٤	نظرية إدراك الذات وفهمنا لسلوكنا الخاص .
٢٧٧-٣٠٤	الفصل الحادي عشر : المؤثرات الاجتماعية والسلوك .
٢٧٨	المسايرة وإتباع سلوك الآخرين .

٢٧٩	خصائص الجماعة .
٢٧٩	إجماع آراء الجماعة .
٢٨٠	الفروق الجنسية فى المسايرة بين الوهم والحقيقة .
٢٨٢	الطاعة المباشرة .
٢٨٤	الثبات على المبدأ .
٢٨٥	الغاذبية البيئشخصية .
٢٩٢	أسباب إضمحلال العلاقات الإجتماعية .
٢٩٣	العدوانية والسلوك الإجتماعى المرغوب .
٢٩٩	مظاهر العدوان فى وسائل الإعلام .
٣٠٥-٣٢٦	الفصل الثانى عشر: سيكولوجية السلوك المنحرف .
٣٠٦	الإضطرابات السلوكية المضادة للمجتمع .
٣٠٦	السيكوباتية .
٣٠٧	الإجرام .
٣٠٩	إنحراف الأحداث .
٣١١	التخلف العقلى .
٣١٣	تصنيف التخلف العقلى .
٣١٧	أسباب التخلف العقلى .
٣١٩	كيفية الوقاية من التخلف العقلى .
٣٢٠	خصائص المتخلفين عقليا .
٣٢٤	سيكولوجية الكفيف .
٣٢٧-٣٤١	الفصل الثالث عشر: الإتجاهات والقيادة .
٣٢٨	وظائف الإتجاهات النفسية الإجتماعية .
٣٢٨	كيفية تكوين الإتجاهات .
٣٢٩	الإتجاهات الجامدة .
٣٢٩	قياس الإتجاهات .

-٤٥٩-

٣٣٤	نظريات القيادة .
٣٣٨	أنواع القيادة والمناخ الإجتماعى
٣٣٩	أشكال القيادة .

الفصل الرابع عشر: الصحة النفسية والسيكودراما والإدمان . ٣٤٢ - ٤٠١

٣٤٥	أهداف الصحة النفسية .
٣٤٨	التوافق والقدرات العقلية .
٣٥٢	سيكولوجية الشخصية .
٣٥٩	أنماط الشخصية .
٣٦٣	المظاهر الجانبية للشخصية .
٣٦٥	ميكانيزمات السيکودراما ومسرح مورينو .
٣٦٨	دور المسرح العلاجى .
٣٧١	وظائف السيکودراما والسيکودراما والسيکومتري .
٣٧٦	الرعاية الإجتماعية المطلوبة .
٣٧٧	المميزات المرغوبة فى الأخصائى الإجتماعى .
٣٨١	أساسيات النجاح فى الإشراف والإدارة .
٣٨٥	حاجتنا إلى التوجيه المهنى .
٣٩٠	إدمان الخمر والمخدرات .
٣٩٣	وسائل علاج الإدمان .
٣٩٨	الأثار النفسية لإدمان الحشيش .
٣٩٨	إتجاه جديد فى علاج الإدمان .

الفصل الخامس عشر: تأصيل علم النفس فى القرآن الكريم . ٤٠٢ - ٤٥٣

٤٠٣	مفهوم النفس فى القرآن الكريم .
٤٠٦	مفهوم الروح فى القرآن الكريم .
٤٠٨	آراء فى الروح والنفس .
٤١٣	أنواع النفوس فى القرآن الكريم .

—٤٦٠—

- ٤٢٣ نفوس مريضة فى القرآن الكريم .
- ٤٣١ شفاء النفس قرآنيًا وعلميًا .
- ٤٤٠ التنشئة الإجتماعية للطفل المسلم .
- ٤٤٨ التنشئة الإجتماعية وسيكولوجية نمو الذات .
- ٤٤٩ التنشئة الإجتماعية والتكيف الإجتماعى .

٤٦١-

مراجع الكتاب

أولا : المراجع العربية :

(١) القرآن الكريم .

(٢) الإمام ابن الجوزي : لفظة الكبد إلي نصيحة الولد ، دراسة وتحقيق فؤاد عبد المتعم الإسكندرية مكتبة حميدو ١٩٧٩ .

(٣) الإمام النووي الشافعي : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين .
القاهرة مطبعة الأنوار المحمدية - ١٩٨٧ .

(٤) أبو الحسن البصري الماوردي : أدب الدنيا والدين ، تحقيق مصطفى السقا .
القاهرة (ط / ٤) مطبعة الحلبي وأولاده ١٩٧٣ .

(٥) الحسيني عبد المجيد هاشم وآخرون : المنهج الإسلامي في رعاية الطفولة .
القاهرة دار الإسكندرية للطباعة والنشر ١٩٨٥ .

(٦) أحمد زكي صالح : علم النفس التجريبي .
القاهرة دار النهضة العربية ١٩٧٢ .

(٧) أحمد عزت راجح : علم النفس الصناعي (طبعة ٣) .
الإسكندرية دار الكتب الجامعية ١٩٧٠ .

(٨) أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (ط ١٣) .

-٤٦٢-

الإسكندرية دار المعارف ١٩٨٣ .

(٩) للسيد محمد خيرى وآخرون : علم النفس التجريبي .

الرياض (٢١) مطبوعات جامعة الرياض (بدون تاريخ) .

(١٠) جون بريرل : نمو المخ والتطور العقلي للطفل . عرض ممدوحة سلامة ،

مجلة علم النفس العدد ١١ سبتمبر ١٩٨٩ .

(١١) جان دولاي : أمراض الذاكرة ، ترجمة ميشيل أبي فاضل منشورات عويدات

باريس ١٩٧٨ .

(١٢) حامد عبد السلام زهران : علم النفس النمو (ط ٤) .

القاهرة عالم الكتب ١٩٧٧ .

(١٣) حامد عبد السلام زهران : علم النفس الإجتماعي (ط ٤) .

القاهرة عالم الكتب ١٩٧٧ .

(١٤) حسان محمد حسان: قليل من الثقافة التربوية ، كثير من الثمار الناضجة .

مقال بمجلة العربي الكويتية العدد ٣٧٢ . نوفمبر ١٩٨٩ .

(١٥) ومزية الغريب : التقويم والقياس النفسي والتربوي .

القاهرة الأنجلو المصرية ١٩٧٧ .

(١٦) ريتشارد هي . لازاروس : الشخصية ترجمة سيد غنيم مراجعة محمد عثمان

نجاتي .

بيروت دار الشروق ١٩٨١ .

(١٧) سليمان المحضري الشيخ : الفروق الفردية في الذكاء .
القاهرة دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٦ .

(١٨) سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعي التربوي (الجزء الأول) التطبيع
الاجتماعي . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥ .

(١٩) سيد قطب : في ظلال القرآن (ط ١٧) .
القاهرة دار الشروق ١٩٩٠ .

(٢٠) عادل الدمرداش : الإدمان مظهره وعلاجه .
الكويت عالم المعرفة ١٩٨٢ .

(٢١) محمد الستار إبراهيم : الإنسان وعلم النفس «سلسلة عالم المعرفة» العدد ٨٦
الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٨٥ .

(٢٢) عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام ، الجزء الأول (ط ٣) .
بيروت دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١ .

(٢٣) عزت عبد العظيم الطويل : أساسيات علم النفس الاجتماعي والصناعي
«مذكرة» . الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث ١٩٧٩ .

(٢٤) عزت عبد العظيم الطويل : في النفس والقرآن الكريم .
الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث ١٩٨٣ .

—٤٦٤—

- (٢٥) مجزت عبد العظيم الطويل : سيكولوجية نمو الذات مراحلها وتطبيقاتها التربوية . الإسكندرية دار المطبوعات الجديدة ١٩٨٨ .
- (٢٦) عزت عبد العظيم الطويل : في علم النفس التعليمي المعاصر . الإسكندرية دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ .
- (٢٧) فؤاد أبو حطب والسروجي : مدخل إلى علم النفس التعليمي . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ .
- (٢٨) لطفي بركات أحمد : تربية المعوقين في الوطن العربي . الرياض دار المريخ ١٩٨١ .
- (٢٩) لطفي فطيم وآخرون : الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي . الرياض دار المريخ ١٩٨١ .
- (٣٠) محمد شحاته ربيع : تاريخ علم النفس ومدارسه . القاهرة دار الصحة للنشر والتوزيع ١٩٨٦ .
- (٣١) محمد شحاته ربيع : علم النفس التطبيقي (مذكرة) الرياض السعودية مؤسسة المد الله ١٩٨٠ .
- (٣٢) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير . بيروت لبنان دار القرآن الكريم ١٩٨١ .

—٤٦٥—

(٣٣) محمد عثمان نجاتي : علم النفس في حياتنا اليومية (الطبعة العاشرة) .
الكويت دار القلم ١٩٨٣ .

(٣٤) محمد محروس محمد : مذكرة في تأهيل حالات التخلف العقلي .
مصر وزارة الشؤون الإجتماعية ١٩٨١ .

(٣٥) مكتب اليونسكو الإقليمي : التربية الجديدة « مشكلة المعاقين في المنطقة
العربية »

العدد ٢٤ ديسمبر ١٩٨١ .

(٣٦) محمد الدين الفيروزآبادي : القاموس المحيط الجزء الأول .
القاهرة (د.ت) مطبعة السعادة .

ثانيا : المراجع الأجنبية .

- (1) Abraham K . korrmann Industrial and organiz . Psycholgy
 ,Prentice, hall Inc ,New Jersey 1971.
- (2) Adok C . J . Fandamentals of Psychology, Penguin Books
 ,Grait Britian , 1979 .
- (3) Aamodt, Michael G ., Applied Industrial and Organiz
 tional Psychology Wardsworth Publishing . company
 U.S.A1991 .
- (4) Bahatia , H . R , General Psychology , Oxford and IBH
 publishing Co . New Delhi 1972 .
- (5) Brown , J , and other Applied Psychology , American
 publishing ,Co , Pvt . Itd New Delhi , 1972 .
- (6) Davis , K , Human behavior at work Human Relations and
 Organization behavior (4th ., ed) Mc Craw Hill book comp 1972 .
- (7) Ericson E . , Emanuel , Teaching the industrial arts chas A.
 Bennett Co .Illious 1966 .
- (8) Feldman , Robert Stephen , Essentials of understanding
 Psychology , McGrow - Hill , Inc New York 1994 .

- (9) Eli Ginzberg the development of human Resources , Mc Graw Hill Book Comp., New York 1966 .
- (10) Gilhmer V.H., Industrail Psychology ., McGraw Hill Book Comp , 1966 .
- (11) Guilford I.P., General Psychology Van Nostrand and Nostrand and Reinold Comp 3rd ed . New York 1971 .
- (12) Haber , Ralph Norman ," How we Remember What we see " Reddings form , Scientitc American Psychology in Progress W .H . Freeman and Comp ., Francisco 1975 .
- (13) Laster Crow and a , Crow , Educational Psychology Eueasid Publishing house (Pvt) , Litd New Jersey , 1969 .
- (14) Mc Guigan , F .J Experimental Psychology ,Prentice Hall Inc England , New Jersey 1969 .
- (15) Psychology; to day, May 1982 Vol IG No.5 Understaning Psychological Man .
- (16)Rhodes Martin,How to Study,A thomas and Company. Northantonshire 1977 .
- (17) Richard Hacon Personal and Organizational Effectivenss McGraw - Hill Book Comp ., (UK) Bcrkshore Eng 1972 ,
- (18) Robert C Craig William A . Mehrens and Harvey , clarizio : Contemporary Educational Psychology , John Wiley

—٤٦٨—

and Sons, Inc New York 1975.

(19) Ross Stanger and char'es M . Solly Basic Psychology
Tata McGraw - Hill Book Publish ., Com ., Ltd Bombay New
Delhi 1972 .

(20) Russel W . Levanway , Advanced general Psychology ,
F . A Davis Comp Mp ., Pheladelphia 1972 .

(21) Travers J . F . , Educational Psychology , Herber and Row
Publishers ,New York 1979 .


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

